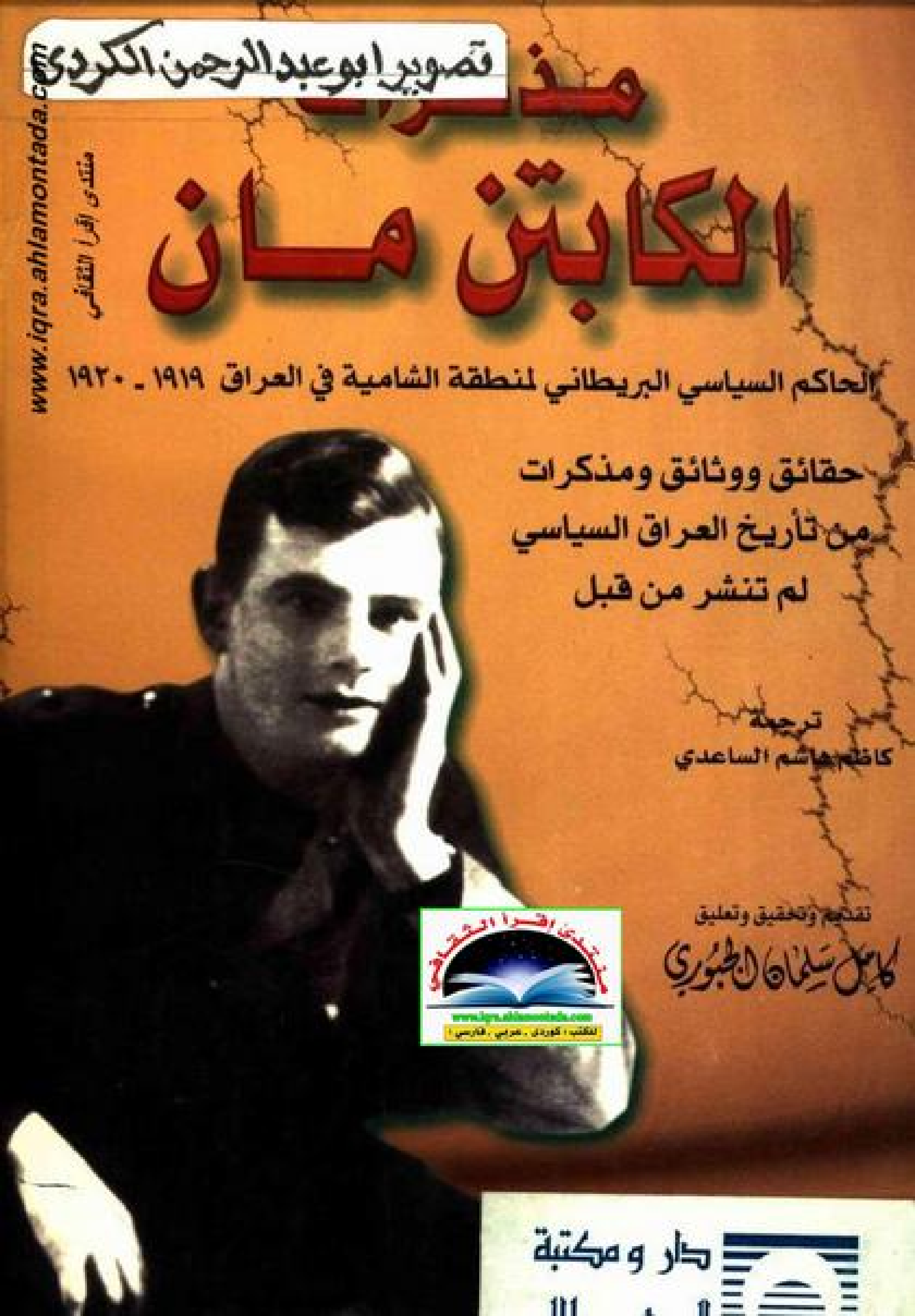

تصوير ابو عبد الرحمن الكردي
www.iqra.ahlamontada.com
منتدى اقرأ الثقافي
الكابتن مان
الحاكم السياسي البريطاني لمنطقة الشامية في العراق ١٩١٩ - ١٩٢٠
حقائق ووثائق ومذكرات
من تأريخ العراق السياسي
لم تنشر من قبل
ترجمة
كاظم هاشم الساعدي
تقديم وتحقيق وتعليق
كامل سلمان الجبوري
دار و مكتبة

بۆدابەزاندنی جۆرەها کتێب:سەردانی: (مُنْتَدى إِقْرَأ الثَقافِي)

لتحميل انواع الكتب راجع: (مُنْتَدى إِقْرَأ الثَقافِي)

براي دانلود كتابهاى مختلف مراجعه: (منتدى اقرأ الثقافى)

www. Iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

للكتب (كوردى ,عربي ,فارسي)

مذكــرات
الكابتن مـــــان



إداري في دور التكوين

مذكرات
الكابتن مان

الحاكم السياسي البريطاني لمنطقة الشامية في العراق

١٩١٩ ـ ١٩٢٠

حقائق ووثائق ومذكرات من تأريخ العراق السياسي

لم تنشر من قبل

ترجمة

كاظم هاشم الساعدي

تقديم وتحقيق وتعليق

كامل سلمان الجبوري

مؤسسة العارف للمطبوعات

اسم الكتاب : مذكرات الكابتن مان
المؤلف : الكابتن جيمس سوماريز مان
ترجمة : كاظم هاشم الساعدي
تقديم وتحقيق وتعليق: كامل سلمان الجبوري

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة طبع أو ترجمة أو نسخ الكتاب أو أي جزء منه إلا بترخيص خطي من المؤلف والناشر تحت طائلة الشرع والقانون

إصدار



ص.ب: ١٠٦/٢٤
١٠١٧٢٠١٠
برج البراجنة /بعبدا
Tel : ٠٠٩٦١ ٣ ٢١٠٥٠٨
Fax: ٠٠٩٦١ ١ ٥٤٣٣٥٩
Email:arefli@hotmail.com

تمهيد

بقلم: كامل سلمان الجبوري

- إمارة الخزاعل وتأسيس منطقة الشامية.
- لواء عموم الشامية والنجف.
- دور لواء عموم الشامية والنجف في الثورة العراقية ١٩٢٠.
- بلاغ الحلفاء.



إمارة الخزاعل وتأسيس منطقة الشامية:

أصبحت المنطقة الممتدة على ضفتي نهر الفرات، من ضواحي الحلّة شمالاً، حتى نواحي الناصرية جنوباً، موطناً لزعامة قبيلة الخزاعل والعشائر المتحالفة معها مدة تقرب من ثلاثة قرون، وكانت البيوتات الرئيسية في القبيلة تحكم هذه المنطقة الواسعة بوصفها (ديرة) خاصة بها، تنفرد بشؤونها وحدها، وإن لم يمنع ذلك من دخولها في محالفات قبلية، أو إقامة علاقات مع ولاة بغداد بحسب ما تقتضيه توازنات القوى في المنطقة.

برزت إمارة الخزاعل في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي في منطقة الرماحية[1] - الواقعة بين الشامية والشنافية اليوم - برئيسها مهنا بن علي، وسرعان ما امتدت لتشمل المنطقة الممتدة من هيث شمالاً إلى العرجة - مقدم بلدة الناصرية - جنوباً، بيد أن هذه الإمارة سقطت إثر الحملات العنيفة التي وجهها إليها ولاة بغداد في نهاية القرن المذكور.

وفي مطلع القرن الثاني عشر/الثامن عشر الميلادي، بدأت المرحلة الثانية من تأريخ الإمارة، إذ أعاد سلمان بن عباس بن محمد بن مهنا المذكور، تأسيسها في منطقة الحسكة[2] - الديوانية اليوم -، ثم اتسعت في عهده، وشملت مقاطعات عديدة تصل إلى حدود النجف شمالاً حتى العرجة جنوباً[3] ، وغدت لملوم - مقابل منطقة الحمزة الشرقي اليوم - مركزاً لزعامة القبيلة.

وضمن فترة إعادة تأسيس زعامة الخزاعل، برزت قوة اتحاد قبائل المنتفق على طول سقي الفرات من الحلة شمالاً إلى البصرة جنوباً، عندها انضوى الخزاعل تحت إمارة المنتفق العامة، وكانوا أحد مصادر قوتها.

وفي منتصف القرن الثاني عشر ولتزايد عدد فروع القبيلة، اقتضت الضرورة إلى شطر (ديرتها) إلى شطرين يفصل بينهما نهر الفرات:

الأول: ويشمل الجانب الغربي من النهر بزعامة آل سلمان.

---

(١) حول الرماحية: أنظر ما كتبه الشيخ حمود الساعدي على صفحات مجلة البلاغ الكاظمية - السنة ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م العدد ١ ص١٣- ٢٠، العدد ٢ ص٣٩-٤٦.

(٢) الحسكة: وهو إسم منطقة الديوانية اليوم. أنظر: تاريخ الديوانية للحاج وداي العطية.

(٣) مجلة لغة العرب السنة ٣/ العدد ٩/ عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٥/ ١٥٣.

الثاني: ويشمل الجانب الشرقي من النهر وقاعدته الديوانية، بزعامة آل حمد الذين تولوا الإمارة العامة على القبيلة.

وفي أوائل القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، بلغت الخزاعل أوج قوتها، وفي عهد أميرها حمد آل حمود، وانفصلت من تحالفها السابق بقبائل المنتفق، إلا أن الحقبة التالية شهدت تدنياً واضحاً في استقلالها، إذ أخذ ولاة بغداد يتدخلون في تعيين زعماء القبيلة، وأذعن أولئك الزعماء بالطاعة غالباً، وبدفع الضرائب، واقترن ذلك بانتقال الإمارة العامة للقبيلة إلى آل سلمان ـ الفرع الآخر منها ـ إلا أن هذه الإمارة ضعفت وأصبحت مقاليد الأمور بيد كل فرع في منطقة وحدها، مما مكن الولاة من التدخل المستمر في شؤونها، وشجّع القبائل الأخرى من النزوح إلى المنطقة، فاقتطعت عشائر: شمر، وعنزة، وزبيد أجزاء مهمة من منطقة سيادة الخزاعل وأراضيها، وهكذا أدى ضعفها إلى أن تتحول أحياناً إلى أداة بيد ولاة بغداد لتحصيل الضرائب أو لمراقبة القبائل، بل اضطرت أيضاً إلى الانضواء تحت زعامة بعض القبائل المجاورة، حماية لما تبقى من ديرتها من القبائل الأخرى.

وفي أواخر القرن الثالث عشر أخذت زعامة الخزاعل بالانحلال الفعلي، فتم لولاة بغداد سلخ مناطق واسعة منها، ومنحها إلى زعماء آخرين، وتم ترحيل فروع القبيلة من مواطنها، مما أدى إلى ضعف عام في أحوالها الاقتصادية، حتى اضطرت إلى القبول بما أوكله الولاة إليهم من مهام محدودة، مثل حفظ أمن الطرق، ومكافحة تهريب الحبوب[1].

فسلخت منها السماوة وضمتها إلى لواء الحلّة ـ ومركزه الديوانية ـ سنة ١٢٦٩ وغيرها.

وقبلها تم سلخ منطقة الشامية حيث انتزعتها الحكومة العثمانية سنة ١٢٦٠هـ وعدتها قضاءً من أقضية لواء الحلّة ـ ومركزه الديوانية ـ وجعلت من توابعه حتى نهاية العهد العثماني النواحي: غماس، والشنافية، وهور الله، والصلاحية، والجعة.

وجعلت أم البعرور (الشامية الشرقية) ـ قصبة الشامية اليوم ـ مركزاً لإدارة القضاء.

---

(١) د. عماد عبد السلام رؤوف: إدارة العراق ٣٠٤ ـ ٣٠٥ بتصرف و إضافة. أنظر أيضا: حمود الساعدي: الخزاعل ١٩٧٤م/ ١٣٩٤هـ. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، مواضيع متفرقة بين ثنايا الكتاب.

وبقيت منطقة الشامية تحتفظ بحدودها ومناطقها الإدارية حتى انتهاء الحكم العثماني.

لواء عموم الشامية والنجف[1]:

وفي فترة الاحتلال البريطاني للعراق، شكلت سلطة الاحتلال مناطق إدارية في عموم العراق، باسم (لواء) ففي هذه المنطق شكلت (لواء عموم الشامية والنجف) لإدارة هاتين المنطقتين، ويقوم بإدارة هذا اللواء ضابط بريطاني بمنصب (حاكم سياسي)، وكان مقر هذا اللواء مدينة النجف، ودار الحكومة هو خان عطية أبو كلل، ثم نقل فيما بعد إلى الكوفة.

وكان الكابتن أف. سي. سي. بلفور أول حاكم سياسي للواء المذكور، فقد باشر بمقر عمله في تشرين الأول ١٩١٧ حتى حزيران ١٩١٨ حيث تلاه المستر وينكت في ٦ حزيران ١٩١٨، وأعقبه الميجر نوربري من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٢٠.

فمنطقة النجف تعاقب على إدارتها وبصفة معاون حاكم سياسي كل من:

- حميد خان بن أسد خان[2]: آب ١٩١٧- تشرين الأول ١٩١٧:

---

(١) المس بل: فصول من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط.

(٢) حميد خان بن أسد خان آل نظام الدولة.

- ولد في النجف عام ١٨٩٠م.
- تلقى دراسته في بغداد فالهند، وعاد منها عام ١٩١١.
- اختار السكنى في النجف، وعند احتلال الانكليز لبغداد عين حاكماً للنجف عام ١٩١٧.
- ثم معاوناً للحاكم السياسي لمنطقة عموم الشامية والنجف.
- وعند نشوب الثورة العراقية ١٩٢٠، وخشية محاولة اغتياله من قبل الثوار، خرج من النجف متستراً بحماية بعض النجفيين في ٢٠ ذي القعدة ١٣٣٨هـ.

ومن هناك تم نفيه إلى الهندية (طويريج) في بيت خصص له تحت رقابة عمران الحاج سعدون «رئيس قبائل بني حسن من الكفل إلى الهندية».

وقد قصده أحد النجفيين ودخل عليه في بيته وحاول اغتياله، فقبض عليه الحارس والخادم وحالا دون وقوع الحادث، وبقي في منفاه ما يقارب الشهرين، حتى احتلال الانكليز مدينة الهندية.

- بعد انتهاء الثورة وأعمالها الحربية عاد إلى وظيفته كحاكم للنجف.
- عين متصرفاً للواء كربلاء عام ١٩٢١.
- استقال من الوظيفة عام ١٩٢٢.
- انتخب نائباً في المجلس النيابي العراقي بدورته العاشرة عن لواء كربلاء في ٩ تشرين الأول ١٩٤٣ - ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٦.
- توفي في بغداد يوم ١٩٤٣/١٢/٢٣.

=

وقد جاء هذا التعيين قبل تشكيل اللواء المذكور بصفة وكيل حكومي، وقد بقي حميد خان عند تشكيل اللواء، معاوناً للحاكم السياسي حتى قيام ثورة العشرين.

- الكابتن وليم. ام. مارشال[1]: ١ شباط ١٩١٨- ٢١ آذار ١٩١٨:
حيث قتل في ثورة النجف المسلحة، وقد كانت درجته (معاون الحاكم السياسي).
- الكابتن غرين هاوس[2]: ٢٣ أيار/ مايس ١٩١٨.
- الميجر نوربري: ١٩١٨- ١٩٢٠.

وتتبع النجف إدارياً كل من:

منطقة الكوفة: وقد تعاقب على إدارتها وبصفة معاون حاكم سياسي كل من:

- سركيس أفندي ـ أحد الشبان المسيحيين[3] ـ من الأرمن: ٢ حزيران ١٩١٧ - تشرين الأول ١٩١٧
- الميجر نوربري: ١٩١٨ - ١٩٢٠

١ ـ منطقة (الشامية الغربية) ومركزها (أبو صخير): ـ وتلحق بها المشخاب، وقد تعاقب على إدارتها وبصفة معاون حاكم سياسي كل من:

= وأسرته من جهة الأب، فهي من نسل علي محمد خان نظام الدولة، حفيد محمد حسين خان الصدر الأعظم، وقد تزوج بنت فتح علي شاه القاجاري وأصبح صدراً أعظم في أواخر أيام فتح علي شاه نفسه، لكنه اختلف مع خلفه محمد شاه فاضطر إلى ترك إيران والهجرة إلى العتبات المقدسة في العراق سنة ١٢٥٦هـ وظل مقيماً فيها حتى وافاه الأجل سنة ١٢٦٣هـ ودفن في مقبرة الأسرة في النجف (مقبرة الصدر). ومن جهة الأم إلى أسرة الشاهات القاجارية. ولهذه الأسرة صلة رحم بعائلة آغا خان المعروفة في الهند والعالم، حيث أن عمة حميد خان (شمس الملوك) المولودة في النجف هي زوجة آغا خان الثاني ووالدة آغا خان الثالث (السلطان محمد شاه).

مصادر ترجمته: سيرة آل أسد خان لمصطفى خان، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث: د. علي الوردي، هكذا عرفتهم لجعفر الخليلي ٤١/١ ـ ٥٦، ماضي النجف وحاضرها لجعفر محبوبة، فصول من تأريخ العراق القريب للمس بل، ترجمة جعفر خياط، هامش ص ١١٨.

(١) المس بل: ن. م ١١٨.

(٢) موبرلي: ف.ج، الزعيم: تاريخ الحرب العظمى المبني على الوقائع الرسمية: وفي ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣٤٤ (الهامش): أن الحكومة البريطانية قد أرسلت إلى النجف قبل الكابتن مارشال حاكمين على التعاقب وهما: الكابتن كرين هاوس، ثم الكابتن ونكت (وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه من المصادر البريطانية). ويصفهما بأنهما كانا على جانب عظيم من سوء السيرة والصلف والمس بكرامة النجفيين، وكانا إذا أرادا التجول في البلدة أرسلا في مقدمتهم ثلة من الشرطة الأكراد، الشرسي الأخلاق، فيسيرون وهم حاملو السياط فيزعجون الناس ويطلبون منهم الوقوف إجلالاً وإعظاماً لحضرة الحاكم الذي يتهادى خلفهم، بعبارات قارصة لا تتحملها ـ بالطبع ـ نفوس الأهالي الأبية.

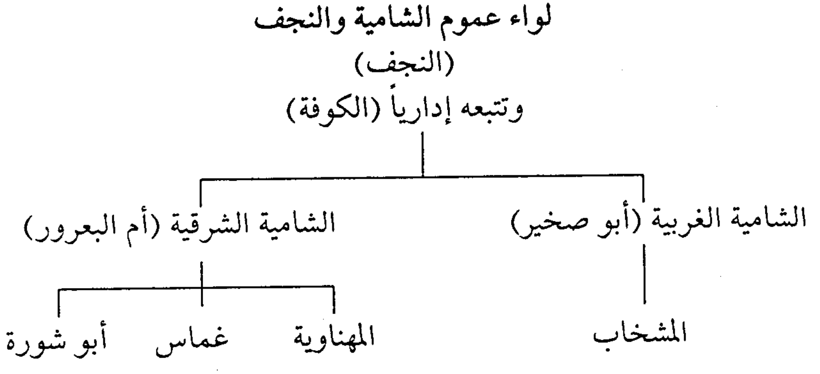
(٣) كامل سلمان الجبوري: تاريخ الكوفة الحديث ٢٣٩/١.

• محمود نديم الطبقجلي: آب ١٩١٧ - كانون الثاني ١٩١٨
• بيرو تيرو: كانون الثاني ١٩١٨ - ١٩١٨
• الكابتن لايل: تشرين الثاني ١٩١٨ - .....
• هوبكنز: .... - ٢١ آذار ١٩٢٠
• أوكنر: ٢٢ آذار ١٩٢٠ -

٢ ـ أما منطقة الشامية (الشامية الشرقية) ومركزها (أم البعرور)، فكان أول معاون للحاكم السياسي فيها هو الكابتن جي. اس. مان، إذ تعين فيها بتاريخ ٣ أيلول ١٩١٩ وكانت تدار قبله بشكل مؤقت من قبل مصطفى خرمه السوري، وتضم:

١ ـ المهناوية.
٢ ـ غماس.
٣ ـ أبو شورة.

وعلى هذا فيكون الهيكل الإداري للواء عموم الشامية والنجف على النحو التالي:



ولما كان موضوع المذكرات (الرسائل) هذه يتعلق بفترة إدارة الكابتن مان، والتي تعتبر من أهم الفترات التاريخية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، حيث فيها كان التمهيد للثورة العراقية الكبرى، ثم نشوبها ونهايتها، وكان من كبار ضحايا الإنكليز فيها هو صاحب المذكرات، بات من الضروري التمهيد لها بمقدمة موجزة، عن دور المناطق التي يتكون منا (لواء عموم الشامية والنجف) ويبدو فيها واضحاً رأي صاحب المذكرات ومحاولاته اليائسة في قمع الثورة وإحباطها، كما ستجدها في رسائله إلى أهله ومتعلقيه.

دور لواء عموم الشامية والنجف في الثورة العراقية:

وهو دور ما يضمه اللواء المذكور من مناطق: النجف، والكوفة، وأبي صخير، والمشخاب، والشامية، والمهناوية، والعباسية، وغماس.

بعد قيام الثورة النجفية في ٢١ آذار ١٩١٨ ومقتل حاكم النجف السياسي الكابتن وليم. ام. مارشال وما تبعها من ويلات ومآس وضربات موجعة أنزلتها السلطات البريطانية على النجفيين والقائمين، من إعدام ونفي وحصار جائر، ظن الإنكليز أنهم قد سحقوا تلك الثورة الحربية في النجف، ومع هذا فإنهم يخشون من سطوتهم ووثوبهم مرة أخرى يكون لها وقعٌ أشد انتقاماً وإئثاراً لشهدائهم وأسراهم وما حل بهم وبمدينتهم ومقدساتهم.

بلاغ الحلفاء:

نشرت جريدة العرب بعددها الصادر يوم ١٦ تشرين الثاني ١٩١٨ نص بلاغ الحلفاء الذي أعلن في باريس ونيويورك ولندن والقاهرة في ٨ تشرين الثاني ونصه:

(إن الغاية التي ترمي إليها كل من فرنسا وبريطانيا العظمى من خوض غمار الحرب في الشرق من جراء أطماع ألمانيا هو تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت أعباء الأتراك تحريراً تاماً نهائياً، وتأسيس حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم، ولتنفيذ هذه الغايات اتفقت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى على تشجيع ومساعدة إنشاء حكومات وإدارات في كل من سورية، وقد حررها الحلفاء فعلاً، وفي الأقطار التي يسعى الحلفاء في تحريرها، والاعتراف بهذه الأقطار بمجرد تأسيس حكوماتها تأسيساً فعلياً، وأن فرنسا وبريطانيا العظمى لا ترغبان في وضع نظامات خاصة لحكومات هذه الأقطار، بل لا هم لهما إلا أن تضمنا بمساعدتهما ومعاونتهما الفعلية سير أمور سير العدل الشامل الخالي من شوائب المحاباة، وأن تساعدا على تعميم التعليم والتهذيب، وأن تضعا حداً للتفريق الذي طالما توخاه الأتراك في سياستهم.

هذه هي الخطة التي ستسير عليها الحكومتان المتحالفتان في الأقطار المحررة)[1] وبعد قراءة هذا البلاغ من قبل مجموعة من الشباب المتحمسين للوطنية في النجف وهم السيد سعيد كمال الدين، والسيد أحمد الصافي النجفي، والسيد حسين كمال الدين، والسيد سعد صالح جريو، والسيد محمد علي كمال الدين، تذاكروا في وادي النجف قرب السكة الحديدية، واتفقت آراؤهم على ضرورة العمل للحيلولة دون نجاح الاستفتاء الذي لا بد وأن يقع في العراق عاجلاً أم آجلاً، وأنه يجب أن يكون الاختيار لحكومة

(١) لودر: القول الحق في تاريخ سوريا وفلسطين والعراق ص٢٠ - ٢٦.

عراقية عربية ملكية نيابية ديمقراطية ملكها أحد أنجال الشريف حسين، وأنه الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يشكل حكومة في هذه البلاد[1].

فقاموا ببث الدعوة بين صفوف المثقفين وحملة الفكرة العربية رغم قلتهم، فاستمالوا الشيخ محمد رضا الشبيبي بواسطة السيد سعيد كمال الدين، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيد محمد رضا الصافي بواسطة السيد أحمد الصافي.

وبهذا اتسعت الحلقة فكانت في أربعة أسر كبيرة ذات نفوذ أدبي ولها مجالسها العامرة التي يمكن من خلالها نشر الدعوة وبثها: آل كمال الدين، وآل الصافي، وآل الجزائري، وآل الشبيبي[2].

وفي أثناء ذلك صادف أن التقى السيد محمد رضا الصافي مع السيد علوان الياسري في دار حكومة أبي صخير، وكان كل منهما يتردد عليها لمراجعة شؤون أملاكه فألفى السيد علوان غاضباً يكاد ينفجر من الغيظ، ولم يكن السبب غير أن السيد علوان قد شهد بعينه كيف أهان حاكم أبي صخير العسكري (الكابتن لايل) رجلاً من الوجوه حين طرده من أمامه ذليلاً.

فخرج السيد علوان وهو أشد ما يكون انفعالاً، وقد أفاض للسيد محمد رضا بأسباب انفعاله وأسمعه الشيء الكثير من كرهه للإنكليز وحكومتهم، فباد له السيد محمد رضا الرأي، وتحدثا طويلاً، وتطرقا في أحاديثهما إلى أن الخلاص من الإنكليز لا يتم إلا بالعمل، وأن الاهتداء إلى كيفية النهوض بالعمل لا يتم في هذا الموقف على قارعة الطريق.

وافترقا على أن يتم الاجتماع في النجف، وعلى أن يتذاكرا ملياً مع الجماعة الآخرين، لإيجاد المنفذ الذي يلجون منه للحرية ويتخلصون من هذا الكابوس الجاثم على صدورهم[3].

وحين زار السيد علوان الياسري النجف، قصد الشيخ عبد الكريم الجزائري بمعية السيد محمد رضا الصافي، ثم اتصل الشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ محمد باقر الشبيبي

---

(١) مذكرات السيد سعيد كمال الدين ص١١، مذكرات السيد حسين كمال الدين ص١١، مذكرات السيد سعد صالح جريو ص١١.
(٢) مذكرات السيد سعيد كمال الدين ص١١ - ١٢.
(٣) فراتي: على هامش الثورة العراقية ١٠١ - ١٠٢، الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج٤ ص١١٦ - ١١٧.

اتصالاً وثيقاً، وصار للسيد سعيد كمال الدين، والسيد حسين كمال الدين تماس قوي بالسيد علوان، وكان له مع السيد عبد الرضا الشيخ راضي سابق اتصال وثيق يبعث على الاطمئنان من هذه الطبقات التي يلتقيها عند مجلسه أو في المجالس الأخرى، فإذا بهذه للاتصالات تنمو وتسفر عن اتجاهات منتظمة. وكانت الحجر الأساس في قيام الثورة بوجه الإنكليز.

ثم التحق بهم السيد كاطع العوادي وشعلان الجبر رئيس عشيرة آل إبراهيم بواسطة السيد علوان، ثم انضم إليهم رؤساء العشائر الآخرون[1] كالسيد نور الياسري، والسيد محسن أبو طبيخ، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر[2] والشيخ علوان الحاج سعدون، والشيخ غثيث الحرجان، والشيخ شعلان أبو الجون[3].

الاستفتاء:

وكان السير أرنولد ولسن نائب الحاكم الملكي العام في العراق قد بعث إلى الحكام السياسيين في الألوية والأقضية أن يجمعوا صغار النفوس وضعاف الإيمان والذين ترتبط أعمالهم ومصالحهم مع السلطة الحاكمة لتكون أجوبتهم صدى لإدارة السلطة البريطانية، وكانت الأسئلة:

١ ـ هل ترغبون في دولة عربية واحدة تحت الوصاية البريطانية، تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل حتى الخليج؟

٢ ـ هل ترغبون أن يترأس هذه الدولة رئيس عربي؟

٣ ـ من هو الرئيس الذي تريدونه لرئاسة الحكومة؟[4].

ولما كانت النجف، وبسبب مركزها الديني الواسع النطاق، وتأثير علمائها على جماهير الشعب، فقد كانت أول بلدة تحسست بثقل السلطة الأجنبية وأول مدينة عراقية فكرت بالتخلص من الاستعمار البريطاني بالنظر لما كانت قد تشبعت به من روح الحرية والنزوع إلى الديموقراطية بسبب ما كانت تتلقاه من دروس متواصلة عن فلسفة نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وبسبب كونها مهد العلماء ومركز الروحانية، ولهذا فقد اهتم بها الحاكم الملكي العام اهتماماً عظيماً، وأراد أن يعرف رأي سكانها

---

(١) فراتي: على هامش الثورة العراقية ١٠١ - ١٠٣.

(٢) الوردي: لمحات اجتماعية ج٥ ق١ ص١١٨.

(٣) كامل سلمان الجبوري: مذكرات السيد سعيد كمال الدين ص٢٤.

(٤) محمد علي كمال الدين، المذكرات ٢٨.

والمحيطين بها في مستقبل بلادهم، معرفة دقيقة فسافر إليها في ٢١ كانون الأول ١٩١٨م بعد أن أوعز إلى الميجر نوربري الحاكم السياسي للواء الشامية والنجف، أن يدعو علماء النجف وأشرافها وزعماء القبائل وساداتها في أبي صخير والشامية للاجتماع به، فكان ممن حضر هذا الاجتماع.

من العلماء: الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد جواد صاحب الجواهر والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي.

ومن الرؤساء: السيد نور الياسري، والسيد محسن أبو طبيخ، والسيد علوان الياسري، وعبد الواحد الحاج سكر، وعلوان الحاج سعدون، ومحمد العبطان، وعبادي الحسين، ومرزوك العواد، ولفته الشمخي، ومجبل الفرعون.

ومن الوجوه والأشراف والأدباء: عبد المحسن شلاش، ومحمد رضا الشبيبي، والسيد هادي الرفيعي وغيرهم.

وكان (مصطفى خرمه البيروتي) أحد الموظفين العرب المستخدمين في دائرة الحاكم السياسي الميجر نوربري، على علم من موضوع الاستفتاء، وقبل مجيء الحاكم الملكي العام إلى النجف بفترة قصيرة، ومن الدعوة التي وجهت إلى من سيجتمع به، فدفعه شعوره القومي إلى إطلاع السيد سعيد كمال الدين أحد الشبان الوطنيين المتحمسين على ذلك، وكان طبيعياً أن يطلع السيد سعيد زملاءه على الموضوع، وأن تتخذ التدابير اللازمة لمجابهة طواغيت الاحتلال[١].

ووصل الحاكم الملكي العام في الموعد المضروب، واجتمع بالعلماء والزعماء والأشراف والسراة، في سراي الحكومة، خارج المدينة، وبعد أن استقر المجلس أعلن الغاية من مجيئه، وهي أن بريطانيا وحلفاءها قرروا استمزاج آراء سكان البلدان المحررة من السلطة العثمانية في شكل الحكومة التي يختارونها، ثم عرض الأسئلة الثلاثة المذكورة، وطلب الإجابة عليها، فجرت مناقشة حادة نوجزها فيما يلي:

الحاج عبد المحسن شلاش: هل أن الحكومة البريطانية تريد أن تعامل العراقيين بهذه المعاملة رأفة منها بحال السكان، أم أن هناك عوامل أخرى تستدعي هذا الاستفتاء؟.

الحاكم العام: إن بريطانيا عادلة، ومن عدلها أنها تريد معرفة رأي السكان في تقرير مصيرهم.

---

(١) مذكرات السيد سعيد كمال الدين ٢٤.

السيد هادي الرفيعي: لا نريد غير الإنكليز.

الشيخ عبد الواحد الحاج سكر: بل نريد حكومة عربية وطنية.

الحاكم العام: هل هذا هو رأيك أم رأي الجميع؟

فأجابه الشيخ عبد الواحد: أن هذا رأيي الشخصي ولا بد من أن أكثر الحاضرين يؤيدونه.

الشيخ محمد رضا الشبيبي: إن الشعب العراقي يرتأي أن الموصل جزء لا يتجزأ من العراق، وأن العراقيين يرون من حقهم أن تتألف حكومة وطنية مستقلة استقلالاً تاماً، وليس فينا من يفكر في اختيار حاكم أجنبي.

فاحتدم الحاكم غيظاً، وقاطع المتكلم مراراً، ضارباً بيده على المنضدة التي أمامه، وحاول أن يطّلع على رأي بقية المدعوين، فلم يعترضوا على الأقوال السالفة.

فكانت تلك أول مجابهة جوبهت بها سياسة الاحتلال، وطواغيت المحتلين، ثم سرت في العراق سريان النار في الهشيم[1].

ثم تكلم السيد علوان الياسري قائلاً: لما كان المدعوون غير مسبوقين بالموضوع فهم يرجون إمهالهم إلى الغد لدرس الأسئلة الثلاثة وتوحيد الأجوبة عليها، وذلك بعد الاتصال بالعلماء وبقية الرؤساء.

فلم ير الحاكم مانعاً من ذلك، إلا أنه طلب أن ترسل الأجوبة إليه بواسطة الحاكم السياسي للنجف والشامية، الميجر نوربري.

السيد كاظم اليزدي:

وتفرق المدعوون، فذهب رؤساء القبائل إلى الكوفة لاستطاع رأي الزعيم الروحي السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي في الموضوع، فلما عرضوا عليه الأسئلة قال:

«إن الأمر لخطير جداً، ولكل أحد حق إبداء الرأي، سواء أكان تاجراً أم بقالاً، زعيماً أم حمالاً». ونصحهم بالاجتماع والمداولة وموافاته بالنتيجة. فعادوا إلى النجف،

---

(١) الحسني: العراق في دوري الاحتلال والانتداب ١/٧١ - ٧٢، أيضاً الثورة العراقية الكبرى ٤٢ - ٤٣ وفي ماضي النجف وحاضرها ١/٣٥٥ - ٣٥٦ أن قبل هذا جرى اجتماع في دار الحاج عبد المحسن شلاش فوضعوا الأسئلة المذكورة على بساط البحث، فاتضح لهم سوء النتيجة، وأن كل ذلك مكر وخديعة.

وعقدوا اجتماعاً في اليوم التالي في دار الشيخ محمد جواد صاحب الجواهر، حضره رهط من العلماء والزعماء والمتمولين والمتعلمين والأشراف والسادات وغيرهم، فجرى الكلام حول الأسئلة والأجوبة بنطاق واسع، وتشعبت الآراء، فحمي وطيس الجدال، أراد الشيخ عبد الواحد أن يقضي على هذه البلبلة، فألقى كلمة موجزة، أقره المجتمعون عليها، قال:

«لسنا اليوم أيها السادة أكفاء للجمهورية، ولسنا فرساً، أو تركاً، أو إنكليزاً فنختار أميراً فارسياً، أو تركياً، أو إنكليزياً، وإنما نحن عرب، فيجب أن نختار أميراً عربياً، وحيث أن البيت الشريف في مكة أكبر بيت في العالم العربي، فإننا نرغب أن تكون لنا حكومة عربية مستقلة يرأسها أحد أنجال جلالة الملك حسين»[1].

وهكذا تفرق القوم وذهب الرؤساء إلى الكوفة، وطالبوا السيد اليزدي بإبداء الرأي، فتراجع، وقال: أنا رجل دين، لا أعرف غير الحلال والحرام ولا دخل لي بالسياسة مطلقاً.

فلما ذكّروه بما قاله بالأمس، قال: اختاروا ما هو أصلح للمسلمين.

مما دل على أن السلطة اتخذت للأمر عدته، إذ لم يكد المجتمعون ينتقلون إلى دار السيد نور الياسري لمواصلة البحث، ووضع المضابط المتفق عليها، حتى داهمتهم الشرطة، فشتتهم أيدي سبأ، واضطر الرؤساء إلى الاعتصام بقبائلهم في الشامية وأبي صخير.

وبعد يومين دعاهم الحاكم السياسي وحاول أن يحصل منهم على ما يريد، معتقداً أن الحصول على ذلك في خارج مدينة النجف أجْدى للسلطة وأنفع، فأخفق، إذ وقّع الجميع مضبطة[2]، نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد أن اجتمع بنا الحاكم العام في النجف الأشرف وأخبرنا بلسان الحكومة البريطانية المحتلة بشكل الحكومة التي نختارها وننتخب ملكاً.

---

(١) الحسني: المصدر السابق.

(٢) الحسني: ن.م، انظر، مذكرات السيد حسين كمال الدين ١٢ - ١٣، فريق المزهر: الحقائق الناصعة ٨٤ - ٨٥، وفيه: أن التوقيع على هذه المضبطة جرى في دار الشيخ جواد الجواهري.

وبعد أن وقفنا على مقررات دولتي بريطانيا وفرنسا حول تحرير الشعوب وخلاصة قولها أن غرض الحكومة في الشرق تحرير الشعوب تحريراً نهائياً وإنشاء حكومات وإدارات وطنية في سورية والعراق تقوم بها الشعوب بذاتها من خالص رغبتها ومحض اختيارها، وبعد ملاحظة الأصول الإسلامية الجعفرية، فإننا قررنا على أن تكون لنا حكومة عربية إسلامية مقيدة بقانون أساسي بشرط أن لا يخالف قواعدنا وعاداتنا وشعائرنا الدينية منها والوطنية تحت ظل ملك عربي وهو أحد أنجال الشريف حسين.

هذه رغبات الأمة العراقية لا نحيد ولا نتنازل عنها قيد شعرة.

وقد وقع عليها كبار رجالات الدين وزعماء العشائر ورؤساء القبائل ووجوه مدينة النجف الأشرف[1].

دعوة الإمام الحائري:

بعد أن أدرك الرؤساء أن السيد محمد كاظم اليزدي تجرد من الحركة أدبياً وأن كل عمل لا يكتب له النجاح التام إن لم يعطف عليه ذوو المعرفة كالعلماء الأعلام وخصوصاً في مرحلة كهذه، فتوجهت أنظارهم إلى الشيخ محمد تقي الحائري الذي لا يقل مرجعية وسمعة عن السيد اليزدي، وكان يومذاك يقطن سامراء.

كتبوا إلى الإمام الحائري بواسطة نجله الشيخ محمد رضا يطلبون منه القدوم إلى النجف لقيادة الحركة، وورد الجواب بالموافقة، ويرجو تحضير دار ليسكنها وبعث بكتبه وأثاث داره، وهنا تغير رأي الرؤساء على أن يجعلوا مقره في كربلاء لاقتضاء المصلحة ولئلا يكون ذلك تحدياً ظاهراً للسيد اليزدي، وكاتبوه بذلك فوافق، ولدى وروده إلى كربلاء استقبل استقبالاً حافلاً بالجماهير والأهازيج من (خان العطيشي) حتى كربلاء.

فتوى الحائري الأولى:

وصل الإمام الحائري إلى كربلاء، وفاتحه زعماء الثوار بما كانوا يضمرون وأنهم على استعداد لخوض غمار الحرب والاستقلال، وتقدموا له بالسؤال التالي يطلبون منه الإفتاء:

(ما يقول شيخنا وملاذنا حضرة حجة الإسلام والمسلمين، آية الله في العالمين الشيخ ميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي متع الله المسلمين بطول بقائه في تكليفنا معاشر

---

(١) ـ فريق المزهر: ن.م ٨٤ – ٨٥.

المسلمين بعد أن منحتنا الدولة المفخمة البريطانية العظمى في انتخاب أمير لنا نستظل بظله ونعيش تحت رايته ولوائه.

فهل يجوز لنا انتخاب غير مسلم للإمارة والسلطنة علينا، أم يجب علينا اختيار المسلم، بينوا تؤجروا).

فأجاب: (بسم الله الرحمن الرحيم. ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين).

٢٠ ع ٢ سنة ١٣٣٧

الأحقر محمد تقي الحائري الشيرازي[(١)]

وفي مساء ٢٨ رجب ١٣٣٧هـ/ ٣٠ نيسان ١٩١٩م انتقل إلى جوار ربه آية الله السيد محمد كاظم اليزدي عن عمر تجاوز الثمانين، وقد أقيمت للفقيد حفلات دينية كبرى في جميع أنحاء العراق، وكانت هذه الوفاة سبباً مباشراً لتقارب المسلمين في العراق، وعاملاً كبيراً من عوامل استحكام الصلات الحسنة بينهم، وقد استغل المفكرون السياسيون هذه القوة الكامنة وراحوا يدعمونها ويستعينون بها في القضايا الوطنية الكبرى.

ولما كانت رابطة رؤساء القبائل الدينية بمقام الإمام الشيرازي قوية جداً، اتخذت هذه الرابطة صبغة سياسية واضحة، وأخذ الإمام يبث الدعوة بينهم إلى المطالبة باستقلال العراق بكل وسيلة ممكنة.

وفي شهر رمضان ١٣٣٧هـ نظموا عدة مضابط إلى الأمير فيصل بن الشريف حسين يفوضونه بعرض قضيتهم والمطالبة بحقوقهم في الحرية والاستقلال أمام المنظمات الدولة في مؤتمر السلام وجمعية الأمم، وإعلامه بترشيح أخيه الأمير عبد الله ملكاً للعراق.

وقد وقع عليها معظم زعماء الفرات الأوسط ووجهاء مدنه.

وهذه صورة مضبطة سادات الشامية وزعماء قبائلها:

بسمه تعالى

إلى حضرة صاحب السمو الأمير المحبوب فيصل نجل جلالة ملك العرب الحسين بن علي خلد ملكه

---

(١) الجبوري: وثائق الثورة العراقية ـ مخطوط ـ ١٤٤/٢.

لقد قدرنا يا سمو الأمير الخطير مواقفكم التأريخية الشريفة عن استقلال العرب فقد أشدتم بذكر الأمة الكريمة، وأعليتم مكانتها في أنظار الأمم حتى اعترفت مبدئياً باستقلالها، فكان لجهادكم هذا الجهاد العظيم عن العرب، وقع جليل وتأثير كبيرة جداً فينا نحن العراقيين حين حققتم آمالنا، وصدقتم سابق فراستنا فيكم، فقد عولنا نحن العراقيين عليكم، ووضعنا ثقتنا فيكم، وطلبنا الانضمام إليكم، واخترنا لإمارة العراق أحد أنجال جلالة ملك العرب والدكم أعزه الله تعالى، وذلك قبل الإطلاع على سفركم إلى باريس، وقبل أن تعرضوا قضية العرب على مؤتمر الصلح حينما أشير إلينا أن نقرر مصيرنا في أوائل ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ.

فقد ساقتنا غريزة حفظ حياتنا القومية إلى طلب ذلك، ووقعنا على مذكرة خطيرة الشأن فيه، ووقع غيرها على مثلها في غير جهة من جهات العراق.

وها نحن سادات قبائل الشامية وزعمائها ومشايخها، ورؤساء عرب فرات النجف والكوفة، نفوض سموكم تفويضاً مطلقاً على تحقيق آمالنا القومية المتقدمة، ونوكلكم توكيلاً عاماً مطلقاً شاملاً أن تطالبوا مؤتمر السلام وجمعية الأمم، ورؤساء الحكومات الحرة باستقلال بلادنا العراقية العزيزة بحدودها الأصلية من شمال الموصل إلى الخليج استقلالاً تاماً مجرداً عن شائبة الحماية والوصاية تحت إمارة سمو شقيقتكم الأمير عبد الله بن الملك الحسين أيده الله تعالى، ونحن يا صاحب السمو الملكي عازمون على تأييدكم أعظم تأييد في ذلك، ومصممون على بذل النفس والنفيس وتضحية كل مرتخص وغال، وتصديق الأقوال بالأفعال في هذه السبيل الشريفة، ونسأل المولى سبحانه أن يجدد بنهضتكم شباب أمتنا الكريمة. آمين.

تحريراً في ٢٠ رمضان سنة ١٣٣٧هـ
من رؤساء آل إبراهيم: عبد آل صفوك
رئيس عموم آل إبراهيم: شعلان آل جبر
رئيس عشيرة آل زياد: جرى المريع
رئيس عشيرة آل زياد: هنين الحنون
رئيس الفتلة: عبد الواحد الحاج سكر
رئيس عشيرة الخزاعل: سلمان الظاهر
رئيس جعب: سيد عبد زيد الصفوي
رئيس عشائر بني حسن: علوان الحاج سعدون

رئيس الخزاعل: محمد العبطان
آل ياسر: علوان السيد عباس
محسن السيد حسن أبو طبيخ
السيد نور السيد عزيز

وفي الوقت الذي كان فيه الوطنيون مهتمين بمطالبهم الوطنية، ويستحثون الجهات العليا في عقد مؤتمر عام يمثل الأمة العراقية تمثيلاً صحيحاً، ليقرر مصيرها تقريراً صريحاً، أصدر نائب الحاكم الملكي العام أمراً إلى الحكام السياسيين في الألوية بتشكيل مجالس شورى في مناطقهم.

وقام الحاكم السياسي للواء الشامية والنجف بتسمية مجموعة من رجال منطقته كأعضاء في المجلس وجرى تبليغهم بالكتاب المذكور نصه أدناه:

إدارة
حاكم سياسي عموم الشامية والنجف
عدد ١/٣٠
حضرة الحاج محسن شلاش جلبي المحترم

بعد التحية:
ليسرني جداً أن أخبركم بأنكم انتخبتم عضواً لمجلس الشورى داخل منطقة الشامية الذي جديداً ترتب تشكيله، وبطيه تجدون جدولاً يحتوي أسماء الأعضوات الذين انتخبوا وعينوا أعضائية للمجلس المذكور، وذلك لجلب الالتفات والإطلاع لحضرتكم، ثم أن حضرة الحاكم الملكي العام فوق العادة مهتم بخصوص المجالس الشورى في الألوية، ولهذا أن حضرة المشار إليه يطلب إكمال المراقبة في كيفية مجلسنا الشوري مع كمال الأصل الوطيد في أن حضرة حاكم سياسي عموم الشامية والنجف يرجو أن يجتمع عموم الأعضوات المنتخبة بإدارة سياسة حكومة النجف في الساعة الخامسة عربية من يوم الأحد الموافق ليوم ٢٠ جنوري الحالي، وذلك لأجل تحديد الأشغال في الموقع ذاته، فقط في إعطاء البيانات والتوضيحات التي سيلقيها الحاكم السياسي من جهة شغل هذا المجلس ووظيفته. ودمتم.
١٨ ربيع الثاني ١٣٣٨ الموافق ١٠ جنوري سنة ١٩٢٠

حاكم السياسي
عموم الشامية والنجف

أسماء أعضاء المجلس:

حضرة السيد عباس كليدار الروضة الحيدرية
حضرة السيد هادي نقيب الأشراف
حضرة الحاج عبد المحسن جلبي شلاش
حضرة الحاج عبد الرحيم البوشهري
حضرة زوين زاد سيد هادي
حضرة السيد نور السيد عزيز
حضرة علوان
حضرة السيد محسن أبو طبيخ
حضرة الشيخ عبد الواحد الحاج سكر
حضرة شيخ علوان الحاج سعدون
حضرة شيخ عبادي الحسين
حضرة شيخ سلمان الظاهر من الخزاعل
حضرة شيخ لفته الشمخي
حضرة شيخ مرزوق العواد من العوابد[1].

ولكن تطور الموقف في الفرات الأوسط وإعراض المنتخبين عن الإسهام في هذا المجلس أحبط المشروع.

وعقدوا جلسة خاصة للبحث فيما يجب إتيانه للمرحلة المقبلة، فوقع قرارهم الأخير على نشر المقررات والطلبات المتقدمة وإذاعتها في أنحاء دجلة والفرات ليطلع على محتوياتها عموم الشعب العراقي الناهض فيعرف مساعي مندوبي النجف والشامية، فنسخت صور تلك الأوراق وكتبت معها كتب خاصة[2]، وأوفدوا من قبلهم السيد هادي زوين والحاج عبد المحسن شلاش للاتصال بالبغداديين لأجل الوقوف على آرائهم، وقد اتصلا بهم وجرت بينهم مذكرات طويلة أدّت إلى عقد اجتماع في دار أحد رجالها (حمدي باشا البابان) في ٣ شعبان ١٣٣٨/ حضره السيد هادي زوين، وجعفر أبو التمن، والسيد محمد الصدر، ويوسف السويدي، ورفعت الجادرجي، وفؤاد

---

(١) كامل سلمان الجبوري: وثائق الثورة العراقية ـ مخطوط ـ ٣/٢٧ - ٢٨.
وعلوان الوارد اسمه بالتسلسل (٧) في قائمة الأعضاء في أغلب الظن هو السيد علوان السيد عباس الياسري.

(٢) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٥١.

الدفتري، وأحمد الشيخ داود، وسعيد النقشبندي، وعبد الوهاب النائب، كما حضره من الشبيبة جلال بابان، وصادق حبه، وصادق الشهرباني. وقد بسط السيد هادي في الاجتماع حالة الفرات الأوسط واستعداد الرؤساء والعلماء للعمل وطلب من البغداديين تحديد موقفهم من ذلك، فأجابه جعفر أبو التمن بأن البغداديين مستعدون للعمل بمقدار ما يبديه علماء الفرات ورؤساؤه من معاضدتهم، ثم أعلن عن عزمه للسفر إلى كربلاء لحضور زيارة منتصف شعبان، فوافق الحاضرون على رأيه وقرروا أن يكون مندوباً عنهم للاتفاق مع الشيرازي والرؤساء[1].

وفي ليلة ١٥ شعبان ١٣٣٨هـ/ ٥ أيار ١٩٢٠م عقد اجتماع سري في دار السيد أبو القاسم الكاشاني التي كانت ملاصقة للصحن الحسيني بالقرب من باب السدرة حضره كل من الشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيد محسن أبو طبيخ، والسيد نور السيد عزيز الياسري، والسيد علوان الياسري، والحاج عبد الواحد الحاج سكر، وشعلان أبو الجون وغثيث الخرجان، وجعفر أبو التمن، والسيد كاطع العوادي، والسيد هادي زوين، والسيد محمد رضا الصافي، وشعلان الجبر، ومجبل الفرعون، وعبادي الحسين، ومرزوق العواد، وشعلان العطية، وسعدون الرسن، وعلوان الحاج سعدون، وهبة الدين الشهرستاني، وعبد الوهاب الوهاب، وحسين القزويني، وعمر العلوان، ومهدي القنبر، وطليفح الحسون، ورشيد المسرهد، وعبد الكريم العواد وغيرهم[2].

وقد تداول المجتمعون في أمر القيام بالثورة المسلحة، فمنهم من يرى ذلك ومنهم من يعترض، وتم الإنفاق على عرض هذه القضية على الإمام الشيرازي وأخذ رأيه فيها، وانتدبوا منهم لمقابلته وهم: عبد الكريم الجزائري، وجعفر أبو التمن، والسيد نور الياسري، والسيد علوان الياسري، والحاج عبد الواحد الحاج سكر.

وبعد مداولات وأخذ ورد مع الإمام الشيرازي، تردد في إصدار فتوى بهذا الصدد وإنما اكتفى بقوله لهم:

(إذا كانت هذه نياتكم، وهذه تعهداتكم، فالله في عونكم)[3].

وفي الليلة التالية ١٦ شعبان ١٣٣٨هـ/ ٦ أيار ١٩٢٠م عقد اجتماع آخر في دار السيد نور الياسري في محلة السلالمة حضره جميع المشاركين في الاجتماع السابق وبعد المداولة

---

(١) د. علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج٤ ق١ ص٩٩.
(٢) مجلة رسالة الشرق الكربلائية: رجب ١٣٧٣هـ/ ماضي النجف وحاضرها ٣٦١/١.
(٣) عبد الرزاق الحسني: الثورة العراقية الكبرى ٩٩ - ١٠٠/ ماضي النجف وحاضرها ٣٦١/١.

اتفقوا على الاستمرار في مطالبة الإنكليز بالاستقلال بالطرق السلمية، عند رفض مطاليبهم اللجوء إلى القيام بالثورة المسلحة(١).

وبعد انفضاض الاجتماع ذهبوا جميعاً إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام فأقسموا بالقرآن على أنهم يبذلون أنفسهم في سبيل إنقاذ بلادهم من يد الإنكليز، ومن حنث في يمينه فهو ضال آثم، وقد قام بتحليفهم السيد عبد الوهاب الوهاب واحداً بعد الآخر(٢).

وتكررت الاجتماعات في النجف فيما بينهم، وعقدت عدة جلسات في مجسد الهندي، وهناك ألقيت الخطب والقصائد الحماسية.

وأسفرت الاجتماعات عن ترشيح جماعة من رجال المعرفة والعلم والتدبير عن طريق الانتخاب ليعرضوا على أهل البلاد، وأخيراً تم انتداب الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ جواد الجواهري، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والسيد نور السيد عزيز الياسري، والسيد علوان السيد عباس الياسري، والحاج عبد المحسن شلاش، لتمثيل أبناء النجف والعشائر المحيطة بهم أمام سلطة الاحتلال، وقد نظموا بذلك مضبطة نصها:

(بسم الله جل شأنه)

نحن عموم أهالي النجف الشرف علمائها وأشرافها وأعيانها وممثلي الرأي العام فيها، وكافة أهالي الشامية ساداتها وزعماء قبائلها وممثليها، قد انتدبنا بعض علمائنا وأشرافنا ووجهائنا وهم حضرات: الشيخ جواد الجواهري، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ عبد الرضا آل شيخ راضي، والسيد نور آل سيد عزيز، والسيد علوان السيد عباس، والحاج عبد المحسن شلاش، لأن يمثلونا تمثيلاً صحيحاً قانونياً أمام حكومة الاحتلال في العراق وأمام عدالة الدولة الحرة الديمقراطية التي جعلت من مبادئها تحرير الشعوب، وقد خولناهم أن يدافعوا عن حقوق الأمة، ويجهروا في طلب الاستقلال للبلاد العراقية، بحدودها الطبيعية العاري من كل تدخل أجنبي في ظل دولة عربية وطنية، يرأسها ملك عربي مسلم، مقيد بمجلس تشريعي وطني.

---

(١) مجلة رسالة الشرق: ن.ع.

(٢) عبد الرزاق الوهاب: كربلاء في التاريخ ٣/ ١٠٢.

هذه هي رغباتنا لا نرضى بغيرها، ولا نفتر عن طلبها، ومنه نستمد الفوز والنجاح.. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

في ١٨ رمضان سنة ١٣٣٨.

خادم العلوم الدينية شيخ الشريعة عفى عنه

الأحقر السيد أبو الحسن

بسمه تعالى

حاكم الشرع الشريف

الأقل علي آل المرحوم الشيخ جعفر كاشف الغطاء، طاب ثراه

الأحقر صالح كمال الدين

الأحقر مشكور الشيخ محمد جواد الحولاوي طاب ثراه

الأحقر موسى بن تقي زايردهام

إسحاق الغروي الرشتي

مهدي الخراساني ٢٣ رمضان

الأحقر علي السيد حسن

الأحقر محمد جواد البلاغي

جواد الشيخ شبيب

بمنه تعالى، رأي نافع لرأي العلماء والأعلام، الأحقر علي الحجة المانع

السيد محمد رضا السيد صافي

محمد جواد آل صاحب الجواهر

سعيد كمال الدين

الأحقر سيد صالح الموسوي البغدادي

بمنه تعالى، سيد أحمد الحبوبي

الأقل كليدار الروضة الحيدرية ٢١ رمضان ١٣٣٨

السيد محسن القزويني

الشيخ عبد الحسين الحياوي

جعفر نجل الشيخ صاحب جواهر الكلام

الأحقر الجاني علي الأعسم

محمد جعفر السيد صافي

عبد الهادي الحياوي

محمد حسين السيد كاظم القزويني
السيد هادي الخرسان
نقيب أشراف النجف، هادي
محمد الحسيني
علي آل بحر العلوم الطباطبائي
الشيخ سعد ملا علي
محمد حسين الغروي النائيني
....
.... الفياض
مهدي آل كاشف الغطاء
السيد محمد.....[1]
بسمه تعالى، محمد جواد الجزائري
محمد إسماعيل المحلاتي
محمد نجل المرحوم صاحب الجواهر
السيد صالح الخرسان
محمد رضا الصراف
أقل السادات، الأحقر، السيد جواد زيني الحسيني
محسن الحسيني الشهير بالغروي
تجار ـ عبد المهدي الدجيلي
محمد نجل المرحوم الحاج حسن النجم
رؤساء النجف ـ حسين ظاهر
تجار النجف ـ محمد رؤوف شلاش
رؤساء النجف ـ سيد علي جريو
قد وكلت الشيخ جواد، والشيخ عبد الكريم، عن الأقل سيد حسن كمونة
غيدان عدوة
حاج عبد الله
حاج حسون شربه
رؤساء النجف ـ سيد مهدي سيد سلمان

(١) الكتابة المطموسة والأسماء غير واضحة إلا ما ذكرنا.

تجار النجف ـ عبد الجليل ناجي
تجار ـ محمد الحاج سلمان
تجار النجف ـ راضي الحاج....
كوفة ـ مجيد عرب
تجار النجف ـ شيخ عبود الشيخ حسون بلال
تجار الكوفة ـ حاج سعد الدعمي
حرره الأحقر ـ محمد رضا الحلو
تجار النجف ـ عيسى الخلف
تجار النجف ـ مجيد محمد شريف
عبد الغني حاج مسعود
حسن الحاج عبد الله الشوشتري
حرره الحاج عبد الغني الشوشتري
تجار النجف الأشرف ـ يوسف أبو عجينة
سلمان فخر الدين
الحاج هادي فخر الدين
كاظم بن الشيخ محمد علي بيج
رئيس الخزاعل ـ سلمان الظاهر
ملا عزيز البو سلمان
حسين النجم
من طرف حقوقي ـ سيد هادي مكوطر
حاج جواد شعبان
سادات الشامية ـ سيد عبد زيد
وقعت ـ محمد أبو شبع
سادات الشامية ـ السيد عبد الله السيد عبد الزهرة
رؤساء الشامية ـ مرزوك العواد
رؤساء الشامية ـ السيد محسن أبو طبيخ
سادات الشامية ـ هادي زوين
رؤساء الشامية ـ حاج جاسم آل جياد
رؤساء الشامية ـ عبد الواحد الحاج سكر

رؤساء الشامية ـ علوان الحاج سعدون
رؤساء الشامية ـ سلمان العبطان
رؤساء الشامية ـ عبادى الحسين
رؤساء الشامية ـ مهدي الفاضل
رؤساء الشامية ـ مجبل الفرعون
رؤساء الشامية ـ شعلان الجبر
رؤساء الشامية ـ صدام آل فنيخ
رؤساء الشامية ـ جرى آل مريع
رؤساء الشامية ـ هنين آل حنون
رؤساء الشامية ـ لفته الشمخي[1].

وتوالت بعد ذلك اجتماعات ومداولات انتهت في أن يقصد المندوبون بغداد للمذاكرة مع الحكومة المحتلة، طلبوا من الحاكم السياسي للشامية والنجف (الميجر نوربري) أن يعين لهم وقتاً للاجتماع به، فكتب إليهم عن استعداده للاجتماع بهم وعين لهم يوم الاثنين ٢٦ رمضان ١٣٣٨هـ/ ١٤ جون ١٩٢٠م. وهذه صورة الطلب المقدم.

إلى حضرة حاكم سياسة النجف والشامية:

لما طال انتظار الأمة العراقية لتحقيق وعود الحلفاء الرسمية ولا سيما الحكومة البريطانية، وتنفيذ عهودهم المقطوعة باستقلال البلاد التام، رأت أن السكوت عن المطالبة بحقوقها الصريحة لا يجوز لها بوجه من الوجوه، ولا يحسن بالأمة التي عرفت من نفسها الكفاءة على تسلم أزمة البلاد وإدارة شؤونها السياسية والاقتصادية أن تغض النظر عن المجاهرة بمقاصدها العالية ورغائبها السامية.

لذا قرر علماء النجف وأشرافها وزعماؤها وممثلو الرأي العام فيها وسادات الشامية ورؤساء قبائلها وممثلوها أن ينتدبوا وفداً لملاقاة الحكومة المحتلة يطالبها بعهودها وإنجاز وعودها، وقد ندبونا نحن الموقعين أدناه المنتدبين من قبلهم على أن ندافع عن حقوقهم الطبيعية دفاعاً قانونياً.

فقررنا في جلستنا المنعقدة في ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٨/ ١٠ جون سنة ١٩٢٠ أن نطالب الحكومة المحتلة باستقلالنا التام المؤيد في بياناتها الدولية، وأن تنفذ بسرعة المطالب الآتية:

---

(١) كامل سلمان الجبوري: وثائق الثورة العراقية ـ مخطوط ـ ٣/ ٨٥ -٩١.

أولاً: إننا نطلب أن يؤلف الشعب باختياره مؤتمراً عراقياً قانونياً يجتمع أعضاؤه في عاصمة البلاد بغداد، ومهمته تأليف حكومة عربية مستقلة كل الاستقلال، عارية من كل تدخل أجنبي، يرأسها ملك مسلم عربي.

ثانياً: نطلب رفع الحواجز عن ارتباط الشعب العربي العراقي وتفاهمه مع الشعوب الأخرى بحرية المواصلات وكافة المنشورات والمطبوعات.

ثالثاً: نطلب تمكين الأمة من عقد مجتمعاتها وإقامة منتدياتها في سائر مناطق العراق.

ولما تم هذا القرار المشتمل على رغائب الشعب المقدس وأمضيناه، قررنا في جلستنا الأولى المنعقدة في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٣٨/ ١٠ جون (حزيران) سنة ١٩٢٠ أن نفاوض حكومة الاحتلال المحلية في تنفيذ هذه القرارات فطلبنا باسم العلماء والأشراف والسادات والرؤساء وممثلي الرأي العام في النجف وفي الشامية، أن تعين الحكومة المذكورة وقتاً للاجتماع حتى نتمكن من رفع سوء التفاهم الواقع بين الأمة وبين الحكومة المحتلة، صيانة للأمن العام وحفظاً للنظام والسلام.

عبد الرضا الشيخ راضي جواد الجواهري السيد علوان الياسري
عبد الكريم الجزائري الحاج محسن شلاش السيد نور الياسري[1].

وفي يوم الأحد ٢٥ رمضان تلقى المندوبون اعتذار الحاكم السياسي عن مقابلتهم لحين ورود جواب الحاكم الملكي العام في بغداد على مذكرتهم. فكتب المندوبون له كتاباً بتاريخ ٢٦ رمضان ١٣٣٨هـ/ ١٤ حزيران ١٩٢٠ يعنفونه على خلف الموعد نصه:

إلى حضرة حاكم لواء الشامية والنجف

بعد تقديم الاحترام لمقامكم:

أخذنا كتابكم المؤرخ ١٣ جون سنة ١٩٢٠ وأحطنا علماً بمحتوياته التي تأسفتم فيها على تأخر الجواب عن يوم الاثنين لأجل أمر فخامة الحاكم العام، بانتظار الجواب إلى أمد غير معين، فبهذا الجواب ومثله لا نستطيع رفع سوء التفاهم الواقع بين الشعب وبين الحكومة المعظمة، فنأمل من حضرتكم أن تجعلوا كتابنا هذا مستمسكاً للمطالبة بالجواب

(١) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٤٦ - ٤٧.

حتى يحسن ظن الأمة بالحكومة، فإن الشعب ينتظر منكم الجواب العاجل ولكن مزيد الشكر والثناء.

٢٦ رمضان سنة ١٣٣٨

محسن شلاش	سيد علوان	سيد نور
عبد الرضا	الجزائري	الجواهزي[١]

ثم إن المفاوضات انقطعت بين المندوبين وبين الحاكم المذكور، وظلوا ينتظرون الجواب فلم يرد إليهم شيء، وكتبوا إلى الإمام الحائري في كربلاء بما جرى بينهم وبين الحاكم المذكور.

وقامت في النجف بعد ذلك عدة مظاهرات واحتجاجات، خصوصاً بعد أن أوفدت السلطة حاكم الحلة السياسي (الميجر بولي) على رأس قوة كافية، وأمرته بالقبض على الميرزا محمد رضا الشيرازي وعلى بعض رجالات كربلاء الذين أقاموا حفلات المظاهرات هناك، وكبست في النجف دور بعض أعضاء الجمعيات، وفتشت أمتعتهم، فزاد ذلك استياء الأهلين، فاغتنم قادة الحركة الفرصة وطبعوا المنشورات التي تدعو للقيام بالثورة ووزعت في أنحاء الفرات، وأفصح الخطباء بذلك في جميع المحافل والمجتمعات، وعقدت في ذلك الوقت عدة اجتماعات في خارج النجف للمداولة في أمر كيفية إعلان الثورة[٢].

وفي ٥ شوال ١٣٣٨هـ/ ٢٢ حزيران ١٩٢٠م بدأ نشاط زعماء الشامية بعقد عدة مؤتمرات للمذاكرة في أعمالهم ومطاليبهم ضد الاحتلال، حيث أن إلقاء القبض على الشيخ محمد رضا نجل الإمام الشيرازي لا بد وأن يعقبه إلقاء القبض عليهم.

فاجتمع الزعماء في ٨ شوال عند الشيخ عبد الواحد الحاج سكر وهم: السيد علوان الياسري والسيد هادي زوين والشيخ علي المزعل رئيس الغزالات ـ وكان السيد محمد الباقر الحلي آتياً من كربلاء إلى النجف فاراً من وجه السلطة عندما قامت بإلقاء القبض على الوطنيين، وكانت يومها المفاوضات جارية في النجف على ضرورة الإسراع بالثورة، فقرر الوطنيون في النجف إيفاد السيد محمد الباقر إلى زعماء الشامية ـ.

---

(١) ن.م ص ٥٠ - ٥١/ ماضي النجف وحاضرها ١م٣٦٠.
(٢) ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣٦١ - ٣٦٢.

وصل السيد محمد الباقر بصحبة السيد هادي زوين إلى السيد علوان الياسري، والشيخ عبد الواحد وضمهم المجلس المذكور عند الشيخ عبد الواحد، فحدثهم السيد الحلي عن كيفية إلقاء القبض على نجل الميرزا الشيرازي ونفيه، وبينما هو يتلو جريدة للزعماء وإذا بالشيخ علي المزعل يقاطعه بالكلمة التاريخية الآتية:

ـ يا حضرة السيد محمد الباقر، أنت تقرأ لنا حوادث الأجانب وأخبارهم وأعمالهم ونحن نريد بدورنا أن يقرأ الأجانب حوادثنا وأخبارنا.

عند ذلك قطع محمد الباقر التلاوة، وباشر الزعماء بالبحث في موضوع الثورة فابتدأ السيد علوان قائلاً:

ـ إن الكأس امتلاء ولا بد أن ينسكب ماؤه ـ مكنياً إلى وقوع الثورة بطبيعتها بدون تحرش من البلاد ـ.

وعقب هذا الاجتماع كَثُرتْ الرسل والرسائل بين الزعماء من المسيب إلى الرميثة.

محاولة القبض على العلماء والزعماء:

بعد أن فشلت السلطة البريطانية بمفاوضاتها مع زعماء ورؤساء العشائر، أرادت أن تقوم بمثلها مع رجال الدين والعلماء الأعلام، فأوعزت إلى الحاكم السياسي في الحلة والحاكم السياسي للواء الشامية والنجف أن يجتمعوا فيما بينهم ويتذاكروا في أفضل السبل المؤدية إلى إنقاذ الموقف وحفظ هيبة الحكومة ومقامها في أعين الناس.

وقد سبق أن عقدوا قبلها بأيام اجتماعاً في الديوانية وقرروا فيه إلقاء القبض على جميع زعماء الدغارة.

فقد جرى اجتماعهم (الخامس) هذا في الكوفة يوم ١٠ شوال ١٣٣٨هـ/ ٢٨ حزيران ١٩٢٠م، وقد حضره إضافة إلى الحاكمين السياسيين المذكورين كل من: الميجر بولي حاكم الحلة، والكابتن هوبكنز حاكم أبي صخير، والكابتن مان حاكم أم البعرور، والكابتن هند حاكم الهندية، وتذاكروا على تسفير كل من:

الشيخ عبد الكريم الجزائري لأنه كان على جانب كبير من قوة الصلابة، وهمزة الوصل بين الزعماء والرؤساء من جهة، وبين الإمام الحائري الذي كان قطب الرحى من جهة أخرى، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والحاج محسن شلاش، والسيد نور الياسري، والسيد علوان الياسري.

فتضاربت آراء المذكورين حول هذه الفكرة، وقر رأيهم على أن يكتفوا بنفي ثلاثة منهم، غير أن (حميد خان) معاون الحاكم السياسي ناقشهم في هذا القرار، وأنه موجب للثورة العامة، لما للشيخ عبد الكريم الجزائري من المركز العلمي والديني، وللسيد نور من الشرف العالي، وللسيد علوان الياسري من النفوذ لدى العشائر.

وأجلوا تنفيذ حكمهم، وقرروا مقابلة ومفاوضة رؤساء العشائر علهم يتمكنوا من إقناعهم[1].

وفي ١١ شوال ١٣٣٨هـ/ ٢٨ حزيران ١٩٢٠م بعث زعماء قبائل النجف والشامية إلى الحاكم السياسي للنجف والشامية مذكرة الاحتجاج على تصرفات سلطة الاحتلال، والمطالبة بإطلاق سراح الشيخ محمد رضا الحائري ومن معه من المعتقلين، والإنذار بالخروج من دور المطالبة السلمية إلى غيره. نصها:

إلى حضرة حاكم لواء النجف والشامية المحترم

لقد بلغ عشائرنا خبر فظيع، ونبأ عظيم، هو نبأ تحامل الحكومة على الشعب بقبض نجل آية الله الشيرازي دام ظله وجماعة من إخواننا الكربلائيين والحليين ونفيهم إلى خارج العراق، ولا يخفى أن قصد الحكومة بهذا إرغام الشعب العراقي على تركه المطالبة بحقوقه التي هي أقدس واجباته، وحيث أن مطالبة الشعب بحقه الصريح كانت ولا تزال مطالبة سلمية قانونية، فإننا نرى هذا التحامل من الحكومة مخالفاً للقوانين والنظم العادلة والروح السياسية التي ما فتئت الحكومة البريطانية تصرح على رؤوس الأشهاد أنها متمسكة بها ومتمشية عليها، فإذا أرادت الحكومة أن تحترم عواطف العراقيين، وتهدأ خواطرهم الهائجة فلتعجل قبل كل شيء بإطلاق سراح نجل آية الله الحائري والإفراج عن إخوانه المعتقلين معه، ولترع نواميس العدل وحقوق الشعب، ولا تلجأ إلى الخروج من دور المطالبة السلمية إلى غيره، واقبلوا منا فائق الاحترام.

تحريراً في ١١ شوال ١٣٣٨هـ الموافق ٢٨ حزيران ١٩٢٠

السيد علوان الياسري	السيد محسن أبو طبيخ	السيد عبد زيد
السيد هادي مكوطر	هنين الحنون	السيد هادي زوين
مرزوك العواد	علوان الحاج سعدون[2]	

---

(١) فريق المزهر: ن.م ١٩٣/ الحسني: ن.م ١٠٨/ مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٦٠.
(٢) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية ـ مخطوط ـ ١٤١/٣.

وفي ١٢ شوال ١٣٣٨هـ/ ٢٩ حزيران ١٩٢٠ عقد مؤتمر كبير عند الحاج رايح العطية والحاج حمود البدن زعيمي قبيلة الحميدات في الشامية، ضم جميع زعماء الشامية والمشخاب تقريباً مع رؤساء الخزاعل وهم: الشيخ محمد العبطان، والشيخ سلمان العبطان، والشيخ علوان الحاج سعدون، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر، والشيخ شعلان الجبر رئيس آل إبراهيم، والشيخ علي المزعل رئيس الغزالات، والشيخ مجبل آل فرعون، والشيخ عبد الكاظم الحاج سكر، والسيد علوان الياسري، والسيد هادي زوين، والشيخ مرزوق العواد رئيس العوابد، والشيخ كاظم المسير رئيس الكرد، والشيخ عبادي الحسين وأخوه الشيخ عبد السادة رؤساء آل فتلة بالمهناوية وغيرهم من السادات ورؤساء بطون القبائل، والشيخ هنين آل حنون رئيس قبيلة آل زياد، والشيخ جبار أبو حليل رئيس قبيلة آل شبل[1].

ومما أسفر عنه هذا المؤتمر هو مكاتبة رؤساء قبائل الفرات كالرميثة وغيرها ومندوبي بغداد والكاظمية بمنوياتهم، وهذه صورة بعض رسائلهم:

جناب إخواننا الكرام الحاج عبد العباس الحاج فرهود، وكواك الواليد، وعبد الرضا العباس، وناصر الحسين، وشعلان أبو الجون، وغثيث الحرجان، وعلي العبد الله، ومطلق الجياد، وساجت الثويني، وبريد الجحيل، وعجّة الدلي، وعبد العباس البو خشة، وحسين الصندوح وكافة إخواننا المسلمين أيدهم الله تعالى.

أما بعد:

لا يخفى على حضراتكم أيها المسلمون الوطنيون العربيون أن الحكومة المحتلة لبلادكم لما آنست من جمعية عصبة الأمم تحرير الشعب باختيار الأهلون، ورأت أن اختيارات الشعب العراقي لا تخضع لعدو قط، ساقتها الرغبة في العراق على رفض القوانين وحدوث النفاق على قصر بنيتهم فيه وسلطتهم عليه.

وقد أخلفوا الوعود والعهود المتفق عليها من الدول المتحالفة وإضاعة الأمرين السياسية والاقتصادية بسبب اعتدائها على قبض نجل مولانا حجة الإسلام ومرجع الخاص والعام الميرزا محمد تقي دام ظله، وهذا الخطب كما تعلمون عظيم ولا يليق بنا معاشر المسلمين التقاعد عنه، مس شرف سلطان مصرنا، وإمام عصرنا لآخر نقطة من

---

(١) مذكرات محمد علي كمال الدين ٥٥ - ٥٦، وفيه: الشيخ هنين آل جري رئيس قبيلة آل زياد، والصواب ما أثبتنا.

دمائنا إن كنا مسلمين، فما لنا ونحن أبناء العراق، به نشأتنا، وبه قبور أئمتنا، وبه مماسك شريعتنا، شريعة محمد صلى الله عليه وآله نخضع لغدر حقوقنا لعدونا على باطله.

فها نحن أحضرنا ممثلي الحكومة المحتلة بالصورة التي قدمناها لكم لفة بطي الكتاب، تواسونا بتقديمها لحكومات محالكم، فإن حصلت الموفقية ورعت حقوقنا الحكومة المحتلة كرعاية الحكومات لحقوق سائر الأمم، وإن لم يكن ذلك، فالسيف أصدق إنباءً من الكتب. وهذا والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى.

١٢ شوال ٣٣٨

جري المريع، شعلان الجبر، هنين الحنون، عبد الواحد الحاج سكر، مجبل الفرعون، محمد العبطان، سلمان الظاهر، سيد هادي زوين، سيد عبد زيد، سيد علوان السيد عباس، سيد محسن أو طبيخ، سيد نور السيد عزيز، سيد هادي مكوطر، علي المزعل، مرزوك العواد، علوان الحاج سعدون[1].

حضرات الأفاضل مندوبي الأمة العراقية في بغداد والكاظمية دامت مساعيهم بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا بد وأنكم تتصورون الحالة السياسية الحاضرة ولا سيما خطة سيد الأمة وشيخ الأئمة آية الله الشيرازي، تلك الخطة التي أعلنها في خطابه الذي وجهه إلى أهالي بغداد، وقال فيه إنه لم يتأثر قط بقبض الحكومة المحتلة على نجله الأكبر ونفيه إلى حيث رغبت، لأن كل ذلك إنما جرى في سبيل الغاية المقدسة، وأنه يطلب إلى العراقيين كلهم ولا سيما البغداديين منهم أن يثابروا على العمل، ويستمروا في مطالبتهم السلمية الأدبية محتفظين بالأمن وبحقوقهم معاً، وفي الحقيقية أن حجة الإسلام الشيرازي لا يفرق بين نجله وبين أي فرد من أفراد الأمة العراقية، غير أننا لا نتمالك أبداً عن القيام بالواجب مادام نجل الإمام ورفقاؤه من الأحرار معتقلين تحت رحمة السلطة، وقد طالبنا ممثلي الحكومة المحتلة بالإفراج عنه وعن إخوانه المعتقلين معه فلم تلب الحكومة هذا الطلب حتى الآن ولن تلبيه إلى النهاية.

وحيث أنكم نواب الأمة وممثلوها، وأن سياستكم تقضي بالمواظبة على العمل السلمي والمطالبة الأدبية البحتة، فقد رأينا أن نخبركم بأن صبرنا قد عيل وها أننا مستعدون للقيام بوجه السلطة ولاكتساح العقبات التي تحول دون استقلال العراق التام

---

(١) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية ٣/ ١٤٣.

مهما كلفنا الأمر، هذا إن لم تبادر الحكومة إلى تنفيذ مطاليبنا الحقة وتحقيق أمانينا القومية وإطلاق سراح نجل آية الله الشيرازي ومن معه بأقصى ما يمكن من السرعة، ودمتم لخير الأمة وسعادة الوطن.

تحريراً في ١٢ شوال ١٣٣٨ الموافق ٢٩ حزيران ١٩٢٠

سيد علوان السيد عباس	السيد محسن أبو طبيخ	سيد عبد زيد
سيد هادي مكوطر	هنين الحنون	سيد هادي زوين
علوان الحاج سعدون	وداي العطية	لفتة الشمخي
جرى المِريع	مجبل الفرعون	سلمان الظاهر
مرزوك العواد	محمد العبطان	شعلان الجبر

عبد الواحد الحاج سكر[1].

وكان أكابر هؤلاء الزعماء ممتنعين عن مقابلة الحكومة في مراكزها، فخابر حاكم أبو صخير، الشيخ عبد الواحد بضرورة مقابلته للمذاكرة، فيما يريدون، فامتنع عن مقابلته.

وبعد مراجعة بيت الزعماء، فكروا في تشكيل مؤتمر يضم المؤتمرين سابقاً في ١٢ شوال، وأخبروا حاكم أبو صخير في إمكانه مذاكرتهم في الشامية عند الحاج رايح العطية، وكان حاكم أبو صخير (هوبكنز) موفداً من الحاكم السياسي للواء عموم الشامية والنجف الميجر نوربري، فاجتمع بهم عند تشكيل المؤتمر، وكان أعضاء المؤتمر فقد قرروا قبلاً أن ينوب عنهم الشيخ عبد الواحد في التحدث.

ابتدأ الحاكم حديثه بأنه موفد من قبل الحاكم السياسي للشامية والنجف، وأنه سيتكلم معهم بكلمة واحدة ويريد الجواب بكلمة واحدة فقط.

فأجابه الشيخ عبد الواحد: بأنه كلمتك الواحدة، لا يمكن أن نستفيد بها، وكلمة جوابنا لا تفي بالمرام، فالأحسن ألا تكلمنا ولا نجيبك.

فقال الحاكم: أنه مأمور أن يبلغهم أو يشترط عليهم أن يكون الجواب على قدر السؤال، وهذه كلمته، الحكومة طالبة حضوركم في أبي صخير، هل تحضرون أو لا؟

فأجابه الشيخ عبد الواحد: لا.

(١) محمد مهدي البصير: تاريخ القضية العراقية ١٩٤ - ١٩٥.

فقال الحاكم: إذن أنتم عاصون.

فأجابه الشيخ عبد الواحد: إنك بينت أن الجواب بكلمة فقط، وإذا كانت قد عدلت عن اقتراحك فالجواب: أن نجل المرزة الذي هو أكبر شأنا وعظمة منا نفيتموه عندما تمكنتم منه، فكيف نأمن منكم على أنفسنا؟ والأحسن أن تبلغ الحاكم السياسي للواء أن يجتمع بنا إذا شاء في المشخاب.

وبعد ذهاب الحاكم قرر الزعماء أن يكون الاجتماع لدى الشيخ عبد الواحد الحاج سكر بالمشخاب[1].

وكان الحاج عبد الواحد يشكو ألماً في ساقه، فقصده إلى مضيفه كل من السيد علوان الياسري، وشعلان الجبر، وعبد آل صفوك، للاستفسار عن صحته، وهنا تقرر عقد اجتماع في مضيف السيد محسن أبو طبيخ للمذاكرة حول التدابير الواجب اتخاذها إزاء تطور الموقف، لأن هذا المضيف يكاد يكون متوسطاً بين أهم القبائل في أبي صخير والشامية.

وقد كتب السيد علوان وعبد الواحد كتاباً مشتركاً إلى السيد محسن بهذا المآل ليعد طعام العشاء لمن سيحضر هذا الاجتماع.

وبينما كان السيد علوان الياسري وبقية الرؤساء في طريقهم إلى المضيف المذكور نهراً، أقبل رسول السيد محسن أبو طبيخ وأخبرهم بأن السيد محسن يرفض ذلك خشية أن تسوء علاقته مع السلطة.

بعد ذلك قفل الرؤساء والزعماء عائدين إلى مضيف السيد علوان، وبعد أن شربوا القهوة والشاي، واطلعوا على جواب السيد محسن أجابه السيد علوان مؤكداً له بأن الاجتماع يتعلق بأمر هام، ولا يقصد به الأضرار بأحد، ويطلب إليه أن يعين المضيف الذي يختاره هو موضعاً للاجتماع، فاتفقت الكلمة على أن يتخذ مضيف (عبد الكاظم الحاج سكر) موضعاً للاجتماع المؤمل، ويقع مضيف عبد الكاظم في المشخاب، وهو يبعد عن بقية مضائف الرؤساء أبعاداً متفاوتة.

وفي ١٥ شوال ١٣٣٨هـ/٢ تموز ١٩٢٠م اجتمع عموم الزعماء المتقدم ذكرهم لدى الشيخ عبد الكاظم الحاج سكر، فوفد عليهم حاكم لواء الشامية والنجف (الميجر

(١) مذكرات محمد علي كمال الدين ٥٦.

نوربري)، ومعه حاكم أبو صخير (هوبكنز)، ومعاونه (مصطفى خرمه السوري)، وبعدما زاروا الشيخ مجبل الفرعون قصدوا جميعاً إلى مضيف الشيخ عبد الكاظم.

وبعد أن غصّ المجلس بالزعماء ووفد الحكام الإنكليز رقى محمد الباقر الحلي[1] منبراً كان هناك، بدون سابقة ولا استئذان، وابتدأ ينشد قصيدة كان قد نظمها سابقاً منها:

بني يعرب لا تأمنوا للعدا مكراً ... خذوا حذركم فقد أخذوا الحذرا
يريدون منكم بالوعود مكيدة ... ويبغون أن حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا ... أضاليلهم في الهند، والكذب في مصرا[2]
تريدون بالأقلام إنجاح أمركم ... وهل تنفع الأقلام من حطم السمرا
يخوض عباب البحر من طلب الدرا ... ويلقى ظلام الليل من عشق الزهرا
ومن مات دون الحق والحق واضح ... إذا لم ينل فخراً فقد ربح العذرا

فنصت الزعماء وسكتوا سكوتاً عميقاً، إلى أن أكمل القصيدة، وعقبها بأن خاطب من بين الحضور زعماء الخزاعل قائلاً:

- يا زعماء الخزاعل إن قبيلتكم كانت تسمى خزاعة، وقد دخلت في بيعة النبي محمد (ص)، وكان الحلف بين النبي وبين قريش إلا يؤذوا مبايعته، غير أن قريشياً شجّ رأس أحد الخزاعيين، فشكا ذلك إلى النبي، فغضب النبي وقال: «لا ينصرني ربي إن لم أنصر خزاعة» فجيّش جيوشه التي كان على يدها فتح مكة، وانتصار النبي الأخير كما هو مسطور في بطون التاريخ.

---

(١) لم يكن السيد محمد الباقر الحلي من الزعماء أو رؤساء القبائل، ولم يكن من المدعوين للحضور، فقد حاول وبطريقة ابتكرها لنفسه، فتظاهر أمام عبد الحميد نجل السيد علوان الياسري أنه يحسن اللغة الإنكليزية، وكان هذا الشاب الصغير يتتلمذ على السيد محمد الباقر، ثم أنشد له نشيداً ادعى أنه إنكليزي وفسر له معنى هذا النشيد المصطنع، وأن مضمونه نحن البريطانيين أمة عظيمة نزلت من السماء، وقد ملكنا البر والبحر، واستعبدنا الأمم والشعوب، ولا يمكن لأمة نستعبدها التخلص من براثن استعمارنا، وقد صور تفسيره بصورة رواية تثير الحفيظة والحقد العميق، حتى أبكى الشاب الصغير، وعند ذلك عرض عليه في إمكانه تخليص البلاد من البريطانيين، بأن يرجو أباه أن يحضر هو ومحمد الباقر مجلس الزعماء حين مقابلة الحكام الإنكليز، وأن يطلب ذلك من أبيه، ويتوسل له بالبكاء لديه، ففعل وأثر على السيد علوان كل التأثير، فما كان من السيد علوان إلا أن يلبي طلب ولده (مذكرات محمد علي كمال الدين ٥٧ - ٥٨).

(٢) هذا البيت من (الثورة العراقية الكبرى) للحسني ١٦٠.

واستمر السيد محمد الباقر مخاطباً زعماء الخزاعل:

- وأنتم يا زعماء الخزاعل، هكذا انتصر لكم النبي وغضب لأجلكم، فمتى أنتم تنتصرون له؟ أما في الآخرة فأنتم أحوج إليه منكم، نعم، يمكنكم الانتصار له في هذه الدنيا أما آن لكم أن تنصروا محمداً؟

وعندها ثار أحد زعماء الخزاعل الشيخ سلمان العبطان وسل سيفه وهجم على محمد الباقر وهز السيف في وجهه قائلاً:

«عند وجهك أنا أخو فاطمة».

فنهض جميع الزعماء والأفراد وهوسوا بحضور الإنكليز:

«بس لا يتعلك بأمريكه»[1].

عندها أسرع الإنكليز إلى مراكبهم، وتبعهم أطفال القبيلة يقذفونهم بالحجارة[2]. واعتبر هذا المؤتمر بدء الثورة في منطقة الشامية.

ثم ألفت الحكومة لجنة من أعضائها حاكم الشامية والحلة وأبي صخير، يرافقهم مصطفى خرمة السوري معاون حاكم أبي صخير، وقصدوا المشخاب، ونزلوا لدى الشيخ مجبل فرعون، ليتمكنوا من مقابلة الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، حيث كان زعماء المشخاب متفقين على عدم مقابلة الحكام في مراكزهم، ورفضوا طلب حاكم أبي صخير بذلك. وعند حضور الشيخ عبد الواحد قال حاكم الشامية:

- ما هذه الاضطرابات وما الداعي لها؟

عبد الواحد: أنتم سبب الاضطراب، والبلاد لم تتجاوز المطالبات الشفهية بحقوقها ولكنكم قبضتم على ابن المرزة الشيرازي ونفيتموه وغيره من المندوبين عن الأمة في سائر البلاد، ونحن المسلمين نعتبر نجل المزرة هو الأب الأكبر كما تعتبرون أنتم قسسكم.

حاكم الشامية: إن أهالي كربلاء قدموا عريضة يشتكون منه وقوع الفساد.

عبد الواحد: لم يشتك أهالي كربلاء من ابن المرزة، بل إن أفراداً من صنايعكم الخونة كتبوا عليه كما تشتهون.

---

(١) الهوسة أيضاً من ن.م ١٦١.
(٢) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٥٧ - ٥٩.

حاكم الشامية: لماذا تسلبون راحة الأهالي وتخلون بنظام البلاد؟ نحن نريد منكم تسكين البلاد واطمئنانها.

عبد الواحد: قلت لكم نحن لم نشوش البلاد، وقد اضطربت منذ قبضتم على نجل المرزة، على أن هذا الأمر لا يخصني وحدي، بل يهم جميع الرؤساء.

حاكم الشامية: نريد الاجتماع بالرؤساء، وليكن في النجف، للمذاكرة معهم.

عبد الواحد: لا يأتيك أحد إلى النجف، وربما يأتونك إلى الحميدية (الشامية).

وتم الاتفاق على الاجتماع بالحميدية[1].

فتوى الجهاد:

كان الوطنيون والناقمون على السلطة المحتلة وزعماء العشائر ورؤساؤها قد طلبوا من العلماء الأعلام الجزائري وإخوانه أن يتوسطوا لهم لدى الإمام الحائري باستعمال القوة الدفاعية بغية إيقاف السلطة الإنكليزية عند حدها، وبمناسبة مواجهة هؤلاء العلماء للحاكم السياسي لعموم لواء النجف والشامية وبقية الحكام السياسيين، وخروجهم من الكوفة متوجهين إلى ساحته عرضوا عليه الأمر، فكان موقفه قد تبدل، فما كان أن يستفتى في (التوسل بالقوة الدفاعية) حتى أصدر فتواه:

(مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز من قبول مطالبهم).

الأحقر
محمد تقي الحائري الشيرازي[2]

كان لهذه الفتوى أثر كبير في نفوس العراقيين، وقد زادت من حدة أبناء الأمة، فحين وصولها إلى الحلة عقد اجتماع كبير تلى فيه الشيخ محمد الشبيبي نص رسالة الإمام الحائري التي بعثها إلى الميجر بولي الحاكم السياسي في الحلة وفتواه المذكورة، وتتابعه بعده على المنبر محمد الشيخ عبد الحسين ورؤوف الأمين وعبد السلام الحافظ فألقوا كلمات حماسية طالبوا فيها باستقلال العراق ونادوا بالأمير عبد الله ملكاً عليه،

---

(١) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٦٠ - ٦١.

(٢) فريق المزهر: الحقائق الناصعة ١٩٤ - ١٩٥، الجبوري، وثائق الثورة العراقية ج٢ ص١٥١.

فالتهبت نفوس الجماهير بالحماس الوطني[1].

حين بلغ الميجر بولي خبر الاجتماع، أمر بإلقاء القبض على مدبريه وهم: رؤوف الهنداوي وعبد السلام الحافظ، وأحمد السالم، وجبار علي الحساني، وعلي الحمادي ومعهم علي الهنداوي، وأرسلوا بالقطار مخفورين إلى البصرة ومنها بالباخرة إلى جزيرة هنجام[2].

أثار هذا التصرف حفيظة الوطنيين والأحرار، وقد ذكرت المس بيل:

إن إبعاد هؤلاء الأشخاص أدى إلى زوال التوتر في منطقة الحلة، وقد ذهب عمران الحاج سعدون، وهو أهم رئيس من رؤساء بني حسن الساكنين في تلك المنطقة إلى الحاكم البريطاني وهو يحمل التعهد الذي كان قد وقعه بالإكراه فمزقه أمام الحاكم[3].

انفجار الثورة:

وتصرف الميجر ديلي الحاكم السياسي للواء الديوانية وغيره من الحكام السياسيين تصرفات غير لائقة مع الشخصيات الوطنية وزعماء القبائل بما لا يليق ومكانتهم، أدى ذلك إلى انفجار الثورة في الرميثة يوم السبت ١٣ شوال ١٣٣٨هـ/٣٠ حزيران ١٩٢٠م إذ دخل الرميثة عشرة أبطال من الظوالم فقتلوا شرطيين من حرس السراي، وأخرجوا الشيخ شعلان أبو الجون الذي أوقفته السلطة في الرميثة يوم الجمعة ١٢ شوال ١٣٣٨هـ/ ٣٠ حزيران ١٩٢٠م، أخرجوه محاطاً بالأهازيج والهوسات فكان هذا اليوم إيذاناً بإطلاق أول عيار ناري للثورة العراقية، وبهذا تأسست جبهات القتال والمقاومة الحربية للاحتلال في كافة أنحاء القطر العراقي.

اجتماع الشامية:

وفي منطقة الشامية طلب الميجر نوربري الحاكم السياسي لعموم الشامية والنجف، الاجتماع مع زعماء العشائر في أي مكان يختارونه، وفعلا تم اختيار مضيف الحاج مرزوك العواد، واجتماع الزعماء يوم ٢٠ شوال ١٣٣٨هـ (٧ تموز ١٩٢٠م) وهم: عبد الواحد الحاج سكر، علوان الحاج سعدون، السيد محسن أبو طبيخ، مجبل الفرعون، رايح العطية، سلمان الظاهر، السيد علوان السيد عباس الياسري، سلمان العبطان،

---

(١) يوسف كركوش الحلي: تاريخ الحلة ١/١٧٤.
(٢) عبد الرزاق الحسني: الثورة العراقية الكبرى ط صيدا ١٩٧٢ ص١٠٧.
(٣) المسس بل: فصول من تاريخ العراق القريب ٤٤٤.

عبادي الحسين، شعلان الجبر، السيد نور السيد عزيز الياسري، هنين الحنون، فريق المزهر الفرعون.

وانتظروا الميجر نوربري فلم يأتهم، ولكنه بعث نيابة عنه (الكابتن مان) الحاكم السياسي لمنطقة الشامية، ومعه قوة من الشرطة، ودار الاجتماع، ونوقشت فيه قضايا عديدة ونقاط مهمة، كان أهمها أن الزعماء يريدون أن يلقوا بآخر حجة أمام السلطة المحتلة، تلبية لأوامر الإمام الحائري، ليكونوا معذورين بعد ذلك أمام الله والتاريخ، فأجابوا الكابتن مان، وقد حضروا هنا تلبية لأوامر ساداتهم الأئمة المجتهدين على رأسهم آية الله الحائري، وهم شديدو الحرص على محافظة الأمن والنظام، ولا يرغبون أن تسفك قطرة واحدة من الدماء - إلا إذا أرغموا على ذلك - فإذا كانت سلطة الاحتلال البريطانية ترغب بالسلم مثلنا فنحن على أتم الاستعداد، على أن تحقق لنا المطاليب الأربعة التالية:

أولاً: أن يمنح العراق استقلالاً تاماً لا تشوبه أية شائبة.

ثانياً: أن يتوقف القتال في الرميثة وأطرافها حالاً.

ثالثاً: أن يتخلى الحكام السياسيون مع جميع القوات البريطانية عن مراكز الفرات وبلدانه إلى بغداد لتدور المفاوضات بين زعماء الأمة العراقية والسلطة البريطانية المحتلة بشأن تقرير مصير العراق بجو هادئ.

رابعاً: أن يطلق سراح المرزا محمد رضا نجل آية الله الشيرازي، ويفرج عن أحرار العراق المسجونين والمنفيين إلى جزيرة هنجام وغيرها كافة بلا استثناء دون قيد أو شرط.

فقال الكابتن مان: أما الشرط الأول والشرط الثاني فهما معقولان نوعاً ما، وأما الشرط الثالث والرابع فهذان غير معقولين... ومع هذا فإني سوف أعرض هذه المطاليب على الميجر نوربري عندما تذهبون معي إلى الكوفة أو إلى النجف لمواجهته.

وكان هناك أمر دبر بليل، يقصد منه إلقاء القبض عليهم ونفيهم مع أصحابهم والقضاء على الحركة ما دامت في أولها.

فأجابه الزعماء: إنهم غير آمنين من السلطة، (من جرب المجرب حلت به الندامة)، وأننا جربنا فآمنا أن الحكومة البريطانية لا تريد إلا نفي الزعماء والرؤساء إلى خارج العراق، كل ما تمكنت أن تحتال على بعضهم بإلقاء القبض عليهم ولذلك نحن لا نرضى أن نسعى إلى حتفنا بضلفنا كما فعل بإخواننا أحرار كربلاء ومن أجل ذلك قررنا أن لا

نذهب إلى محل إلا ونحن هناك، فإن شاء الميجر نوربري مواجهتنا كلنا أو بعضنا فليتفضل إلى أي مكان يعينه من أماكن العشائر فنحن حاضرون لمقابلته والتفاهم معه على أساس الود، وسوف لا يسمع منا إلا لغة الأدب والخلق السامي الذي ورثناه عن آبائنا وجدودنا العرب، والذي تدفعنا تقاليد القومية أن لا نحيد عنه قيد أنملة، أما إذا لم يشأ أن يتفضل بزيارتنا فبإمكانه أن يتواجه مع مندوبينا في النجف الأشرف الذين خولناهم الحق بأن يعملوا باسم جمعيتنا ما يشاؤون.

وهنا لم يجد الحاكم عنده من جواب، فسكت ثم أخذ من جاء معه وعادوا راجعين إلى مركز قضاء الشامية[1].

أما الزعماء فقد استنتجوا من جميع مقابلاتهم ومفاوضاتهم أن الإنكليز يريدون بهم شراً، وببلادهم الاستعمار والاستعباد لا محالة، ودليلهم في ذلك إصرار الحكام على حضورهم بالنجف، ثم عدم اكتراثهم بالمطاليب التي عرضوها، وأيضاً من دسائس الإنكليز مع الخزاعل ومع الشيخ عمران الحاج سعدون وغير ذلك. فبعد أن كان الدافع الوحيد لمقاطعتهم الإنكليز هو المطالبة بحقوق البلاد وإعادة المنفيين، أصبحوا يفكرون في طرق الدفاع عن أنفسهم وقبائلهم عند هجوم الإنكليز، لذلك تعاهدوا وقرروا ما يأتي:

١ ـ إعلان الثورة.
٢ ـ يكتب إلى الرميثة لتهجم عليها يوم ٢٥ شوال.
٣ ـ تهجم آل فتلة على أبي صخير يوم ٢٥ شوال.
٤ ـ القيام بما يحتاج إليه الجيش المنظم من آلات الحروب، ودواب النقل، ولوازم الإعاشة، والخيم للسكنى، لكي لا يضطر الجيش إلى السلب والنهب كما كانت حالة الجيش التركي.
٥ ـ إقناع الخزاعل وإعطائهم المساعدة المالية.

وقد باشروا في تنفيذ هذه المواد فعلاً، وأحضروا زعماء الخزاعل الشيخ محمد والشيخ سلمان العبطان عند الشيخ عبد الواحد بالمشخاب، وقدم لهم المساعدة المالية ليتمكنوا من إعداد جيشهم، فعاهدوه على ذلك، وتفرق الزعماء للقيام بواجبات الثورة[2].

---

(١) فريق المزهر الفرعون: الحقائق الناصعة ١٩٨ - ٢٠٢ (بتصرف وإضافة)، مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٦٢ - ٦٣.
(٢) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٦٣ - ٦٤.

حصار أبي صخير:

وفي يوم الأحد ٢٤ شوال ١٣٣٨هـ (١١ تموز ١٩٢٠م) خرج كل من الشيخ عبد الواحد الحاج سكر والسيد علوان الياسري والسيد هادي زوين[١] ومعهم جموعهم القبلية من آل فتلة والغزالات وآل شبل وآل إبراهيم، فضربا نطاقاً من الحصار على قصبة (أبو صخير) مساء يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٣٣٨هـ (١٢ تموز ١٩٢٠م) مما اضطرت به الحامية الإنكليزية - وكان عدد أفرادها نحو مائتي محارب - إلى التحصن بسراي الحكومة مستعينة بالباخرة الحربية (فاير فلاي) وكانت مجهزة بمدفعين من العيار الخفيف، وإثنا عشر رشاشاً مع قوة كافية، فقامت بإطلاق النار على الثوار من جهة، ومنعت الثوار من التقرب إلى معقلها، وبقي الطريق مفتوحاً بينهما وبين الحامية من جهة أخرى، ولكن الثوار أمطروا نارهم الحامية، وشددوا عليها الحصار، وكان نهر الفرات قد بدأ بالانخفاض فخشيت السلطة الإنكليزية أن تجنح الباخرة، فحافظت عليها وعلى الحامية من الموت الأكيد، إذا بعثت بها الكوفة.

وقد خسرت قواتنا في هذا الحصار ٢٢ قتيلاً و٢٤ جريحاً باسلاً مجاهداً.

وبالوقت نفسه حاول (الكابتن مان) الحاكم السياسي لمنطقة الشامية الذي لم يزل مقيماً في مقره، أن يغري القلائل الذين يعدون بالأصابع من ضعاف الإيمان والنفوس بأمواله الطائلة، فأعطى قسماً كبيراً منها إلى بعض رؤساء الخزاعل ليعينوه على البقاء في الشامية، فجاء هؤلاء إلى بقية الرؤساء يطلبون الرأي، فأصر السيد علوان الياسري والسيد هادي زوين على وجوب إخراجه قبل أن يتمكن من عرقلة حركة الثوار[٢].

الكابتن مان يتوجه إلى الكوفة:

وفعلاً ذهب كل من الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، والسيد علوان الياسري، وبعض الرؤساء إلى الكابتن مان المحاصر في مقر عمله وقابلوه، وأبلغوه بأن الزعماء لا يستطيعون المحافظة على حياته، وهو مهدد بالخطر من كل الجوانب إن لم يترك الشامية، وبعد مداولات بين الرد والبدل اقتنع الحاكم بضرورة الخروج من القضاء، فتوجه إلى

---

(١) عبد الرزاق الحسني: ن.م ١١٧.

(٢) فريق المزهر الفرعون: ن.م ٢٠٢ - ٢٠٣، عبد الرزاق الحسني: ن.م ١١٧.

الكوفة مصحوباً بالحاج رايح العطية والشيخ سلمان العبطان وعدد من الحراس والأفراد[1].

انسحاب نوربري إلى الكوفة:

وكان الحاكم السياسي لعموم الشامية والنجف قد انسحب في ليلة ٢٨ شوال انسحاباً رسمياً ومعه الجنود الهندية والسلاح والذخيرة والأموال، بل وكل أثقال الحكومة وسكن الكوفة، ولكنه خلف في النجف صورة للحكومة يديرها حميد خان بن أسد خان ومعه عدة من الجنود العجمية[2].

خديعة نوربري:

وحينئذ تحقق للإنكليز أن لا فائدة في بقاء الحامية في (أبي صخير) التي ضيق الثوار عليها الخناق، وأصبحت في قبضتهم وقد قاربت أرزاقها النفاد فالتجأوا إلى الختل والخداع لإنقاذها ـ وليس الحرب إلا خدعة ـ فانتهز الميجر نوربري الحاكم السياسي للنجف والشامية مجيء بعض رؤساء الشامية مع الكابتن مان وأحضر معاونه حميد خان، والحاج عبد المحسن شلاش أن يتوسطا بين زعماء الثورة والحكومة لوقف القتال والمداولة للحصول على نتيجة قد ترضي الطرفين، فعرض الوسيطان مقترحات الحاكم على الزعماء الذين كانوا في جبهات القتال، فقرروا قبولها، إلا أنهم اشترطوا حضور زعماء الثورة في الشامية والنجف للاشتراك في المفاوضات.

واجتمع الزعماء بالميجر نوربري[3] في بستان مجاور، وبعد أن شكر المرافقين للكابتن مان، أوضح لهم قائلاً:

أحب أن أجتمع معكم لأجل أن أقف على مطاليبكم دون الاستمرار في القتال لعلي أتمكن من تنفيذها.

فأجابوه: إننا على استعداد تام للتفاهم معكم لتجنب إراقة الدماء، ولكن لا نتمكن من الخوض معك في المفاوضات ما لم تكن تحت إشراف العلماء الأعلام على سير المفاوضات للاسترشاد بآرائهم.

---

(١) عبد الرزاق الحسني: ن.م وفي الحقائق الناصعة ٢٠٦: (إن المرافقين للقوة هم الحاج مرزوك العواد والحاج رايح العطية وسلمان الظاهر) مع العلم أن أكثر المصادر التي كتبت عن الثورة تشير بأن الحاج مرزوك العواد والحاج رايح هما اللذان رافقا الكابتن مان، أما الثالث فهو موضع خلاف.

(٢) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٨٣.

(٣) فريق المزهر الفرعون: ن.م ٢٠٦.

فوافق نوربري على ذلك[1].

ووضع الثوار مهمة التماس حضور العلماء على الحاج رايح العطية، وذهب الحاج رايح إلى النجف للغرض المذكور، وقد رافقه الميجر نوربري، وعبد الحميد خان[2]. ولدى وصولهم تأخر نوربري في مركز تراموواي النجف، وذهب الحاج رايح إلى دار شيخ الشريعة وقابله وعرض عليه ما تقدمت به السلطة المحتلة في إيقاف القتال وإحلال الهدنة بين الطرفين، واتصل ببقية العلماء، فقرر رجال الدين انتداب الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد صاحب الجواهر لينوبا عنهم في بحث الموضوع مع زعماء الثورة وتقرير ما يرونه نافعاً ومناسباً، وكان مما أوضحه السادة العلماء لمندوب الزعماء: أن قضية المفاوضات من خصائص رؤساء القبائل، فرد عليهم المندوب بأن الزعماء لا يريدون أن يخالفوا لرجال الدين أمراً، وأنهم إنما يسيرون تحت هديهم وإرشادهم، وأخيراً اتفقت الآراء على الذهاب إلى الكوفة والاتصال بالمسؤولين الإنكليز[3].

وقائع الاجتماع في الكوفة:

وفي يوم ٢٩ شوال ١٣٣٨هـ (١٦ تموز ١٩٢٠م) وصل الوفد الديني إلى الكوفة، وكان مؤلفاً من الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي والحاج عبد المحسن شلاش، واستؤنفت الجلسة بعد حضور هذين العالمين الكبيرين على مقربة من جسر الكوفة في الجانب الشرقي منه، ومن بين الزعماء ورؤساء العشائر الذين حضروا الاجتماع السيد نور الياسري، والسيد علوان الياسري، والسيد محسن أبو طبيخ، ومزهر الفرعون، وعبد الواحد الحاج سكر، ورايح العطية، وعبادي الحسين، ومرزوك العواد[4] وعلوان الحاج سعدون رئيس بني حسن وغيرهم، وقد حضر الاجتماع فريق المزهر الفرعون.

---

(١) فريق المزهر الفرعون: ن.م ٢١٤، عبد الرزاق الحسني: ن.م ١١٧، عبد الشهيد الياسري: البطولة في ثورة العشرين ١٩٩، أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية الكبرى ٦٢/٢.

(٢) الحسني: ن.م ١١٧، فريق المزهر: ن.م ٢١٤ وفيه: (إن الذين ذهبوا لانتداب العلماء هم رايح العطية ومرزوك العواد ومصطفى خرمة أحد موظفي نوربري، وقد وضع نوربري سيارتين لتكونا تحت تصرف المنتدبين).

(٣) فريق المزهر: ن.م ٢١٤، الحسني: ن.م ١١٧، الياسري: ن.م ١٩٩.

(٤) الياسري: عبد الشهيد، ص ٢٠٠ نقلاً عن الحاج رايح العطية، وقائع الجلسة مفصلة في مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٦٧ - ٦٢.

كذلك حضر عن الكوفة الميجر نوربري، والكابتن مان، وقائد الحامية المحاصرة في الكوفة[1] وبعض الحكام السياسيين القريبين من الكوفة[2].

وافتتح الميجر نوربري الاجتماع بقوله:

منذ مدة وأنا أود أن أجتمع وإياكم لأطلع على ما تريدون لعلني أتمكن من أن أقوم تجاهكم بالواجب، حيث أعتقد بأن حكومتي لا ترغب في سحق الحريات، وأنها عازمة على إعطاء العراق حقه دون حاجة إلى إراقة الدماء، أما الآن وقد أتيح لي الاجتماع بكم فأرجو أن تعلموني بما تريدون.

فأجابه الشيخ عبد الكريم الجزائري:

أما قولك منذ مدة تود الاجتماع مع الرؤساء فأظنه غير صحيح، حيث أن الاجتماع معهم لم يكن عسيراً بالنسبة إليك، بل كان متيسراً في كل لحظة، وأما قولك أن حكومتك لا ترغب في سحق الحريات فهذا قد يكون صحيحاً ولكن في غير هذه البلاد، أما في بلادنا فإننا نراها قد تحاملت على الأمة فضيقت عليها وخنقت حرياتها الشخصية، حرية القول، وحرية العمل، ويكفيك دليلاً على ما قلت ما فعلته حكومتك من نفي البغداديين والحاج مخيف ورفقائه، واعتقال نجل آية الله الشيرازي، وأحرار كربلاء، وتبعيد أبطال الحلة، وقتل الأبرياء وشنقهم لمجرد مطالبتهم بحقوقهم التي أقرتها دول العالم ومنها حكومتك التي تدعي العدل والعطف على الحريات. فهل كل هذا لا يعد سحقاً للحريات؟ وإهانة لكرامة البلاد وأهلها؟.

أما قولك بأن حكومتك ترغب في إحلال السلم، فليعلم الميجر بأن العراقيين يميلون إلى ذلك أكثر مما تزعم أن حكومتك ترغب فيه، ويودون أن تبقى الصداقة محفوظة بين الشعبين العراقي والبريطاني إلى أبد الآبدين.

وأما قولك أنك لا تعلم مطاليب الأمة وتود الإطلاع عليها فإني أقول لك بأنك تعلم بمطاليب الأمة علم اليقين، وقد عرضت عليك عدة مرات شفهياً وتحريرياً.

فقال الميجر نوربري:

على كل حال، أعلموني الآن ما تريدون من أشياء ومطاليب معقولة.

---

(١) فريق المزهر: ن.م ٢١٥.
(٢) الياسري: ن.م ٢٠٠.

فبين له الزعماء والرؤساء أنهم لا يريدون أكثر من استقلال البلاد التام[1].

معاهدة الهدنة:

وبعد مداولات كثيرة تبودلت فيها الآراء بين الطرفين، حرر الشيخ الجزائري هذه الاتفاقية بورقة صادق عليها الحاكم السياسي، ونصها:

في بيان وقوع الهدنة بين الحكومة المعظمة البريطانية وبين أهالي الشامية إلى مدة أربعة أيام تبدأ من غرة ذي القعدة إلى اليوم الرابع من ذي القعدة، وقد وقع القرار بين حضرة حاكم الشامية والنجف الميجر نوربري، وبين أهالي الشامية.

وتعهد لهم حضرة الحاكم على المواد الآتي ذكرها على أن يراجع الحاكم العام فيها:

أولاً: حصول العفو العمومي وعدم التعقيب عن كافة العراقيين وأهل العوجة[2] والدغارة والشامية وغيرهم.

ثانياً: توقيف الحركات العسكرية بجميع أقسامها من تسوية السكة الحديدية ونقل القوة العسكرية من مكان إلى آخر.

ثالثاً: إطلاق سلاح المنفيين والمعتقلين جميعاً خصوصاً نجل مولانا آية الله الشيرازي.

رابعاً: تشكيل المؤتمر العراقي على النحو الذي طلبناه سابقاً.

حرر في ٢٩ شوال سنة ١٣٣٨هـ/ ١٧ جولاي سنة ١٩٢٠م.

وكان التوقيع على موادها في الساعة الثامنة غروبية من عصر يوم ٢٩ شوال ١٣٣٨هـ.

وبعد التوقيع جرى الكلام في الأمور التي تخص الحكومة لقاء رضائها بالشروط الأربعة، فتكفل الرؤساء بأمرين يخصانها:

أولاً: الهدنة إلى أربعة أيام، بأن تكف القبائل عن القيام ومقابلة الحكومة أثناء فترة الهدنة.

---

(١) د. عبد الله الفياض: الثورة العراقية الكبرى ٢٧٣ ـ ٢٧٤ نقلاً عن الشيخ محمد رضا الشبيبي، فريق المزهر: ن.م ٢١٥ - ٢١٦.

(٢) العوجة: من أسماء الرميثة.

ثانياً: كفالة زعماء القبائل بحماية جند الحكومة المحاصر في أبي صخير ومحافظته من العشائر من حين إجلائه من أبي صخير إلى أن يصل الكوفة، فلا يتعرضه أحد بنهب أو سلب لا من سلاحه ولا من ذخيرته ولا من أي شيء آخر، وقد قر رأيهم بإرسال الشيخ عبد الواحد الحاج سكر مع كابتن إنكليزي لنقل حامية أبي صخير، فأوصلهم الشيخ عبد الواحد وكان عددهم يقارب ٥٠٠ جندي متفرقة العناصر، وفقيدتهم من القتلى ٥ جنود فقط، والباقي لديهم من الأطعمة كيس واحد فقط[١].

نقض المعاهدة:

وانطلت الحيلة على القبائل، وأوعز الرؤساء إلى العشائر المحيطة بالحامية في أبي صخير أن تفتح الطريق إلى الحامية المحاصرة وتتركها تتوجه إلى الكوفة مع المحافظة عليها، وعدم المساس برجالها ومعداتها - كما ذكرنا - ليروا ماذا بعد هذا؟ هل الإنكليز جادون أم أنهم طلبوا الهدنة لغرض في أنفسهم؟ فوصلت الحامية إلى الكوفة[٢] بسلام، ثم نقلوا جيشهم مع معسكر شرقي الكوفة واختاروا له دور الأهلين وخاناتهم على الشاطئ داخل البلد، وكونوا موقعاً واحداً يحتوي على عشرات الدور وعدداً من الخانات مع سوق السيد كاظم اليزدي وأجبروا أهل الدور على تخليتها، كما منعوا أهل الخانات عن نقل كل ما تحويه من أطعمة وتمور وأخشاب وغير ذلك من البضائع التجارية، وأغلقوا منافذ الأزقة بأكياس الرمل، وتركوا دار الحكومة غربي البلد بغير تحصين.

وقد بالغوا في شراء الحبوب والسكر والشاي والدهن والأغنام وكثير من سائر الحاجيات استعداداً للحصار، وقد كان الواسطة لهذا الشراء بعض الخونة الذين باعوا ضمائرهم للأجنبي[٣]، على أنهم لم يدفعوا للكثير من أهل البضائع أثمان بضائعهم إلى النهاية، رغم استمرار هؤلاء التجار على المطالبة حتى بعد الثورة، وقد أفلس بعض أولئك التجار من تلك الصفقة الخاسرة[٤].

ولأجل مراقبة تنفيذ شروط الهدنة من قبل الثوار لعلمهم بأن من الصعب على بريطانيا الوفاء بعهودها، فقد أوكل الزعماء عشائر بني حسن تحت قيادة رئيسهم علوان

(١) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٧٢ - ٧٣.
(٢) الياسري: ن.م ٢٠١.
(٣) انظر مذكرات الحاج عبد الرسول تويج ١٥.
(٤) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٧٤.

الحاج سعدون لحماية الطريق النهري غربي الكوفة خوفاً من تسرب الذخائر والمؤن إلى القوة التي في الكوفة[1].

وفي يوم ٢ ذي القعدة ١٣٣٨هـ (١٩ تموز ١٩٢٠م) رأى بعض أفراد عشائر بني حسن أن الجيش البريطاني يتحصن في خانات الكوفة والأسواق المجاورة، ويدخرون الأرزاق، ويحفرون الآبار، ويعملون الاستحكامات الحربية ـ كما ذكرنا سابقاً ـ فأخبروا الزعماء بذلك، وهؤلاء بدورهم أخبروا القائد والحكام السياسيين بوسائط مختلفة منها أنهم أرسلوا عبود الجسار، وأخرى أرسلوا الشيخ مرزوك العواد وتكلم مع الإنكليز فلم يكترثوا.

وفي يوم ٣ ذي القعدة ١٣٣٨هـ (٢٠ تموز ١٩٢٠م) شاهد أفراد عشيرة بني حسن عدة شخاتير ـ زوارق صغيرة تسحبها الزوارق البخارية متجهة إلى الكوفة ـ من الكفل وطويريج (الهندية) ـ ومشحونة بالأرزاق والمؤن والعتاد بغية إيصالها إلى الحامية، وكادت أن تمر فتصل لولا تدارك رئيس عشائر بني حسن، جعفر الصميدع الذي أمر بإيقافها وتفتيشها، غير أن من كان فيها لم يوافقوا على الوقوف، فاضطرت عشائر بني حسن على إطلاق النار لإيقافها، فأوقفوها ونهبوا كل ما فيها باعتبار ذلك خرقاً من السلطة البريطانية لشروط الهدنة وعهودها[2].

وقد كتب الشيخ علوان الحاج سعدون رئيس عشائر بني حسن بذلك كتاباً مفصلاً إلى قيادة الثورة في النجف بواسطة الحاج عبد المحسن شلاش نصه:

إلى نجف الأشرف ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٨.

جناب الأفخم الحاج محسن شلاش المحترم

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

لا يخفى جنابكم أن المداولة والتي تم عليها قرار العلماء والمندوبين والرؤساء هي اتخاذ الطرق التي تحقق مقاصدنا من دون سفك دماء مهما أمكن ولأجله عقدت الهدنة بمحضر المندوبين والرؤساء، ومن شروطها توقف الحركات الحربية التي قد التزمنا وألزمنا بها بني حسن وأرسلنا أولادنا وغيرهم في أطراف الكفل أن يوقفوا الحركات على جهات الحلة التزاماً بعهد الهدنة التي عقدها المندوبين بمحضر الرؤساء في مؤتمر

---

(١) فريق المزهر: ن.م ٢١٨.

(٢) ن.م.

الكوفة، ولكن الطف الثاني يظهر بأنه غير ملتزم بهذا القرار، حيث أن أخبار الرميثة التي وصلتنا تقول أن العساكر مستمرة بهجومها من القطارات على العوجة، والأخبار التي وصلتنا في هذه الساعة بأن العساكر تواردت من الحلة، وأن عشائر تلك الأطراف صارت مضطربة ومتجمعة حذراً من الطوارئ، ولهذا فإن هذه الأخبار المتواترة سببت اجتماع عشائر المشخاب والشامية وبني حسن التوجه على جهات الكفل والحلة، كما لا يخفاكم وأن الأمر الذي أوجب إعلامكم به هو أنه تحركت ـ فلكة ـ حربية بالشط من الكفل تحمل أسلحة وذخائر حربية، وقد أطلق عليها الرصاص من عشيرة الحواتم والبوحداري وطاردوها حتى وصلت غربي الكوفة وقبضنا عليها بما فيها من الأسلحة والذخائر لأنها حركة مخالفة لشروط الهدنة. وأهم من هذا فإن قائد الكوفة بدأ عصر أمس يبني استحكامات حربية، ويحفر الخنادق ليلاً. وفي فجر هذا الصباح خرجت من الجيش عدد من العربات يرافقها مائة جندي مسلح من الهنود ينقلون صخر لأجل المباني الحربية، فاضطربت العشائر المجموعة في الكوفة وأرادت الهجوم عليهم على الجيش الموجود في الكوفة، وقد هدأنا الحالة مؤقتاً، ولكننا في موقف حرج لا نستطيع به التفاهم مع قائد الجيش لحالة عدم إراقة الدماء بحب ميل العلماء ولا أتمكن من صد عشائرنا المضطربة من هذه الحركات الحربية المخالفة لقرار الهدنة، وأجد نفسي مجبوراً على ترك الأمور على مجاريها الطبيعية، فإذا كان لدى العلماء الأعلام والمندوبين تدابير أخرى فأسرعوا إلينا بها حيث قد اضطرتني الحالة إلى الانتقال من الشريعة[1] واتخذت مقري جامع الكوفة وجميع الرؤساء مجموعين عندي ومستعدين للهجوم، فأرجو مواجهة العلماء والجواب مع حاملي الكتاب، ولا يتأخر جوابكم أكثر من ساعة واحدة، حيث أن الموقف حرج والأمر واقع بحكم المجبورية، نظراً للحركات العسكرية عندنا بل وفي جميع الفرات، ودمتم سالمين.

علوان الحاج سعدون[2]

تجدد القتال:

ولما شاهد الثوار ذلك، فقد حشدوا قواتهم وتوجهوا لاحتلال الكوفة وإحكام الحصار على حاميتها التي طوّقت تطويقاً شديداً، وذلك استعداداً لاستئناف القتال، ثم بدأت جموع العشائر الثائرة تتقاطر على الكوفة وضواحيها، وتتجمع فيها من مختلف

(١) الشريعة: قصبة مدينة الكوفة.
(٢) كامل سلمان الجبوري: وثائق الثورة العراقية ـ مخطوط ـ ٤/ ٣.

المناطق العشائرية، وبعد أن تكامل تجمع العشائر في ٥ ذي القعدة ١٣٣٨هـ (٢٢تموز ١٩٢٠م) قرر الزعماء أن يقسم الجيش العربي إلى قسمين:

القسم الأول: يلازم الكوفة لحصار الحامية الإنكليزية فيها، ويضم عشائر بني حسن وهم: الحواتم والبوحداري والبوعزيب وآل دهيم والبونعمان وآل علي وآل عيسى تحت قيادة علوان الحاج سعدون، وعشائر الغزالات تحت قيادة علي المزعل، وقسم من عشائر آل فتلة تحت إمرة عبد نور الشنته آل فرعون ومعه السيد عبد الزهرة العذاري، وعشائر آل زياد وكعب تحت قيادة السيد محسن أبو طبيخ[1] وآل شبل وآل إبراهيم مع رؤسائهم، وإتباع السيد علوان الياسري وجماعة السيد نور السيد عزيز الياسري[2] وقد أوكلوا إلى السيد نور مهمة البقاء في النجف للاتصال بعلماء الدين لأنهم محور الحركة الوطنية. وقد أنيطت هذه المهمة للسيد الياسري لأنه كبير السن ولا يتمكن من مسايرة الثوار في تحركاتهم وتنقلاتهم، وأن أولاده الموجودين على رأس مجاهديهم مع الثوار يؤدون هذا الواجب[3]، وبضمن هذه المسؤولية فهو يتردد على الثوار للإشراف على الحصار والقيام بما يتطلبه ذلك الواجب من واجبات[4] وجهود، وقد وقع الاختيار على السيد نور لثقة الثوار به ولتوفر المال لديه، ولاستعداده للبذل والثورة[5].

القسم الثاني: ويضم عشائر آل فتلة أهل المشخاب، وتوابعهم آل إبراهيم والغزالات والعكرات وجبور المحاجير، وآل فتلة أهل الشامية والعوابد الحميدات والكرد وآل بدير، ومن بني حسن الشرمان وبني سلامة والمجاتيم والبو عريف وغيرهم، ومعهم زعماؤهم، تحت قيادة الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، والسيد علوان الياسري، للتوجه إلى الكفل[6] ثم السفر إلى الحلة لاسترجاعها[7].

وكانت أسمى غاية أرسل من أجلها هذا القسم هو قطع المواصلات البريطانية نهراً وبراً، فلا تستطيع مدّ الحامية التي تحصنت في أسواق الكوفة بأي شيء من المؤن

---

(١) فريق المزهر: ن.م ٢١٨ - ٢١٩، مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ١١.
(٢) الياسري: ن.م ٢٠٢.
(٣) الياسري: ن.م ٢٠٣، الهامش نقلاً عن السيد محسن أبو طبيخ (بتصرف).
(٤) الياسري: ن.م ٢٠٣.
(٥) الياسري: ن.م ٢٠٣، الهامش نقلاً عن الحاج عباس آل لهوف من رؤساء آل فتلة في المشخاب (بتصرف).
(٦) فريق المزهر: ن.م ٢١٩.
(٧) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٩٧، ١١١.

والذخائر الحربية، ولا تستطيع القوات البريطانية المرابطة في الحلة أن تزحف على الكوفة لفك الحصار عن الحامية المذكورة[1].

أما خادم الغازي فإنه ذهب مع مجموعة من عشائر بني حسن إلى شعبة هور الدخن (وتسمى أبو شورة سابقاً، والعباسية حالياً) وطرد مديرها وشرطتها الثمانية وموظفيها، واستولوا على بنادق الشرطة، وغنموا كل ما فيها، ومزقوا سجلاتها وأوراقها[2].

محاصرة الحامية الإنكليزية:

تتألف الحامية الإنكليزية المحصورة من[3]:

	ضباط بريطانيون	مراتب بريطانية	مراتب هندية	عرب وفرس
وحدات المشاة/١٠٨	٤	-	٤٨٦	-
الشرطة والجندون(الليفي)	٦	٣	-	١١٥
الدوائر	٢	١٢	١٠٢	-
باخرة الدفاع(فاير فلاي)	١	٦	١٤	-
	١٣	٢١	٦٠٢	١١٥

حامية الكوفة في تموز ـ أيلول عام ١٩٢٠:

أما الجيش العربي الذي أوكل إليه حصار الحامية فهو كما فصلناه في القسم الأول سابقاً.

بقي هذا القسم محيطاً بمواقع الإنكليز، وكثرت هجماته عليها وعلى الباخرة المدرعة (فاير فلاي) ليلاً ونهاراً، وهي تطلق على الثوار العيارات النارية بالرشاشات والمدافع المنصوبة عليها، واستمرت هذه الهجمات إلى عدة أيام أسفرت بسقوط الكابتن مان قتيلاً بين يدي الميجر نوربري عندما كانا يوزعان نقاط الحراسة في ٢٢ تموز ١٩٢٠م.

وفي أثناء الهجمات المذكورة ثقب الوطنيون شرفات الدور المقاربة ليقابلوا بها العدو، وخرقوا في الدور طرقاً موصلة إليها، ووضعوا أكياس التراب في بعض الأماكن لتكون حاجزاً وموقعاً حربياً، ودام الحصار والحرب على هذه الصورة حتى هجم الثوار

(١) الحسني: ن.م ١٤٤.
(٢) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٦٥، فريق المزهر: ن.م ٢٠٦.
(٣) سر المرهالدين: ثورة العراق ـ ترجمة فؤاد جميل ٢٤٧ - ٢٤٨.

عصر ٧ ذي القعدة على خيول العدو التي فرت من شدة النار وقد غنموها وهي أربعة عشر فرساً[١].

وقد أشغل إنقاذ الحامية أفكار الإنكليز في مختلف أماكنهم، كما أشغل الاستيلاء عليها عدد كبير من الثوار في مختلف جبهاتهم، وقد اتخذت السلطة مختلف التدابير لفك الحصار عن الحامية فلم توفق[٢].

ولما طرق سمع الحاكم الملكي العام في بغداد، والجنرال هالدين القائد العام للقوات البريطانية في العراق خبر حصر الجيش في جسر الكوفة، أوعز هالدين إلى الكولونيل (لوكن) قائد الحامية البريطانية في الحلة بأن يرسل جيشاً من القوة الموجودة في الحلة تحت قيادة الكولونيل (هارد كاستل) لإرهاب العشائر التي كانت على الطريق، لتمنع اشتراكها مع عشائر لواء الشامية والنجف أولاً، ولتحافظ على سكة الحديد بين الكفل والحلة من جهة ثانية، ولخلاص الحامية المحاصرة في الكوفة من جهة ثالثة[٣].

وعلى هذا فإن النكبة التي منيت بها القوة العسكرية في جبهة الرستمية ما هي إلا إحدى الوسائل التي تدرعت بها لهذا الغرض، وما الوسائل التي تدرع بها الثوار لحمل الحامية المذكورة على التسليم، لم تكن بأقل من تلك التي تدرعت بها السلطة لفك الحصار عنها، فقد تفننوا ـ كما ذكرنا ـ في هدم البيوت وحفر الخنادق، وثقب الجدران للوصول إلى القوة المحاصرة[٤] ومنع الطعام عنها، ولولا أكياس الدقيق والعقاقير التي كانت ترميها الطائرات عليها، لماتت جوعاً، ولفتكت الأمراض بها فتكاً ذريعاً، والمتجول في أسواق الكوفة يجد ـ حتى وقت قريب ـ فوق سقوفها عبارات بالحروف الإنكليزية الكبيرة تعريبها (نحن بحاجة إلى الأدوية) فكانت الطائرات تلتقط صوراً لهذه الكتابات، ثم تذهب لتأتي باحتياجات الجند المحصور من الأدوية وغيرها، فكان يسقط في أيدي الثوار معظم ما تلقيه الطائرات.

---

(١) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٩٧.

(٢) الحسني: ن.م ٢١٩.

(٣) سر المرهالدين: ثورة العراق ٢٤٢.

(٤) كما قام محمد خلف الحداد وعمره (٢٥ سنة) بصنع قذيفة من المسامير وغيرها وشاركه في صنعها سالم عليوي البازي وجماعة آخرون، وذهب الجميع إلى مقر الحامية الإنكليزية ورموا بها الحامية المحاصرة، وأحدثت حدثاً كبيراً في (الخان) ولكن الإنكليز بادروهم برشاشاتهم فقتلوا محمد خلف ولجأ الباقون إلى الفرار وسلم البعض منهم وأصيب آخرون منهم ببعض الجراح.
الكوفة في ثورة العشرين للمؤلف ١٠٦ - ١٠٧.

وكانت القيادة الإنكليزية ترسل أوامرها إلى القوة المحصورة ضمن الرزم أيضاً، ولما استولى الثوار على إحدى هذه الرزم ذات يوم وجدوا فيها تعليمات من القيادة العليا، وخططاً عسكرية، وأخباراً كان من فائدة الثوار الإطلاع عليها ونشرها بين ظهرانيهم[١].

قصف مسجد الكوفة:

وفي أثناء محاصرة الثوار للحامية البريطانية، أحسّ الإنكليز بالخطر المنتظر، فلجأوا إلى استعمال سلاحهم الجوي، مع أن الثوار لم يملكوا غير الأسلحة البدائية من بنادق ومقاوير وسيوف، فكانت هذه الطائرات تصب حميمها على الجموع، غير مبالية بما يكون تحتها من مساجد ومعابد ونساك وزهاد وأطفال وأرامل[٢].

وبينما كان العباد والنساك من طلبة العلم الذين يتعبدون لله ويقومون بفرائضهم الدينية على عادتهم في مسجد الكوفة، إذا فاجأتهم السلطة البريطانية بإرسال سرب من الطائرات، حامت على المسجد المذكور صبيحة يوم ٨ ذي القعدة ١٣٣٨هـ (٢٥ تموز ١٩٢٠م) فصبت نيران رشاشاتها وقنابلها على المسجد ومن فيه، وما كان فيه إلا الناسك المتعبد، والمنصرف عن الدنيا إلى آخرته من الرجال والنساء، وبعض العوائل الملتجئة، فقتلت مقتلة عظيمة من هؤلاء[٣] واختلطت لحومهم بعظامهم بصورة وحشية تنكرها الإنسانية، بل تنكرها أصول الحرب التي تمنع الاعتداء على العزل والأماكن الدينية المقدسة.

إن جيوش الثوار كانت بعيدة عن هذا الجامع الشريف، فماذا أرادت القيادة بعملها هذا؟ وأين عهود ومواثيق المسؤولين من ساسة بريطانيا الذين قالوا في أكثر من

---

(١) الحسني: ن.م ١٦٣.

(٢) د. عبد الله الفياض: ن.م ٢٨٧، الحسني: ن.م ١٦٣، ومن بين من قتلوا بالقذائف رجل من أهالي بندر بوشهر ـ إيران ـ كان ساكناً إبان الثورة وعمره ٧٠ سنة يدعى زاير حسين.

وذكر السيد محمد علي كمال الدين في مذكراته ٩٨ - ٩٩ أن الطائرات رمت ثلاث قنابل، أصابت الأولى دكة القضاء بمسجد الكوفة، فقلعت البناء وخربت شظاياها المحراب، فأصابت جميع المصلين والناس الجالسين هناك فكان مجموع القتلى والجرحى ثلاث وعشرين من نساء ورجال.

والقنبلة الثانية: وقعت على الركن الشمالي الغربي من مسجد الكوفة فوق سطح الغرف الملاصقة للسور، فخربت بناء السطح وأصابته بضرر غير كبير، ولم تقتل هذه القنبلة أحداً.

أما القنبلة الثالثة: فقد أخطأت بناية المسجد، ووقعت غربي الخط الحديدي الأهلي في رأس السكة الموصلة إلى مسجد السهلة، فمزقت أشلاء امرأتين كانتا هناك وجعلتهما هباء. (وهما بخيت وسكينة الخالديتان).

(٣) فريق المزهر: ن.م ٢٩٢.

مناسبة واحدة بأنهم يحترمون الشعائر الدينية؟ لقد كانت الطائرات تهبط إلى ارتفاع مائة قدم فتحصد أرواح النساء والأطفال والمتعبدين، ثم تصعد عالياً لترمي قنابلها.

وعندما وصل نبأ هذه الفاجعة المؤلمة إلى العلماء الأعلام وزعماء الثورة، نشروا بلاغاً رسمياً في صحف الثورة يخاطبون به حكومات العالم المتمدن، كما أنهم أرسلوا صوراً منه إلى سفارات الدول في بغداد وتركيا وإيران[1]، وهذا نص البيان حرفياً:

إلى العالم المتمدن

«جناية الإنكليز على المعابد، وإلقاء القذائف النارية على مسجد الكوفة، قتل النسّاك والمتعبدين».

لقد اتضح للملأ أن حكومة الاحتلال في العراق، من بقايا الحكومات الظالمة في القرون المظلمة، كما دلّت على ذلك صرامة أحكامها، وتنوع اعتداءاتها، فكم أرهقت نفوساً، وأزهقت أرواحاً، كان ذنبها المجاهرة بحقوقها، والمطالبة باستقلال بلادها، فاستعملت سلطتها العسكرية، وأطلقت يدها في الحركات الحربية، وإرغاماً للأمة العراقية على قبول وصايتها والتسليم بنظام وكالتها، والرضوخ إلى حكم قوتها، فأشعلت نار الثورة في البلاد لتحقق مطامعها، ولكن العراق المعروف ببسالة سكانه، وبطولة شجعانه، أبى أن يخضع للمستعمرين، ويذعن للطامعين، فنهض للحياة نافضاً غبار الذلّ.

ولا يُقيمُ على ذُلٍّ يُراد بهِ إلاّ الأذلاّن عيرُ الحيِّ والوتدُ

أجل.. لقد نهضت أمة الفرات تدافع عن شرف العراق، فأرهفت أقلامها وجردت أسيافها، ونشرت أعلامها، دفاعاً عن الحكم الذاتي، وطلباً للاستقلال فما خالفت في نهضتها شرائط الحرب الشرعية، ولا هتك حرمة القوانين الدولية، كما تفعل الحكومة الإنكليزية.

ولا نريد الآن أن ننشر كافة السيئات والجنايات التي اقترفتها حكومة الاحتلال في العراق، ولكننا نكتفي بذكر عمل واحد من أعمالها، ليقف العالم المتمدن على كنه هذه الحكومة، وعلى درجة مدنيتها الكاذبة، أو على مبلغ ما انتهت إليه من معاداة الإنسانية.

---

(١) فريق المزهر: ن.م ٢٩٢.

فقد حلّقت طيارتها صبيحة أمس ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٨ وألقت قذائفها النارية على مسجد الكوفة، وهو غاص بالزهاد والمعتكفين، ممتلئ بالنساء والمتعبدين، فقتلت جملة من الأبرياء، وجرحت أكثر من عشرين ناسكاً في محاريبهم، وقد سقطت إحدى القذائف على امرأتين فتمزقت أعضاؤهما، وتقطعت أوصالهما[١] وفتكت بثلاثة أطفال[٢] وخربت المقام المشهور بمقام القضاء، فلم يكن مشهد أفظع من هذا المشهد، فقد ملأ الفضاء أنين جرحى الزهاد، فمزق القلوب والأكباد، فإلى العالم المتمدن نرفع هذه الجناية المفجعة، وهذا الاعتداء الذي أوجع مهج العلماء المجتهدين، وأدمى عيون المسلمين.

إلى العالم المتمدن نرفع هذه الأعمال البربرية، التي تخجل منها الإنسانية فاحكموا بالعدل يا قضاة العدل[٣].

النجف: ٩ ذي القعدة ١٣٣٨

ولما كانت حكومة بريطانيا تظن أنها تحارب شعباً لا يدرك المدنية، ولا يميز بين الصالح والطالح، والسيء والحسن، أتت بأعمال تخالف الأعمال الإنسانية وذلك لعدم علمها بأن الشعب العراقي شعب له القابليات التي تؤهله أن يحكم نفسه بنفسه، فلم تطلع على هذا البيان الذي نشره العلماء الأعلام وزعماء الثورة حول واقعة جامع الكوفة، حتى أدرك ساستها سوء العمل، وأدركوا أن هذا البيان سيؤثر مفعوله في الخارج بصورة عامة، وفي البلاد الإسلامية بصورة خاصة، فأرادوا أن يموهوا على العالم المتمدن بطمس الحقائق، فعمدوا على نشر بيان مزيف سداه الكذب، ولحمته التزوير والبهتان[٤] وأذاعوه في ٢٢ ذي القعدة (١٧ آب) وفيما يلي نصه:

(وافت الأنباء منذ بضعة أيام من مصدر ذي شأن يعتمد على صحته، أن جامع علي في الكوفة يستعمله الشيوخ العصاة مركزاً لأعمالهم، وبينما كانت الطيارات محلقة

---

(١) وهما بخيت وسكينة الخالديتان من أهالي مسجد الكوفة، يبلغ عمر الأولى ٦٠ سنة، والثانية ٥٥ سنة، كانتا تتحدثان في أمر ببداية طريق مسجد الكوفة ـ مسجد السهلة وسقطت القذيفة بينهما.

(٢) توصلنا إلى معرفة اثنين منهما، الأول: فرحان موسى الخالدي (أخ الحاج تومان موسى الخالدي) وعمره يومذاك ١٥ سنة، والثاني: هادي السيد هاشم اللبان وعمره ٨ سنوات، وبضمن هذا الحادث قتلت إحدى القذائف أخت تومان موسى الخالدي المذكور وعمرها يتجاوز العشرين عاماً. انظر: الكوفة في ثورة العشرين للمؤلف ١١٢.

(٣) كامل سلمان الجبوري: وثائق الثورة العراقية ـ مخطوط ـ ٦/٥.
الحسني: ن.م ١٦٩، فريق المزهر: ن.م ٢٩٣.

(٤) فريق المزهر: ن./ ٢٩٣.

فوق الكوفة أطلقت عليها الناس من هذا الجامع، فقابلتها الطائرات بالمثل، غير عالمة أنه جامع، وألقت قنابلها في جواره، ومع ذلك وإن كان هذا الجامع وغيره من الجوامع قد استعمله العصاة لأغراض عسكرية فقد صدرت الأوامر بأن لا تلقى عليها القنابل حتى وإن كانت مستعملة بمثابة مواقع لإطلاق النار منها على جنودنا وعلى طياراتنا)[1].

سقوط حكومة الاحتلال في النجف:

ساس علماء النجف ورجال العمل فيها وزعمائها أمر إسقاط حكومتها، وإن يكون ذلك بدون إراقة دماء، ولذا تعطلت حكومتها الصورية فيها وقتاً ما، ولولا دهاء رجال الأعمال فيها وزعمائها لسالت فيها الدماء، فإن الثوار فيها كثيرون ولكنهم ارتبطوا بعقلاء البلد فأوقفوهم عن التسرع.

إنزال العلم البريطاني:

ففي ليلة ٤ ذي القعدة ١٣٣٨هـ (٢٠ تموز ١٩٢٠م) سرق الوطنيون علم الإنكليز من دار الحكومة الرسمي وخرقوه تخريقاً تاماً وتركوه بمكانه. وفي اليوم التالي أبد له حميد خان ممثل الحكومة هناك.

وفي ليلة ٥ ذي القعدة: سرقه النجفيون مرة ثانية وتركوا عمده فارغاً.

وفي يوم ٥ ذي القعدة: قتل رئيس الشرطة عبد الصمد.

وفي يوم ٦ ذي القعدة: أنزل النجفيون علم الإنكليز وأعلنوا ثورتهم ضدهم بشكل علني.

تقسيم تركة الإنكليز:

بعد ذلك اغتنم النجفيون بقية السلاح الإنكليزي البالغ مائتي بندقية تقريباً وقسموه على أحياء النجف الأربعة، ووضعوا أيديهم على دور الحكومة وأموالها، وقد استرجع كردي بن عطية أبو كلل خان أبيه المغتصب من قبل الإنكليز والواقع شرقي البلد وخارج سورها، وقد أبقى النجفيون دفاتر الإنكليز وبعض أسباب إدارتهم وأسباب المدرسة والمستشفى مع طبيبه الهندي.

تشكيل الحكومة الوطنية:

بعد انحلال حكومة الاحتلال اهتم النجفيون في تشكيل حكومة وطنية حتى لا تبقى

---

(١) جريدة العراق ـ العدد ٥٨ في ٧ آب ١٩٢٠، الجبوري، وثائق الثورة العراقية.

البلاد في حالة فوضى، فانتخبوا ستة عشر رجلاً من أشراف البلد وأعيانها وأدبائها ليباشروا في تشكيل الحكومة، ولانشغال الوطنيين بمحاربة الإنكليز المحاصرين في الكوفة وغيرها تأجل مؤقتاً.

وفي ٢٧ ذي القعدة ١٣٣٨هـ (١٢ آب ١٩٢٠م) وفي الساعة (٣) حلقت في سماء النجف طيارتان وألقتا بعض المنشورات السلمية ومضمونها:

إلى أهالي النجف: إن حكومة الإنكليز تستحسن سير النجف وعدم إشهارها السلاح على الحكومة، والذي تريده من النجفيين الدوام على هذا الحال وإن لا تنضم إلى عشائر الشامية، والحكومة الإنكليزية تعرف المفسدين وتقدر على معاقبتهم وليست كالأتراك الذين أفسدوا البلاد وظلموا أهلها، فإن إنكلترا دولة عدالة ورحمة.

وما إن حلقت الطيارتان في سماء النجف أطلق عليهما الرصاص من جميع جهات البلد، في حين أنها تلقي بتلك المناشير المفسدة.

وعادت الطيارتان من النجف وحلقتا في سماء الكوفة، وألقتا أربع قنابل، اثنين في جانب البلد، والباقي في الضفة اليسرى، وقد أصابت القنابل حماراً فقتلته.

النجفيون في ساحة القتال:

وفي يوم ٢٨ ذي القعدة تم تجهيز مئات من المجاهدين النجفيين لغرض إرسالهم إلى ساحات القتال، وفعلاً سافر هؤلاء بزعامة السيد كاظم السيد علي السيد سلمان، وغازي شربه، وقد بقي ثالثهم السيد كريم السيد سلطان السيد سلمان لغرض القيام بما يحتاجه المتطوعون وإرساله إليهم.

وبلغ عدد المسلحين المذكورين ثلاثمائة، وقد سافروا مساء هذا اليوم، وشيعهم جمع غفير من أهالي النجف، فقد غص الصحن الشريف بالعلماء والطلاب والسادات والأعيان، وخرجوا لتوديع المتطوعين بين الألوية المنشورة والأسلحة المشهورة، وقد تعالت الأصوات بالتهليل والتكبير، فكان مشهد توديعهم من أعظم المشاهد.

وفي مساء ١ ذي الحجة تحرك الموكب الثاني من المجاهدين بزعامة السيد نعيم السيد رعد، وجرى توديعهم من قبل العلماء والأعيان.

واستمرت مواكب النجفيين يتعاقب بعضها وراء بعض ابتداء من ٨ ذي الحجة، فقد سافر موكب محلة العمارة أصحاب كردي بن عطية، وموكب محلة المشراق،

وموكب النجفيين المهاجرين من جبل حائل وهم بازاء بدو شمر، ومعهم الطبل العربي وينشدون نشيد شمر أصحاب مغيض بن سعد راضي، وسافر موكب البراق بمعية مطلق المعمار، وكان اتجاه هذه المواكب إلى الجبهة الغربية والتحقوا بإخوانهم النجفيين أصحاب السيد كاظم السيد سلمان في سدة الهندية.

تشكيل المجلسين التشريعي والتنفيذي:

بعد سفر النجفيين المحاربين إلى جبهات القتال، مسّت الحاجة إلى تشكيل حكومة وطنية تدرأ عنهم مفاسد الفوضى، فنادوا كلهم بضرورة تشكيل مجلسين في النجف، تشريعي وتنفيذي، وتألفت لذلك لجنة جمعت أفاضل النجف وأعيانها وأشرافها منهم: الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ جواد الجواهري، و....آل النقيب، والشيخ مهدي الملا كاظم، والحاج محمد جعفر أبو التمن، والحاج محسن شلاش.

ومهمة هذه اللجنة تقرير صورة الانتخاب وقانونه الذي يجب أن يتبع، فقرروا عدد أعضاء التشريعي ثمانية، والتنفيذي أربعة، وهم رؤساء المشاهدة، كما أن الثمانية من غيرهم. ومن قرارات اللجنة وضع صناديق في رؤوس الأسواق لتكون ظرفاً لأوراق الانتخاب.

وتم وضع هذه الصناديق يوم ١٠ ذي الحجة، وفتحوها يوم ١١ منه فكانت النتيجة كما يلي:

محلة الحويش: السيد سعيد كمال الدين والسيد ضياء الخرسان.
محلة العمارة: السيد عباس النقيب والسيد علوان الخرسان.
محلة البراق: عبد الجليل ناجي ومحمد جواد عجينة.
محلة المشراق: حمود شبيل وعباس شمسة.

وفي يوم ١١ ذي الحجة عقدوا أول اجتماع في دار السيد عباس النقيب وقرروا أن يكون محلهم ومقر حكومتهم هي الدار الملاصقة للباب الكبيرة شرقي البلد وعقدوا فيها اجتماعهم يوم ١٢، وقرروا تأليف حرس وطني ليحافظ على النظام في البلد وعدده ستون، ثم توالت جلساتهم صباحاً ومساء، وباشروا في تنظيم البلد وتضمين وارداتها، ولكن لقلة وجود الأعضاء الأحرار العاملين بينهم أوجب استقالة السيد سعيد كمال الدين والسيد ضياء الخرسان في ٢٥ ذي الحجة، وعدم حضور عبد الجليل ناجي. مما

جعل المجلس في حالة انحلال تام، ولكن محمد جواد عجينة حاول أن يبقي له صورة لم تدم أكثر من أسبوع حتى انحل تماماً ولم يبق للبلد مجلس، فاختل النظام.

حيث أن المجلس تمكن من إسراج البلد وإضائته، وتنظيف السكك والأزقة وترتيب الحرس الوطني، وإعادة البلدية ورئيسها الحاج عبد الرزاق شمسة، والمالية بيد الحاج محسن شلاش، وجعلوا كل موارد البلد تحت الضمان، وبذلك أوقفوا الفوضى، وأمنت الناس، وتحسنت التجارة، ولم يقع أقل حادث مشوش من سرقة وغيرها[1].

المجلس العلمي الأعلى:

إلى جانب هذين المجلسين التشريعي والتنفيذ، قام هذا المجلس للإشراف على شؤون الثورة العامة، وإدارة أمورها، وإصدار التعليمات المقتضية لهذين المجلسين، والقضاء في المشكلات التي تحصل آنياً، أي أن أعضاءه يجتمعون إثر كل حادثة أو مشكلة لإيجاد الحلول والمنافذ المناسبة لها، وكان الاجتماع يعقد تحت رئاسة شيخ الشريعة، أما أعضاء المجلس فهم:

١ - الشيخ فتح الله شيخ الشريعة.

٢ - الشيخ عبد الكريم الجزائري.

٣ - الشيخ جواد الجواهري.

٤ - الشيخ مهدي الملا كاظم.

٥ - الشيخ موسى تقي زاير دهام.

٦ - الشيخ إسحاق حبيب الله.

٧ - الشيخ مشكور الحولاوي.

٨ - الشيخ علي الحلي.

٩ - الشيخ عبد الرضا الشيخ راضي.

١٠ - الشيخ أحمد الملا كاظم.

١١ - الحاج عبد المحسن شلاش.

١٢ - السيد محمد علي بحر العلوم.

١٣ - السيد محمد رضا الصافي.

١٤ - السيد علي السيد حسين.

---

(١) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٨٣ - ٨٩ بتصرف.

١٥ - الشيخ علي المانع[١].

تسفير حميد خان من النجف إلى كربلاء:

بعد إنزال العلم البريطاني من دار الحكومة في النجف يوم ٦ ذي القعدة ١٣٣٨ أصبح حميد خان معاون الحاكم السياسي في النجف مجبوراً على أن يلقي (الدخالة) عند رؤساء النجف، وصار جليس داره خوفاً من بطش الثوار.

ولما كان لحميد خان علاقة وطيدة مع مجموعة من أمثاله الخونة، الذين غرهم الأصفر فتركوا دينهم وسحقوا وطنيتهم فأعانوا الأجنبي، وآخرين جبلوا على المداهنة والمحاباة، فقد سعى أولئك بإرساله معززاً إلى كربلاء، حيث توسلوا لبعض زعماء الثورة مما أصبح لا بدّ من اصطحابه ليحموه من القتل.

ففي أواخر العشرة الثانية من ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ سافر حميد خان ومعه الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي والسيد كاظم السيد سلمان وبعض النجفيين ومعهم موسى بن علوان الحاج سعدون وأوصلوه إلى كربلاء، وبعد انكسار الجيش الإنكليزي في كربلاء ألقي القبض على حميد خان ونفوه إلى بلدة الهندية محبوساً[٢].

جلب المدفع من الرارنجية إلى الكوفة:

أسفرت معركة الرارنجية عن وقوع مدفع عيار ١٨ بوند[٣] بيد الثوار مع قنابل كثيرة، منها ما يصلح للمدفع وأخرى يدوية، ولما كانت الباخرة الحربية (فاير فلاي) في شط الكوفة تقلق بال الزعماء،و تقض مضاجعهم بما كانت تصبه من النيران المتواصلة على الثوار، وذلك لمنعهم من التقرب إلى الحامية، فقد قرر الزعماء أن يرسلوا هذا المدفع الذي غنموه في الانتصار الرائع إلى الكوفة للتخلص من الباخرة المدرعة المذكورة، ولضرب الحامية الإنكليزية.

---

(١) الحسني: ن.م ٢١٠.

(٢) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ٨٩ - ٩١ بتصرف.

(٣) كتب الجنرال هالدين في ثورة العراق ١٣٩: (... وسقط مدفع من عيار ١٨ باون في قناة بعيدة الغور إبان الانسحاب الليلي - من الرارنجية - ولم نستطيع على الرغم من الجهد الباذل الشجاع إلى إخراجه سبيلاً، لذلك اضطررنا إلى تركه فيها).

وكانت تنقص هذا المدفع آلة هي التي تسمى بالإبرة، واصطلح عليها باسم (المغلاق) وقد رفعها من المدفع الضابط الإنكليزي[1] الذي أدرك أن المدفع قد يقع حتماً بيد الثوار أنفسهم، أو على أثر انتزاع إحدى الآلات النحاسية اللماعة من المدفع، التي ظنها بعض الثوار ذهباً فكسروها، وكان سبب ضياع الإبرة، وكيفما كان فقد جيء بالمدفع إلى الكوفة.

قصة المدفع:

وللمدفع قصة طويلة ذكرها وحقق عنها بالتفصيل بحقائق صحيحة الأستاذ جعفر الخليلي (فراتي) في كتابه (على هامش الثورة العراقية الكبرى)[2] ونظراً لكونها فريدة في التحقيق، وموثقة في صحتها، ننقلها بكاملها، وقد دعمناها بهوامش وتعليقات.

الضباط المدفعيون:

وكان من الضباط العسكريين الذين خدموا في الجيش العثماني ثلاثة من المدفعيين قد التحقوا بالثوار[3]، وهم: حسين علوان، وزكي أمين، ومحمود

---

(١) اعتاد الجنود أن يخفوا مغليق مدافعهم وبعض آلات بنادقهم عندما يغلبون في ساحات القتال لئلا يستعمل عتادهم ضدهم، ولم يشذ الإنكليز عن هذه القاعدة، فلما فقدوا المدفع المذكور أخفوا مغلاقه في محل مجهول.

(٢) ط بغداد ١٩٥٢.

(٣) ذكر السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه «الثورة العراقية الكبرى» ص١٣٢: (أما الضباط العراقيون الذين ساعدوا بعض القبائل في تنظيم أمور القتال في بعض الميادين والجبهات، أو حفروا لهم الخنادق، أو دربوهم على استعمال الرشاشات التي غنموها، وكذا المدفع الذي دمروا به الباخرة (فاير فلاي) في (شط الكوفة) فهم:

١ - اسماعيل حقي آغا
٢ - شاكر محمود قنبر علي
٣ - الحاج شاكر القره غولي
٤ - الحاج محمود رامز
٥ - حسين علوان
٦ - محمود سامي
٧ - سعيد حقي
٨ - فؤاد المدفعي
٩ - الحاج طالب الجدة
١٠ - إبراهيم مهدي
١١ - سامي نقشلي
١٢ - داود الميكانيكي
١٣ - سامي خونده
١٤ - زكي الكردي

وكان معظم هؤلاء من المستخدمين في الجيش العثماني، وقد تبرعوا بدمائهم لنصرة الثوار، إلا أن خدماتهم فيها كانت محدودة، ولم يشتركوا إلا في مواضع معينة، ولا سيما في جسر الكوفة، حيث استخدموا المدفع الذي غنمه الثوار في جبهة الرستمية فصوبوه ضد الباخرة البريطانية (فاير فلاي).وهذه الأسماء كان قد جمعها ممن ذكر اسمين أو ثلاثة من الذين اشتركوا في ضرب الباخرة المدرعة المذكورة.

سامي[1]. وإن حسين علوان هذا قد خرج من بغداد لينضم إلى الثوار بناء على دعوة أمين خالص (المفتش الإداري بوزارة الداخلية فيما بعد) وقد ذكر المقدم حسين علوان وغيره أن أمين خالص حاول عبثاً أن يمده بمبلغ من المال ليستعين به كمساعدة وطنية عند خروجه للالتحاق بالثورة، فرفض حسين علوان المبلغ والتحق بالثوار، وهو أحوج ما يكون إلى المال.

فحص المدفع:

وحين جيء بالمدفع عرض على هؤلاء الثلاثة، ثم جيء بهم إلى مسجد الكوفة ـ حيث مقر القيادة ـ لاستماع أقوالهم، فأيدوا عدم إمكان استخدام المدفع هذا للأغراض الحربية ما لم يتم الحصول على الإبرة، وضبط الاستقامة، وكان هذا بمحضر الشيخ علوان الحاج سعدون والحاج محسن شلاش، والشيخ عبد الكريم الجزائري، ولكن حسين علوان تعهد بأن يستعمل المدفع على رغم عدم وجود الإبرة، وعلى الرغم من عدم إمكان ضبط انطلاق القنبلة واتجاهها، وقد عورض حسين من قبل زميليه، وانزعج ـ وربرب ومذهب وشتم ـ وكلما فعل حسين علوان بعد ذلك هو أنه طلب حداداً ينجز له ما يريد، فجاء له الحاج أمين عزيز كرماشة بـ(اسطة كديمي) كما ساعده في عمله الحاج رضا سلمان الصيكل.

التجربة:

ولكي يثبت حسين علوان ادعاءه، ولكي يبرر غضبه الذي دعاه ـ للربربة والتمذهب ـ مشى في جمع من الشيوخ والضباط وانتزع الرصاص، وفرغ البارود من إحدى القذائف، وكان (اسطه كديمي) وهو صيقل قديم يتعاطى إصلاح البنادق، وقد أحضر المطرقة التي طلبها حسين علوان وثقب له ثقباً في المكان الذي أراد من المدفع،

---

(١) يقول علي البازركان في كتابه (الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ص١٥١): (أما بصدد تعمير المدفع، فقد أرسلت الضابط فؤاد القاضي المدفعي، والضابط زكي أمين المدفعي، إلى النجف، وكنت قد أرسلت من قبله السيد طالب الجدة، والضابط السيد جميل قبطان لإصلاح المدفع المذكور).

وحول سامي النقشلي المذكور أورد الدكتور عبد الله الفياض في كتابه (الثورة العراقية الكبرى ص٢٥٨) قائلاً: (كان السيد سامي النقشلي ضابط رشاش في جنقلعة بتركية، واشترك بحرب الإنكليز هناك، وعاد إلى بغداد بعد الهدنة، فانتسب إلى جمعية العهد، وكانت هذه الجمعية سرية، ولم يسمح لكل عضو أن يطلع على أسماء جميع الأعضاء. وبعد أن أعلنت الثورة في ٣٠ حزيران التحق بها مع آخرين من أعضاء الجمعية، وكانت الجمعية تمدهم بمصاريف السفر. وقد التحق سامي النقشلي بمنطقة السماوة، وانتحل لنفسه اسم (محمود التركي) وعرف بهذا الاسم هناك خوفاً من أن تنتقم الحكومة الإنكليزية من أهله ببغداد).

وجهزه بقضيب من الحديد على هيكل مسمار طويل كبير، فوضع حسين علوان القذيفة الفارغة وضرب على المسمار بالمطرقة الخاصة في طريق الثقب فانفجرت الكبسولة، وتعالت الصلوات، فكان الشيخ علوان الحاج سعدون أول من بارك لحسين علوان نجاحه، وقدت تغرغرت عينا الشيخ الجزائري، والسيد أبي القاسم الكاشاني بدموع الفرح.

وانتشر خبر هذه التجربة في الأوساط، فإذا بالنجف تموج بالهوسات وإذا بالبشائر يتناقلها الناس، ومن مجلس لمجلس، بأن الضباط المدفعيين قد نجحوا في استخدام المدفع، وأن القوات الإنكليزية المحاصرة ستغدو شذر مذر إذا لم تستسلم اليوم وفي خلال بضع ساعات.

تسرب القلق:

ومرت ثلاثة أيام، وكان الضباط يبذلون المسعى لضبط إطلاق القنابل خوفاً من أن تشرق الطلقة أو تغرب عند إطلاقها، لعدم وجود ما يضبط الاستقامة، وأعطيت الأوامر بإخلاء منطقة واسعة مما تجاور المدفع من جانب النهر الأيمن، ومن أطراف الجهة المعروفة بشريعة (أم التبن)[1] ومما يلي (علوة الفحل)[2].

ومع ذلك فق استبطأ الناس هذه الأيام، وبدأت الشكوك تتسرب إلى النفوس لِمَ لمْ يطلق المدفعيون؟ ولِمَ لمْ يوجهوه إلى الخانات المحاصرة وإلى الباخرة المدرعة (فاير فلاي)[3].

الثوار ينذرون السلطة البريطانية:

وهنا وجه مندوبو الثوار إلى الميجر نوربري، الحاكم السياسي للواء الشامية والنجف المحاصر في الكوفة إنذاراً خطيراً في منتهى الحدة والتشدد، وفيما يلي نصه:

إلى قائد الحامية الإنكليزية المحاصرة في الكوفة.

---

(١) شريعة أم التبن: وهي المسناة النهرية الواقعة على يسار شط الكوفة، وهي تبدأ من البو خشان من أراضي البوحداري، ضمن مقاطعة علوة الفحل شمالاً، وتنحدر نحو الجنوب حتى تصل إلى بناية كلية طب الكوفة الحالية، وكان يمتلكها الشيخ مهدي آل كاشف الغطاء النجفي.

(٢) علوة الفحل: وهي قرية تشمل جهتي النهر، يحدها شمالاً ناحية الكفل، وشرقاً نهر الفرات، وغرباً كري سعدة، وجنوباً محلة السهيلية، وتسكنها عشائر بني حسن.

(٣) فراتي: على هامش الثورة العراقية الكبرى ٨١ - ٨٤.

إن الجيوش العربية قد زحفت نحو الأمام، وصادمت القوة الإنجادية التي كانت سائرة نحوكم من الحلة، المؤلفة من (٣٠٠٠) من مشاة وخيالة ومدفعية، فاستولت على المعسكر هذا في الرارنجية بعد عراك دام ثلاث ساعات، فأسفرت عن قتل جميع الجنود عدا (٢٤٠) فيهم الإنكليز والهنود الذين وقعوا أسرى بيدنا، وهم الآن تحت قبضتنا ترعى جميع حقوقهم المدنية.

وغنمت جيوشنا في تلك المعركة جميع المهمات الحربية من مدافع ورشاشات وبنادق وقنابل وخيل وبغال وكلها صالحة للاشتغال، وظلت جيوشنا المنصورة سائرة، فاحتلت الكفل وطويريج والحلة وكربلاء والمسيب وقطعت خطوط المواصلات الحديدية بين الحلة وبغداد.

ثم إن قبائل الرميثة والديوانية طاردت جنودكم فاضطرتهم إلى التقهقر وتخليتهم الرميثة والديوانية وعفك والدغارة، والآن محصورة في قوجان (بين الحلة والديوانية) منذ ثلاثة أيام وقد قطعت خطوط السكك الحديدية بينهم وبين الحلة.

وأما السماوة فقد احتلتها القبائل أيضاً وحاصرت جنودكم في المحطة شرقي البلدة، مقطوعة عنهم جميع الإمدادات والمواصلات، وربما تضطر إلى التسليم بعد قليل من شدة العوز.

فنظراً إلى الوضعية الحاضرة، والمدافع التي صارت تحت قبضتنا، أنتم مجبورون على التسليم والإذعان لمقاصدنا الشريفة دون أن تكونوا سبباً لإراقة الدماء، وإذا طالعتم الحقيقة أيها البريطانيون المحصورون هنا، ترون أنه لم يكن لحكومتكم المعظمة في هذا الموقف معنا، إلا المطامع دفعتهم لنقض العهود، والخلف للوعود، وإرغام الأمة العراقية بسيطرتها، وسلب حريتها، ومنعها من طلب استقلالها، فاضطرتنا للخوض في نار الحروب طلباً لحقوقنا الطبيعية في الحياة، بعدما دافعنا بكل وسعنا عن عدم نشوبها، كما لا يخفى عليكم...

فنحن نخاطبكم بلسان الإنسانية، ونقسم عليكم بمبادئ المدنية، أن تراعوا جانب الحق والإنصاف، وتكونوا سبباً لإطفاء هذه الثائرة، وتسلموا أنفسكم سلماً بلا حرب وحقوقكم المدنية محفوظة لدينا، لأنها من موجبات ديننا الإسلامي الشريف، الذي علمنا مبادئ الديمقراطية قبل أن تعرف في العالم، تكونوا آمنين على حياتكم بشرف الإسلام والإنسانية، وإن أبيتم إلا العناد والإصرار على ما أنتم عليه فإننا نضطر إلى إطلاق المدافع الضخمة، وإلقاء القنابل، وإطلاق الرشاشات، وتكونون أنتم السبب لتخريب

الأماكن التي تحصنتم بها في داخل البلاد على خلاف القوانين الدولية، وكذلك أنتم المسؤولون أمام الله والعدل، عن النفوس التي تضحى من الفريقين وإراقة الدماء بلا جدوى، ومن أنذر فقد أعذر.

السيد نور السيد عزيز علوان الحاج سعدون الحاج محسن شلاش[1]

إغراق فاير فلاي:

وأخيراً استعمل حسين علوان المدفع ووجهه إلى الخانات المحاصرة، فأطلق منه ثلاث طلقات قصد بها التجربة لضبط المقياس، فإذا به يصيب من الباخرة (فاير فلاي) مخزن عتادها، فيقفز منها من يقفز إلى الحصن الكائن على النهر، ويلقي حتفه من يلقى[2] حتى قلبوها ودمروها في ١٧ آب ١٩٢٠م (٢ ذي الحجة ١٣٣٨هـ) فاستراح الزعماء من شرورها[3]، وظلت هذه الباخرة مدة من الزمان شاخصة بسواريها وأعمدتها الحديدية في النهر كرمز من رموز بطولة الثوار، وكانت ضربة توقى بها الثوار كثيراً من المشاكل، إذ لولا تلك القذيفة لظلت هذه الباخرة بمجرد صعود مناسيب الماء في الفرات تشرق وتغرب بين سدة الهندية والشامية (وأبو صخير) ولألحقت من جراء ذلك شيئاً كثيراً من الخسائر بالمدن والقرى، ولسببت للثوار مشاكل بعيدة المدى[4].

---

(١) فريق المزهر: ن.م ٢٤١ – ٢٤٢، الجبوري: وثائق الثورة العراقية ـ مخطوط ـ ٤/ ٧ – ٨.

(٢) فراتي: ن.م ٨٤.

(٣) الحسني: ن.م ١٦٣.

(٤) كتب السيد علي آل بازركان في الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ص١٥٢ – ١٥٣ ما يلي: (لما غادرنا كربلاء إلى النجف يوم ١٨ آب ١٩٢٠ ومن هناك ذهبنا إلى الكوفة، فوجدنا أن المدفع لم يصلح إلى ذلك الوقت، فراجعت الشيخ جواد صاحب الجواهر من أجل ذلك، وقد أمر ولده الشيخ محمد أن يسهل احتياطات الضابطين فؤاد وزكي أمين المدفعي، وكانا قد طلبا أحد مهرة الحدادين ليكون معهما، فلما حصلا عليه تم تعمير المدفع وكان قد وضع غربي الكوفة بمحل يبعد ٤٠٠ متراً عن خان اليزدي، فذهبنا إليه ووجدنا عنده كلاً من طالب الجدة وحسين علوان، وقد استعنا بأفراد من عشيرة بني حسن لحمل القذائف، هذا ووضع الضابطان فؤاد وزكي قذيفة في المدفع وأغلق عليها الباب فضرب حسين علوان كابسولة القذيفة بمطرقة ضخمة، ولما ثارت ارتفع المدفع ما يقارب الفوتين عن الأرض، وكانت الإطلاقة قد استقرت في الباخرة فاير فلاي، ولما اكتشفت الحامية جهتنا وجهت علينا جميع نيران رشاشاتها، فاختبأنا بين أشجار الغرب والصفصاف الموجودة أمامنا على ساحل النهر، وبعد ذلك رمينا الباخرة بثلاث قذائف آخر استقرت اثنتان منها في بطن الباخرة فمالت نحو اليسار وغرقت، وأما الثالثة فقد أصابت ساحة خان السيد اليزدي، وقد حاول بعض الأفراد المحاصرين من الإنكليز إنقاذ بعض الأشياء من الباخرة حينما أوشكت على الغرق فتم لهم ما أرادوا إذ رموها على شاطئ الخان).

وهنا يختلف تاريخ إغراق الباخرة، إذ يقول الحسني في ١٧ آب، ويقول آل بازركان أن خروجه من كربلاء إلى النجف هو يوم ١٨ آب، ومراجعاته للعلماء وإرسال أحد مهرة الحدادين، واستعمال

وبهذه المناسبة صدر بلاغ عسكري من الثوار في النجف بتاريخ ٢٠ ذي الحجة ١٣٣٨هـ تحت عنوان (بشارة)، جاء فيه:

(صبيحة هذا اليوم أطلق مدفعنا الضخم نيرانه على حصون العدو في الكوفة فتعطل (القراوزر)[1] الراسي أمام دار الحاكم المحصور وأغرق.

وجرى هجوم العرب على الحصون فأسقطوا أكبرها وهو المعروف (بخان الوقف)[2] والمنتظر سقوط الكوفة كلها بعد ساعة أو ساعتين إن شاء الله)[3].

الحصول على إبرة المدفع:

وبعد أن تم إغراق الباخرة، أشار الضباط الذين التحقوا بالثورة على المرحوم علوان الحاج سعدون بأن الحصول على إبرة المدفع من عيار ١٨ صحراء ليس من الأمور الصعبة إذا استطاع أن يوفد أحداً إلى بغداد ليتصل هذا ببعض الضباط الوطنيين من المدفعيين، وليتذاكروا معهم كيفية الحصول على هذه الإبرة والذي عرف وقتذاك هو أن المرحوم الحاج محسن شلاش قد دفع لأحد الأشخاص ٩٠ ليرة وقيل ٢٥ ليرة بل قيل ٢٠ ليرة، لينفقها أجور استخدام العاملين على الحصول على هذه الإبرة، وينفق منها أجوراً للطريق، أما هذا الشخص المدفوع له المبلغ فهو (السيد داود) وهو يبيع أدوات السيارات اليوم بشارع غازي (في النجف) وقد اتصل هذا ببعض الضباط ببغداد، واتصل أولئك الضباط بأحد الضباط الهنود المسلمين في الجيش الإنكليزي (بالهنيدي)

المدفع، لا بد أن يستغرق عدة أيام ـ فيكون بعد يوم ١٨ آب. ولكن الأصح هو الأول، إذ أن البلاغ العسكري الصادر في النجف والمبشر بإغراق الباخرة على أيدي الثوار كان مؤرخاً في ٢ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ ١٨ آب ١٩٢٠م).

(١) القراوزر: المقصود به الباخرة المدرعة (فاير فلاي).

(٢) خان الوقف: وهو خان الرفيعي الكليدار على شاطئ الكوفة، وقد اتخذته السلطة جزءاً لحاميتها.

(٣) الجبوري: وثائق الثورة العراقية ـ مخطوط ـ٥/ ٣٠، د. عبد الله الفياض، ن.م ٢٨٨، سر المرهالدين: ثورة العراق ص٢٤٩ وفيه: (وشاء حظنا العاثر أن يحصل الثوار على مدفع من عيار ١٨ رطلاً إبان كارثة الـ ٢٤ تموز في طريق الكفل، وعلى الرغم من كونه بدون مغلاق ـ إذ تم رفعه منه قبيل الاستيلاء عليه ـ فلقد استطاع أحدهم أن يصنع له بديلاً خاماً.

وتم في اليوم الـ١٧ إطلاق النار منه على الباخرة (فاير فلاي) وأصابت الإطلاقة الأولى منها مقتلاً، فاندلعت ألسنة النيران فيها، وخيف من حدوث انفجار في مخزن الوقود فيها، وما يستتبع ذلك من إلحاقه الضرر بالحامية وذلك أن السفينة كانت راسية قرب البيوت التي كانت تحل فيها وعلى ذلك جرى إغراق الباخرة بمذافع (لويس) عن طريق ثقوب صفائحها، وجرى قائدها الباسل (الكابتن مين) قبل ذلك، وأصابته النيران بلفحاتها فمات بعد يومين اثنين، كما قتل جنديان بريطانيان من نوتية السفينة وجرح آخر).

فدفع به الشعور الإسلامي لنصرة الثوار، وسرق الإبرة المطلوبة ودفع بها إلى أصدقائه ثم دفع بها هؤلاء إلى السيد داود وحملها هذا إلى الثوار في الكوفة.

هذا ما كان معروفاً يومذاك، أما المقدم المتقاعد حسين علوان وهو المدفعي الذي استخدم المدفع لضرب الباخرة قبل الحصول على الإبرة، فقد أيد الرواية تأييداً تاماً، وأضاف عليها بأن الحصول على الإبرة من معسكر الهنيدي وتسخير بعض الضباط من الهنود المسلمين إنما جرى بمسعى الحاج جعفر أبو التمن، والسيد علي البازركَان، فهما اللذان دبرا أمر سرقة الإبرة، واستخدما لذلك مختلف الوسائط، وهذا لا ينافي أن يكون سماحة السيد هبة الدين الشهرستاني قد دفع للسيد داود ست ليرات كهدية أو مساعدة إلى جنب مساعدة المرحوم الحاج محسن شلاش أو جنب ما بذل المرحوم جعفر أبو التمن[1].

مصير المدفع:

لم يكن المدفع يصلح للاستعمال لضرب الحصن قبل أن تجيء الإبرة من بغداد وذلك لأسباب فنية أخرى، وعندما جيء بإبرة المدفع على الطريقة التي ذكرناها قبلاً، بدأ العمل لجعل هذا المدفع جاهزاً للقيام بأعماله على النحو المطلوب، وقد سوى القسم الذي كان قد انتزعه الثوار وكسروه باعتباره ذهباً فسواه (اسطه كديمي) فلم يحتج المدفعي بعد ذلك إلى أن يمسك بيده إحدى آلاته، ويضرب المدفعي الآخر الإبرة بالمطرقة، فقد كان ذلك لم يخل من خطر، وقد أصيب (حسين علوان) في أثناء إطلاق

---

(١) كتب السيد علي البازركَان في الوقائع الحقيقية ص١٥١ - ١٥٢ ما يلي:

(بعد أن انتهت واقعة الرارنجية كنت أشترى العتاد وخراطيش الرصاص من الهنود الذين يشتغلون في الجيش البريطاني في بغداد، وكنت أدفع للذي يعطيني أكبر كمية من الخراطيش ٣٠٠ روبية، وللذي يعطيني أقل كمية ٢٠ روبية، وقد جمعت جملة كبيرة من الخراطيش في مدرسة التفيض الأهلية بهذه الواسطة.

وفي ذات يوم أخبرني السيد كاطع العوادي أن شخصاً اسمه (السيد داود) قدم إلى بغداد من الفرات وقد أرسل من قبل السيد هبة الدين الشهرستاني أو من قبل مرزا أحمد، ثم جاءني بداود إلى مدرسة التفيض وأخبرني أن الثوار محتاجين إلى (الكبسول) لشد الخراطيش، وإلى إقامة (مغلاق) مدفع. وحينما أخذت منه مقاييس (المغلاق) واجهت أحد الجنود الهنود اسمه (غلام شهيد) وطلبت منه أن يحضرها لي خلسة كما هي عادته من المعسكر البريطاني، وفي اليوم التالي جاءني بها فدفعت له ٣ ليرات ذهبية وقد أرسلت ما تجمع من الخراطيش والكبسول بيد السيد عبد الرحمن الخضر ليوصلها إلى كربلاء ومن هناك إلى النجف فساحة المعركة. كما أنني أرسلت مغلاق المدفع مع السيد داود، وبعد مدة جاءني خبر مفاده أن المدفع لم يكن يحتاج إلى مغلاق (قامة) وإنما كان محتاجاً إلى رفاس (زناد) فحصلت على الزناد المطلوب من الهنود أيضا. وأرسلته إلى النجف الأشرف مع السيد داود أيضاً).

القذيفة على الباخرة (فاير فلاي) بضربة على رأسه من جراء القيام بضربة المطرقة بسبب هذه الطريقة فسبح من جرائها بالدم، وقد أسعفه سماحة آية الله (السيد أبو القاسم الكاشاني) الزعيم الروحاني الوطني بإيران نفسه تبركاً له، وتناول منديلاً حريرياً من المناديل اليزدية التي كانت شائعة يومذاك، فعصب بها رأس (حسين علوان) بيديه، وقد كان (حسين علوان) يحتفظ بذلك المنديل إلى وقت قريب، وعليه بقع من دمه كان يريها للناس في بعض المناسبات ويقول لهم: (ألا يكفي أن يكون هذا شاهداً على وطنيتي).

إشـــاعات:

وعندما أوشك أن يتم تجهيز المدفع للقيام بعمله شاعت في الأوساط يومذاك إشاعات طويلة فحواها أن هؤلاء الضباط ـ ولا سيما المدفعيين منهم ـ جواسيس يعملون للإنكليز ويتصلون بالشيخ علوان الحاج سعدون وهم يحملون له المال من الإنكليز لكي يحملوه على أن لا يحارب الإنكليز حرباً واقعية، وأن لا يضيق عليهم الحصار وهم في حصونهم بالكوفة، وكان الناس يرون أن من الأدلة الملموسة على خيانة علوان الحاج سعدون وخيانة حسين علوان خاصة هو إبعاد المدفع عن هدفه مسافة ميلين وأكثر، ولو كان علوان الحاج سعدون وهو الذي تولى محاصرة الجيش في خانات السيد جواد الكليدار وما جاورها، صادقاً في حصاره، وفي مضايقته للإنكليز لأمر بنقل المدفع من محله المقابل لشريعة (أم التبن) الواقع عند (آل خشان) من أراضي البوحداري التي تبعد عن الحصن الإنكليزي ما يقارب من ميلين وأكثر، وأنه لو كان صادقاً كما تقول الإشاعات لنقل المدفع إلى مقابل الحصن الإنكليزي الذي لا يفصل بين الحصن وبينه غير نهر الفرات، مما لا يزيد عرض المسافة بين الحصن وبين المدفع على ٢٠٠ متراً.

وانتشرت هذه الإشاعة وكثر اللغط في الأوساط، لا بل ثبت عند الناس بموجب منطقهم أن هؤلاء الضباط الذين التحقوا بالثورة، كانوا خونة وجواسيس، وأنهم هم الذين خدروا أعصاب الشيخ علوان الحاج سعدون، وأي دليل أكبر من وضع المدفع بعيداً عن هدفه، ومحاولتهم إطلاق النار من بعيد؟.

وزاد هذا اللغط شدة، وزادت الدعاية انتشاراً، عوامل كثيرة لم تجعل قبيلة بني حسن وآل فتلة، أوبني حسن ومدينة النجف، أوبني حسن ومدينة الكوفة، وهي القبيلة التي يرأسها علوان الحاج سعدون، لم تجعل هذه العوامل قبيلة بني حسن على وفاق مع هذه الجهات فتحولت تلك الشائعات إلى صرخات واستغاثات وادعاءات بأن على

علوان الحاج سعدون أن يتخلى عن محاصرة الإنكليز ليتولى غيره تلك المحاصرة وتصفية حساب المحاصرين، أو يأمر حالاً بنقل المدفع من محله إلى المحل المقابل للحصن، واضطر سماحة شيخ الشريعة أمام ذلك التيار من صخب الجماهير واحتجاجهم على إيفاد المرحومين الشيخ جواد الجواهري والحاج محسن شلاش لمقابلة علوان الحاج سعدون في الكوفة، وحمله للموافقة على نقل المدفع من محله إلى المحل المطلوب والاستعجال باستعماله نزولاً على رغبة الرأي العام.

نقـــل المدفـــع:

وواجه الشيخ جواد الجواهري، والحاج محسن شلاش، الشيخ علوان الحاج سعدون باسم شيخ الشريعة، وطلب منه الموافقة على نقل المدفع من (البوحداري) إلى مقابل الحصن الإنكليزي فاعتذر علوان الحاج سعدون بأن الضباط لا يرون ذلك من الممكن لأن المدفع إنما ينجز أعماله عن بعد، وأن القنبلة لتنطلق كما يقول المدفعيون على هيئة قوس، وتقع في المنطقة التي تعينها الاستقامة، وإذا كان بالإمكان الاستفادة من تقريب المدفع إلى هدفه فإن حفظه من مهاجمة الإنكليز أمر صعب، وقال علوان: إن سماحة الشيخ عبد الكريم الجزائري قد خرج بنفسه إلى الكوفة واطلع على الأسباب الفنية، فأقر فكرة بقاء المدفع في مكانه والذي ليس من المصلحة نقله إلى مكان آخر حتى يتم عمله ويصبح جاهزاً لإصابة الهدف.

وأحضر الضباط إلى مسجد الكوفة وبمحضر الشيخ جواد الجواهري والحاج محسن شلاش أدلى هؤلاء بآرائهم، وقد كان محمود سامي أشدهم معارضة لنقل المدفع لا بل أنه بكى وقال: إذا كنتم صممتم على نقل المدفع فإني أفضل أن تقتلوني قبل أن تأمروا بتقريب المدفع إلى هدفه، وقال صحيح أن المدفع لا يستطيع أن يؤدي عمله تماماً وهو في موقعه هذا لعدم الاطمئنان من اتجاه القنبلة، ولكن ذلك لا يبرر أبداً تقريب المدفع إلى الهدف.

ووقع الاختلاف فيما إذا كان بالإمكان الاستفادة من هذا المدفع إذا بقي في محله بحيث يؤمن من طلقته أن لا تذهب إلى اليمين أو إلى الشمال أو لا يمكن؟ وطال الجدل في هذا المجلس بين الضباط وبين الثوار، وكان علوان الحاج سعدون إلى جانب الضباط باعتبارهم اختصاصيين لا يمكن التدخل في شؤونهم خصوصاً وأنه أصبح يطمئن بحسين علوان اطمئناناً كبيراً بعد إطلاقه القنبلة على الباخرة وانفجارها، ولكن كلمة الجمهور

وإجماع الرأي العام قد أرغم علوان الحاج سعدون على قبول فكرة نقل المدفع فقرر نقله في الحال.

اتخاذ الاحتياطات:

وحين اضطر الضباط إلى إجابة طلب الثوار بنقل المدفع، طلب المدفعي زكي أمين، اتخاذ الاحتياطات اللازمة اطمئناناً على المدفع من أن تعبر قطعة فدائية من الجيش الإنكليزي من الحصن فتسكت المدفع في محله، واختلف في شكل تلك الاحتياطات، و أخيراً جرى التصميم على أن يقوموا تحت جنح الليل ببناء جدار سميك لا ينفذ منه الرصاص فيحكموا بناءه ويقيموه بعيداً عن أعين الرقابة العسكرية البريطانية من ضفة النهر المقابل للحصن الإنكليزي وبين صفوف النخيل، على أن يتم ذلك بحذر واحتياط فلا يحس الجيش المحاصر إلا والقنابل تنهال عليه من المدفع.

واتخذت التدابير تحت جنح الليل وبقي العمال يعملون عدة ليال حتى اطمأنوا من إحكام السد ومن وضع المدفع إذا ما جيء به إلى المحل المذكور.

أما محمود سامي المدفعي فقد اغتاض وبقي مصراً على أن العمل محفوف بالخطر وأن لا فائدة من هذه الاحتياطات، إذا ما انفتح الحصن وخرجت قوة فدائية منه لإسكات المدفع تحت حماية القذائف اليدوية والرشاشات، لذلك رأى حسين علوان وزكي أمين أن يعين الثوار عدداً من الفدائيين الذين يعتمد على شجاعتهم للدفاع عن المدفع عند الاقتضاء. فخص الثوار قبيلة (آل عيسى) بذلك وهيأها المرحوم (حسين الخوشي) وهو من (آل عباس) وقد أشرف بنفسه على هذه التدابير.

ضياع المدفع:

وبعد أن تم كل شيء أمر (حسين الخوشي) بسحب المدفع إلى المقر المذكور ولم يبق إلا أن يتم ثقب الجدار في المحل الذي عين لانطلاق قنبلة المدفع، وما كادت العملية تتم وتدخل فوهة المدفع الثقب، حتى تعالت الأضواء الكشافة من الحصن الإنكليزي وإذا بعدد من الرشاشات الإنكليزية توجه إلى النقطة المركزية من فوهة المدفع، وقيل في يومها أن عدد الرشاشات كان ٣٦ رشاشة، وهذا ما كان يقوله الضباط، أما الثوار والأهلون فقد كانوا يعتقدون أن عدد الرشاشات التي كان يملكها المحاصرون كان اثنتي عشر رشاشة، سلط الإنكليز منها ثماني رشاشات على المدفع، واحتفظوا بالباقي.

وباختصار فما كاد يتم نصب المدفع حتى انطلق هذا العدد من الرشاشات إلى المدفع، فإذا بالجميع ساجدون على الأرض توقياً من الرصاص المنهمر كالمطر، بل أشد من ذلك، وإذا بهذا الرصاص يحدث فجوة كبيرة في هذا السد المانع ويخترق السد والجدار ويملأ فوهة المدفع إلى نهايتها بالرصاص كأنما قد صب فيها الرصاص صباً، وهنا يحفز (حسين الخوشي) قبيلة آل عيسى، ولكن بعد فوات الأوان، فلا يدري آل عيسى ماذا يعملون بعد أكثر من إجابة النخوة بالاندفاع، ثم إذا بهم يتساقطون بالقريب من المدفع أشلاء ممزقة[1]. إنهم جادوا بأنفسهم، وقد اقتحموا هذه النيران ولكن بدون جدوى، ذلك لأن التدبير كان مفقوداً، ولقد رأى من حضر هذه الواقعة حقيقة الشجاعة، وعرف معنى تعريفها بالجنون، فكانت معركة آل عيسى من أروع المعارك، إذ كانوا يطلقون الرصاص على الحصن الإنكليزي الحصين ويندفعون إلى المدفع، بينما أخذ الثوار من الجهات الأخرى يطلقون رصاصهم على الحصن ليخففوا من حدة مهاجمة الحصن على المدفع.

وأخيراً وبعد تضحيات كثيرة شد المدفع بحبال غليظة من خلفه وجر تحت جنح الليل حتى ابتعدوا به مسافة كبيرة خلف البساتين، وإذا به شيء آخر ليس له علاقة بالمدفع لكثرة الأضرار التي أصيب بها.

آمال وخيبة:

ولم تفتر عزيمة الثوار، وقد أفادوا من التجربة حين جعلوا الرأي العام في حساب الاختصاص شأناً، وراحوا يعالجون المدفع ويسعون إلى إذابة الرصاص وإخراجه من فوهة المدفع، لأن تسليم الحصن أصبح متوقفاً على هذا المدفع بعد أن جربت التجارب الكثيرة من وضع ألغام حول الحصن والسعي لإحراق الجدران المحيطة به ومن المؤسف أنه ما كان يجهز المدفع من جديد إذ لم يبق لإصلاحه تماماً غير أسبوع أو أسبوعين حتى خرج الجيش الإنكليزي من الحلة فدخل الكفل ثم الكوفة واستولى على المدفع ونقله[2]

---

(١) كان من جملة من قتلوا بهذه العملية رجل من أهالي إيران يدعى (بلال اللري) من أهل «لرستان» الإيرانية.

(٢) يقول الجنرال هالدن في ثورة العراق ص٢٥٤: (وفي العشرين من تشرين الأول تم استرجاع المدفع عيار ١٨ من على ضفة النهر اليسرى وقرب الكوفة، إنه المدفع الذي فقدناه في الرابع والعشرين من تموز، وأطلق على الكوفة ١٣٥ قذيفة من مسافة لا تزيد على ١٥٠ ياردة في الأحيان. وسبب للحامية فيها رهقاً كبيراً).

بأسرع ما يكون لئلا يبقى رمز بطولة الثوار، ورمز عار للمستعمرين الظلمة[1].

وفاة الإمام الحائري:

وفي غمرة انتصارات الثوار، وقد بلغت الثورة مرحلة شملت جميع منطقة الفرات الأوسط، وامتدت جنوباً إلى الناصرية، وشمالاً حتى المحمودية، واشتملت على أهم مدن الفرات، ثم قامت حكومات مؤقتة في أهم المدن التي احتلها الثوار عنوة أو أخلاها الإنكليز اضطراراً، استطاعت أن تحافظ على الأمن والنظام، وتنشر الطمأنينة في النفوس. في هذه الغمرة صعق النفوس نبأ وفاة الإمام الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي في ٣ ذي الحجة ١٣٣٨هـ/ ١٣ آب ١٩٢٠م القطب الذي تدور حوله جميع رجالات الثورة، وإليه تفزع عند الملمات.

وبعد وفاته اتجهت الأنظار، ووقع الاختيار على شيخ فتح الله شيخ الشريعة الأصفهاني.

انتهز السير أرنولد ولسن وفاة الحائري، وانتقال المرجعية إلى الشيخ فتح الله فقام بمحاولة لعرض الصلح عليه تحت عنوان رسالة تعزية موجهة من ولسن إلى الشيخ الأصفهاني، وقد طبعت الحكومة نسخاً كثيرة منها وألقتها من الطائرات على مختلف مناطق الثورة، كما نشرت في الصحف التابعة لها في بغداد والموصل والبصرة نصها:

دائرة الحاكم الملكي العام ببغداد
في ١٣ ذي الحجة ١٣٣٨ الموافق ٢٠ آب ١٩٢٠

حضرة العلامة الفهامة حجة الإسلام والمسلمين، آية الله تعالى في العالمين شيخ الشريعة الأصبهاني دام علاه.

بعد إهداء السلام والتفقد عن صحة ذاتكم الشريفة نأمل أن كتابنا الذي أظهرنا فيه إحساساتنا الودية، وتبريكاتنا الصميمية لتقلدكم هذا المقام المنيع، والشريف الرفيع، الذي أنتم حائزون عليه قد وصلكم سالماً.

---

(١) كل ما يخص موضوع المدفع من عناوين ومعلومات ومواضيع في المتن بدون الإشارة إلى مصادرها في الهامش هي مستلة بتصرف ونص من كتاب (على هامش الثورة العراقية الكبرى) المنسوب إلى الباحث الكبير جعفر الخليلي. وأما المذكور في الهامش فهو للمؤلف تعليقاً ودعماً لما ذكره الأستاذ الخليلي.

ولكن في الحقيقة ونفس الأمر أن المقام الرفيع يستوجب التعزية والتسلية لا التبرك والتهنئة في هذه الأيام، نظراً إلى المصائب التي انتابت العراق وسائر أبنائه، وكان هذا من آراء سلفكم المرحوم المبرور الشيخ محمد تقي الشيرازي طاب ثراه، الذي كما هو معلوم لدى العموم عبّر في إحدى مفاوضاته الأخيرة أنه يريد الصلح بين الحكومة والملة واجتناب سفك الدماء وإزهاق النفوس، ولا يمكنني أن أشك بأن الذات الممتازة بصفات الإنسانية كحضرتكم لا بد أن تشعر بهذا الشعور السامي.

وأما من جهة الحكومة فكما هو المعلوم في أقطار العالم أن الحكومة الإنكليزية المعظمة قد اعتمدت دائماً على الأركان الثلاثة وهي الرحمة والعدل والتسامح الديني، ومن قبل أن تقع الحرب العظمى كان للدولة الإنكليزية التي شعارها المسالمة جيش صغير للدفاع عن نفسها، فلما أسرع الألمان والأتراك من تلقاء أنفسهم بالهجوم على بريطانيا العظمى قامت الأمم الموجودة في الممالك الإنكليزية قوة واحدة ودخل أبناؤها صفوف الجيش، ولما انكسر العدو شرّ كسرة ووضعت الحرب أوزارها كان للدولة الإنكليزية جيش جرار عدده خمسة ملايين منتشراً في بلاد العدو بالعالم أسره.

ولما انتهت المنازعات بادرت الدولة البريطانية بترخيص عساكره بالرجوع إلى منازلهم وأوطانهم والعودة إلى الحياة السلمية، فنقص بذلك عددهم نقصاً كبيراً على أنه يمكن حشد هذا العدد العظيم مرة أخرى متى دعت الحاجة إلى ذلك.

وأما من جهة ثروة الدولة الإنكليزية وسائر مواردها فلا يلزم أن أشرح ما هو ظاهر كالشمس في رابعة النهار، فأهل العراق قبلوا الدولة الإنكليزية وكانوا مسرورين من بقاء جيوشها في هذه البلاد، لما غلبت الأتراك، ولكن لما رأى بعض المفسدين والمغرضين ذلك التنقيص في جيشها قاموا يشوشون الأذهان ويخدشون الأفكار وملخص الكلام هو أن ظهرت هذه الحالة الحاضرة التي توجب الأسف.. فما هي الحالة الحاضرة؟

هي أن العشائر العراقية في حالة الحرب قوية، ولكن عددها قليل، وليس لها من الدراهم إلا قليل، ولا توجد وسائل لإخراج الآلات الحربية كالمدافع والبنادق والرصاص، ولا يمكنها أن تحصل على المعاونة من الخارج، وإذا لم ترجع إلى زراعتها ستُتلف وتموت جوعاً.

ها قد بذل العرب حتى الآن كل ما في وسعهم من الجهد، ولا يمكنهم أن يأتوا بعمل فوق ما عملوا وهم يريدون رأي الغير، أن قوتهم مائلة إلى الزوال بعكس الحكومة فإن قوتها كانت في بدء الأمر قليلة فتمكنت العشائر أن تسبب لها بعض

المضايقة، ولكن الآن ترد المراكب للبصرة كل يوم حاملة العساكر والمدافع والقنابل والبنادق والرشاشات والذخائر الحربية وسائر ما يلزم للأعمال العسكرية وإذا اقتضى نظركم الشريف أن تبعثوا معتمداً إلى بغداد كي يشاهد هذه الأشياء بعينه، فإننا نرحب به ونرجعه سالماً آمناً بدون تأخير.

فبناء عليه أن النتيجة النهائية هي معلومة، فلم يدوم سفك الدماء، إن الحكومة الإنكليزية عملاً بقواعدها الجارية ستجازي بعض المشايخ وغيرهم الذين ضللوا بالناس وأسمائهم معلومة عندي كما هي معلوم لديكم، ولا ريب أن فضيلتكم تعرفونهم أيضاً ولا حاجة إلى ذكرها هنا، ولكن لا خوف على غيرهم ولا على عامة الناس، بل يمكنهم أن يرجعوا إلى أوطانهم ومنازلهم سالمين وستسلم نفوسهم.

وكما لا يخفى على فضيلتكم بأني لما رأيت لزوم هذه المسألة وأهميتها فقد عينت الكولونيل (هاول) ناظراً للمالية في المفاوضات والمراسلات التي لا بد أن تجرى قبل أن تنتهي المنازعات، وبما أن حضرتكم مشغول البال في الأمور الدينية والمسائل الروحانية على الأغلب، فلهذا أرجوكم أن تعينوا معتمداً معتبراً أو معتمدين لكي يلاقوا الكولونيل (هاول) في محل مناسب يتباحثوا معه في هذه المسائل المهمة.

هذا ما لزم ذكره لفضيلتكم، وفي الختام نبلغكم احتراماتنا الوافرة وتحياتنا الصميمية. والسلام.

اللفتنت كولونيل السر أرنولد ولسن
الحاكم الملكي العام في العراق[1]

وما أن وصل كتاب ولسن إلى شيخ الشريعة حتى كتب له جواباً مفعماً بالحماس وطبعت منه نسخاً ووزعت على كافة جبهات القتال، وألصقت نسخ منه على أبواب الصحن والمسجد الهندي والمحلات العامة، فأثار حماساً عاماً في الناس نصه:

حضرة الحاكم العام ببغداد

استشعرنا من إلقاء طياراتكم في عدة أماكن صورة كتابكم إلينا، مضافاً إلى طبعه في جريدة العراق اهتماماً بوقوفنا عليه، وطلباً لجوابنا عنه. ومن الغريب أن كتابكم هذا سبق جوابه منا قبل أن تحرروه بمدة طويلة مرة بعد أخرى، بعثنا نصايحنا فيها، وأنذرناكم

(١) كامل سلمان الجبوري: وثائق الثورة العراقية ـ مخطوط ـ ٤/ ٥٢ - ٥٣.

قائلين لكم: تداركوا الأمر قبل خروج علاجه من مقدرتنا ولا شك أنكم تعلمون أن تداركه بإعطاء العراقيين حقوقهم التي طالبوكم بها مطالبة سلمية فأبيتم إلا اغتصابها، وجعلتم أصابعكم في أذنكم حذراً من أن تسمعوا مطالباً بها، وأخذتم بعد الوعود بالوعيد، وبعد التأمل بالتضليل، واستعملتهم الشدة والغلظة، فنفيتم وقتلتم وسجنتم وأخفتم وأضمرتم العداء الذي أظهرتم آثاره وطلبتم نفوس أولئك المتظلمين وأموالهم وما يجب الدفاع عنه من حرمهم، فدافعوكم قياماً بواجبهم، وهاجمتموهم شبعاً لنهوى نفوسكم، فوقفوا موقفاً حذرناكم عاقبته وأنذرناكم سوء منقلبه أنا والسلف المرحوم آية الله الشيرازي، الذي سقتم مساق تعزيتي بفقد نفسه الزكية بنسبة المصائب التي انتابت العراقيين إلى آرائه المقدسة، كأنكم ما وقفتم على كتاباته إلى جميع الجهات، وإلزام العموم بلزوم الهدوء والسكون والمطالبة السلمية بحقوقهم المشروعة، فجرحتم بتلك النسبة عاطفتي خصوصاً وعواطف المسلمين عموماً، وجئتم بها نكراء بلغ سيلها الزبى، وضاقت لها حلقتا البطان، وأرسلتم بواخركم المشحونة بأسباب الدمار، وآلات النار، وقدمتم العساكر، وكتّبتم الكتائب إخضاعاً لتلك الأمة المظلومة، وسحقاً لحقوقهم المهضومة ثم بعد هذا تقول غير متلكأ: إن دولتكم اعتمدت على الأركان الثلاثة: العدل والرحمة والتسامح في الدين، نعم، إني أؤكد ما تقوم عليه دولة وتبنى عليه عروش مملكة في هذه الأركان، ولكنها عندكم أسماء سميتموها، وأبنية مقاصد هدها اعتسافكم، ونقضها تورطكم، أين العدل وقد جعلتم مسألة مصير العراق لأصوات مدافعكم العالية وخلفها زجر وتهديد.

وأين الرحمة؟ وقد قست قلوب ضباطكم فهي كالحجارة أو أشد قسوة لا ترحمون شيخاً فانياً، ولا امرأة حثت على الرفق بها الشرائع المقدسة، ولا طفلاً ناشئاً، ملئتم الطرق بتلك الهامات المفلقة، والمفاصل الموزعة.

وأين التسامح في الدين؟ ولا ينبئك مثل خبير، النجف قبة الإسلام ومهد الدين، فهي مشهد، ومعبد، ومدرسة علم، وزاوية ناسك، طوقتموها بالحصار وخنقتموها بالإحاطة أكثر من أربعين ليلة، لا تفتر مدافعكم فيها عن رعد ولا رشاشاتكم عن مطر يصب وابله على المساجد والمدارس حتى ضاق خناق زوارها وعيل صبر مجاوريها، يقتاتون تلك المدة الطرق، ويشربون الرنق، وهذا العهد غير بعيد، مسجد الكوفة من أعظم مساجد العراق تناوبته طياراتكم، فألقت قنابلها على من فيه من المتعبدين والمتجهدات والمتجهدين، فاختلطت لحومهم وعظامهم بذلك التراب الطاهر.

فبالله المستعان على هذه الأعمال التي تئن من فجائعها بقعة العراق وتنتحب حولها الإنسانية.

والعجب أنكم تطلبون التئام هذا الصدع الذي لا يجبر كسره، وتقولون نحن لا نريد أن نجازي العراقيين كلا، وإنما نجازي من أسماؤهم عندنا وعندكم وعندهم معلومة بزعم أنهم مفسدون، فكان تعريف الفساد عندكم هو المطالبة بالحق.. نحن لا نعرف من أحوالهم إلا أنهم طالبوا بحق فمنعتموهم، وأدرتم عليهم رحى الحرب الطاحنة، فدافعوكم عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ولو تركتموهم وحقهم ما سالت منكم ولا منهم قطرة دم، ولكنكم أنتم فتقتم هذا الرتق الذي لا يخيط بالخيوط ولا الإبر، فأنتم السبب وعليكم التبعة، ورأينا فيه أن يمنحوا استقلالهم التام خالياً من كل شائبة، عارياً من كل قيد، أما أمر المفاوضة فلم نستوضح منكم غايته، ولم أثق بحسن نهايته، وعلى كل فهو أمر دقيق يحتاج إلى جلاء فكر وتأمل، ومن الله نسأل حسن الختام.

٢ محرم سنة ١٣٣٩ شيخ الشريعة الأصبهاني[1]

وفي غضون ذلك نظم زعماء الثورة وقادة الجبهات مضبطة في ١محرم ١٣٣٩هـ/١٥ أيلول ١٩٢٠م موجهة إلى الدول الحرة يشرحون فيها حالهم، ويضعون اللوم في اندلاع الثورة على ضباط الإنكليز، ويؤكدون أنه لا يطلبون غير الاستقلال والحرية، ويرجون من الدول الحرة مساعدتهم في ذلك، وقد أرسلت منها نسخاً متعددة إلى الشريف حسين ملك الحجاز، وحكومات أمريكا وفرنسا وروسيا وتركيا وألمانيا وإيران وغيرها. وهذه النسخة موجهة إلى الحكومة الهولندية نصها:

إلى الحكومة الهولندية المفخمة

بتوسط سفارتها في طهران

نحن الأمة العراقية كنا قبل الحرب العامة ننتظر الفرصة لأن ننال حريتنا باستقلالنا التام وحكمنا الذاتي بطريق سلمي، واحتجاجات أدبية حتى احتلت العراق جيوش الدولة البريطانية، فاطمأنينا إليهم بكمال السلم، آملين نجاح مقاصدنا كما صرح بذلك أمراء الجيش، ولما سكنت الحرب أعلنت الدول الحرب على تعزيز الإنسانية وجبران كسرها وتمهيد السلم العام بمبدأ حرية الشعوب وعصبة الأمم. ابتدأتا بالبشرى في المنشورات دولتا بريطانيا وفرنسا، وبتصميمها على مساعدتنا في نيتنا إستقلالنا التام

---

(١) كامل سلمان الجبوري: وثائق الثورة العراقية ـ مخطوط ـ ٥/ ٤١ - ٤٢.

وحكمنا الذاتي والحرية التامة النهائية... مازلنا حافظين لنظام السلم والأمن وإن لحقت بنا الأضرار المالية وغيرها بما لم نعهد من قبل، وإنا طال علينا الانتظار وشاهدنا من أمراء الجيش سعيهم ضد استقلالنا وحريتنا، فعزمنا على المطالبة بحقوقنا الطبيعية المشروعة وطالبنا الدولتين مطالبات عديدة قانونية فاستقبلتنا الاضطهادات المطلقة من ضباط الاحتلال بلا سبب سوى إبطال مساعينا في طلب الحقوق المشروعة، صاروا يسعون في تضييع حقوقنا وحريتنا بأنواع السعي، ومن ذلك أنهم أبرزوا لجماعة من الأعراب أوراق بالخط الإنكليزي زعموا أنها أوراق مالية زراعية وطلبوا توقيع الأعراب فيها فظهر بعد ذلك أنها أوراق اعتراف بالوصاية للإنكليز على العراق، وضايقوا جماعة منا بالصراحة على هذا الاعتراف، وانتشرت اضطهادات الضباط فينا، فحبست جماعة منا بالحبس القاسي، وسوّقت جماعات من ساداتنا وعلمائنا وأشرافنا ورؤساء قبائلنا تسويقاً قاسياً لا يعرف فيه أثرهم، وهجموا على منازل بعض مشايخ قبائلنا وأحرقوها وما فيها، وقتلوا بعض الرجال والخيل وحيوانات كثيرة، مع أن أصحاب المنازل كانوا غائبين عنها. وما السبب في ذلك سوى فكرتنا في المطالبة بحقوقنا والبلاد والوجدان يشهدان بأن هؤلاء المنكوبين هم من ألزم الناس لحفظ السكون، والمحافظة على الأمن العام، ثم التفت الضباط إلى كل من أحسوا منه المطالبة بحقوق الأمة في أقسى أنواع التهديد، وساروا في تعقيب ذلك بسوق القوة العسكرية، فلم يكن لنا ملجأ في حفظ دمائنا وشرفنا ونواميسنا إلا أن نكون يداً واحدة في دفع الاضطهاد العسكري مع محافظتنا على السلم، والتباعد عنهم مهما أمكن، ولكنهم لا يتركوننا، . فها نحن نبعد عنهم فيتبعوننا، تجول في آثارنا جيوشهم ومدافعهم وطياراتهم، نطلب منهم تجديد السلم، وعموم الأمن، وتخلية سبيلنا في المطالبة بحقوقنا بالمطالبة الأدبية فلا يجيبون.

نجيبهم إلى الهدنة وشروطها لعلهم يهتدون فيغدرون، نخلي سبيلهم مع أسلحتهم وقواهم فيأخذوننا على الغفلة، وقد جرى في خلال ذلك من كثرة القتل في نسائنا وأطفالنا وقذف القنابل على معابدنا ما يبكي الإنسانية والمدنية والنواميس الدينية، كل ذلك مع سدهم علينا باب المخابرات والشكايات إلى الحكومات حتى إلى حكومة لندن، وإذ بلغنا قريباً أنه يمكن وصول شكاياتنا وتظلمنا إلى الدول وعصبة الأمم.

فها نحن نهتف بالشكاية والتظلم إلى جميعة عصبة الأمم وكل الدول التي نهضت لفك الإنسانية من أسر الاستبداد القاسي وإنقاذها من مخالب الظلم الوحشي، والتي صممت على تعميم العدل في البشر، وتمهيد السلم والأمن العام وضمنت رفع الخطر عن الأمم المطالبة بحقوقها، فإن الأمل أكيد بأن مبادئ العدل الحميدة التي تكفلت بها

الدول المتمدنة لا تسمح بأن نهضة حقوق الأمة العراقية مع كفايتها في الوقوف بنفسها في معترك هذه الحياة بما لديها من الثورة التجارية والزراعية والاستعداد للعمران والشعور الأدبي والتهيؤ لزيادة الرقي ومع حيازتها لما فوق كفايتها في الإدارة من الرجال الذين خبرتهم الامتحان القانوني من الأطباء والضباط والكتاب والمأمورين والمهندسين ومديري المكاتب لذلك إن الإدارات الملكية الحالية كلها تدار بإدارات كافية ببغض رجال العراقيين، وممن لم يدخل الوظائف أضعاف ممن هم أحسن كفاية من الوظيفة، فالأمل تداركنا عاجلاً بالأمن من الاضطهاد العسكري، وبتخلية سبيلنا في نيلنا استقلالنا الحر وتنظيماً لأموره تنظيماً سالماً من الدسائس والتشاويش.

١ محرم سنة ١٣٣٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الورقة كتبت بإملاء زعماء العراق ومشايخ عشائره وهم الموقعون عليها بأسمائهم:

حرر عن الجاني
شيخ الشريعة الأصبهاني

السيد نور السيد عزيز الياسري
السيد محسن أبو طبيخ
السيد علوان السيد عباس
رئيس الخزاعل: سلمان الظاهر
رئيس آل فتلة: مزهر الفرعون
السيد هادي السيد علي زوين
رئيس بني حسن: عمران الحاج سعدون
رئيس الحميدات: حمود آل بدن
رئيس البو سلطان: دليمي البراك
السيد كَاطع السيد موسى العوادي
رئيس عشائر بني حسن: علوان الحاج سعدون
رئيس آل فتلة: سماوي الجلوب
رئيس زوبع: ضاري الظاهر
رئيس آل فتلة: عبد الواحد الحاج سكر
رئيس آل فتلة: عبادي آل حسين

رئيس آل إبراهيم: شعلان آل جبر
السيد محمد السيد كاظم أبو طبيخ
رئيس مجاهدي كربلاء: عبد الجليل عواد
رئيس البو سلطان: شخير الهيمص
رئيس الخزاعل: محمد العبطان
رئيس آل فتلة: مجبل الفرعون
رئيس العوابد: مرزوك العواد
السيد عبد الله السيد عبد الزهرة
رئيس البو سلطان: سلمان البراك
رئيس البو سلطان: ناجي أسد خان
رئيس آل بدير: سلمان الحاج صكَبان
رئيس آل عمر: الحاج حمزة الحاج سلمان
رئيس الجنابيين عن صوب الشامية: خضير الحاج عاصي
رئيس عشائر زبيد: الشيخ فيصل بن مغير
رئيس البو شيخان: حاجم السلطان، وسرهيد السلطان
رئيس آل بكر: صالح العمران
رئيس.....: حسن العلي
رئيس البو حويلة، أكَرع: هواس آل عبد الله
رئيس آل فتلة: حاج شمران الجلوب
رئيس آل فتلة: غالب السلطان
رئيس المصالحة من الجنابيين: جياد بن عيسى
رئيس عشيرة قره غول: شلال بن صالح الجاسم
رئيس الصباخنة: عبد السلطان
رئيس الهلالات: حسين آل صالح
رئيس آل فتلة: سرتيب المزهر
رئيس آل معين: سرحان الحسن
رئيس عشيرة البو فارس: عبد الله ملا أحمد
رئيس بني تميم: شيخ علي المعيدي، فزع آل نتير، ظاهر آل فرحان، حياوي آل جبر
رئيس المخاضرة: عبد المحسن أبو دهيمة

رئيس أهل المجاوير: سلمان الحسن
رئيس آل بدير: محمد الفضل
رئيس عفك: جياد الحاج عبود
رئيس طفيل: نايف الضيدان، محمد بن عبد
رئيس آل حمد: سعدون آل رسن
رئيس البدير: فيصل المزعل
رئيس البحاحثة: عبد الكريم آل فليفل
رئيس الجبور: مراد آل خليل
رئيس عفك: باني المنذور، السيد علي الخميس
رئيس البدير: صويح السلمان
رئيس البدير: شعلان الشهد
رئيس السعيد: مظهر الحاج صكَب
رئيس آل شيبة: رسن الشبيب
رئس عفك: الحاج مهدي الفاضل
رئيس البحاحثة: محمد آل حاجم
رئيس عشيرة البو عباس: حسن بن سالم
رئيس آل سعدون: موسى آل عرسان
رئيس آل شبانة: شعلان العطية
رئيس آل شبانة: كرمول آل معضد
رئيس البونايل: عبد آل رساله
رئيس عشيرة البدير: كزار المحمد
رئيس آل حمزة: غازي المحمد
رئيس البو ناش: محمد البدر[1]

الثورة في مرحلتها النهائية:

بعد أن قام الثوار بتحرير مدينة الرميثة والشامية والكفل وكربلاء والديوانية والمسيب والنجف وغيرها، وتشكيل حكومات وإدارات ثورية فيها، وتشديد الحصار على حامية الكوفة وبعض المعسكرات الإنكليزية في مناطق أخرى من العراق

(١) كامل سلمان الجبوري: وثائق الثورة العراقية ٧١/٤ - ٧٤.

وانتصارهم على القوات المحتلة، وتسطيرهم ملاحم خالدة من الفوز والنجاح.

وقد صرفوا القسم الأعظم من نشاطهم وجهودهم، حتى عتادهم، خلال الشهرين تموز وآب ١٩٢٠، ولما كان أمد الثورة قد تجاوز الخمسة أشهر، كان لزاماً ـ والحالة هذه ـ أن تهبط كميات المؤن لديهم، وأن يتسرب الوهن إلى قواتهم، والخور إلى عزائمهم، ولا سيما ولم تأتهم إمدادات، ولا ذخائر ولا أموال لا من خارج العراق ولا من داخله. إضافة إلى أن سلطات الاحتلال البريطانية ركنت إلى الطائرات والمصفحات، فكانت الأولى تمطر الثوار وابلاً من قنابلها جواً، والثانية تكتسح جموعهم اكتساحاً براً، وفي وقت لم يكن في أيدي هؤلاء غير البنادق والسيوف والمقاوير وبعض المدافع الرشاشة التي استولوا عليها في بعض جبهات القتال، ولولا العتاد الذي غنموه في واقعتي (الرارنجية) و(العارضيات) لما كتب لهم النجاح.

فما أن انتهى شهر تموز ١٩٢٠ حتى بدأ القوات البريطانية تتوارد على العراق، وانتقلت القيادة البريطانية في الوقت نفسه من (كرند) بإيران إلى بغداد فتعزز موقف الحكومة. فجيء لنجدة الإنكليز في العراق بقوة مؤلفة من (٤٨٨٣) بريطاني، و(٢٤٥٨) هندي من السلاح الجوي ووحدات طبية، فأخمدت نار الثورة في ديالى، وأرجعت الفلوجة، واستردت هيت، وقامت بهجوم عام على جبهات القتال في عموم الفرات الأوسط.

ففي يوم الثلاثاء ٢٨ محرم ١٣٣٩هـ/ ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠م اشتبكت القوات البريطانية مع الثوار في طويريج، وبعد معارك حامية تم احتلالها بعد خسائر فادحة من الطرفين.

واستسلمت كربلاء ودخلتها القوات الإنكليزية في ٢ تشرين الثاني ١٩٢٠م/ ١٩ صفر ١٣٣٩هـ.

وتم الاستيلاء على (سدة الهندية) في ١٠ تشرين الأول.

وفي ١٥ تشرين الأول ١٩٢٠م/ زُحِف على الكفل، وانسحب الثوار إلى الكوفة.

ودخل الجيش (الكوفة) فجر يوم ٥ صفر ١٣٣٩هـ/ ١٨ تشرين الأول ١٩٢٠ وأفرج عن الحامية المحصورة فيها.

عند ذلك رأى (المجلس العلمي الأعلى) في النجف، أن مدينة النجف التي اتخذت عاصمة للثورة، أصبحت هدفاً للآلاي الـ(٥٥)، كما أن المجلس المذكور تلقى إنذاراً من

قادة (الالاي) بوجوب تسليم الأسرى المعتقلين في هذه المدينة قبل بزوغ شمس يوم ٧ صفر/ ٢٠ تشرين الأول، فقرر إرسال وفد يمثل المدينة ليعرض طاعتها على مركز الالاي من جهة، وليوصل الأسرى المعتقلين في النجف إلى المقر المذكور من جهة أخرى، وقد جرى تسليم الأسرى في الموعد المحدد، وصدر البلاغ الرسمي التالي:

(جيء أمس من النجف بـ٧٩ أسير حرب بريطاني، و٨٨ أسير حرب هندي، وأنزلوا في معسكر الالاي الـ(٥٥) في الكوفة، والظاهر أن صحتهم جيدة، وقد عوملوا معاملة حسنة، وفي الأخص معاملة النجفيين لهم)[1].

وفي أثناء وجود الوفد النجفي في مقر الالاي الـ(٥٥) في الكوفة كلف بتوقيع عهد يتضمن قبول كل الشروط التي ترتأي السلطة فرضها على المدينة، مع تسليم البلدة تسليماً مطلقاً، فلم يسمع الوفد التردد، فوقّع العهد وصدر البيان التالي:

(في الساعة الـ ٤ بعد ظهر اليوم الـ٢٠ من شهر تشرين الأول، وقع وفد يمثل النجف تمثيلاً خاصاً، على عهد سلّم به بدون قيد أو شرط، وقبل مقدماً كل الشروط التي تعدّها الحكومة مناسباً لأن تفرضها عليهم، وتفيد الأنباء أن الضعف باد على القبائل، وهي تتشتت بسرعة)[2].

وطلبت السلطة كلاً من:

١ - الحاج عبد المحسن شلاش.
٢ - الشيخ محمد جواد صاحب الجواهر.
٣ - السيد محمد رضا الصافي.
٤ - السيد عزيز الله.
٥ - الشيخ حسن نجل شيخ الشريعة.

فسلموا إليها في الحال واعتقلوا في الكوفة أياماً، ثم نقل بعضهم إلى الحلة، ولم يفرج عنه إلا بعد إعلان العفو العام في ٣٠ أيار ١٩٢١م[3].

---

(١) جريدة العراق: العدد ١٢١ في ٢٢ تشرين الأول ١٩٢٠.
(٢) جريدة العراق: العدد ١٢٢ في ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٠.
(٣) كما اعتقلت السلطة كل من: الحاج حسون شربة، وغازي شربة، ونجم شربة، وجبر شربة، والسيد هادي زوين، والحاج عبد الرسول تويج، والحاج أمين كرماشة، ومتعب آل شاني، وسلمان البراك، ودليمي البراك، وشخير الهيمص، والشيخ حسن الدخيل، ودوهان الحسن، ومهدي شنجيل، وجدعان الضيدان آل تويلي، وسلمان الكعيد، والشيخ إبراهيم السماوي، رئيس قبائل خفاجة

وفرضت على (النجف) كمية كبيرة من السلاح، والعتاد كغرامة حربية، فبلغ ما سلمته ١٢٧٦ بندقية حديثة الصنع، و١٤٢٩١ بندقية صالحة للاستعمال مع ٨ مدافع لويس، ومدفعين من طراز هوشكس، ونحو ٢٠٠,٠٠٠ خرطوشة[١].

وفي يوم ١٥ ربيع الأول ١٣٣٩هـ/ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠م زحف الالاي الـ(٥٥) على مدينة النجف ودخلها قبيل الظهر، ولما كانت المدينة مسورة بسور له أربع بوابات فقط، فقد أمر الأهلين بالدخول إلى المدينة، وما لبث أن سد أبواب السور تاركاً ستين ألف نسمة بدون ماء ولا طعام، إلا ما كان في العلاوي وفي بعض البيوت الثرية، فانتشرت المجاعة بين السكان، وفتكت الأمراض في الصفوف، واضطر الأهلون إلى استعمال مياه الآبار المالحة، ولم يسمح لأحد بالدخول إلى المدينة أو الخروج منها إلا بجوازات، واستمرت الحال على هذا المنوال شهراً، لاقى فيها السكان والزوار واللاجئين من مناطق أخرى، من البلايا والرزايا ما لا طاقة للبشر تحمله حتى كتب الله لهم الفرج[٢].

الثوار يستمرون في الكفاح:

بعد أن احتل الالاي الـ(٥٥) مدينة الكوفة، وأفرج عن الحامية المحصورة فيها، بدأ الثوار يتحشدون في (بساتين أبو صخير) للدفاع عن أنفسهم، إذ لم يبق أمامهم غير أحد أمرين: الاستسلام للسلطة، وفيه ما فيه من المحاذير، أو الدفاع حتى النهاية، فاختاروا الدفاع حتى ينجلي الموقف، وتعلن سياسة المحتلين[٣].

ففي ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٠م/ ١٠ صفر ١٣٣٩هـ هجمت الطيارات على منطقة أبي صخير والحيرة وقذفت عليها طنين ونصف طن من القنابل[٤].

وفي ٢٨ تشرين الأول يقول البلاغ البريطاني:

(هجمت الطيارات في ٢٧ تشرين الأول على جموع الثائرين في جوار أبو صخير وفي ليلة الـ ٢٧ هجم مقدار ٤٠٠ أو ٥٠٠ ثائر على معسكر الالاي الـ(٥٥) في الكوفة،

والشيخ علوان الشلال، ومحسن بن سعدون الجراح والحاج عبود العنيد، وسلمان الفاضل، وعلي المزعل، وعمران الحاج سعدون، وخادم الغازي العباسي وغيرهم.

(١) جريدة العراق: العدد ١٤٨ في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٠.

(٢) الحسني: ن.م ١٩٩ - ٢٠١.

(٣) الحسني: ن.م ٢٠١.

(٤) جريدة العراق: العدد ١٢٤ في ٢٦ تشرين الأول ١٩٢٠.

وكانت تساندهم قوة كبيرة، وعندما أصبحوا على مسافة أربعمائة يردة، صوبت النار عليهم فجأة، ودحر الجنود الإنكليز، والمهراتا، وفصيلة الرشاشات الهاجمين فتقهقروا تحت نيران مدافعنا، وأنشأت معبرة ورابطت جنودنا في الجانب الأيسر أزاء معسكر الالاي الـ٥٥ من حيث كانت تطلق النار على المعسكر)[١].

وقد استمر تبادل إطلاق الرصاص بين الثوار وبين رجال الجيش البريطاني أكثر من أسبوعين بعد صدور هذا البيان.

الزعماء في قبضة السلطة:

وفي يوم ١ تشرين الثاني ١٩٢٠/ ١٨ صفر ١٣٣٩هـ سلم نفسه إلى السلطة في الكوفة بدون قيد أو شرط كل من:

الشيخ حمود البدن والحاج جاسم الجياد من رؤساء الحميدات
جاسم بن صعب من العوابد
صبغان ومحسن الحاج عبود من فخذ البو حمان من عشيرة الجراح/ بني حسن
محمد الفليح من فخذ رباط من عشيرة العوابد
السيد حبيب السيد وادي الساكن مع فخذ الصبغان من العوابد

وفي يوم ٢ تشرين الثاني سلم كل من:

السيد كاظم بن السيد نور، والسيد جعفر بن السيد حسن أبو طبيخ، وجبار الصالح من فخذ حجام من عشيرة العوابد، وعباس العلوان من الكرد، و سلمان الظاهر، ومحمد العبطان، وسلمان العبطان من الخزاعل، وحمزة العفريت ابن أخ مرزوق العواد من العوابد، ومراد الخليل من الجبور[٢].

وقد عفت السلطة عن شيخي الخزاعل (محمد العبطان وسلمان العبطان) عفواً مطلقاً، وأمرت بتسريحهما فوراً[٣].

وفي ٥ تشرين الثاني سلم نفسه تسليماً مطلقاً بدون قيد أو شرط إلى قائد الفرقة في الكوفة، الحاج عبد الواحد الحاج سكر رئيس قبيلة آل فتلة في المشخاب، وقد أسكن في

---

(١) جريدة العراق: العدد ١٢٩ في ١ تشرين الثاني ١٩٢٠.
(٢) جريدة العراق: العدد ١٣٢ في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٠.
(٣) جريدة العراق: العدد ١٣٣ في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٠.

دار بالكوفة يخفره ضباط بريطانيون، كما سلمت إلى السلطة أغلب عشائر الشامية عدا بني حسن[1].

وفي ٦ تشرين الثاني سلم إلى السلطات البريطانية كل من: الشيخ مجبل الفرعون، الشيخ تكليف المبدر، الشيخ عبد الكاظم الحاج سكر، الشيخ علي المزعل.

وبذلك قد سلّمت منطقة المشخاب بأسرها، ما عدا السادة الذين لم يسلموا أحد منهم.

وسلّم أيضاً جميع زعماء عشيرة آل إبراهيم عدا الشيخ شعلان الجبر.

كما سلّم (١٢) سركالاً من عشيرة بني حسن مع خادم الغازي[2].

وفي ٩ تشرين الثاني سلم الشيخ اسماعيل بن الحاج جواد من قبيلة الكرد مع جميع أفراد عشيرته.

وفي ٢١ تشرين الثاني سلّم جميع شيوخ آل شبل والغزالات وقد سلم أخ السيد علوان الياسري وتعهد إلى السلطة بتنفيذ ما يترتب على أخيه السيد علوان[3].

وفي ١٢ تشرين الثاني سلّم البو حليل وعقيلة الرضام عن قبيلة آل شبل غربي الشامية، وسلم أيضاً عطية المزعل واثنان آخران يمثلون الغزالات. وبهذا أعلن أن الشامية قد سلمت بكاملها[4].

وسافر إلى الحجاز كل من الزعماء:

السيد محسن أبو طبيخ، والسيد نور الياسري، والسيد علوان السيد عباس الياسري، والحاج محمد جعفر أبو التمن، والحاج صلال الفاضل (الموح)، والحاج مهدي الفاضل، والحاج شعلان العطية، والحاج شعلان الجبر، والسيد هادي المكوطر، والحاج رايح العطية، والحاج مرزوق العواد، والشيخ علوان الحاج سعدون، والشيخ عمران الحاج سعدون[5].

---

(١) جريدة العراق: العدد ١٣٥ في ٩ تشرين الثاني ١٩٢٠.
(٢) جريدة العراق: العدد ١٣٧ في ١١ تشرين الثاني ١٩٢٠.
(٣) جريدة العراق: العدد ١٤٢ في ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٠.
(٤) جريدة العراق: العدد ١٤٩ في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٠.
(٥) ـ الحسني: ن.م ١٩٩/ فريق المزهر: نز/ ٤٣٥.

وقد رجع الشيخ عمران الحاج سعدون من مسافة مرحلة عن ناحية الشنافية لغرض تسليم نفسه إلى الإنكليز، وتحمل كلما يصيبه من جراء ذلك، فرجع واعتقل بسجن الحلة.

وبقي كذلك حتى صدور قرار العفو العام المذكور.

وعاد بعده بأسبوعين أخوه الشيخ علوان الحاج سعدون من منطقة (حائل) بسبب وضعه المالي.

وذهب الشيخ يوسف السويدي والسيد محمد الصدر وعلي البزركان إلى سوريا.

وذهب السيد كاطع العوادي إلى إيران.

وفي ٢٠ مايس ١٩٢١ أصدر المندوب السامي منشوراً بالعفو العام، وقد شمل جميع المشتركين بالثورة، باستثناء مجموعة من الثوار، وإطلاق سراح المسجونين والموقوفين، والإذن للفارين بالعودة دون ملاحقتهم.

وشكلت أول حكومة، وكانت مؤقتة برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠م/ ١٢ صفر ١٣٣٩هـ.

وفي ٢٩ حزيران ١٩٢١م/ ٢٣ شوال ١٣٣٩هـ وصل الأمير فيصل بن الحسين بغداد.

وتم تتوجيه ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١م/ ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩هـ.

صاحب المذكرات
[الكابتن جيمس . أس . مان][1]

أحد الضباط الانكليز الشباب الذين عينتهم الإدارة البريطانية في العراق[2] وأعطتهم مقاليد وصلاحيات في مناطق واسعة. كتب والده ترجمته في مقدمة مذكراته، وهاأنذا أنقلها كاملة بأمانة.

• ولد جيمس سوماريز مان James Saumarez Mann، وهو الثالث في تسلسل الأبناء الذين يحملون اسم العائلة، في (بروملي) بمقاطعة (كنت) في العاشر من تشرين الثاني عام ١٨٩٣.

وكان أبوه الذي ولد في (جرنزي) وأكمل دراسته في كلية (اليزابيث)، وقبلها في ضاحية من ضواحي (نيويورك) مدرساً في كلية (أكستر) وزميلاً لكلية (ترنتي) في

---

(١) العنوان من وضعي.
في مقدمة هذا الموضوع وضع (جامع الكتاب) فهرساً يتكون من تسعة فصول كتأريخ حياة مفصل لجيمس مان وهو كالآتي:
الفصل الأول: السنوات ا لأولى ١٨٩٣ - ١٩١٤.
(وهي ترجمة حياته منذ الولادة حتى السكن في باليول).
الفصل الثاني: في التدريب للخدمة الفعلية ـ أيلول ١٩١٤ إلى مايس ١٩١٥.
(من دخوله معسكر تدريب الضباط حتى نهاية التدريب).
الفصل الثالث: في الجبهة الغربية وما أعقب ذلك في حزيران ١٩١٥ إلى مايس ١٩١٦.
الفصل الرابع: في كمبردج من مايس ١٩١٦ إلى آب ١٩١٧.
الفصل الخامس: في الجبهة الغربية من آب إلى كانون الأول ١٩١٧.
الفصل السادس: في فرنسا من كانون الثاني إلى آب ١٩١٨.
الفصل السابع: من الحرب إلى السلام من آب ١٩١٨ حتى شباط ١٩١٩.
الفصل الثامن: الفصول الأخيرة في أكسفورد من شباط إلى تموز ١٩١٩.
الفصل التاسع: من بروملي إلى بغداد تموز وآب ١٩١٩.

(٢) يقول الدكتور جورج كيرك في حاشية من حواشي كتابه: «The Insurrection in Mesopotamia ١٩٢٢» «ان ٢٣٣ فقط كان يتجاوز عمرهم الخمسة والأربعين عاماً، وإن ثلثي عدد الحكام السياسيين العاملين بتأريخ أول حزيران ١٩٢٠ كان يقل عمرهم عن ثلاثين سنة. وما يقارب ربعهم كان يبلغ عمره خمساً وعشرين سنة فقط أو أقل من ذلك. أما ولسن نفسه فلم يكن يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره في ١٩٢٠».



سوماريز مان ــ صورته عام ١٩١٦

(أكسفورد). كما كان أبوه محاضراً وممتحناً في كلية مختصة بالآداب، ولكنه تحوّل إلى العمل الصحفي في (لندن)، وفي عام ١٨٩٠ تزوّج من (أيمي) الإبنة الصغرى لـ (توماس بومان) أسقف منطقة (كلفتون) وهو من الأساتذة المثقفين، وعالم في اللغة والدراسات العبرية، والذي أصبح ابنه الأكبر ناظراً لكلية (مرتون) في (أكسفورد) عام ١٩٠٣.

وللعائلة تقاليد عسكرية وبحرية من ناحية الأب. فقد توفي جيمس سوماريز مان الأول عام ١٨٥١ وكان ما يزال برتبة ملازم ثاني في البحرية لإصابته بالسل الرئوي بعدما قاسى من صعوبات لانشغاله في محاربة تجارة العبيد على الساحل الغربي لأفريقيا. لقد مارس الخدمة الفعلية طويلاً، شأنه في ذلك شأن معظم الضباط خلال فترة السلام تلك، وكان من الأحداث البارزة في خدمته حصار (عكا) خلال ثورة محمد علي عام ١٨٤٠. لقد حصل على اللقب ودخل إلى الأسطول عن طريق عمه الأكبر الذي أصبح يحمل لقب اللورد (سوماريز الأول)، وهو الأدميرال الشهير الذي كان يحتل المركز الثاني في القيادة في (أبو فير) والذي قاد الأسطول البريطاني في بحر البلطيق إلى نهاية الحرب مع نابليون، وقد تزوجت ابنة أخت الأدميرال المدعوة (الآنسة مارثا دوبري أوف جرنزي) من الكابتن (فردريك ويليام مان) من فيلق الأركان الملكي، وهو الابن الأصغر للمقدم (كوذر مان) الذي يمكن قراءة قصة حياته في (قاموس أعلام الأمة) والذي ترك بصماته على جغرافية كندا، بتثبيته مواقع المدن المختلفة، ومن ضمنها مدينة (تورنتو). لقد دخل ثلاثة من أولاد الجنرال الأربعة الجيش وهم:

(فردريك وليام) الذي أصبح عام ١٧٩٥ ملازماً في البحرية، ونقل في عام ١٨٠٤ إلى فيلق الأركان الملكي، وخدم في جيش (السير جون مور)، وخلال حرب شبه الجزيرة قاد رتلاً في ممر (بيدا سوا)، وقاد بعض كتائب الجيش في (كندا) و (كورفو) وتقاعد عام ١٨٤١ برتبة عقيد، وأمضى بقية حياته في (جرنزي).

وكان ابنه الأكبر العميد (كوذرمان) قد أدّى خدمات جليلة خلال حرب الصين في الأعوام ١٨٥٧ و ١٨٥٨ و ١٨٦٠. لقد كان الجد الأكبر من جهة الأم لـ(جيمس سوماريز مان).

والمدعو (ريتشارد روث) يعمل مساعد محصل ضرائب في مدينة (سالم) في ولاية (ماساشوستس) لقد أحرق بيته إبّان الثورة. وأصبح بعد ذلك رئيساً للقضاة في (نيوفاوندلاند) وفُقد في البحر عام ١٨٠١. ويعود نسبه إلى (ريتشارد دوسورد فال) وهو (نورماندي) قدم مع (الفاتح).



جرترود، ولها من العمر ٥ سنوات مع والدها

• لقد كان (سوماريز) أو (سوم) كما كانوا يسمّونه في البيت، كان طفلاً ذكياً، وكان في سنواته الأولى رعديداً، كما كان رائق المزاج، وصبوراً، ومثابراً، ولم يتوانَ أبداً عن أداء عمله. كان سريع التعلّم، سواء فيكتبه أو عمله أو ألعابه. وقد كان يستطيع القراءة وهو في الرابعة من العمر. وأحبَّ الموسيقى منذ نعومة أظفاره، كما أنه تعلّم اللغات قديمها وحديثها وبحماس، حيث أنه اكتُشِفَ في اليوم الذي أعقب تعمله للغة اليونانية اُكتُشفَ قبل الإفطار وهو يحاول قراءة أول نص يوناني استطاع الحصول عليه، وقد صادف أن كان هذا النص هو (بوليبيوس).

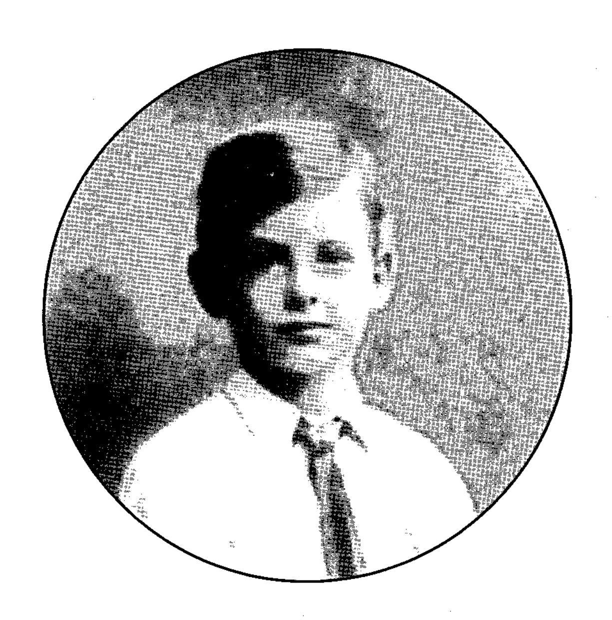
وعندما كان في التاسعة من عمره كان يسلّي نفسه أيام الأحد بكتابة تمارين في اللغة العبرية بمساعدة كتاب ألّفه جده لأمه لتمكين رجال الدين من تعليم أنفسهم. ولكنه عند بلوغه العاشرة من عمره سببت له سقطة شديدة نزفاً في المخ مع أعراض قال عنها (السير فكتور هورسلي) بعد ذلك بأنها كانت متوقعة في حالات سابقة، ولكنها لم تُراقب أبداً، لأنها تختفي خلف أعراض أخطر منها. وعلى الرغم من أنه شفي ولكنه كان بين الحين والآخر يصاب بحالات إغماء، وقد طُلب منه ترك المدرسة والعيش قدر المستطاع في الهواء الطلق. وقد عملت الأيام التي قضاها في حديقة المنزل، وفي مروج (سيكس) خلال زيارة طويلة لأقاربه في (ورذنك) على استعادة صحته وتقويته جسدياً، بالإضافة إلى تعلمه شيئاً عن البستنة والدواجن والنجارة. ولكن فترة غيابه عن المدرسة والتي دامت تسعة أشهر حالت دون قيامه بالمنافسة على زمالة للدخول في (مدرسة عامة).

• وفي سن السابعة أرسل مع أخته إلى مدرسة نهارية صغيرة.

• وفي التاسعة من عمره التحق بمدرسة تحضيرية نهارية للبنين قريبة من منزله.

• لقد شق طريقه إلى القمة بسرعة، وقد وُصِفَ بأنه من ذوي المستقبل اللامع. وقد جاء في تقرير مدير المدرسة: «لم أشاهد ولداً بذهن ثاقب كهذا».

• وفي أيلول ١٩٠٦ دخل كلية (دالوج) كطالب نهاري، حيث ابتدأ في الصف الرابع، ووصل إلى الدرجة الاعتيادية في عيد الفصح عام ١٩٠٨. وقد حاز على زمالة دراسة وكتب مرشد صفّه السيد (أج دبليو هوز) إلى والده في تموز ١٩٠٩ قائلاً: (يبدو لي أنه يتمتع بإمكانية رائعة في العديد من الوجوه، وخاصة في قدرته على الترجمة إلى الإنكليزية. وقد لوحظت هذه الناحية بصورة خاصة من قبل الشخص الذي امتحنه في اختبار الزمالة الدراسية. وقد كانت هذه الناحية مدعاة للملاحظة لفترة من الوقت. لقد كانت أوراق ترجمته اليونانية لهذا الفصل والفصل السابق مدهشة حقاً. وإذا تركنا



سوماريز مان في العاشرة من عمره



سوماريز مان في منطقة (باليول كواد) عام ١٩١٥.

موضوع الإمكانية جانباً فإن الروح التي أتمّ فيها عمله طيلة فترة وجوده في صفي ورغبته في التعلّم والعمل على المقترحات كانت في غاية الروعة. إنني أشعر بأنه يمتلك الروحية الحقيقية للمدرس، وأتمنى من الأعماق أن تتكامل هذه من كافة النواحي).

• وفي الوقت نفسه فقد كان هناك عاملان آخران ساعدا على تكوين شخصيته. فقد كانت زيارته لمرتين في السنة إلى ساحل البحر حتى التحاقه بالمدرسة، حيث أصبحت واحدة في السنة، بعد ذلك يزور خلالها مكاناً مختلفاً في (إنكلترا) و(ويلز) و(كرنزي) و(جرسي) وبعدها في (نورماندي) و(بريتاني) قد أكسبته تجربة غنيّة عن البلاد أكثر من بقية طلبة المدارس.

• لقد نشأ هو وأخته ميالون إلى السفر والنزهات الطويلة في الريف سيراً على الأقدام أو بوسائل أخرى.

• وتربى في الكنيسة الإنكليزية في جوّ يمكن وصفه بأنه ليبرالي وإنجيلي. وعند بلوغه سن الثانية عشرة انضم إلى صف للأولاد لا ينتمون إلى مذهب معين، يجتمعون في بيوت مختلفة لمدة ساعة في أمسيات أيام الأحد، لسماع ومناقشة كلمة يلقيها زائر، أو ورقة يتقدم بها أحد أعضاء المجموعة التي يقوم أحد أعضائها الآخرين بكتابة وقائع الاجتماع.

لقد كان الهدف المعلن للصف هو (لبيان قوّة وواقعية خدمة المسيح) وقد أثارت هذه بدون شك رغبة بين الأعضاء للانخراط في عمل مسيحي نشط.

• وفي ٢٦ مايس ١٩١٠ قام أسقف (ساوث ورك) (الدكتور تالبوت) بمنح سوماريز التثبيت الديني في كنيسة كلية (دالوج) بعد التحضيرات التي قام بها المدير.

• لقد وصل إلى الصف السادس في أيلول ١٩٠٩ وكان دائماً متميزاً في الصف، وشارك مع إحدى فرق المدرسة.

• وفي تموز ١٩١٠ ذهب معها في مسيرة من الكلية إلى مخيم في (أروندیل) ولعب الركَبي، وأخذ دروساً في الموسيقى، وغنّى، وعزف في السنوات التالية في الفرقة الموسيقية للكلية، وقد شارك لسنتين متتاليتين في مخيّم المدرسة العامة، وقد وصفه آخر تقرير للمدرسة عنه بأنه (نموذج رائع، وطالب جيّد، عمل دائماً من أجل مصلحة المدرسة).

وعبّرت المدرسة في تقريرها عن شكرها الخالص له (لوضعه إمكاناته الموسيقية الكبيرة في خدمتنا دون ملل).

• وعن حياته الدارسية بصورة خاصة، كتب السيد (ج. كندي سكبتون): «أعتقد أن أحسن وصف له هو ذلك الذي ينطبق على شخصية تشابهه كثيراً وهو آرثر هلاّم». إنني لم أعرف عنه مطلقاً عمله أو قوله شيئاً يتعارض ولو قليلاً مع هذا الوصف، وأنا متأكد بأن الجميع مثلي.

• ترك كلية (دالوج) في عام ١٩١٢، وكان في عام ١٩١١ قد انضم إلى مجموعة للقراءة من زملاء دراسته في (ساوث ولد) بإشراف السيد (فورتسكيو) من مدرسة (كاتدرائية ورسستر). وفي شهر كانون الأول تقدم إلى زمالة (باليول) الدراسية في الآداب الرومانية واليونانية، وكان ترتيبه الثالث في قائمة المرشحين الناجحين. أما الاثنان الآخران فكانا (آرثر انز آدم) من كلية (ونجستر). و(كينيث ريجينالد بوتر) من كلية (دالوج). وفي رسالته إلى والد ساموريز، وصف مدير المدرسة ساموريز قائلاً: «لقد كان من عدة نواحي أفضل الثلاثة».

• أصبح موسيقياً خلال أيام دراسته أكثر من أي وقت، وكان هو وأخته يرافقان أبويهما في إجازاتهما السنوية القصيرة في جزر القنال ونوماندي وبريتاني، لقد كان منذ البداية رفيق سفر مريح، فهو مولع وشغوف ولا تهمه الصعاب والعقبات التي تُعكّر بين الحين والآخر السفرات الطويلة. إنه مريح في كل الأشياء قديمها وحديثها في الفن والدين والسفر في السفن البخارية والقطار، وفي الهواء الطلق والبحر والرياح والسماء. ويجوز لي أن أسجّل هنا واحدة من ذكرياتي السعيدة وهي كثيرة.

• في عام ١٩١٢ في مدينة (فان) كانت المجموعة في الكنيسة عندما دخل موكب عرس يبدو أنه لناس ذوي نفوذ في المجتمع، دخل من الأبواب الغربية الكبيرة. كان ثلاثة من المسافرين يخشون أن يفوتهم وقت الغداء ويبقون محبوسين داخل الكنيسة خلال المراسيم قد انسحبوا بسرعة، ولكن سوماريز كان قد وصل إلى شرفة الأرغون، وقد أعجب عازف الأرغون بأدائه بحث أنه دعاه إلى البقاء حتى نهاية المراسيم واختتامها بعزف مارش الزواج. ولكن كل أرغون له خصوصياته التي يمكن معرفتها من خلال الممارسة لذا فإنه وجد نفسه مجبراً على رفض الدعوة.

• وفي تشرين الأول عام ١٩١٢ ذهب للسكن في (باليول)، وكان السيد (سيريل بيلي) هو مدرّسه، وكان بيت المشرف في ميرتون مفتوحاً له دائماً، وكانت أخته الوحيدة



مخيّم فرقة شباب (باليول) في تموز ١٩٢٠.

تسكن منذ سنتين في سومرفيل، وكانت قد بدأت للتحضير لنيل درجة الشرف. لقد بدأ حياته على المستويين الشخصي والاجتماعي كطالب في (باليول). وكان يذهب مع أقرانه في نهاية الفصل إلى المؤسسات الدراسية في (كريفن) و(ايرلندا) وذلك لمجرد الحصول على الخبرة بطبيعة الحال، وكان يصل إلى البيت متعباً في (الكرسماس)، ولكن صحته قد تحسنت كثيراً أثناء وجوده في (أكسفورد).

• لقد كان شغوفاً خارج عمله بشيئين، هما: عزف الموسيقى مع فرقة (باليول)، والمساعدة على إدارة نادي (باليول) للبنين، الذي بدأ في (سانت إيبز) قبل ست سنوات لمنفعة الأولاد العاملين في مدينة أكسفورد.

• وفي أيلول ١٩١٤ دخل معسكر تدريب الضباط في (جرن) وكتب إلى أبيه رسالة قال فيها:«نحن هنا خليط غريب، فهناك ذوي (الدم) الراقي من الطبقات العليا والأشراف الذين سيكونون ضباط بريطانيين أصليين وهم كفؤ لذلك، وهناك الشخصيات المرموقة بشكل أو بآخر مثل (س. ل. ريس) و (أ.ج. هيث) وغيرهم. (ويمكنني أن أعتبر نفسي واحداً منهم). وأعتقد بأنهم سيكونون أكفاء جداً، وفي غاية الإندفاع، ولكنهم لن يرقوا إلى مستوى أولئك، كما أنهم لن يتمكنوا من مخاطبة رجالهم بوعي كامل لأنهم أنفسهم ينتمون لطبقات راقية، وهناك نوع ثالث وهم اليائسون (وأعني اليائسين من وجهة نظر العقيد) وهم الذين يتذمرون عند استدعائهم للتدريب ولا يتعلمون شيئاً»[1].

[• وفي ١٦ آب ١٩١٩ وصل إلى البصرة قادماً من بمبي ـ الهند عن طريق البحر.

• وفي ٢٥ آب ١٩١٩ وصل إلى بغداد عن طريق نهر دجلة مروراً بالعمارة والكوت.

• وفي ٢٦ آب ١٩١٩ غادر بغداد متوجهاً إلى الحلة.

وفي ٢٧ آب ١٩١٩ وصل إلى الحلة واطلّع على آثار بابل من القطار وبنفس اليوم توجه إلى الكفل بواسطة القطار.

---

(١) بعد هذا الموضوع أورد جامع الكتاب رسائله التي بعث بها إلى أهله وأصدقائه من عام ١٩١٤ - ١٩١٩ وهي تتعلق بأموره الخاصة، وقد وزعها على الفصول ٣ - ٩ من أصل الكتاب، أي إلى ص١٣٧، ولكونها لا تخص الموضوع الذي من أجله ترجم الكتاب ارتأينا الأعراض عنها لفرصة أخرى ـ إن سنحت ..

وأكملنا بقية ترجمة حياته من خلال الرسائل الأخرى. وقد جعلنا ذلك بين معقوفين.

• وفي ٢٨ آب ١٩١٩ وصل إلى النجف مقر (لواء عموم الشامية والنجف) ليتسلم مهام عمله كمعاون حاكم سياسي في الشامية.

• وفي ٣ أيلول ١٩١٩ وصل إلى الشامية واستلم مهام عمله كحاكم سياسي.] .

أما ما تبقى من حياته والموقف في منطقة الشامية حتى سقوطه قتيلاً برصاص الثوار في الكوفة في ٢٢ تموز ١٩٢٠ فقد دوّنه والده وأثبته في نهاية الكتاب.



سوماريز مان ـــ صورته في على ١٩١٦.

المذكـــرات

بعد أن قُتل الكابتن (جيمس. أس. مان) James Saumarez Mann برصاص الثائرين في جبهة الكوفة، توقف سيل الرسائل التي كان يبعث بها، وكانت كثيرة ومستمرة، تؤرخ يومياته وحركاته الشخصية والإدارية.

فكانت الأولى منها في ١٩ كانون الثاني ١٩١٣ عندما كان طالباً في باليول، واستمرت حتى نشوب الثورة العراقية، إذ أن آخر رسالة وصلت منه إلى أمه في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، ولعل هناك رسائل أخرى قد كتبها أو بعث بها ولم تصل لأن الاتصالات قد قطعت مع بغداد، وكانت الرسائل تجد طريقها إلى الضياع، فقد قام والده بجمع تلك الرسائل ونشرها تحت عنوان:

An Administrator in The Making

وترجمته:

إداري فـي دور التكـويـن

وطبعها في لندن عام ١٩٢١.

وقد شغلت هذه المذكرات - التي بين أيدينا - ثلاثة فصول تقريباً من صفحة ١٣٨ - ٣١٩ من أصل الكتاب الكلي والذي يضم ٣٣٠ صفحة متوزعة على إحدى عشر فصلاً. وقد أطلق على كل فصل اسم المنطقة التي حلّ فيها مان، وبعث منها رسائله.

كما صدّره والده بمقدمة عن حياته وختمه بتكملة تتناول الثورة ومقتل ولده، ثم تقريراً للميجر نوربري الحاكم السياسي للمنطقة عن اشتغال الكابتن مان في العراق.

وعزّز الكتاب بخريطة وصور فوتوغرافية بما لا يستغنى عنها. فهو يشكل مصدر مهم من مصادر تأريخ العراق السياسي.

وبما أننا استللنا المجموعة التي تبدء من نزوله بالبصرة في ١٦ آب ١٩١٩ واستلام مهام عمله كمعاون للحاكم السياسي في الشامية، ثم إجلاءه مع حاميته من الشامية إلى الكوفة حيث مقر القيادة البريطانية، حتى آخر رسالة قبيل سقوطه قتيلاً برصاص الثوار في ٢٢ تموز ١٩٢٠.

وقد أسميناها : (مذكرات الكابتن مان في العراق ١٩١٩ - ١٩٢٠).

إن هذه الرسائل لا تقل أهمية عن مدونات السيّاح الأجانب، وسجلات شركة الهند الشرقية، ومؤلفات الحكام السياسيين الذين عرفهم شعبنا خلال الاحتلال... وهي كلها تتناصر على إضاءة الجوانب - التي ما نزال نحسبها مظلمة - من تأريخنا الحديث. وينبغي للمفكرين العراقيين وهم في ثورتهم الدائمة وكفاحهم الراهن، أن يقرنوا الدافع إلى ترجمة هذه الآثار الأجنبية بالغيرة الصادقة على تأريخنا، فلا عذر لنا في إهمالها، وهي وإن كان بعضها يستهجن تقاليدنا وعاداتنا وعقائدنا - ولا يُلتمس لأصحابها تبرير في هذا العدوان - إلا أنها جديرة بالترجمة الكاملة الأمينة. وما علينا إزاء ذلك إلا أن نثقل نصوصها بالهوامش التي تحترم الحق، وتصحح الوهم، وتشجب الباطل، وترد الكيد. وينبغي أن نؤمن بأن ليس كل ما كتب وقيل عنا في المدوّنات والرسائل والتقارير والسجلات والمؤلفات يعتبر على إطلاقه صحيحاً.. ولكننا مع ذلك يجب أن لا نخشى - في كل الأحوال - أية التماعة صائبة ما تزال رهينة في ذمة التأريخ. فقد حان الوقت أن نقرأ بشجاعة ما كتب فينا قبل ثلاثة أرباع قرن وحتى ستة قرون، لأن التجاهل لا يمكن أن يستقيم موقفاً سليماً، ولأن الصمت لا يؤدي إلى التسليم بصدق ما زعم الزاعمون، ولابد لنا بعد ذلك أن نسخّر عملنا بما قيل وكَتِب أفضل وسيلة للمواجهة والدحض والتصويب.

إننا نعلم جيداً أن بعض أصحاب هذه الآثار كانوا أحياناً ضحايا أخطاء، وكانوا أحياناً يتسرعون في أحكامهم، ولربما كانت أفكارهم المسبقة هي التي جارت عليهم عندما تسرعوا وأخطأوا، ونحن - عند المواجهة - يجب أن نتحدى المستنقع وصولاً إلى زنبقة الوادي.

فقد سرد الكابتن مان الحوادث والمواقف التي عاشها بنفسه ضمن منطقته وحسب منظوره الشخصي، فإذا ما قورنت هذه المذكرات مع ما أورده بعض القادة العسكريين البريطانيين أو رجال الثورة العراقيين في مؤلفاتهم، نجده يختلف مع القادة أحياناً ومتفقاً مع الثوار، وأخرى بالعكس. فهو ينظر إلى الثورة على وجه العموم نظر من وكل إليه العمل في إحدى دوائر الانكليز، ثم إلى ضابط متحمس لقمع كل ما يمس بالسياسة الانكليزية، واعتبار الثورة تمرداً في نظره. لذلك لم يجد بداً من أن يتغافل أو يغفل ذكر بعض الأمور، فقد حاول أن يشكك بقدرة العراقيين على حكم أنفسهم تبريراً للوجود البريطاني في العراق.

وعلى كل حال فالكتاب يضم بين دفتيه معلومات قيمة مهمة عن المنطقة التي وضعت تحت ادارته، ثم نشوب الثورة فيها بقدر ما تيسر له ـ بصفته معاوناً للحاكم السياسي ـ من تقارير ورسائل إدارية وسياسية وعسكرية، وما حصل عليه من خبرة شخصية وهو يدير الحركات الحربية بأزاء الثوار البواسل.

كل تلك الأمور هي التي حملتني على أن أُكلف أخي الأستاذ كاظم هاشم الساعدي بترجمتها، وفعلاً قام بذلك العمل مشكوراً على أتم وجه.

وقد رغبت ـ وكما أشرت سابقاً ـ في وضع هوامش توضيحية، وتعليقات، وتعقيبات، واستدراكات، وتصويبات، أثبتناها في الهوامش. نجلي فيها بعض الحقائق، ليكون القارئ على بينة من مجريات الحوادث.

كما أهملت التعقيب والإشارة إلى كثيرٍ من المواضع في ثنايا الرسائل من ألفاظ وكلمات ساقها دون تحفظ، هي ديدن كل عدوّ، حاقد، مستعمر، ووجهة نظره تجاه أبناء البلد المحتل ورجال الدين والشخصيات الوطنية. أهملتها لكثرتها، والتعليق عليها لا يغني شيئاً سوى أثقال الهوامش، فقد تركتها على عواهنها، والقارىء النبيه يدرك ذلك، واستشهد ببعض تلك العبارات من قبيل:

«الأخسّاء المشهورين» و«يتنازعون كالقطط» و«إنهم أغبياء تماماً» و«إنهم يرددون كالببغاء» و«الشيوخ المنافقين» و«الأخسّاء في منطقتي» و«إنهم نتاج مجتمع خشن» و«إن أيديهم غير نظيفة» و«انهم أفقر من جرذ على الكنيسة» و«إن المرء يدرك بوضوح مقدار تأخر العرب بصورة تكاد لا تصدّق» و«إن المذهب الشيعي آخذ بالخفوق، وهو يدعو إلى التخلف، إنه بلاء على وجه الأرض وكلمة (الله) عديمة المعنى» و«إن العراق ليس جميلاً» و«أقذر خسيس» و«شيوخ منطقتي يحملون صفة النذالة» و«تمنيت أن أجد شخصاً أضحك معه على هذه المهازل». إلى عشرات غيرها.

يظهر فيها جلياً تحامله على العراقيين، علماء وزعماء قبائل وأبناء المدن المقدسة.

ولغرض إعطاء صورة واضحة عن موقع هذه الرسائل من تلك الأحداث ودور صاحبها ـ الكابتن مان ـ فقد كتبت لها تمهيداً يؤرخ تأسيس منطقة الشامية، وتبعته ببحث عن موقف لواء عموم الشامية والنجف في الثورة العراقية لوحدها، لأنها وحدة مترابطة مع بعض فقرات اللواء المذكور.

وقد طعّمت المذكرات بمجموعة من الصور الشخصية والوثائق الخاصة بها من محفوظاتي الشخصية. إضافة إلى الصور والوثيقة التي جاءت في المذكرات نفسها.

آملاً أن أكون قد قدمت خدمة مقبولة، والله ولي التوفيق.

الكوفة في ٣٠ حزيران ١٩٨٥

كامل سلمان الجبوري
مؤسس المتحف الوثائقي لثورة العشرين
في النجف، ومديره سابقاً



الرســـائل



[١٩١٩]

البصرة في ١٦ آب ١٩١٩ (إلى والده)

ها أنذا في النهاية في بلاد ما بين النهرين... لقد وصلنا حوالي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم أمس، ولكننا لم ننزل عن ظهر السفينة حتى تجاوزت الساعة السادسة، نظراً لارتفاع درجات الحرارة، ولكن في الحقيقة أعتقد إن السبب الصحيح، هو أن عمال التفريغ كانوا يتمتعون بنوم الظهيرة.

كانت درجة الحرارة يوم أمس بعد الظهر (١٠١) درجة فهرنهايت، وهي درجة حرارة باردة بالنسبة للمكان، وكنا قد وصلنا مباشرة بعد انتهاء موجة حرّ، حيث كانت درجة الحرارة في الظلّ يوم الأحد الماضي قد بلغت (١٢٥) درجة. ولحد الآن لم نشعر بالحر أبداً.

كان الجو بارداً مريحاً خلال الليلة الماضية. وكانت أول ليلة احتجنا فيها للبطانيات منذ أن كنا في البحر الأبيض المتوسط.

... لحد الآن لا أستطع أن أصف البصرة كثيراً، ولكنها مدينة خضراء أكثر مما كنت أتوقع. إن الميناء البريطاني الكبير هو في الحقيقة ضاحية تسمى العشّار، ذو المحلات التجارية العامرة، هنالك الكثير من الجداول التي تتفرع من النهر الرئيسي، وغابات النخيل الكثيفة تغطي المكان برمّته، وثمرها على وشك النضوج، بالإضافة إلى انتشار الأشجار والحشائش، وعلى ضفاف شط العرب ابتداءً من عبادات تبدو جميلة جداً، وعليها بيوت العرب وأكواخهم المبنية من الخشب والطين، والكثير من الأغنام والأبقار تحت أشجار النخيل، وأعداد لا تحصى من الزوارق، وبين حين وآخر يبدو أحد البيوت المبنية بالطابوق ذو مدخل تحيطه الدعامات، مما يجعله يبدو وكأنه على الطراز الروماني. وبالطبع فإن النخيل ينمو على مسافة عدة مئات من الياردات قرب النهر، وبعد النخيل تبدأ الصحراء.

[ويضيف أنه سمع أن الحرارة العالية خلال الأسبوع الماضي قد قتلت الذباب والبعوض].

... إنني سعيد جداً لانتهاء الرحلة، كما إن السفر بالدرجة الأولى في البحر مملّ.

لقد أعجبت بمالطا، وعدن، وأتمنى أن لا أشاهد بور سعيد، وبومباي مرة أخرى.

غادرنا البصرة ظهر يوم التاسع عشر، بعد عدة توقفات بسبب سوء الإدارة، والتي تركتهم أيضاً دون تجهيزات، على ظهر الزورق عدا البقوليات والطعام المعلب الذي جلبوه معهم، واشتروه في طريقهم. لم يكن لديهم خبز، ولا مربى، ولا بسكويت، ولا خضراوات.

كان الليل رائعاً، والجو بارداً في منتصف الليل، أما النهار فكانت حرارته شديدة تمنع القيام بأي عمل ويهبّ عصراً هواء لاهب.

نهر دجلة، قريباً من العمارة في ٢٠ آب (إلى والده)

باستثناء الحرارة، كانت سفرتنا في منتهى الروعة مليئة بالمشاهد الجميلة.

... إن المركب من الطراز القديم، وتبلغ سرعته القصوى حوالي أربع عقد بحرية. وهو يسير مع مركب كبير آخر. كنا خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية نسير خلال المضايق النهرية التي تمتد على طول الطريق من القرنة إلى العمارة، وهي كثيرة الإلتواءات، لذا فقد أمضينا، على الرغم من انبساط الأرض طيلة يوم أمس في رؤية بستان أشجار واحد، والذي مررنا فيه قبل الساعة التاسعة صباحاً. وكانت سرعتنا عند المضايق تكاد تبلغ الميلين في الساعة الواحدة.

.... إن الضفاف على الجانبين كانت يوم أمس وهذا اليوم تخلو تقريباً من الأشجار، ولكن بين الحين و الآخر نشاهد مجاميع من الأشجار. أما مدينة العمارة التي نقترب منها فتكاد تختفي خلف الأشجار، والريف يبدو غنياً، على الرغم من أن المحصول الوحيد الذي يمكن مشاهدته هو الذرة والبطيخ، ولكن عدد قرى العرب التي نمرّ بها يثير الدهشة، ويبلغ معدلها قريتين في الميل الواحد. إن هذه القرى ـ حسب اعتقادي ـ تتألف من مجرد أكواخ من سعف النخيل، تكون على هيئة نصف برميل، ويبلغ عمق الواحد منها حوالي ١٢ قدماً، وهي على هيئة مجمعات سكنية تتراوح أعدادها بين الثلاثة و الثلاثين، ويمكن للمرء أن يشاهد الكثير من الأغنام بألوان بُنية وسوداء وبيضاء، والأبقار تشبه الأنواع الإنكليزية كثيراً، وتختلف تمام الاختلاف عن الأنواع الهندية، والكثير من الدواجن، وعدد من الخيول والكلاب. ويتمتع الناس بالجمال، والنساء غير محجبات، ويرتدين الملابس الملونة الجميلة، رغم افتقارهن إلى

النظافة، وغالباً ما تميزهن الحلقة التي تُعلّق في الأنف، عن الرجال الذين يرتدون الملابس الفضفاضة البيضاء القذرة، وعمامة رأس تكاد تشبه قطعة قماش تنظيف الصحون، باللونين الأحمر والأبيض (أو بالأسود والأبيض). مجاميع من الأطفال تركض بجانبنا على الضفة أو حتى يأتون إلينا سباحة، حاملين معهم البيض والدجاج، ودائماً ما ترتدي البنات الثياب الحمراء الفضفاضة. أما الأولاد فهم عراة تماماً. وهم يخرجون للّعب سوية حتى في حرارة الظهيرة، بينما نجلس نحن لاهثين. وعن مسافة امتداد المراعي عن الضفاف فلا أستطيع أن أعرفها، ولكني أحتملها أن تكون ميلين أو ثلاثة، وبالتأكيد فإن الأبقار تبدو منتعشة، وعلى الرغم من أن الناس ليسوا أغنياء فإن جميع النساء يرتدين الزينة التي يصنع الكثير منها من الذهب. إن واسطة النقل الرئيسية هي القوارب التي تسمّى (الأبلام) وهو من الصناعات القديمة، ويشبه الزورق الكندي[1].

إننا نقترب من العمارة الآن، وسوف ننزل للتسوّق، إن تذوّق الخبز من جديد شيء رائع، ولكننا تناولنا عند الإفطار وجبة بيض لذيذة، وأكلنا دجاجة في عشائنا الليلة الماضية.

نهر دجلة، قريباً من الكوت في ٢١ آب (إلى والدته)

.. بعد مدينة العمارة يزداد النهر عرضاً، وتزداد الضفاف ارتفاعاً، لذا لا يمكننا الآن مشاهدة ما وراءها أبداً. إن منسوب المياه منخفض في النهر، وقد بقينا قرب الضفة خلال الليالي الثلاثة الماضية، من الساعة السابعة مساءً، وحتى الخامسة صباحاً نظراً لصعوبات الملاحة، وبهذا فإننا لم ننعم بالنسيم، وكانت الليلة الماضية التي قضيناها بجانب جرف عال، خالية عن أية نسمة هواء، بالإضافة إلى ذلك توقفنا أمس أكثر من ست ساعات قبل مدينة شيخ سعد[2] (وهو المكان الذي توّقفت فيه قوة إنقاذ الكوت، عن الحركة)، وذلك نتيجة لجنوح أحد القوارب أمامنا في القناة، لذا فقد جلسنا وأمضينا اليوم كله، حتى تم في النهاية اكتشاف قناة أخرى. وبعد عدة اصطدامات بقعر النهر أنقذنا أنفسنا بصعوبة من موقف مشابه لموقف تلك القوّة.

(١) وصف الناس لأنهم خرجوا من الاحتلال التركي ودخلوا في احتلال جديد.
(٢) مدينة صغيرة تقع على طريق العمارة ـ الكوت.

وقبل يومين شاهدنا الجبال التي تقع على حدود بلاد فارس على مسافة بعيدة جداً ربما تبلغ ثمانين ميلاً(1)، وتبدو جرداء. وعدا مشهد الجبال في الأفق، فإن المكان عبارة عن سهل منبسط. ولا توجد أشجار النخيل في هذا المكان، ونمرّ بين حين وآخر بأحد بساتين أشجار التوت، وفي بعض الأحيان الصفصاف أيضاً، ولكن هذا نادر. كما يمكن مشاهدة أعداد هائلة من قطعان الحيوانات تسرح في المراعي المترامية الأطراف.

وقد أعطت الأكواخ المبنية على هيئة خلية النحل، المجال الآن لخيمة البدوي ذات اللون الأسود أو البني، والمصنوعة من وبر الإبل، والتي تنتشر على الضفاف وحتى تصل إلى حافة الماء. وعدد الماشية، والسكان الأمر الآخر الذي يثير الدهشة، فالناس يتميّزون بالجمال والملابس والحلي الرائعة، والمواشي تتميز بسمنتها. لقد سحرني جمال الشروق والغروب، على الرغم من أن زملائي كانوا يتذمرون ويتساءلون عن سبب مجيئهم.

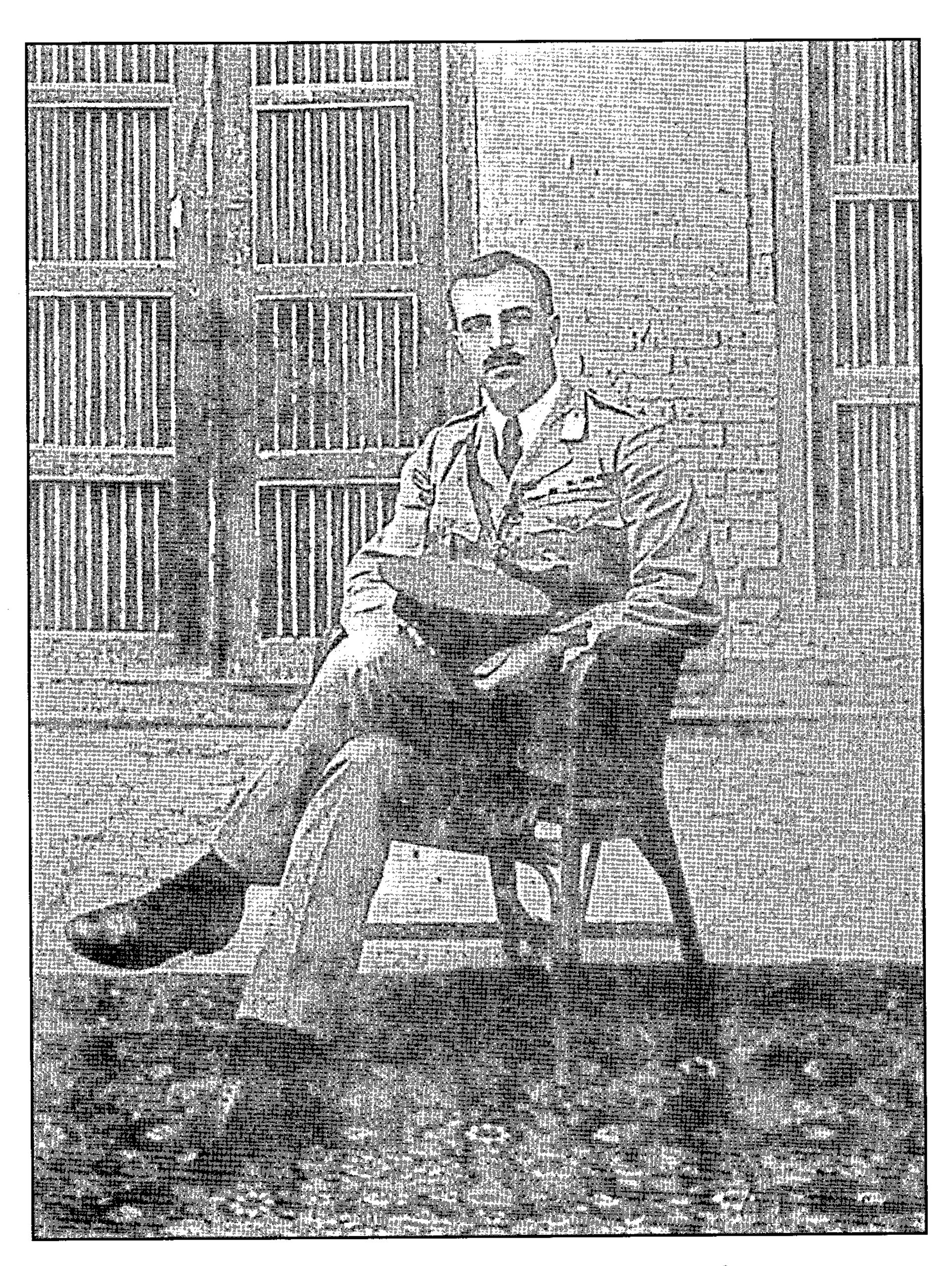
لقد صعد معنا من مدينة البصرة ولد فارسي صغير من منطقة خانقين (وهي ليست بعيدة على الحدود عن بغداد)(2)، واتخذناه خادماً. وقد كان مستخدماً عند أحد ضباط الجيش الهنود، وقد أخذه معه إلى الهند في إجازة، وعندما كان هناك صدرت إليه الأوامر فجأة للتوجه إلى أفغانستان، لذا فقد وضع (باشال) في قارب ثم أرسله في إحدى السفن من كراتشي إلى البصرة. ثم عرض علينا نقله إلى بغداد، فوافقنا على ذلك. إنه لا يعرف كم يبلغ من العمر، ويبدو إن عمره عشر سنوات، وقد يكون ١٤ أو ١٥ سنة، إنه لا يصلح للعمل كخادم أبداً، لصغر عمره، ولكنه ولد ذكي لطيف، يتكلم العربية والفارسية والهندية بنفس الطلاقة. لقد تكلمت العربية معه قليلاً، ولكن لهجته كانت صعبة عليّ، وكان لا يفهم دائماً كتاب اللغة الذي استخدمه، ومع ذلك فقد استطاع كل منا إفهام الآخر بسهولة، وقد حاولت أيضاً أن أتكلم الفارسية معه، وكانت المحاولة ناجحة، ولكني لم أحفظ كلمات المحاورة في تلك اللغة، ولا أستطيع السيطرة على القواعد....

[وفي مدينة الكوت ذهب إلى بغداد بالقطار ليلاً، وقد أبلغ والدته بوصوله في برقية متمنياً لها أن تحتفل بعيد ميلادها بسعادة وباستمرار].

---

(1) يقصد مناطق لورستان وبشتغوه الايرانيتين الحدوديتين وغيرها.

(2) تقع خانقين على الحدود العراقية الايرانية، على بعد ١٨٠ كم تقريباً عن بغداد. وهي قضاء تتبع إداريا لمحافظة ديالى.



السير أرنولد. تي. ولسن ــ نائب الحاكم الملكي العام في العراق

الفصل العاشر

الحياة كحاكم
من آب ١٩١٩ إلى تموز ١٩٢٠

[وصل إلى بغداد صباح يوم ٢٥ آب، ولكن هدفه عدم البقاء فيها، وقد كتب آنذاك:]

بغداد في ٢٦ آب (إلى السيدة ماري موري)

إن العقيد ولسن[1] يطلب مني أن أقوم بوظيفة مساعد الضباط السياسي بشكل مؤقت، لسببين:

---

(١) السر ارنولد ولسن: من رجال الاستعمار البريطاني الذي يشار إليهم بالبنان، ومن تلاميذ السيربرسي كوكس المرموقين، فقد نشأ في خدمة حكومة الهند، ثم اشتغل في بلدان الخليج العربي الذي اطلع على أحواله بالتفصيل، وكتب كتابه (الخليج الفارسي) المعروف عنه. وفي حوالي عام ١٩١٢ عين عضواً يمثل الحكومة البريطانية في اللجنة الدولية التي كلفت بتخطيط الحدود بين العراق وإيران، وظل يعمل فيها إلى نشوب الحرب العالمية الأولى في ١٩١٤، وحينما نزلت الحملة البريطانية في الفاو وتقدمت لفتح البصرة التحق بها، وشارك في صد الهجوم الذي شنته العشائر والمجاهدون بقيادة محمد باشا الداغستاني في جبهة الحويزة، وقد انتقاه السيربرسي كوكس رئيس الحكام السياسيين الملحق بالحملة العسكرية (والحاكم الملكي العام بعد ذلك) للاشتغال معه في البصرة، ثم في بغداد بعد أن تم الاستيلاء عليها، وبقي مع السربرسي كوكس حتى كلف كوكس بالاشتغال في إيران، وعندئذ حل ولسن في محله فأصبح (وكيل الحاكم الملكي العام).

وفي وكالته هذه اندلعت نيران الثورة العراقية الكبرى في صيف ١٩٢٠، وقد كان السرارنولد من البريطانيين المنتمين إلى ما كان يسمى يومذاك بالمدرسة الهندية، حيث أنه كان من مؤيدي فكرة ربط العراق بالهند، وكان مسلكه في العراق متأثراً بمثل هذا التفكير الذي يعارض في تشكيل حكم وطني في العراق مهما كان شكله، ولذلك يعتقد الكثيرون أن تصرفه في هذا الاتجاه هو الذي أدى إلى نشوب الثورة العراقية الكبرى في أيامه. وبرغم ما كان عنده من مقدرة وكفاءة في العمل فقد نحي عن وظيفته في العراق لهذا السبب. وعندئذ عاد السربرسي كوكس إلى العراق مندوباً سامياً فعمل على تأسيس الحكم الوطني فيه بالشكل المعروف.

واشتغل ولسن بعد ذلك في شركة النفط البريطانية، ثم تطوع للاشتراك في الحرب العامة الثانية فقتل فيها.

وقد كتب كتاباً مهماً جداً بمجلدين يتضمن تفصيلات الاستيلاء البريطاني على العراق، وحكم بريطانيا له في عهد الاحتلال، ويسمى المجلد الأول منه: *Loyalties, Mesopotamia ١٩١٤ - ١٩١٧*

والمجلد الثاني: *Mesopotamia ١٩١٧ - ١٩٢٠ A Clash of Loyalties*

أولهما: أنه ليس لديه العدد الكافي من الملاك.

وثانيهما: إنها تعتبر تجربة إدارية جيدة.

وأنا ذاهب هذا المساء إلى النجف لأخلف ليونيل سمث (وهو ابن مدير باليول، في القسم الثقافي لبلاد ما بين النهرين، وكان لفترة من الوقت زميلاً ومدرساً في كلية ماجدولين في أكسفورد).

تقع النجف في الصحراء، إلى الغرب من نهر الفرات، وعلى مسافة حوالي ١٢٠ ميلاً إلى الجنوب من بغداد، ولا تبعد كثيراً عن بابل (التي آمل أن أراها يوم غد). وتشتهر النجف باحتوائها الأماكن المقدسة للشيعة، باعتبارها مرقد الإمام علي، وتبعاً لذلك فإن سكانها يعتبرون أكثر سكان العراق تطرفاً وتعصباً. إن ولسن يعتقد أنني سأبقى هناك لمدة ثلاثة أشهر ولكنه يريد إرجاعي إلى بغداد بأسرع وقت ممكن. إنني سعيد جداً لهذه البداية، إنني أود معرفة العمل السياسي، كما أنني سأكون أكثر حرية في تعلّم اللهجة العربية الدارجة هناك.

وكما توّقعت، فإن الوظيفة التي أنوي القيام بها لا تمّت بصلة للتحرير الصحفي، ولكنها أقرب إلى إدارة قسم للنشر... إن الصحف المحلية تدار حالياً في خمس مدن عراقية[1]، وأن الرأي هو أن أقوم بكتابة المادة، ويقوم المترجمون الذين يعملون معي بترجمتها، ثم توزّع على رؤساء تحرير الصحف الخمس. وهذا يتطلب الإطلاع على كافة الصحف التي تدخل دائرة المندوب المدني، وحيث أني سأعرف كل ما يدور في البلاد، فإن ذلك سيجعلني أستطيع أن أتخذ القرار في نهاية السنة حول مسألة بقائي.

إن الظروف ممتازة، ويجب أن أقول إنني أحب ولسن لحد الآن حباً جماً، ففي اللحظة التي يراه المرء فيها، فإنه يفهم ما يدور في خلد ناقديه عنه، ولكنه من نوع الرجال الذين لا تعرف قيمة عملهم إلاّ بعد التطبيق، إنه رجل قويّ، ومُفْعَم بالحيوية، ويعمل ليلاً ونهاراً، لا يكترث بمظاهر الترف، ذو معرفة واسعة عن البلاد. كما أنه رجل عملي ولا يطيق أن يقوم الناس بتطبيق نظريات في ظروف لا يعرفون عنها شيئاً، بالإضافة إلى

«فصول عن تاريخ العراق القريب للمس بل ترجمة جعفر خياط ٣٣٥».

وقد ترجمه إلى العربية وقدمه وعلق عليه فؤاد جميل بعنوان: بلاد ما بين النهرين بين ولائين طبع في بغداد.

(١) من هذه الصحف التي أصدرتها حكومة الاحتلال: جريدة الأوقات البصرية بأربع لغات، العربية والتركية والفارسية والانكليزية، والأوقات البغدادية، والأوقات الموصلية.

ذلك فإنه لا يستخدم الاسم الذي أطلق عليه وهو الرئيس.

ولكنني أمضيت معظم يوم أمس في قراءة بعض ملفاته التي تتضمن وجهات النظر من منطلقة تحدّها القسطنطينية وطهران وبندر عباس ومكة، وتشتمل على اثني عشر مذهباً مسيحياً، ومذهبين كبيرين من المسلمين، ويُقسمان إلى عدد لا يحصى من الجماعات الصغيرة، وكذلك اليهود، وعبدة الشيطان في سنجار[1] وجمعيات سرية للأكراد والأتراك والشراكسة والآشوريين والعرب والبدو والهنود بكافة أنواعهم، وكذلك اليهود أيضاً، تُرى ماذا يمكن أن تكون نتيجة ذلك!.

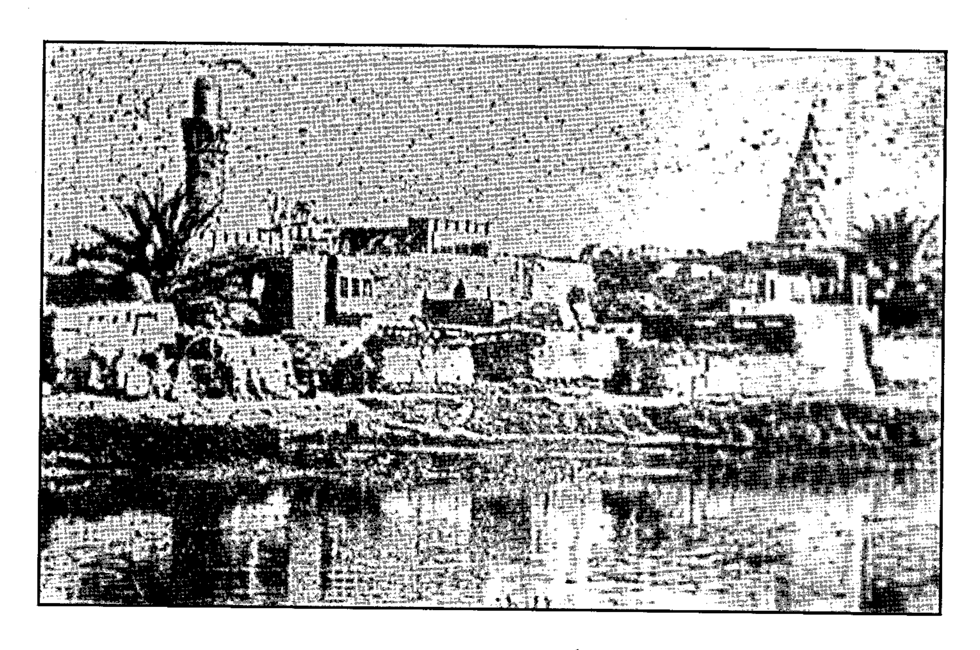
حسناً، سوف نرى، وعلى الأقل أنني آمل أننا سنعرف ذلك، حيث أنني أفكر بالبقاء هنا، وتحديداً فإنني أريد الذهاب إلى كردستان، بين التلال في المنطقة الشمالية، إنني أريد أن أحضر هناك وأتعلّم اللغات وبعضاً من التأريخ....

[وقد كتب في اليوم ذاته إلى أبيه، وبعد أن وصف عمله بنفس الطريقة، أضاف قائلاً:]

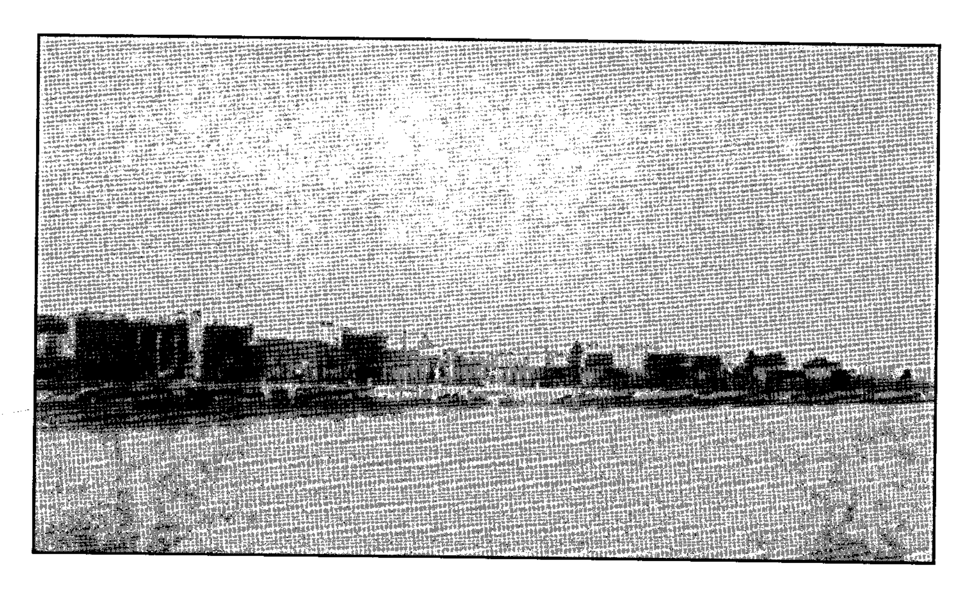
...إن منطقة الفرات غنية جداً بالآثار والمواقع القديمة، وقد كنت هذا الصباح أنعم النظر في قطع نقدية جميلة مصنوعة من الفضة، وأعتقد أنها جاءت مع قدوم الإسكندر الكبير إلى هنا.

لم أقم بالإطلاع على مدينة بغداد لحد الآن، ولكني ذهبت إلى السوق صباح هذا اليوم وشاهدت الكثير منها. إنها مدينة صغيرة، ونظراً لشحّة الصخور، ورداءة الطابوق، فإن البنايات واطئة بصورة عامة. وطرقاتها الضيّقة القديمة التي تكاد البيوت تلامس بعضها البعض جذابة للغاية. ولكن الأتراك قاموا بفتح طريق كبير وسط المدينة[2]، وقاموا بتدمير كل التحصينات قبل عدة سنوات. ورغم أن هذا تقدم كبير، ولكنه وكما يبدو قد أزال الكثير من سحر بغداد، حيث لم يكن بإمكان العربات دخولها، ولكني أعتقد أن سحر اسم مدينة بغداد يعود بصورة أساسية إلى قصص ألف ليلة وليلة. لم يبق شيء من عاصمة هارون الرشيد والتي شيّدت على الجانب الآخر من النهر. إن

(١) انظر ما كتبته المس بل عن اليزيدية في: فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط ص ١٥٧ - ١٦١.
(٢) شارع الرشيد.



مدينة الكفل ـــ منظر عام ١٩١٩



مدينة الكوفة ـــ منظر عام ١٩٢٠، أُخذت الصورة من قبل الكابتن مان قبيل إعلان الثورة.

النهر في هذا المكان جميل جداً، ويبلغ عرضه ٤٠٠ ياردة تقريباً، ويمتد عبره جسر من الزوارق[١]، وتحيط أشجار النخيل بالمدينة، وهي نظيفة جداً في هذا الوقت، لولا الغبار.

النجف في يوم الجمعة ٢٩ آب (إلى والدته)

ركبت سيارة مع عدّتي، وذهبت في الساعة العاشرة و الربع من مساء يوم الثلاثاء ٢٦ آب إلى محطة بغداد الجنوبية التي تبعد حوالي ثلاثة أميال، وقد نمت بسهولة في القطار (الذي لم يتحرك حتى الساعة الواحدة صباحاً) ووصل إلى مدينة الحلة بعد ليلة مريحة في حوالي الساعة الخامسة والنصف صباحاً. لقد شاهدت أطلال بابل بوضوح عند شروق الشمس، ولكنها لم تكن قريبة من سكة القطار.

وفي مدينة الحلة لم تكن هناك سيارة في انتظاري، لذا فقد توجست شراً، ولكن الصباح ما زال بارداً، لذا أخذت حقيبتي الصغيرة ومشيت، ووصلت بعد الساعة السابعة بقليل. وفي الدائرة السياسية علمت أن البرقية عن وصولي من بغداد لم تصل. كما أنهم لم يكن لديهم سيارة أو زورق بخاري لنقلي. ومع ذلك فقد كان هناك قطار ذاهب إلى الكفل في الساعة السابعة والنصف صباحاً، وقد أوقفوه لي. لذا فقد حلقت واغتسلت وتناولت إفطاراً جيداً، وتم نقلي بسيارة إلى المحطة مباشرة بعد الساعة الثامنة. كانت عربة حارس القطار مريحة، لذلك فقد ركبت فيها، وقد جاء الحارس فكان رجلاً إنكليزياً عجوزاً، وكان ثملاً مما أزعجني كثيراً، لقد كنت المسافر الوحيد، حيث أن عربته كانت المكان البارد الوحيد، وبدأ حديثه بالقول إنه جاء إلى هنا عام ١٩١٩، وقبل أن أغادره قال لي أنه كان في هذه البلاد منذ أربعين سنة.

استغرقت السفرة ساعتين ونصف الساعة، وكانت مسافتها حوالي ٢٠ ميلاً، وقد سررت لمشاهدة برج بابل[٢]، وهو برج مدوّر يقف على تل كبير، والذي أرجو أن أتفحصّه يوماً ما. وفي الكفل، وهي مرقد حزقيال، ومحج كبير لليهود[٣]. لقد وجدت

(١) جسر الشهداء.

(٢) ويطلق عليه اسم (برج نمرود) و (بورسيبا) و (البرس) و (برس) بدون تعريف. وهو من آثار السومريين، وكان من معابدهم التي اعتادوا بناءها فوق الروابي، كما كان يختص بالمعبود (بنو) ابن إله البابليين (مردوخ)، وهو يبعد عن قصبة الحلة بـ (١١) كيلومتر، ويبدو شاخصاً على يمين الذاهب من الحلة إلى الكوفة على الطريق العام.

(٣) الكفل: مدينة قائمة على ضفة الفرات اليسرى، تقع على بعد ٢٥ كيلومتر جنوبي مدينة الحلة، وعلى بعد ٢٥ كم شمالي الكوفة، وفيها مدفن نبي الله ذي الكفل (حزقيال)، وهي على صغرها مدينة عامرة

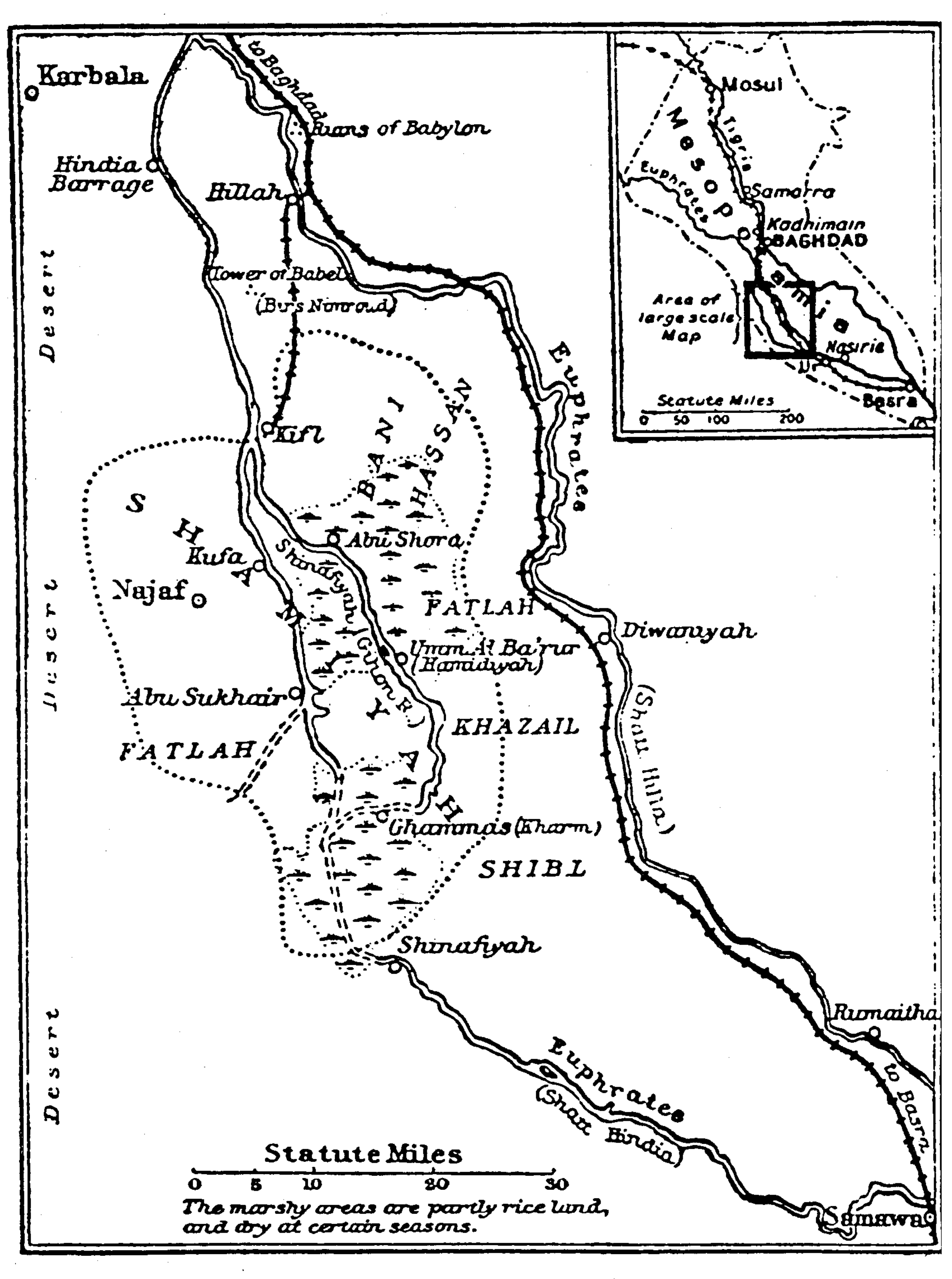
زورقاً كان متوقع ذهابه إلى الكوفة[1] في حوالي الساعة الواحدة ظهراً على أثر هذا التوقّع أبرقت إلى النجف لإرسال سيارة لنقلي من الكوفة، وجلست منتظراً في عربة الحارس الذي كان غاطاً في نومه، الأمر الذي سرّني كثيراً. وفي الساعة الواحدة والنصف ظهر المركب، فقد كانت ثلاث من الزوارق متصلة بمحركات، اثنان منها عاطلان. وقد أصبحت الساعة الرابعة بعد أن تم تفريغ الزوارق وتحميلها مرة أخرى، ولكنني حصلت على الكثير من التمر وبعض البيرة. إن الحرارة على الفرات أقلّ كثيراً من الحرارة على دجلة. وفي النهاية تحرّكنا ولكن الماكنة الوحيدة التي تعمل كانت في الزورق الذي على الجانب الخارجي، وقد أدّى الضغط إلى انفكاك القطر مما دفعنا إلى الشاطئ مرة أخرى. بعد نشوب خلاف شديد بين العرب والهنود حول ما يمكن عمله، وقد طال الشجار مما أثار أعصابي وجعلني أتخذ موقع القيادة، وكنا نتكلم العربية من خلال أحد الأطبّاء الهنود، وقد بدأنا الحركة في حوالي الساعة الخامسة، وقد اشتغلت ماكنة أخرى ولكنها كانت كثيرة العطل، وفي هذا الوقت شعرت بالعطش الشديد وتوتر الأعصاب، ولكن هذا الجزء من الفرات كان رائعاً للغاية. [في الحقيقة كان يشبه في خضرته وجماله نهر التايمس، مضافاً له الحدائق الغنّاء على الجانبين، والكثير من الزوارق والسكان] ومع انحدار الشمس نحو الغروب، وحلول المساء الجميل شعرت بالسعادة من جديد.

لقد اصطدمنا بقاع النهر مرات عديدة، ولكننا لم نتوقف حتى كان الوقت الساعة السادسة والنصف مساءً، بدت الكوفة فجأة، وهي مدينة صغيرة جميلة تقع على النهر، وقد كنت أعتقد أن كل شيء يسير على ما يرام. وعند اختفاء قرص الشمس وفي أثناء قيامنا باستدارة بسيطة جنح المركب، وكانت المدينة بأكملها تنظر، فأُلقيت الحبال ونزل العاملون في المركب إلى الماء، وسحبوا كل زورق على حدة. وفي النهاية تخلصنا ونزلنا إلى الشاطئ وذلك عند هبوط الظلام. وقد وجدت أن سيارتي قد رجعت من هنا، وحيث أن الظلام قد حلّ فقد وضعت نفسي تحت رحمة عريف النقل النهري والذي عرض علي صالة كبيرة لأنام فيها، وقدم لي شاياً ووجبة طعام شهية مكوّنة من حمامتين

بالأسواق المنتظمة وبعض البيوت اللطيفة، ويتردد إليها اليهود من أقاصي البلاد للصلوات والدعاء لاسيما في عيد رأس السنة وفي عيد الكفارة.

وهي اليوم (ناحية) تتبع مركز قضاء الحلة لمحافظة بابل.

(١) الكوفة: مدينة تأريخية مصرها سعد بن أبي وقاص في زمن الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ. وهي اليوم بلدة عامرة تقع على مسافة ٨كم عن مدنية النجف. و٢٥كم عن بلدة الكفل. ودرجتها الإدارية قضاء يتبع إلى محافظة النجف.



خارطة منطقة الشامية وما حولها واستيطان قبائلها.

مشويتين وبعض الفاكهة التي جلبتها معي. وقد كنت أستمتع بذلك حينما دخل شخصان بملابس أوربية وطرابيش وكان أحدهما هو مدير بلدية المدينة، وهو أرمني من السكان المحليين ويدعى سركيس[1]، وكان الآخر ابن عمه وهو ضابط سابق في الجيش التركي، من أهالي بغداد، وقد كان ودوداً، وذو فائدة كبيرة لنا، إن لغته الإنكليزية رائعة، وقد تلقى ثقافته في (ستونيهرست). وقد جاء سركيس ليعرض عليّ بيته تلك الليلة، وقد كان عجوزاً لطيفاً يتكلم الفرنسية قليلاً، واستقبلني بكل حفاوة، لذا انتقلت إلى منزله الذي لم يكن يشغله، وقد وضع لي سرير على السطح. وقد علمت بعدها أن مصرياً يدعى (غاوي)[2] والذي يعمل هنا في الدائرة، والذي جاء من دائرة الشؤون المصرية، يسكن على مسافة ثلاثة بيوت من هنا مع زوجته، فأخذوني إلى هناك لتناول عشاء آخر، إنه رجل رائع صغير، وقد قام بعمله هنا بشكل رائع.

لذا فقد اختتمت يومي براحة كبيرة، وعند الصباح جاءت السيارات، وقد جئت إلى هنا لتناول الإفطار. إن المسافة تبلغ ستة أميال من الصحراء، والمكان في غاية الروعة.

سيتم إرسالي لمدة ثلاثة أو أربعة أيام للإشراف على إحدى النواحي في هذه المنطقة، إنها تدار مؤقتاً في الوقت الحاضر بواسطة شخص سوري يسمى مصطفى[3]، وقد قيل عنه أنه كفؤ ولطيف، ولكنه ذاهب في إجازة. إن المنطقة كبيرة ومهمة، كما أن الشيوخ يريدون رجلاً إنكليزياً، وعندما يذهب مصطفى لمدة ثلاثة أسابيع أو ما يقرب من ذلك سأكون وحيداً، لذا سيكون بإمكاني تعلم العربية بسرعة...

إن قضاء الشامية الشرقية، والذي يقارب في مساحته مقاطعة أكسفورد شاير البريطانية، سيأتي وصفه في رسائل لاحقة، إنه يمتد من الكفل التي تحد أجزاءه السفلى إلى الشنافية التي تحد أجزاءه العليا، ويقع على مسافة تبلغ حوالي ٤٠ ميلاً على إحدى قنوات الفرات الرئيسية الثلاث، والتي يعتقد البعض أنها نهر جيحون القديم[4]، إن الأراضي المزروعة تمتد مسافة ستة أو سبعة أميال عن النهر، وتمتد المنطقة غرباً باتجاه

---

(١) سركيس أفندي: أحد الشبان المسيحيين، تولى إدارة الكوفة بصفة معاون الحاكم السياسي للفترة من ٢ حزيران ١٩١٧ - تشرين الأول ١٩١٧ وأعقبه الميجر نوربري. وبقي في الكوفة بعد هذه المدة بصفة مدير بلدية المدينة.

(٢) غاوي: مواطن مصري كان مستخدماً لإدارة بلدية النجف، وقد ورد ذكره بنفس المذكرات في صفحات قادمة أنه كان يرعى أمور مدينة النجف المختلفة!!.

(٣) مصطفى خرمة السوري: وورد (اللبناني) و(المصري). كان هو المسؤول عن منطقة الشامية قبيل وصول الكابتن مان إليها.

(٤) لا علاقة لنهر جيحون بنهر الفرات.

الصحراء بصورة غير محدودة. إنها تحتوي على أغنى الأراضي الزراعية في العراق، كما أنها تروى بصورة جيدة، وهي ذات جمال مدهش، وتخترق المنطقة قنوات بكل الاتجاهات، ولا توجد طرق للعربات، ولا شوارع، ويتم النقل على ظهور الخيل، أو عموماً بالقوارب، وغالباً ما يكون مركباً بخارياً حكومياً.

إن المحصول الرئيسي هو الرز، ويقدّر عدد السكان بحوالي (٣٥,٠٠٠) نسمة، جميعهم من العشائر، ما عدا مدينتين، أي أماكن التسويق، وهما: أم البعرور، وغماس، والتي يبلغ سكان كل منهما حوالي (١٥٠٠) أو (٢٠٠٠) نسمة. إنها تضم اثنتين على الأقل من المدن المطمورة القديمة، والتي كانت موجودة قبل أن يغادر إبراهيم مدينة أور[1]، ولكنها الآن مجرد أطلال من الرمل مع قطع متفرقة من الطابوق والأواني. كما أن أسماءهم لم يعد لها ذكر منذ زمن هارون الرشيد.

وتقع النجف، وهي أكثر الأماكن قدسية عند الشيعة، على مسافة عشرين ميلاً من هنا، كما أن النبي حزقيال مدفون في الكفل، وتقع محطة القطار على مسافة ثلاثة وثلاثين ميلاً. لذا فإنني أعيش في بذخ.

ونظراً لأن اسم العراق غير معروف كثيراً في إنكلترا، فإنني أُفكر في كتابة اسم بابل على رسائلي.

لم تصل أية قوات إنكليزية إلى النهر الذي أعيش بقربه، ولا أظن أن عدد الذين يعرفون أم البعرور معرفة شخصية من الإنكليز في كافة أنحاء العالم يبلغ العشرين.

كانت المنطقة في زمن الأتراك مضطربة، كما كانت غنيّة، وكان مقدار الريع المستحصل منها مثيراً للسخرية. وبالنتيجة فإن الحكومة المستقرة لها ماؤها بالنسبة لملاك الأراضي، أما بالنسبة لشيوخ الصحراء فإن مسألة القانون والنظام لأية وحدة تتجاوز حجم عشيرتهم تعتبر غير مفهومة، بالإضافة إلى ذلك فإن الأتراك - لكي يغطّوا نقاط ضعفهم ويتفادوا استخدام القوات فقد - قاموا بتأليب القبائل ضد بعضها، فكانت النتائج لا يمكن نسيانها لسنوات عديدة، إن كل ذلك يخلق جواً من المرح، والعربي يحب الظرافة كثيراً (وهذه أحسن صفاته).

[ولإكمال رسالته إلى والدته في ٢٩ آب يقول:]

(١) إن المدن العراقية كلها أثرية، لأن العراق، بلاد ما بين النهرين، موطن الحضارة، و...

إن العمل يتضمن جانبين:

أولهما: جمع ضرائب الريع والإشراف العام على الأراضي والمحاصيل[١].

وثانيهما: قضائي، حيث أنني حاكم، ولي صلاحيات تصل إلى السجن لمدة ستة أشهر. ويتركز كله تقريباً بين العشائر[٢].

وقد قابلت رئيس أكبر عشيرة وهم الخزاعل[٣] يوم أمس، وقابلته مرّة ثانية هذا اليوم، إنه رجل، شيخ، رائع. لقد كان يحكم في زمن الأتراك كل هذا الجزء من العراق، وكان الأتراك يخشونه ولا يستحصلون منه أية ضريبة أبداً. كما إنه تآمر علينا كثيراً، ولكن يبدو أنه مولع بنا في الوقت الحاضر. إن عمره قد تجاوز السبعين، ولكنه يصبغ لحيته وشاربه، ويبدو وكأنه ابن الخمسين تقريباً، قوّي البنية، ذو وجه لطيف، وعينين حادّتين، وابتسامة عذبة، وخلق رفيع. إن سعادته لا توصف، لوجود أحد الإنكليز في هذه المنطقة، ويعتبر ذلك مكسباً شخصياً، وهو لا يشيح ببصره عنّي طيلة الوقت. إنني لا أستطيع أن أفهم أية كلمة في الوقت الحاضر، ولكني لا أعتقد أن ذلك سيطول كثيراً، ولكني بطبيعة الحال سأتخذ لنفسي مترجماً.

إن النجف هو مركز القضاء الذي يتكون من ثلاث نواحي، واحدة منها تحت إشرافي.

أما المِلاك فيتكون من ضابط برتبة رائد، وهو المسؤول الأول يساعده ضابط آخر

---

(١) اهتمت السلطة البريطانية في العراق خلال فترة الاحتلال بفرض ضرائب عالّية على السكان والتدقيق بجمعها، فقد كانت ضرائب أشجار النخيل في الشامية لسنة ١٩١٨ (٩٥,٠٠٠) روبية. وكانوا يأملون أن تزيد الضرائب للسنة القادمة، ولم يكن العراقيون مرهقين من نقل الضرائب فحسب، بل إن تطبيق بعض القوانين الإنكليزية في تقديرها وجبايتها كان من عوامل التذمر أيضاً، لاسيما وأن الناس لم يألفوا التدقيق في قضايا الضرائب في العهد العثماني واستحصالها للسنين الماضية، وكانت تستحصل سابقاً من بعض الأراضي عيناً من المحصول، ولكن السلطات الإنكليزية أرادته نقداً.

(٢) إن أكثر الحكام السياسيين ومعاونوهم نجدهم من ضباط الجيش البريطاني الذي لم يألفوا الحياة المدنية، وكلنا يعلم مدى الفرق الشاسع بين أساليب الحكم في كلا الموطنين.

ولما كان من البديهي أن الحياة العسكرية أصعب من الحياة المدنية، فقد سار هؤلاء الحكام بسيرة خشنة حملوا الشعب بما لا طاقة له بصورة مفاجئة.

(٣) ذلك هو سلمان بن ظاهر بن محمد بن مغامس الخزاعي، من ألمع رؤساء الخزاعل في وقته، ومن قادة ثورة العشرين.

تعيّن قائممقاماً لقضاء الشامية في ١٣ تشرين الأول ١٩٢١ م/١٠ صفر ١٣٤٠ هـ وهو أول قائممقام عربي يعين لقضاء الشامية. وانتخب عضواً في مجلس النواب العراقي.

توفي بحدود ١٣٤٧ هـ. «حمود الساعدي: الخزاعل ١٠٣ - ١٠٤».

برتبة نقيب، وهو الذي يدير شؤون النجف. بالإضافة إلى وجود طبيب جراح مدني، والمواطن المصري (غاوي) الذي يرعى أمور مدينة النجف المختلقة.

كما أن هناك مدير ناحية آخر في أبي صخير (التي سأذهب إليها مساء هذا اليوم مع الرائد) بالإضافة لي. كما أن هناك موظفي الدائرة وهم من الإنكليز والهنود والمصريين.

لقد قرأت الكثير من الملفات والتقارير التي تظهر مقدرة المؤسسة السياسية البريطانية.

بالمناسبة إن عنوان وظيفتي هو حاكم، ويجب عليَّ أن أرتدي زيّاً رسمياً.

النجف في ٣١ آب (إلى الرائد كمبرباتش)

يكتب في أول انطباع له عن النجف، قائلاً:

إن المدينة محاطة بأسوار عالية من كل جهاتها، وتقع في الصحراء، إلى الغرب من النهر[١] عند مدينة الكوفة، تبدأ الأرض بالارتفاع بصورة تدريجية ثم تنكسر فجأة عند جرف تشرف على الصحراء السورية الجرداء، وتقع المدينة عند حافة هذا الجرف، وهي بحد ذاتها ليست مدينة كبيرة، كما أنها مكتظة بالزوار دائماً. وتتقاطر عليها طيلة اليوم مجاميع من الناس حاملة موتاها على ظهور الحمير لتدفن في هذه التربة المقدسة، ويتم استيفاء الرسوم منهم ومقدارها أربع روبيات للحالة الواحدة.

وينتصب في وسط المدينة واحدٌ من أعظم وأشهر مساجد العالم تكسو قبته ومنارتيه صفائح الذهب، ولا أحد يعرف قيمة الكنوز المحفوظة في خزائنه[٢].

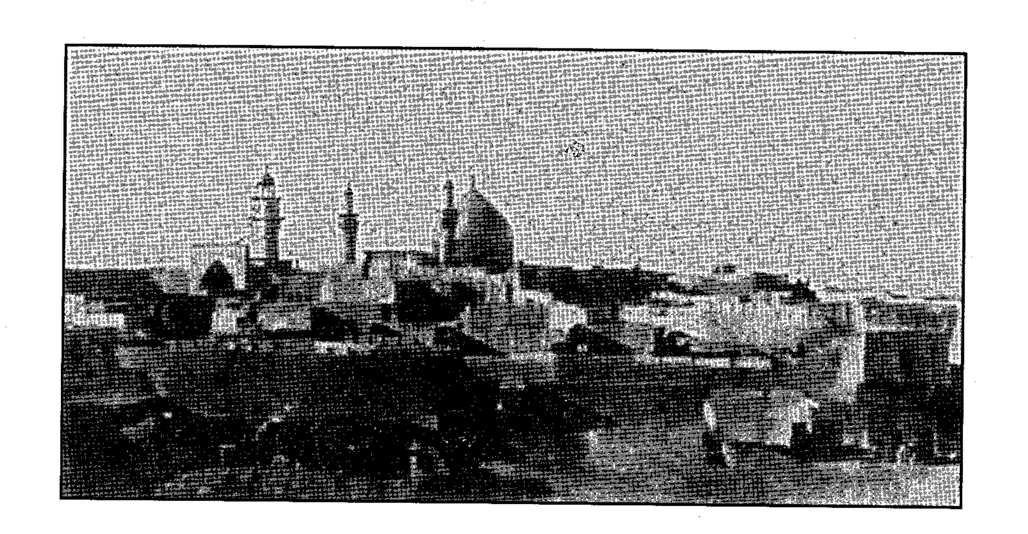
إن سكان المدينة لا يتجاوز عددهم الثلاثين ألفاً، ويقدّر عدد الزوّار الذين يفدون إلى المدينة خلال الأشهر القليلة القادمة بثمانمائة ألف، أو قد يصل إلى المليون، فلا عجب أن يحفل هذا المكان بالنفائس.

إن مدينة النجف هي مقرّ العلماء المجتهدين، وهم المراجع الدينيين للشيعة، ويقال إن أكثر هؤلاء العلماء نفوذاً يستطيع عزل شاه إيران، والحقيقة الراسخة أن معظم شؤون الحكم في بلاد فارس تدار من هذا المكان.

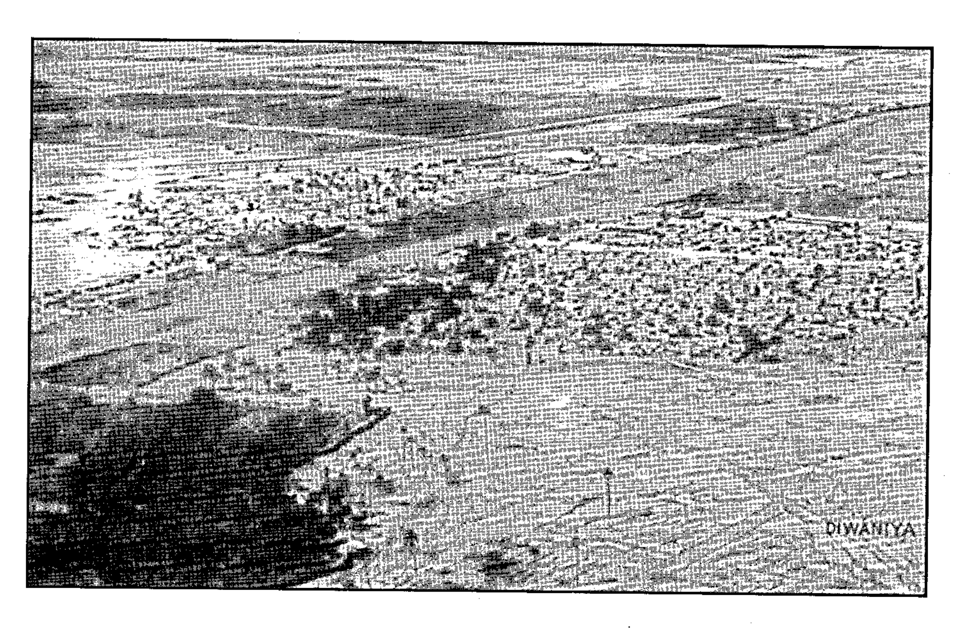
---

(١) نهر الفرات.

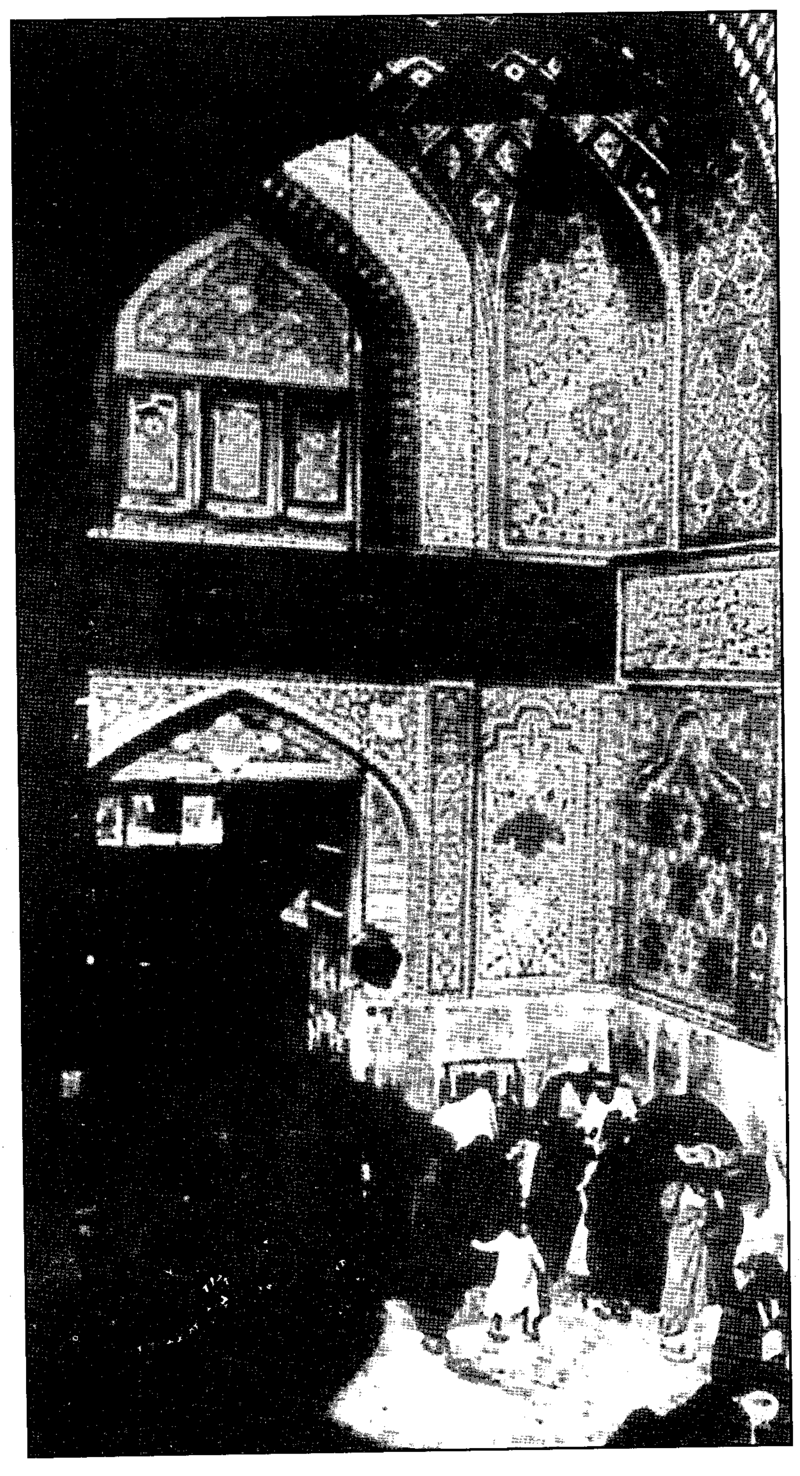
(٢) يقصد مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.



مدينة النجف عام ١٩١٩.



مدينة الديوانية ــ صورة جوية بعد عام ١٩٢٠.



مدخل مرقد الإمام علي في النجف.

بالإضافة إلى هذا السيل من الزوّار والموتى، فإن النجف تمثل مركزاً تجارياً للمناطق الواقعة على النهر، وتلك المناطق الواقعة إلى الشرق منه، وبين سهول أواسط الجزيرة العربية، فهناك قوافل إلى حائل والحجاز، وهناك أيضاً كما اعتقد قوافل حتى إلى دمشق. ومما لا جدال فيه إن مثل هذه المدينة تكثر فيها الجريمة والتخريب، ولكننا في الليل، وأنت تعرف ليل الصحراء، نجلس على السطح بعد العشاء، وننظر إلى الصحن الذي تحيطه الأضواء، ونستمع إلى صلوات الزوار الذين شارفوا على نهاية رحلتهم المضنية، ونسمع كذلك أصوات الأجراس المعلقة على الحمير، وصدى المدينة الذي لا يكف أبداً، ونعيب البوم، ونباح الكلاب. لذا فقد قررت أن أعيش هذه الدراما، وأن أكتب عنها.

أم البعرور في ٤ أيلول (إلى والدته)

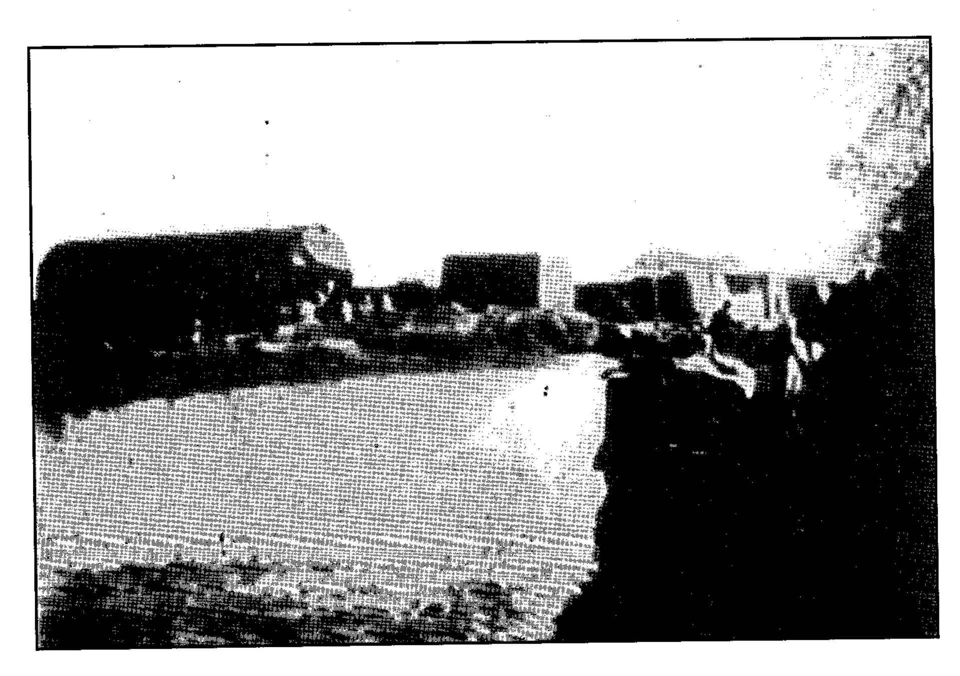
لمناسبة عيد ميلادك، يجب عليّ أن أكتب لك من بيتي الجديد، لأتمنى لك عودة سعيدة لعيد ميلادك على مرّ السنين. وكم تمنيت أن تقضي اليوم معي، سيسعدني ويسعدك في آن واحد، فإذا وصلت إلى هنا بعد عناء بسيط فإن بإمكاني أن أُوفر لك أسباب الراحة في هذا المكان الجميل والجوّ اللطيف.

لقد جئت إلى هنا من النجف يوم أمس، وقد استغرقت السفرة ستة ساعات في مركب مررنا خلالها بمشاهد خلاّبة، وقد جنح المركب مرّة واحدة فقط، بالرغم من اصطدامنا بقعر النهر مرّات عديدة، ووصلت إلى هنا في الساعة الرابعة والنصف تقريباً، واطلعت على المكان بصحبة مصطفى.

إن منزلي سيكون في منتهى الروعة، وقد كانت قطعة الأثاث الوحيدة فيه عند وصولي إليه هي المنضدة مع كرسي، لذا فإن البيت يكاد يكون غير صالح للسكن. لقد تمّ بنائه على الطريقة الاعتيادية حول باحة صغيرة تزرع فيها نخلة، وللبيت سطح واسع يستخدم للنوم والجلوس عليه، ويتكون الطابق الأعلى من غرفتين، والطابق الأسفل من أربع أو خمس غرف، سأجعل منه بيتاً مريحاً في القريب العاجل...



العيش في عكر.



طبر عبد السادة الحسين، ويبدو مضيف الحاج شلتاغ، وقت الغروب.

لابد أنك راغب في أن تعرف شيئاً عني بعد أن أصبحت حاكماً في أم البعرور، وسيطيب لك وأنت تعلم كيف أمضيت يوم عيد ميلاد أمي... فقد ذهبت أنا ومصطفى في زورق بخاري في الساعة التاسعة والنصف صباحاً إلى محل يبعد مسافة ١٥ ميلاً في النهر نحو الشمال، حتى وصلنا إلى مكان يسمى (عكر)[١]، ومن هناك صعد معنا أحد شيوخ العشائر، وهو (الحاج جواد)[٢]، وذهبنا للكشف على الحاصلات، وفي طريق عودتنا ركب معنا ابن شيخ آخر يدعى (عبادي)[٣]، ثم ذهبنا سوية لتناول طعام الغداء عند الحاج جواد بمضيفه في عكَر.

والمضيف بناء مقوّس من القصب، مفتوح من نهايتيه، ومفروش بالسجّاد، والفرش، والوسائد، و جلست في مواجهة مصطفى، وجلس الشيخ جواد إلى يساري، وفي نهاية المضيف. كان الطبخ في وسطه، وكان هناك ما يقرب من (١٥) من الأبناء، والأقارب، وأهل المنطقة، والعبيد، وهم جلوس يدخنون ولا يتكلمون.

وقد بدأت الجلسة باحتساء ثلاثة أقداح من الشاي (بدون حليب) وفنجانين من القهوة، انتظرنا بعدها حتى قاربت الساعة الثالثة، حيث حضر الطعام، وقد وضع في أوعية كبيرة، وقد تمّ تقسيمه إلى ثلاث مجاميع: مجموعة لمصطفى، ومجموعة لي، ومجموعة ثالثة يشترك فيها الآخرون جميعاً.

وكان الطعام الذي قُدم لي موضوعاً في ثمان أوان، كان معظمه من الرز (ملّون بالأصفر، وقد نُشر عليه الكشمش) ونوعين من اللحم، وثلاثة صحون من الحلوى، ونوع من الحلوى السكرية، والمرق، ووعاء من الشربت الذي يشبه كثيراً عصير الليمون المحلّى.

---

(١) عكر: قرية تقع على نهر أبو جفوف، تتوسط منطقتي الشامية والمهناوية، فهي تبعد عن مركز الأولى ٧كم وعن الثانية ٥كم، تتبع إدارياً لناحية الصلاحية، قضاء الشامية، تسكنها قبيلة الكرد والسادة البومجدي المحانية الموسويون.

(٢) الحاج جواد بن مسير من رؤساء الكرد.

(٣) صكبان بن عبادي آل حسين، من رؤساء آل فتلة في المهناوية، وهو ثاني أولاد الحاج عبادي الخمسة، ولد عام ١٨٩٦ تقريباً، وقد عرف بصواب الرأي والحزم وكثيراً ما أختير محكماً في مشاكل بعض العشائر، وهو من رؤساء القبائل المعدودين الذين يقدرون العلم والتعليم الحديث وقد بنى على نفقته مدرسة المهناوية، وبفضل بناء هذه المدرسة قد انتشر التعليم في تلك الجهات.

ويقتني الشيخ صكبان أنفس الكتب ولديه مكتبة طالما آنس بها ضيوفه من الأدباء والفضلاء، وهو يتمتع بنفوذ عظيم بين قبيلته، وقد اشترك في الثورة العراقية عام ١٩٢٠.

وبالطبع كان عليّ أن أتناول الطعام بيدي، وأن أقطع اللحم بكلتا يدي، وأن أأكل الرز بيدي اليمنى فقط، وهذا عمل ليس من السهولة القيام به. ولكن الطعام كان مطبوخاً بصورة جيدة، وقد استسغته، والخبز عبارة عن كيك مسطح، وهو لذيذ حقاً.

وبعد أن تناولنا القهوة تركنا المضيف مع ابن عبادي، أما الحاج جواد فلم يتناول الطعام حتى انتهينا نحن من تناوله، حيث بدأ هو وما يقرب من عشرة أشخاص بالأكل، ثم جاءت بعدهم وجبة أخرى حتى انتهى الطعام.

ثم تناولنا الشاي والقهوة عند ابن عبادي، ثم كشفنا على الحاصلات الموجودة في قريته المسماة بـ (المهناوية)، وعدنا في الساعة الثامنة مساءً في ضوء القمر، في الوقت الذي كان المؤذن يرفع صوته منادياً للصلاة من الجامع المقابل لبيتي.

وبينما كنا نشاهد محصول الرز، جلب لنا أهل القرية، اللبن، وهو أعظم مشروب في الصحراء، إنه نوع من مخيض اللبن الحامض، وقد كنت أعتقد أنني لن أستسيغه، ولكني وجدته غير مؤذٍ، وبارد، ومنعش.

لم نخرج يوم أمس، وقد رأيت بعضاً من عمل الدائرة، وكان يوم الجمعة هو يوم عطلة في هذه البلاد.

إنه لأمر معقّد للغاية حيث تكتب الحسابات باللغة العربية، وحيث إن إيراد منطقتي لهذه السنة فقط قد يصل إلى المليون، فإن ذلك ليس بالأمر الهيّن. ومع ذلك فإنني أعتقد أنني سأتعلّم...

يصادف اليوم أول يوم من أحد العيدين في سنة المسلمين[1]، وعلى هذا فإن الأمر يقتضي إجراء مراسيم له، فتحتم علينا قبول تهاني أشراف البلدة. فلبست الزي الرسمي، وهو عادة ما يتكون من السروال القصير، والقميص، ثم ذهبنا إلى الدائرة في الساعة السابعة صباحاً، وبعد ذلك اصطف الناس يتقدمهم خطيب الجامع، ثم جاء الجميع فصافحوني، كما قبل يديّ المتذللون الخاضعون منهم[2]، وجلس الجميع بعد ذلك حول الغرفة على هيئة حلقة، صامتين لعدة دقائق، ووزعت عليهم السكاير والمرطبات، وقد تحدث مصطفى عن الطقس، ثم تركوا المكان بقافلة أخرى من الناس، وكانت العبارة العربية الوحيدة التي كنت أقولها لكل منهم هي: «أيامكم سعيدة» وفيما

(١) يصادف عيد الأضحى ١٠ ذي الحجة ١٣٣٧ هـ.
(٢) هكذا كانوا يسخرون من صنعائهم ورؤساء القبائل الذين وضعوهم تحت تصرفهم.



غماس: جانب من السوق الكبير.

غماس: منظر لمركب النقل النهري.

عداها جازفت بنطق بعض الكلمات الأخرى بالعربية، وقد انتهى كل شيء بظرف نصف ساعة، أما الآن فإن جميع الموظفين من أهل البلد سيتمتعون بعطلة أمدها أربعة أيام....

أم البعرور في ٩ أيلول (إلى المس د.ب. ويلسن)

إن الوضع الذي أعيشه يثير الضحك، ولكن المؤسف أنني لا أجد شخصاً أشاطره النكات. ففي القضاء الذي أشرف عليه يعاملني الناس معاملة ملوكية تماماً، فالجميع يقومون عندما أمرِ عليهم، والحرس يأخذون لي تحية الأمراء، وعندما أذهب لزيارة الشيوخ يبادر بعضهم إلى تقبيل يدي[1]، كما أن طريقتهم الاعتيادية في الكلام إنهم يستعملون جميع أنواع التعظيم والتبجيل، مع أني في الحقيقة أتوقع إنهم يأنفون القيام بمثل هذا العمل.

وفي مساء هذا اليوم، وفي الوقت الذي كنت أحاول الحديث مع شخص في الشارع، هجمت إحدى النساء وانكبت على قدمي تقبلهما، مناشدة إياي إطلاق سراح ولدها من السجن، ويقف الناس بالإضافة إلى ذلك في خدمتي. إنني أكره جميع هذه الأمور في عملي، لأنني لم يسبق أن توفر لي هذا العدد من الخدام قبل هذا، وأحب أن أعمل كل شيء بنفسي، لكن ما ألتذ به هو كرم ضيافة الشيوخ...

في ١٣ أيلول (إلى والدته)

ذهبت يوم الأحد مع مصطفى بواسطة الزورق البخاري إلى مركز شعبتي الثانية في ناحية غماس[2]، وقد قضينا الليلة مع ابن أكبر ملاّك للأراضي الذي كان قد ذهب لأداء

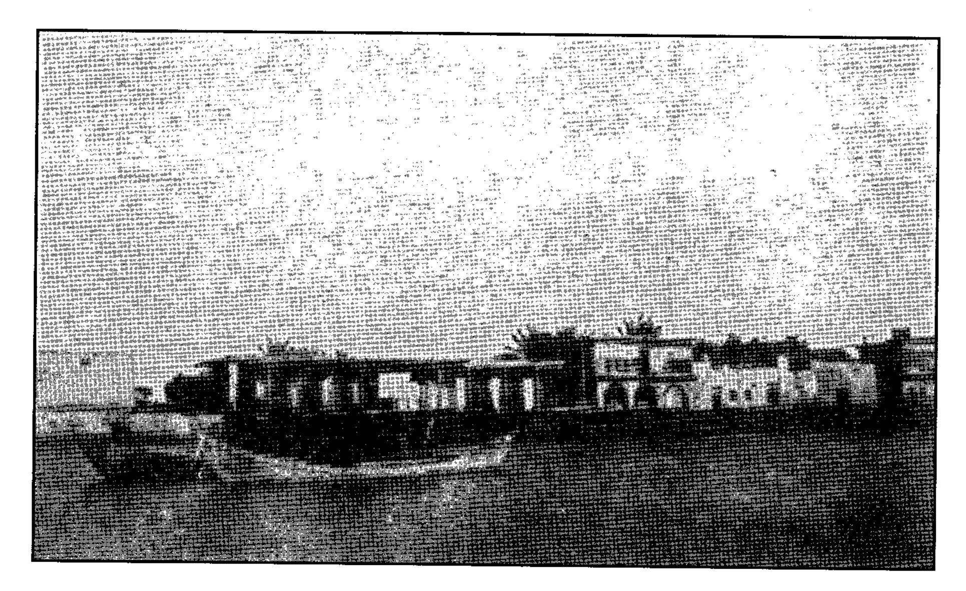
---

(١) هكذا كانوا يسخرون من صنعائهم ورؤساء القبائل الذين وضعوهم تحت تصرفهم.

(٢) غمّاس: كشدّاد، وتعني الأرض المغمرة أو المغموسة بالماء قليلاً، وتسمى أيضاً عند بعضهم بـ (الخرم)، مدينة صغيرة تقوم على الضفة اليسرى من شط الشامية، ويحيط بها هور أبو نجم الممتد بين الشامية شمالاً إلى إلتقاء فرعي الفرات الحلة والهندية قرب السماوة جنوباً. وتكثر فيها البساتين، ولا يزرع فيها من الحبوب غير الشلب، ولهذا كانت تنتشر فيها الملاريا والبلهارزيا.

كان مركز الناحية في قلعة (المدحتية) على الضفة اليسرى من نهار حاوي المتفرع من الضفة اليمنى من نهر الفرات، وتقع غرب مركز الناحية الحالي، ثم نقل مركز الناحية إلى قرية (الخرم) وهي دار السادة البوطبيخ، وعرفت الناحية بغماس نظراً لجوارها إلى التل والأراضي المحيطة به المعروفة بغماس والتي تعود إلى عشيرة آل خزيم من قبيلة آل شبل وذلك سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م. وهي تبعد عن بغداد مسافة ٢٤٥ كيلومتراً، وعن الديوانية مسافة ٥٦ كيلومتراً وعن النجف مسافة ٥٠كيلومتراً.

«الحاج وداي العطية ـ تاريخ الديوانية، جمال بابان: أصول أسماء المدن والمواقع العراقية ٢١٧/١ مذكرات السيد محسن أبو طبيخ ص ٣٧ هامش».



أم البعرور: مقر الحاكم السياسي على نهر الشامية عام ١٩١٩.



منظر الرعي في المهناوية.

فريضة الحج[1]، فكانت الحفاوة التي استقبلنا بها بالغة، وكان السرادق الذي نصب لنا رائع الجمال، وكأنه مسرح، وقد صُفت فيه السجاجيد، وتناولنا فيه وجبات الطعام شهية.

والشيء المؤلم الوحيد هنا هو أن غماس واطئة، وملأى بالذباب، وعلى هذا فقد أصيبت ساقاي بلسعات مؤلمة.

وعند الصباح إطلعنا على المحاصيل وأشغال الفيضان، وعدنا في الساعة الثامنة مساءً.

وفي يوم الأربعاء ركبنا في الساعة التاسعة والنصف صباحاً، وذهبنا لزيارة شيخ يسمى الحاج حمود[2]، يعيش على بعد خمسة أميال من هنا، وقد قدّم لكل واحد منا صحناً من التين اللذيذ، وشيئاً من الرقي الممتاز.

وعدنا بعد الساعة العاشرة بقليل...

في ١٤ أيلول (إلى السيدة ماري موري)

إن الموظفين الأتراك يشكلون القسم الأكبر من العاملين في النواحي الثلاث التي أشرف عليها، وهم بالطبع يتكلمون العربية بطلاقة، ويحتاجون إلى المزيد من المراقبة، كما أن العاملين في مكتبي يتكلمون العربية بطلاقة أيضاً، باستثناء يهودي ملوّن من بومباي، الذي يتكلم الإنكليزية بصورة جيدة جداً، ولكن عربيته أضعف من عربيتي. وهو يقوم بأعمال الطبع وتنظيم ملفات المكتب وغير ذلك. ومساعد يسمى داود يجيد الإنكليزية والفرنسية ويقوم بمسك الدفاتر.

إن لغتي العربية ينقصها الكثير، كما أن اللهجة المحلية تختلف تماما الاختلاف عما تعلمته، لذا فإن الكثير مما أقوله غير مفهوم، وإن كان صحيحاً. كما أنني لا أستطيع قراءة كلمة واحدة مما يكتبون. كل هذه الأسباب تجعل السيطرة على الأمور بصورة سريعة

---

(١) يقصد ابن السيد محسن أبو طبيخ الأكبر، السيد كامل، وكان عمره يومذاك خمسة عشرة سنة. عندما جاء الكابتن مان في زيارته هذه إلى غماس، وقام له بواجب الضيافة في الوقت الذي كان السيد محسن في مكة لتأدية فريضة الحج.

(٢) الحاج حمود البدن من رؤساء عشيرة الحميدات في الشامية. توفي سنة ١٣٥٥ هـ .

ومقنعة مسألة في غاية الصعوبة، حيث تجري معظم الأمور دون أن أتلقى عنها تقارير موجزة.. إن ذلك يحتّم عليّ أن أتعلم العربية بسرعة. [وبعد أن وصف عمله ومتعته مع الشيوخ، يستمر قائلاً:] هذه هي حياة الحاكم، إنه ليحزنني، إن الأمر يتطلب أن يكون معي شخص آخر يشاركني الضحك على المهازل.. لقد كدت أبكي في أحد الأيام عندما جاء رجل كبير كأنه السندباد، وبإيماءات رائعة، وصوت كالرعد، شرح لي بأنه تزوج إبنة عمه ودفع ١٣ جنيهاً مهراً لها، ولكن عمه يرفض حالياً تزويجه إياها، وأعاد المبلغ له، ترى ماذا يستطيع الحاكم القيام به تجاه مثل هذه الحالة!.

أو عندما يُريني أحد ملاّكي الأراضي آثار الضرب على صدغيه، وكأن إطلاقة كبيرة قد مرّت بصورة مستقيمة خلف عينيه، وقد أكّد لي بأنه كان يعاني من مشاكل متعلقة بعينيه...

إن الأمر يثير السخرية، وإنني أشعر بأني خليفة غريب لقائممقام هذه المدينة التركي الراحل.. أتمنى لو كنت أستطيع الكتابة.

[وعند وصوله مَرِض لمدة أسبوع من تأثير الطقس، ومتاعب السفر، وقد قام معدّ القهوة الذي يعمل معه بمعالجته بطب العرب وقد كتب إلى أمه:]

أم البعرور في ٢٠ أيلول (إلى والدته)

لقد أخذت الدواء على سبيل التجربة، ويبدو أنه نوع من أنواع الليمون، ولن يجعل حالتي بأسوأ مما هي عليه الآن، ولكنه قد يحسن بعض الأمور.

لقد كان طبّاخي مضطرباً إلى الحد الذي جعلني لا أستسيغ طبخه في البداية، وعندما أخبرته بأنني مريض كانت مشاعره فيّاضة، وقال لي: بأنني أبٌ له وللجميع [وكان يبلغ من العمر حوالي خمسين سنة] وتمنى لي قائلاً بصوت مرتفع: «إن شاء الله» بأني سأتماثل للشفاء عند الصباح...

بمرور الوقت سأجعل من البيت منزلاً مريحاً، ولكنه في الوقت الحاضر مليء بالعصافير، والحمام، والخفافيش، وحتى العقارب أحياناً...

أعتقد أن عربيتي قد تحسنت، وأصبح بإمكاني الحديث بكلام مفهوم دون صعوبة، ولكن فهم كلام الفلاحين أمر في غاية الصعوبة...

[ومع ذلك، فقد كتب بعد خمسة أيام لوالدته]:

TOWNSMEN.

10. Saiyid Hadi Naqib al Ashraf.
11. Saiyid Abbas Kilidar.
12. Haji Muhsin Shalash.

DATE GARDENERS, JA'ARAH.

13. Saiyid Hadi Zuwaini.

PERSIAN INTEREST.

14. Haji Abdur Rahim.

No. 562/1/11

POLITICAL OFFICE, SHAMIYAH.
Najaf, the 9th February, 1920.

To

THE CIVIL COMMISSIONER, BAGHDAD.

I forward herewith report upon the preliminary meeting of the Shamiyah Divisional Council in duplicate.

P. F. NORBURY, MAJOR,
Political Officer, Shamiyah.

SHAMIYAH DIVISIONAL COUNCIL

The Shamiyah Divisional Council assembled for the first time on the 25th day of January, 1920, when the following were present:—

PRESIDENT:

Major P. F. Norbury, Political Officer.

MEMBERS.

Member			
Saiyid Abbas Kilidar ...	...	...	Najaf.
Saiyid Hadi Naqib al Ashraf	...	...	Najaf.
Haji Muhsin Shalash ...	...	...	Najaf.
Haji Abdul Rahim Bushiri	...	...	
Saiyid Hadi al Zuwain ...	...	...	Ja'arah.
Saiyid Muhsin Abu Tabikh	...	...	Umm-al-Ba'rur.
Shaikh Alwan al Haji Sadun	...	...	Bani Hasan.
Shaikh Abdul Wahid al Haji Sikar	...	...	Al Fatlah.
Shaikh Abadi al Hussain ...	...	...	Al Fatlah.
Saiyid Nur al Saiyid Aziz ...	...	...	Shamiyah Saiyids.
Saiyid Alwan al Saiyid Abbas	...	...	Shamiyah Saiyids.
Shaikh Laftah al Shamki ...	...	...	Al Jarrah.
Shaikh Marzuk al Awad ...	...	...	Awabid.
Shaikh Salman al Dhahir	...	...	Al Khazail

The President opened the meeting with the following speech of which each member was also provided with a written copy:—

GENTLEMEN.

I congratulate you on your presence here to-day.

I look upon this, our first meeting of the Shamiyah Divisional Council, as a very distinct milestone along the road of progress.

In my invitation to you to assemble to-day I mentioned the great interest with which the Civil Commissioner will watch our deliberations and I desire that you should look upon the inauguration of this Council as a pledge from Government of its intention to govern your country not only in your interests of which fact I feel you are already well aware, but with your advice and co-operation, and indeed through you.

I look forward with the keenest pleasure to your partnership in the work of administering the Division.

You have a saying in your language:

« التأني من الرحمن . والعجلة من الشيطان »

we similarly say "Go fast by going slowly".

I would ask you not to expect too much at the beginning. You should look upon this Divisional Council as having a two-fold object.

الوثيقة الانكليزية بتعيين أعضاء مجلس الشورى لمدينة الشامية.

[كتب لها قائلاً: بأنه قام بجميع أعمال مكتبه على مدى يومين دون مترجم، كما أن خطه قد تحسن كثيراً، رغم أن ذلك كان أمراً جديداً بالنسبة له، لأنه كان على الطريقة التركية. ثم قال:]

... إن الشيء الواضح الوحيد في أسلوب الكتابة المحلي هو النقاط، حيث أنها غالباً ما توضع في غير أماكنها، أو قد تحذف، الأمر الذي يجعل القراءة مستحيلة ما لم تكن تعرف الكلمات. وليس بإمكانك تتبع الكلمة حرفاً حرفاً، [ويستمر قائلاً:]

... كنت أتمنى أن تشاهديني عصر يوم الأحد الماضي وأنا أترأس في وقت تناول الشاي، اجتماعاً عقد للشيوخ (إن العطلة الأسبوعية هنا بالطبع هي يوم الجمعة). كان الغرض منه التعرف شخصياً على شؤون المنطقة، وأظن أن عدد الحاضرين كان يبلغ سبعين أو ثمانين شخصاً من كبار الشيوخ وصغارهم. فقدمنا الشربت أولاً، ثم القهوة، وبعد ذلك ألقيت خطاباً باللغة العربية، وبعد فترة قام داود بإلقاء كلمة (كانت بدرجة أو بأخرى جوابية، نيابة عنهم حيث لا يمكن تقديم أحدهم على الآخر للتحدث نيابة عن الآخرين). وقام الجميع فقدموا إليّ فرداً فرداً قبل أن ينصرفوا، لقد احتفظت بخطابي باللغتين العربية والإنكليزية للتوثيق، وهاأني أبعثهما طياً إليكم.

لم يكن لفظي أثناء الخطاب جيداً، وأعتقد إنهم لم يفهموا الكثير منه، ولكني واثق بأن الخطاب ككل كان ذو معنى مفهوم، وكان جيداً من الناحية النحوية، وعلى الرغم من أن التركيب كان أقرب إلى الإنكليزية منه إلى العربية.

لقد وقف الجميع عندما نهضت لأتكلم، حيث إن الآداب المحلية تقضي أن يقف الجميع عندما يقف الحاكم.

إن هؤلاء الشيوخ المسنّين يشكلون خليطاً عجيباً من الثقافة والشراسة، وقد كانوا وهم جلوس حول الغرفة يكوّنون صورة جميلة من صور الجريمة والدس والرذيلة والقساوة.

فقد كان يجلس إلى يساري السيد محسن أو طبيخ[1]، أغنى رجل في المنطقة، ولا يستطيع أحد تقدير ثروته، إلاّ أنها من المحتمل أن تُقدّر بمائة ألف باون في الحد الأدنى،

---

(١) السيد محسن بن السيد حسن بن السيد علي بن السيد إدريس أبو طبيخ، ولد في غماس يوم كانت تسمى بقصبة (الخزم) عام ١٢٣٩هـ/١٨٧٦م. أكبر ملاك في غماس، له نفوذ كبير، شارك في حرب

ومع هذا فقط طلب من الحكومة في الربيع الماضي أن تقرضه عشرة آلاف روبية لشراء البذور، لأنه كان يعتقد بأننا سوف نتخلى عن العراق، وعند ذاك سيكون في وسعه أن يحتفظ بالمبلغ.

وكان يجلس بجنبه السيد حسين المكوطر(١)، وهو شخصية جذابة، وقد سبق أن نُفي لامتناعه عن دفع الضرائب، وهو أيضاً غني جداً.

كما كان يجلس إلى أبعد من ذلك بقليل رجل من أشد الناس ظرفاً وكياسة، وقد كان مشهوراً بمكره الذي لم يعرف مثله في إنكلترا، ولاقترافه عدداً من الجرائم الأخرى.

وكان بقربه شيخ طاعن في السن، كان قد تزوّج سبع عشرة امرأة، والمعروف عنه هنا أنه لا يعرف جميع أبنائه إذا صادفهم، حيث أن عددهم يصل رقماً يتألف من ثلاثة أرقام(٢).

العراق عام ١٩١٤ بجبهة الشعيبة، أحد زعماء ثورة العشرين ومن المخططين لها، وخاض غمار معاركها في الوفد والحسينية والكوفة ثم أبو صخير.

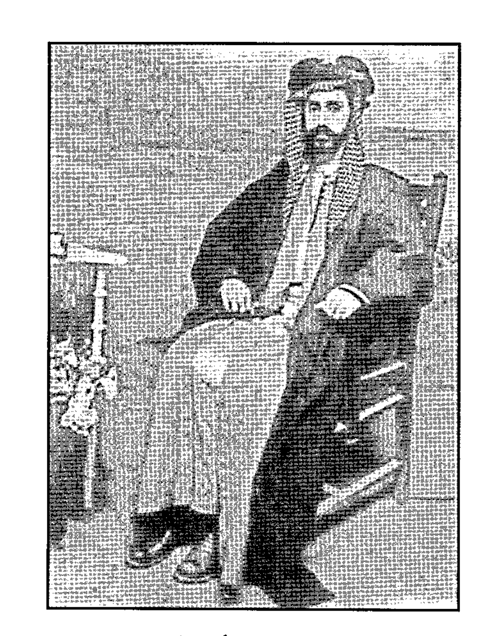
نصبه الثوار متصرفاً للواء كربلاء في ٧ تشرين الأول ١٩٢٠ فكان اول متصرف لها. بعد انتهاء الثورة لجأ إلى الحجاز وبقي فيها نحو تسعة أشهر عاد بعدها إلى العراق في ١٨ أيلول ١٩٢١، نفي خارج العراق عام ١٩٢٣ لمعارضته سياسة الحكومة العراقية وعاد بعد ٥ أشهر.

انتخب نائباً في المجلس النيابي في عدة دورات انتخابية، عين عضواً في مجلس الأعيان ثلاث مرات. توفي في بغداد ليلة ٥ أيار ١٩٦١.

(١) السيد حسين بن السيد سلمان مكوطر: ابن عم الزعيم السيد هادي مكوطر، من كبار زعماء الفرات الأوسط، كان رجلاً حازماً، ذا تدابير وكياسة ومعرفة، له في السياسة منزلة سامية، مواقفه في معركة الشعيبة وثورة العشرين أشهر من أن تُذكر، انتخب لعدة مرات في مجلس البرلمان العراقي، توفي في نيسان ١٩٤١م/ ١٣٦٠هـ.

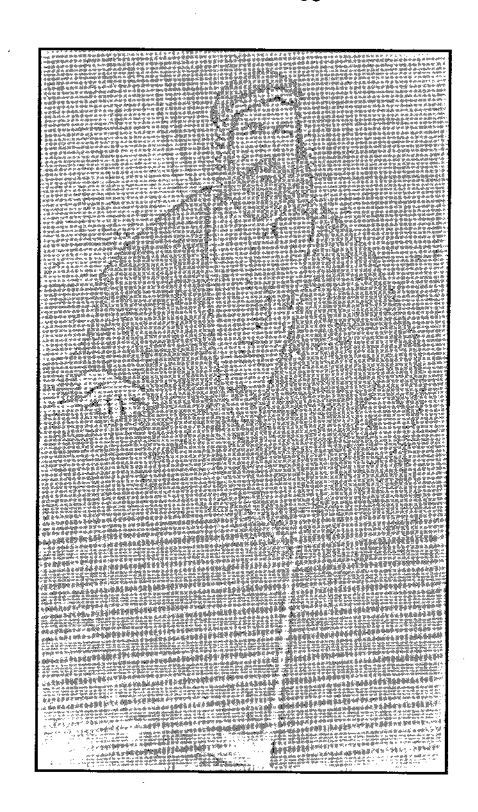
ذكرت عنه التقارير البريطانية أنه: يملك أراضي كبيرة في جنوب غماس، وعمره يومذاك ٣٤ سنة، اشتبه بكونه هو والسيد هادي (عمه) متآمرين مع عجمي السعدون (الموالي للأتراك)، احتجزا في الهند في تموز ١٩١٨... « د. وميض جمال، عمر نظمي: الجذور السياسية ٣٤٠ ».

(٢) يقصد به السيد نور بن السيد عزيز الياسري: وهو من الشخصيات الوطنية التي كان لها دور بارز في الثورة العراقية ١٩٢٠ منذ لحظاتها الأولى، انتدبه الثوار ممثلاً عنهم في المطالبة بالاستقلال، واستمر مع الثورة قائداً ومقاتلاً ومخططاً حتى نهايتها، التجأ إلى الحجاز مع مجموعة من قادة الثورة، وعاد بصحبة الملك فيصل الأول إلى العراق.


السيد محسن أبو طبيخ.


السيد نور السيد عزيز الياسري.


السيد حسين المكوطر.


الحاج مرزوك العواد.

ثم يليه مرزوق[1] الذي استلم (٦٠،٠٠٠) ستين ألف روبية[2] لبناء سدة تشتغل بها قبيلته، وقد قام فعلاً بتشييد السدّة، لكنه احتفظ لنفسه بنصف المبلغ على الأقل، وربما بأكثر من ذلك، وهي جريمة لا يمكن أن تثبت عليه.

إن جيراني أناس طيبون، يلفتون النظر حتى إذا أخذنا كل فرد منهم لوحده. ومن المضحك أكثر من اجتماع هذه النقائص بهم (ومعظمها لا تعد نقائص في هذه البلاد، ولم تكن تعد كذلك في أيام الأتراك، ومن الواجب أن لا تقاس بالمقاييس الأوربية) أن ينتظر المرء منهم أن يجتمعوا كلهم في غرفة واحدة (وكلهم يقدمون احترامهم للحكومة، ويشربون شربت الحكومة وقهوتها) بينما توجد بينهم عداوات وخصومات قتل لا حصر لها، كما كانوا قد اشتبكوا بينهم في الماضي بعدة غزوات ووقائع حربية، فقد كانت هذه المنطقة في أيام الأتراك منطقة مضطربة جداً، وكان الأتراك ضعفاء غير مسيطرين عليها، وعلى هذا فإن الشيخ القوي باستطاعته أن يفعل ما يشاء، ولذا كان أحد هؤلاء الشيوخ الطاعنين في السن وهو سلمان الظاهر ملكاً بلا منازع في وقته...

إنهم كثيرو النفاق والمداهنة.... أناس مضحكون، فإذا أردت أن تعرفي عن العرب فعليك بقراءة عن الحياة في (دارتي).

لقد جاء الطبيب يوم السبت وأمضى الليل هنا، وجلب لي بعض الأدوية، التي جعلتني أتماثل للشفاء، وهائنذا قد عدت معافى من جديد. إن رسائلك التي تصفين فيها كل شيء في الحديقة قد أسالت لعابي، خاصة وإنني أريد بعض البطاطس التي لم تعد معروفة هنا.

لقد وصلت رسائلك المؤرخة في ٢٠ آب إليّ في ٢٣ أيلول، وهذه سرعة هائلة، كما استلمت معها صحيفة (ميركوري) وصورتك التي تظهرين فيها كمرشدة، وقد كانت صورة رائعة، إنني متشوّق لقراءة المقابلة الصحفية.

---

(١) مرزوق العواد آل حربي: رئيس عشيرة العوابد في منطقة الشامية، من زعماء الثورة العراقية، قاد عشيرته في معركة الرارنجية وخرج منها بطلاً، هذه المعركة التي وقعت في ٢٤ تموز (يولو) والتي سجل فيها الثوار أول نصر لهم على الانكليز، كما قاد معارك ضارية أمام الجيش الانكليزي المتفوق في الوند والحسينية. وهو من بين الرؤساء الذين ذهبوا بعد الثورة إلى الحجاز، وعاد بعد صدور العفو العام، وكانت له دار عامرة في النجف في محلة المشراق هدّمها الإنكليز. انتخب عضواً بالمجلس النيابي عن لواء الديوانية في معظم دوراته الانتخابية. توفي في ٧ صفر ١٣٦٦هـ/٣١ كانون الأول ١٩٤٦م.

(٢) الروبية: هي العملة الهندية التي ظلت تستعمل في العراق منذ عهد الاحتلال البريطاني إلى حيث ظهور العملة العراقية في ١٩٣٢، وتنقسم إلى (١٦) آنة، فتساوي (٧٥ - ٨٠) فلساً بالعملة العراقية التي حلّت محلّها.

خطابي أمام الشيوخ المجتمعين:

إن قلبي يفيض بالحب تجاهكم، ولكن لساني يعجز عن التعبير عمّا أودّ أن أقوله في هذا الجمع، إن الإنكليزي ليواجه صعوبات جمّة في اللغة العربية، ويتحتم عليّ أن أتعلمها قليلاً، قليلاً، وكلّي أمل أنه سيكون بمقدوري إنشاء الله أن أتحدث لكم عن مكنونات قلبي، وأن أفهم كل ما تقولون أو تكتبون.

بالإضافة إلى تعلم العربية يجب عليّ أن أعرف أموراً كثيراً عن الشامية، مثلاً عن النهر والمحاصيل، وعن كل شيء في أراضيكم، فجميعكم تعرفون، دونما حاجة لأن أخبركم بذلك، إن المكان يختلف تمام الاختلاف عن بلادي إنكلترا، لذا فإن من الصعوبة بمكان معرفته.

واليوم أوّد أن أحيطكم علماً بأنني سأقوم بزيارة أراضيكم في أقرب فرصة ممكنة، و هذه كانت نيّتي منذ البداية، يجب علينا أن ننتهي من أمور كثيرة قبل حلول موسم الفيضان، كالضفاف والقنوات والثغرات وما إلى ذلك، وستقوم الحكومة إن شاء الله بمساعدتكم، بكل ما هو ضروري وممكن، إذ أن هدفها هو زيادة ثورة هذه البلاد، ومن خلال ذلك تزداد ثروتكم... إن ذلك عمل عظيم، ولكنه ليس سهلاً، لقد كان في الماضي صعباً بسبب الحرب، ولكن المستقبل سيشهد إن شاء الله تغييرات مدهشة، ويحدوني الأمل بأنني سأبذل كل ما في وسعي للمساعدة في القيام بها.

[قام بجولة قصيرة في أبو شورة[1] وهي الناحية الشمالية التي يشرف عليها يوم ٢٥ - ٢٦ أيلول، في زورق ينضح الماء من خلاله، وعلى ظهر حصان عربي عليه سرج عربي غير مريح، وضيّق، ومدبب عند أجزاءه العليا والأمامية والخلفية، وكان الحصان يركض كالريح، في جوّ قاسٍ، ملبد بالغيوم، هوائه حار. عاد بعدها ماراً بالكوفة والنجف ليجد الكثير من العمل في انتظاره.

وقد أدت مسألة حول استيفاء الضريبة على زراعة الشلب (الرز) إلى حادثة غريبة، فكتب إلى والده]:

(١) ناحية أبو شورة: وكانت تسمى هور الدخن، وحالياً (العباسية). تأسست في أواخر القرن الثالث عشر الهجري /١٩ الميلادي، وتقع على نهر الشامية. وهي تتبع إدارياً إلى قضاء الكوفة ـ محافظة لنجف.

سرقة فإنهم عموماً يعيدون الأغراض المسروقة. وإن لم يكن ذلك دائماً، بطرق يعرفونها دائماً.

ومع ذلك فقد أصبحت الأمور مؤخراً ليست على ما يرام، فقد حدثت سرقات صغيرة هنا، على أثرها قمت بعقد اجتماع ضمّ ثمانية من الشيوخ والسراكيل يمثلون القبيلتين اللتين تحيطان بهذه المدينة وكل الجنابات الذين معهم ومعنا، ويبلغ عددهم تسعة عشر، وقد ألقى داود خطبة مؤثرة، وكتب بعدها وثيقة مطوّلة قام الجميع بالتوقيع عليها، حيث وَقّع سبعة منهم باستخدام أختامهم، بينما وقّع اثنا عشر مستخدمين الإبهام، مقرّين بأنهم جميعاً مسؤولون عن الكشف عن كل السرقات في المنطقة، وقمنا بعدها بتوقيع الشيوخ بتوقيع عهد بتسليم اللصوص في أية لحظة، وللقيام بما في وسعهم لمراقبتهم، وقد قمنا بهذا العمل لتكوين انطباع وليس أي شيء آخر، حيث الفرد العربي لا يحبذ التوقيع على وثيقة تُحفظ في سجلات الحكومة وهو يؤمن بفعالية الكلمة المكتوبة.

وقد استغرق ذلك ساعة ونصف الساعة، وعقدنا بعده اجتماعاً آخر لثمانية من الشيوخ والسراكيل حول سد كنا نريد بناءه في السنة المقبلة لزراعة الشلب، إن فائدة السدّ لكل الناس بدرجة أو بأخرى كانت واضحة لجميع الحاضرين، ولكن نظراً لكراهيتهم لجانب الرئيس والذي أقول عنه أنه يتسم بالشيطنة، فقد أمضوا ساعة من النقاش والتهديد قبل أن نجعلهم يوافقون على قسمة عادلة لتوزيع العمل والكلفة. وقد قمت بتقديم اقتراحي فوافق عليه الجميع. لذا فقد تمت كتابة وثيقة مهمة وقام بالتوقيع عليها أمامي بثمانية أختام، ولم أخرج من الدائرة حتى الساعة الخامسة والنصف عصراً. لقد كان الاجتماع مزعجاً، ولحسن الحظ فقد كانت الوثيقة تعني زيادة متوقّعة مقدارها عشرة آلاف طن من الشلب إلى حصاد شهر تشرين الأول، لذا كان من الواجب إعدادها.

أم البعرور في ٢٩ تشرين الثاني **(إلى والده)**

بعد تناول الغداء بدأت أحاول بصنع كرسي من القصب والخيزران، وقد نجحت في ذلك، وأأمل أن أنتهي من عملي في غضون أسبوع، وأعتقد إن صانعي البسط المحليين سيحذون حذوي في تطبيق هذه الطريقة، إذ لم يفكر أي عربي في المحاولة لصنع كرسي مريح، كما أن من المستحيل إفهامهم من خلال الرسم أو الوصف....

إنني لا اعتقد أن شاكر سيهتم بالاستهجان، ذلك لأنه بعد أن قام بطبخ لحم الخنزير قام بإخبار الجميع عن هول العمل الذي قام به. ولكنه استمر في طبخه للحم الخنزير لي بكل سرور، ولم يبدِ أي نوع من الاعتراض.

إن هذا الأمر يبيّن كيف يثار العصيان بسهولة بين الهنود وغيرهم انطلاقاً من هذه الأديان المنافية للطبيعة.

لقد أمضيت يومي في حياة بيروقراطية منتظمة، فقد قضيت سبع ساعات في الدائرة، لقد قمت صباح هذا اليوم بالتحقيق في جريمة قتل، وقد تحولت المسألة ولله الحمد إلى مسألة قتل مبرر، وفي الحقيقة فقد كدت أن أهنئ الرجل الذي أطلق الرصاصة القاتلة لأنه خلّصنا من لص محترف.

بعد ما قمت بترجمة تحليل مكتوب باللغة العربية عن امتلاك أراضي العشائر من قبل الإقطاعيين، حيث نحاول أن نتعلم منه بعض التفاصيل. ومن ثم قمت بقراءة ستة تقارير بالعربية عن أعمال الري وغيرها، ثم اطلعت على عريضة أو عريضتين، وقمت بكتابة بعض الرسائل الرسمية، وعموماً أمضيت أربعة ساعات مفيدة. لقد عقدنا عصر هذا اليوم مجلسين أو جمعيتين يستحقان الوصف.

كان المجلس الأول حول أناس يطلق عليهم اسم (الجنابات)[1] وهم يشكلون جمعية سرية للصوص المحترفين الذين يتوزعون على كافة أنحاء العراق. إن خبرتهم تجعل كل أساليب الحماية منهم غير مجدية، باستثناء تقديم الرشوة لهم. ونتيجة لذلك فإن كل شيخ يدفع للعديد منهم - بمعدل ستة تقريباً لكل عشيرة - شريطة أنه إذا سُرق أي شيء من تلك العشيرة فإن على هؤلاء أن يعيدوا الشيء المسروق أو أن يدفعوا قيمته. ويتم تقدير القيمة بذهاب الرجل المسروق ورئيس الجنابيين سوية أمام أحد السادة في الكوفة (وقد بيّنت رسالة أخرى في ٢٢ شباط بأن اليمين الذي يكون أكثر إلزاماً يؤدى عند ضريح العباس بن علي، زوج ابنة النبي، في كربلاء) حيث يؤدى هناك قَسَمٌ عظيم عما تمّت سرقته، ويقبل الجنابي هذا القَسَم كدليل، وتجد الحكومة نفسها مجبرة على الدفع لمثل هؤلاء في المدن، مثلما تدفع لهم كل قبيلة في الريف، وعندي عشرة منهم هنا في أم البعرور أدفع لكل منهم ثلاثين روبية في الشهر، وفي مقابل ذلك، وعندما تحدث

---

(١) الجنابات: عشيرة كبيرة أصلهم من الجنابيين متفرقون في أماكن عديدة إلا أن أكثر مواطنهم في هور الشامية والمشخاب والمهناوية وغماس.

وعندما تأتي إلى الحقيقة والعمل يبدأ التنصل والتهرب والكذب وإلقاء المسؤولية على عاتق الغير وما أشبه.

إن الحاكم الذي يحكم في بلاد محكومة كهذه يجب أن يصرف تسعة أعشار وقته في التعامل مع أسوأ نواحي الطبيعة البشرية، الأمر الذي يؤدي إلى انقباض النفس انقباضاً متناهياً، وعلى هذا فإني أشكر الله لأنني وجدت بضعة أشخاص في هذا المكان ممن هم على شاكلة الحاج حمود لقضاء أوقات سعيدة معهم...

أم البعرور في ٢٧ تشرين الثاني (إلى أخته)

إنني لا أحسدك لوجودك في أكسفورد إلاّ لشيء واحد، وهو الراحة والعيش الرغيد في البيت (بيت عمّه). إنني أشعر في بعض الأحيان بأهمية أن يدخل المرء إلى غرف الآخرين ويستمع إلى الموسيقى، أو ليتحدث معهم عن شؤون شتى، أو أن يسير في نزهة نهرية، ولكن عملي في هذه المنطقة يكاد يشغل كل وقتي، لذا فإن المؤسف أن أغادرها.

.... ولكني غالباً ما أفكر وبأسف بأن النقود ليس من الميسور الحصول عليها في أم البعرور أو في كل أنحاء العراق، لقد أخبرني طباخي وبكل ثقة عندما امتدحت طبخه الرائع لدجاجة، بأنه في الحقيقة لا يعرف الطبخ لأنه يمتهن صناعة القهوة. وقد قال الطبّاخ لي: «إنني أستخدم عقلي فقط وتأتي النتيجة كما يريدها الله».

ولكي أبيّن لك طبيعة هؤلاء الناس، سأحكي لكِ قصة طبّاخي، لقد اشتريت في أحد الأيام بعضاً من لحم الخنزير، وهذا اللحم يعتبر غير نظيف عند المسلمين[1]، لذا فقد استدعيته وقلت له: «انظر، هذا لحم خنزير وإنني أود أن أطبخه بنفسي عندما أريده إذا لم تكن راغباً في لمسه، أو تعتقد بأنك ستدخل جهنم بسببه». وقد احتج الطباخ بشدة قائلاً بأنه لم يسمع كلاماً كهذا عند قيامه بإعداد إفطاري، وأضاف بأنه ليس متعصباً وأنه في الحقيقة ليس لديه مانع من أكل لحم الخنزير. وبعد ذلك بعدّة أيام كان مساعدي يتكلم مع طباخه الذي قال له:«إن الحاكم عنده لحم خنزير في بيته، فماذا يقول المسكين شاكر - طباخي - لله في يوم القيامة، لأنه أجبر على لمس لحم الخنزير؟»..

---

(١) قضت الشريعة الاسلامية بحرمة أكل لحم الخنزير لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به﴾ [النحل : ١١٥] وغيرها من الآيات الكريمة الأخرى.

الطريقة الوحيدة لحكم البلاد هو قول: (هذا أمري) باستمرار، وهذا النوع من الحكم يسير بالقوة ولا شيء غيرها. أما البديل الوحيد لها فهو الرحيل...

أم البعرور في ٢٥ تشرين الثاني (إلى المستر ف.ف أوركهارت)

أنا الآن منشرح للغاية... وهناك سببان لذلك:

أولهما: إنني خرجت للركوب عصر هذا اليوم، فكان ركوباً ملذاً في جو بارد بديع للغاية كأنه جو الخريف الباكر في إنكلترا. ولم يكن في وسع المرء إلاّ أن يشعر بانسجام مع الحياة هنا.

وثانيهما: إن الرجل الذي كان يركب بمعيتي، واسمه الحاج حمود[1]، وهو رجل نزيه، يجيبني على الدوام بكل صراحة، عن كل سؤال أوجهه إليه عن جميع شيوخ وأعيان أية مقاطعة، وهو من دون جميع الشيوخ والأشخاص الآخرين لا يشبه في هذا الشأن إلاّ شخصين آخرين صادفتهما في هذه الأنحاء.

لقد كنت راكباً معه إلى مكان كانت عشيرته تريد أن تنشئ سدّة فيه لغرض زراعة الشلب في السنة المقبلة، وكانت الحكومة قد دفعت قبل سنتين كلفة هذه السدّة كلها البالغة (٥٠٠٠) باون، فكشفت على المكان، وحصلت على تفصيلات الكلفة والعمل، ثم سألته: ما كان ينتظر من الحكومة أن تفعله.

فأجاب: «إن غرضنا هو أن نزرع الشلب في السنة المقبلة، ولابد أن ننشئ هذه السدّة، وقد تقاسمنا العمل والكلفة بيننا، ونحن بحاجة إلى مساعدة مادية من الحكومة، لكنكم إذا لم تستطيعوا أن تفعلوا ذلك فنحن سننشئ السدّة على كل حال لأنها ضرورة حيوية لنا».

وليس في وسعي أن أبادر هنا لأن أبرهن لكم مقدار اختلاف هذا الجواب عن الأجوبة الاعتيادية التي يعطيها الشيوخ المنافقين الذين لا تكلّ أفواههم عن ترديد عبارات: «الله يطوّل عمرك» و«انظر إلى رعيتك بعين الرأفة والعطف» و«أنت أبونا ونحن أبناؤك المطيعين».

(١) يقصد الحاج حمود البدن.

تباع فيها بأسعار محددة، فإذا استطعنا أن نقوم بذلك فإننا سنبيع الرز ونجني الأرباح، ونخصص أرباحاً لأصحاب الدكاكين بخمسين روبية للطن الواحد (أي ٢٥٪) أقل من سعر السوق. ولكن يجب أن تكون لدينا أعداد هائلة من الحمير والجمال والزوارق، من بلاد فارس والصحراء ومن كل العراق تكتسح قريبتنا وتشتري كل شيء في غضون شهر.

إنني أتمنى لو كنت أعرف المزيد عن تأريخ تنظيم تجارة الأطعمة! إذ أنني لا أعرف كيف يمكن أن يحقق الشراء من قبل الحكومة نجاحاً ما لم تقوم الحكومة بشراء المحصول كله لأيّة مادة، وبهذا تكون قد قضت وإلى الأبد على دور تجار الجملة.

ويبدو أن المحصول الجيّد، والإنتاج الوفير لا يشكلان مؤشراً عن قدرات التاجر على تحقيق الأرباح الفاحشة، حتى في هذا البلد على الرغم من سوء المواصلات. ومنذ قدومي إلى هنا (بعد مدة طويلة من حصاد الشعير) تضاعف سعر الشعير وينقل جميع محصوله إلى بغداد.

وكانت النقطة الثالثة هي مناقشة كيفية جباية ضريبة الدخل في هذه البلاد، ففي الوقت الذي يدفع فيه الفلاحون ثلاثون بالمائة عن كل المحصول، فإن التجار لا يدفعون فلساً واحداً كضريبة مباشرة، وسوف لن أزعجك بتفاصيل هذا النقاش، إنهم أغبياء تماماً، ولا يتقدمون بأية اقتراحات، وبصراحة فإن كل واحد منهم لا يثق بجاره. فإذا كان يتوجب علينا جباية هذه الضريبة، وهذا عمل يتميّز بالعدالة، حيث أن التجّار أكثر استفادة من صرفياتنا من بقية الناس، فإنني أعتقد أن الأمر سينتهي بي إلى مقابلة كل تاجر شخصياً وإخباره عن تقديراتي لدخله وعن الضريبة التي تؤخذ منه، وتاركاً له المجال ليثبت خطأ أرقامي إذا أمكن ذلك.

إن المرء ليتملكه شعور مخيف في مثل هذا النوع من المجتمع، لا أستطيع فيه أن أطلب إلاّ من التجار ومالكي الأراضي والموظفين الذين يعملون معي، والذين يعطونني كل جواب أريده. أما الطلب من الفقراء فإن من الأفضل أن تسأل جهاز مسجل الأسطوانات بدلاً عنهم، إنهم يرددون كالببغاء قائلين: (ليس لنا سوى حضرتكم ورحمة الله).

أعتقد أن جهودنا في الهند ومصر تبيّن أن من الممكن تطبيق فكرة حب العمل للمصلحة العامة إلى حدّ ما، على الرغم من أن نجاح تطبيقها في بلد مسلم أمر مشكوك فيه، ولكن الغموض الكلي لمثل هذا الأمر في الوقت الحاضر يوضح دون جدال بأن

أوامري، فأجبرناهم على توقيع اتفاقية مكتوبة، وهذا الأمر لا يعتبر ابتكاراً، فإن الجميع في هذه البلاد يعترفون أن بإمكان الحكومة أن تطلب من الشيوخ العمل.والمواد في أي وقت، إنهم يرفضون العمل لاعتقادهم أن بإمكانهم الهرب من العقاب بسهولة، وإنهم إذا ناقشوا إنكليزياً فإنهم سيكسبون القضية. وقد قمت في هذه السنة بتنظيم العمل تقريباً لجميع العشائر ذات الأهمية، وقسّمته على أحسن وجه، لذا طالما بقي ضميري نقيّاً، فلن أبالي عندما أتجاهل اعتراضاتهم، ومن الأمور الجيّدة هي عدم وجود صحافة محلية هنا، كما أنهم لا يثقون ببعضهم البعض بدرجة أكثر من قلة ثقتهم بالحكومة، وهذا الأمر يقتصر على الأغنياء، إنهم يتنازعون كالقطط حول تقسيم العمل...

وكان اللقاء الثاني مع أعيان المدينة لمناقشة عدة أمور، أولها كان رفع مستوى بعض الشوارع المعرّضة للفيضان، وبعض الأعمال المتعلقة بالفيضان في المدينة نفسها، وفي هذه الحالة لا يوجد شيخ ليتم التفاهم معه، كما أن من الصعب إنجاز الأعمال إلا بالصرف من الأموال العامة، وهذا أمر غير مرغوب فيه في مجتمع من هذا النوع، وفي النهاية كان عليّ من الناحية العملية أن أصدر الأوامر لهم لتشكيل لجنة ترفع تقريراً خلال أسبوع ويتضمن:

أ ـ الأمور ذات الأهمية الحقيقية.

ب ـ ما يمكن أن يقوم به أصحاب الدور من عمل في الأرض الواقعة بين دورهم والشارع.

جـ ـ الترتيبات التي يقترحونها للمشاركة في الكلفة والعمل في المتبقي بين الأغنياء والفقراء، إنني أتطلّع بشغف لمعرفة النتيجة.

ثم ناقشنا الاستغلال الذي أنكروا وجوده بالطبع، وحيث لا يوجد مصرف هنا ولا حسابات بل توجد المقايضة، لذا فإنني لا أعرف ماذا أعمل، لقد وجدنا حالة واحدة وهي لتاجر كان يشتري كل الشعير الذي يبيعه تجار المفرد (والذي يشترونه بثمن بخس من الفلاحين) ومن ثم ينقله إلى الحلة ليبيعه بالجملة بسعر أعلى، وهذه الحالة تبيّن كيف يتم جني الأرباح.

وقد استطعنا لحسن الحظ أن نوقف زورقه الذي يحمل طنّين، وقد أصدرت أوامري التي أأمل أنها ستمنع هذه المخالفات التي يقوم بها صغار التجار. والذين يشترون منهم، لقد كان المشروع الوحيد الذي تم تقديمه هو شراء كمية كبيرة من الرز بسعر الدولة (أي بالنسبة التي نتقاضى منها ضريبتنا) من الزّراع المحليين مباشرة وبيعها إلى محلات حيث

مكان، بأننا لن نقدم لهم شيئاً، فهل أن هذه أرضية صلبة نستطيع أن نستند إليها في العمل؟ لا أعلم، وسأخبرك بعد إنهائي السنة، و لكن في الوقت نفسه يجب أن لا تعتقد أن العمل في القضاء خطر، وإنني متأكد بأنك توافقني الرأي بأن الحياة هنا أفضل بكثير من العمل في دائرة في بغداد.

إنني لا أعرف عن تطورات المستقبل، ولكني بطبيعة الحال سأذهب إلى هناك، وإذا صدرت لي الأوامر بذلك، وتبقى الحياة في القضاء أفضل، وتنبع هذه الحقيقة من كوني أتخذ القرار دائماً دونما معونة من أحد، وكل من حولي يقول: (إن كل ما تأمر به سيكون سروراً لنا)، (إنك أبٌ لنا) وغير ذلك من العبارات.

والحاكم تعني بالعربية: من يمارس السلطة، والحكيم: هو الطبيب، وهي كلمة مختلفة رغم أنها من نفس المصدر، والفكرة المقصودة هنا هي (من يصدّر الأحكام) ولكن لقبي هو ببساطة (كابتن)...

أم البعرور في ٢٣ تشرين الثاني (إلى والدته)

لقد تغيّر الجوّ فجأة إلى طقس شتائي، فكان الجوّ بارداً عند الصباح وأثناء الليل، أما خلال النهار فإنه لطيف وكأنه يوم من أيام شهر أيار في إنكلترا. ونظراً لعدم وجود الزجاج في الشبابيك فقد أرسلت للبنّاء الذي سيصل غداً، وسأقوم بإعداد غرفة شتائية مناسبة تواجه الجنوب. وفيها موقد نار جيد، وستكون صغيرة ومؤثثة بالسجاجيد. لقد بُنيت جميع البيوت هنا لتلائم جوّ الصيف، وهذا أمر يثير الضحك، إذْ أن الشتاء يستمر ببرده القارص خمسة أشهر.

... لقد أمضيت ثلاث ساعات متعبة عصر هذا اليوم في ما يمكن أن تسميه لجنتين، وبين حين وآخر أغلق موضوع النقاش بقولي باللغة العربية: (هذا أمري)، وهو أفضل كلام يمكن أن يقال إلى جنة تضيق النفس بها ذرعاً رغم أن اسم لجنة لا يكاد ينطبق عليها.

كانت اللجنة الأولى تتكون من اثنين من الشيوخ، وأربعة سراكيل (مساعدي الشيوخ) يمثلون ثلاثة قبائل، مطلوب منها أن تبنى سدّة حول هذه القرية لحمايتها من الفيضان، ولكنهم رفضوا القيام بذلك، لأن الأمر لا يدرّ عليهم بالمال، إذ أن كل واحد منهم لا يتجاوز نظرهُ أبعد من جيبه. لذا كان لزاماً عليّ أن أكون حازماً بإصدار

شيخهم، كما أن سلطاتنا بالطبع منعتهم من ممارسة مصدر عيشهم الطبيعي في السرقة والنهب، ولا أحد يعرف كيفية التعامل معهم، ولكنني أتوقّع إنهم سيدركون بمرور الزمن الفائدة الماديّة للحياة الزراعية، ونظراً للإهمال الذي تعانيه، فإن أراضيهم لا تساوي شيئاً في الوقت الحاضر.

لقد أثارتني ملاحظتك لأنك ستُسَر عند سماعك نبأ انتقالي إلى بغداد للعمل هناك، وإنني أتوقّع أن لديك شعوراً بأن العمل في تلك المنطقة غير أمين.

إن المكان الوحيد الذي يعتبر غير أمين هو كردستان، حيث تم نصب كمين لاثنين آخرين من الضباط. أما في هذا المكان فإنني أشعر بالأمان وكأنني في بيتي ويستقبلني الناس دائماً وكأنني صديق حميم. وبطبيعة الحال فإن المحقق في كل مكان لا يتمتع بشعبية بين اللصوص، كما أن وجود الفرد في بلد مسلم قد يعترضه بعض المتطرفين، ولكن هذه الأمور لا يمكن أن تحدث، كما أنني لا أجد ما يقلقني في الوقت الحاضر، أما إذا تمّ نقلي إلى كردستان فإن ذلك حديث آخر.

إنني ألبس البزة الرسمية ولكني لا أتجوّل حاملاً سلاحي أو بصحبة مسلحين لأن ذلك يعتبر إهانة، حيث أن المرء لا يقابل إلا بأدب وكرم. إنني لا أقول إن الحكومة تتمتع بالشعبية، لقد كانت الصدمة كبيرة بعد عهد الترك، حيث لم يكن للحكومة وجود من الناحية العملية، كما أن الأغنياء لم يتوصلوا إلى قرار فيما إذا كان الأمن والاستقامة تعوّض عن عدم القدرة لتقديم الرشوة أو استخدام القوّة الجسدية، بينما الفقراء الذين استفادوا من مجيئنا يجدون صعوبة في الوصول إلينا بشرف لأنه كان لزاماً علينا إسناد الحقوق العشائرية إلى أقصى حد، كما أن آلافاً من السنين من سوء الإدارة الحكومية قد أفسدتهم إلى الحدّ الذي لا يتصورون فيه العدالة من الجانب القانوني.

إنه بلد بائس من هذه الناحية، إنه تماماً دون وعي لذاته، كما أنه يفتقد الروح الشعبية تماماً. إن الشكوك تساورني حول إمكانية تطبيق فكرة الانتداب في مثل هذه الظروف، وأشك بأن الأمم يمكن أن تدرك ذاتها بالدم وحده. إذ عندما تقوم الهند والعراق بالثورة علينا وطردنا نتيجة توعيتنا لهم بالثقافة والصحافة الحرّة وغيرها، عندها يتمكن هذان البلدان من الاعتماد على نفسيهما. ولكني أتمنى أن أكون مخطئاً.

واستطراداً للحديث، أقول بأننا (كحكومة) إذا لم نتمتع بحب الناس، فنحن وفي كل الأحوال نتمتع باحترامهم ولنا هيبة بينهم ويعرفوننا بالشرف ويعتبروننا ذوي قلوب تملؤها الرحمة، في الوقت الذي يعرف أذكياء الناس وهم قلّة، كما هي الحال في كل



العرب يعملون في مشروع السدود حول مدينة غماس عام ١٩١٩.

... كنت مشغولاً طيلة الوقت في أبو شورة في أشغال حماية الأرض، وكم كنت ستُسَر وأنت تراني وأنا أعقد مجلسين: أولهما يوم الأحد ويتعلق بما يسمى بالسد أو سدّة الفيضان وتبنى لملئ ثغرة في جرف النهر، وإذا لم يتم عمل ذلك فإن مياه الفيضان ستفيض على الجرف وتغطي الأراضي الزراعية وتسد قنوات الري بالغرين وتخرب الأرض المحروثة وغيرها، لذا فقد استدعينا كل الأشخاص الذين ستغمر المياه أراضيهم في حالة انهيار هذا السدّ. وقد أخذتهم بالمركب إلى المكان وقررنا ما نريد ثم عدت بهم إلى أبي شورة، حيث أخبرتهم برأيي حول التوزيع العادل للعمل، والعمل هو إنشاء سدة من التراب والقصب أبعادها (١٢٠) متر في (١٥) متراً في (٣) أمتار. لذا فقد قسمته كما يلي:

٤٠ متراً كحصة أولى.
و٣٥ متراً كحصة ثانية.
وحصتين مجموع كل منها (١٠) أمتار.
ثم ٢٥ متراً موزعة إلى ستة حصص.

لذا فإن المهمة التي أقوم بها لا أحسد عليها، حيث إنني لا أعرف وسيلة دقيقة لتحديد علاقات القربى بينهم، كما أن من المستحيل النقاش معهم بصراحة، نظراً للعداءات العشائرية بينهم. ومع ذلك فقد ارتضوا القسمة، وكان يجب عليهم القبول بها. ولكني أعتقد أن التعاون الذي يعتبر جزءاً أساسياً لتقرير المصير غير موجود في العراق خلال السنوات الثلاثين هذه.

وكان الاجتماع الثاني يوم الاثنين أسهل من سابقه، وكان يدور حول بناء سدة ترابية جديدة على أنقاض السدّة القديمة، والعمل الأساس المطلوب في هذه الحالة هو الحفر، ولا حاجة لاستخدام القصب أو غيره، حيث يكلف قصّه ونقله أموالاً. لقد كان عدد الناس الذين يعنيهم الأمر قليلاً، لذا فقد كنت حراً في التعامل معهم بخشونة، ولم تكن لديَ حقائق أستند إليها في مثل هذه الحالة، فقد قمت بتقسيم العمل إلى نصفين، وقسمت الرجال إلى مجموعتين، وتم توقيع اتفاقية حول الموضوع حيث استخدم ثمانية من الموقعين أختامهم، وثلاثة منهم بصموا بإبهامهم، لأن أغلبيتهم لا يعرفون الكتابة.

كان أغلبية المجموعة بالإضافة إلى عدد قليل من الذين في اليوم السابق، ينتمون إلى قبيلة بني حسن الكبيرة، التي انقسمت على نفسها سريعاً، إنهم لم ولن يحافظوا على محاصيلهم على الوجه المطلوب، كما أن نظامهم القبلي قد انحل نظراً لعدم كفاءة

متخلفون، وفي المراحل الأولى من التحضر[1].

إنني أتوقع أن أقوم في يوم من الأيام بتأليف كتاب.

وتغييراً للموضوع، لقد أخبروني عندما كنت في النجف يوم السبت بأن عشاءً (ربانياً) سيقام يوم الجمعة (ويوم الجمعة يماثل يوم الأحد عندنا)، لذا سأذهب إذا كان ستقام حقيقة، وهذا أول عشاء رباني أحضره منذ حضوري في كنيسة سترتون...

قد يكون هذا آخر بريد تستلمونه مني قبل أعياد الميلاد، لذا فإنني أرسل للجميع تمنياتي وكذلك للعمّة (نيللي) بهذه المناسبة ولمناسبة العام الجديد، وكم أتمنى أن أكون معكم. ورمزاً للذكرى فإنني أرسل لكم ثلاثاً من دلال القهوة العربية مع هذا البريد، وأرجو أن تأخذوها إلى صائغ لتلميعها، لقد تمّت صناعتها يدوياً، لم أجد أي شيء لأرسله إليكم. كما أنني لم أستلم منكم رسائل بمناسبة عيد ميلادي.

أم البعرور في ١٨ تشرين الثاني (إلى والده)

ذهبت إلى النجف عصر يوم الخميس، فكانت السفرة متعبة، لقد كان مستوى مياه النهر منخفضاً، وقد جنح مركبي في النهر ما يقارب ست مرات، ولم أصل إلى أبي شورة حتى حلول الظلام وبالمناسبة فإن مركبي يحمل بضاعة تثير الدهشة، فقد كان يحمل خادمي وداود وخادمه، وثلاثة شرطة عجم من النجف، وسجين، أصدرت عليه صباح ذلك اليوم حكماً بالسجن مدة ثلاثة أشهر لإدانته بالاختطاف، وهو رجل تبدو على وجهه ملامح ذئب غادر. لذا فقد كان المركب يحمل أكثر من المعتاد بقليل، لقد قمت بنفسي بقيادة السيارة من أبي شورة إلى الكوفة مسافة أربعة أميال، حيث أن الطريق رديء جداً، ومن ثم تأتي بعدها سبعة أميال من الأرض الصحراوية إلى النجف، وقد دخلت في الساعة السابعة والنصف سليماً وسعيداً جداً لوصولي...

وفي يوم الجمعة حضرنا العشاء (الرباني) وكان عددنا ستة، وبعد ذلك تداولنا بصورة مطوّلة مسائل تخص الريح، وقد نمت هناك تلك الليلة وعدت صباح يوم السبت إلى أبي شورة حيث أمضت ليلتين وعدت إلى هنا بالمركب مساء يوم أمس...

---

(١) هذه الصور وغيرها عن المدن المقدسة ورجال الدين وعن زائريها نموذج آخر من أساليب المحتلين، المستعمرين. انظر: مقدمة المحقق.

كثرة سحبها إلى الأسفل، وهم ذوو شعور طويلة شعثة، كما أنهم أغبياء بشكل يثير الدهشة، ولكنهم ذوو هيئات مثيرة. وعلى كل حال فإنه لأمر مثير للعواطف أن تشاهد رجلاً راكباً بغلاً كبيراً، أو حصاناً جبلياً صغيراً يقطع مسافة قد تزيد على خمسمائة ميل على طريق كرمنشاه، ثم إلى خانقين، ومن ثم يقطع الصحراء في سفرة شاقة عبر الجبال والسهول والصحاري، وبطبيعة الحال فإنهم يأتون في مجاميع، ولا يوجد خطر من تعرضهم للنهب أو القتل.

وعلى كل فإن هذا هو الانطباع الأول، فما هو الانطباع الثاني؟.

إنها مدينة فاسدة بحيث أنه إذا كتب عنها تقرير واقعي فإنه لا يمكن أن يطبع في إنكلترا، ويمكن القول إن كل الرذائل التي يعرفها أراذل المؤلفين الإغريق والرومان تمارس هنا علناً.

إنها المدينة التي يستشري فيها الاستغلال لتكوين الأرباح الفاحشة، ليس بنسبة عشرة أو خمسين بالمائة، ولكن بنسبة ألف بالمائة فما فوق، أما الضحية فإنهم الزوّار بطبيعة الحال.

إنها مدينة الجثث، ويشهد السوق طيلة اليوم سيلاً غير منقطع من الجنائز، كان العديد منها تفوح منه الروائح الكريهة، وليست موضوعة في توابيت، بل يلفونها فقط بقماش خشن حيث يتم حملها من المسجد إلى المقبرة، أو من الشارع إلى المسجد.

إنها المدينة التي لا يكاد يمرّ فيها يوم من أيام مواسم الزيارة دون أن يقضي واحد أو أكثر من الزوّار نحبه جوعاً، ويعلم الله كم منهم يموتون، وخاصة في الطرقات الخلفية، وليس في جيوب العديد منهم أية قطعة من النقود.

لذا فأنتِ ترين أن المرء في الانطباع الرومانسي الأول إذا شعر بالأسف لمجيء المخترعات الجديدة وأعني بها تصفية المياه، والقطارات، والسيارات، وبقية الاختراعات، فإن الفرد يشمئز كثيراً من الانطباع الثاني. ليس هناك أمر جيّد يُذكر عن هذه الزيارات، والنفس البشرية تتسم دائماً بالبطولة عندما يقوم الإنسان بأعمال عظيمة، وإن كل واحد من هؤلاء الزوّار يقوم بعمل بطولي عند قيامه بزيارة الضريح، ولكنه النوع الخاطئ من البطولة، إنهم يقولون إن كل المدن التي يذهب إليها الناس للحج والزيارة هي قذرة، ويبدو أن حياة التديّن تنمي بالتأكيد أسوأ الرذائل، حيث تنتشر بين رجال الدين أكثر سوءاً. ومع ذلك فإن الإسلام دين قيّم ومستقيم اعتنقه ناس

... لقد ذهب معظم سكان المدينة لزيارة مدينة كربلاء[١]، وعند سيرنا بمحاذاة النهر مساء يوم الأحد مررنا بعشرة زوارق محملة بالناس، ومعلّقة عليها الرايات، ويعلو منها الترديد والطبل في الوقت الذي يتم سحبها فيه إلى النهر، وأعتقد أن ثلاثمائة في الأقل قد ذهبوا من هذا المكان فقط، أي ما يعادل عشرين بالمائة.

... أتمنى أن أستطيع إعطائكم فكرة عن النجف، لقد كانت زياراتي السريعة لها من هذا المكان الريفي النائي قد أعطتني عنها انطباعاً واضحاً، فأحببتها ولو كان لدي الوقت لكتبت عنها دراسة مناسبة، وفي الحقيقة كان هناك انطباعان:

أولهما: عن المدينة نفسها كرمز، حيث تأتي إليها بالسيارة من أبي صخير[٢] قاطعاً عشرة أميال من الأرض الصحراوية، وإلى جهة اليمين، وعلى مسافة تقرب من أربعة أميال توجد بساتين النخيل بمحاذاة النهر، وعلى جهة اليسار وعلى مسافة خمسمائة ياردة توجد صخرة ترتفع من خمسين إلى مائة قدم، ثم تمتد الصحراء بعدها التي لا يظهر فيها غير السراب، ثم يبدو مشهد المدينة، وكأنه جزيرة وسط البحر، وفي ذلك المشهد مسحة من الواقع، ألا وهو وميض الذهب على القبة الذهبية. وعند التقدم في المسير يتغيّر المشهد باستمرار، وتظهر التفاصيل حتى يختفي السراب، ومن على مسافة تبلغ أربعة أميال تقريباً تستطيع مشاهدة المدينة نفسها، تحيطها الأسوار العظيمة، وتمتد خارجها القبور وعلى مسافة أميال، والعديد منها بقباب زرقاء ومنائر. كل هذا يقف شامخاً وسط الصحراء في عزلة تامة. وهذا أمر لا يُصدّق.

إن المشهد مثير للغاية، وتزداد استثارة العواطف عند الرؤية الأولى للزوّار، وفي هذه اللحظة يمتلئ المكان بالعجم في طريقهم إلى كربلاء، وبعد زيارة النجف، حيث أن هاتين المدينتين مرتبطتين عضوياً في تاريخ الشيعة. إن مشهد هؤلاء العجم في الطريق لطيف، على الرغم من قذارتهم المفرطة، وهم في هذا الأمر يختلفون تماماً عن العرب، فهم يلبسون ثياب زرقاء فضفاضة، وأغطية مدوّرة على الرؤوس تتهدّل على آذانهم من

---

(١) يصادف هذا اليوم ١٥ صفر ١٣٣٨ هـ، يبدأ به الذهاب إلى كربلاء، ويستغرق للسير على الأقدام خمسة أيام تقريباً، فيكون الوصول إلى كربلاء يوم ٢٠ صفر وهو يوم أربعين الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، وهناك تقام المجالس والمواكب العزائية فيكون مؤتمر عام يضم آلاف الناس. وهو تقليد قديم منذ القرون الأولى. أما أثاث المواكب فهي تذهب على الطريق النهري كما وصفه الكابتن مان.

(٢) أبو صخير: مدينة تقع على نهر الفرات وهي على مقربة من منطقة الحيرة الأثرية، مركز المناذرة، وهي اليوم مركز قضاء تبعد عن الشامية مسافة ٢٠كم، وعن النجف ٢٠ كم.

الصالحة للزراعة غير محدودة، ومحاصيلها مؤكدة، شريطة أن نبذل الأموال على مشاريع الري، ولكن العقبتين الرئيسيتين هما:

أولاً: قلّة السكان.

وثانياً: قلة الأخشاب والصخور، والتي لا تتوفر بالطبع ضمن مسافة مائتين أو ثلاثمائة ميل إلى الجنوب الشرقي من بغداد.

وهذا يجعل التنمية بطيئة وذات تكاليف باهظة.

لقد أعجبتني ملاحظتك حول الذرة الهندية لأن المحصول الرئيسي في منطقتي هو الذَرَة، إنها مادة ذات قيمة غذائية ضئيلة، ولكنها تدرّ أرباحاً جديدة على ما يبدو، حيث يباع الطن الواحد منها بمبلغ يتراوح بين الثمانين والمائة روبية، على الرغم من أن الطن يشتمل على كمية كبيرة من المادة.

لقد حدث في إحدى الليالي حادث مؤنس، عندما كنت في جولة، فقد اعتدت أن أتناول طعام العشاء في المضيف مع أعضاء لجنة (الذرعة) وجميع الحشد الذي يتفق وجوده في المضيف.

فبعد أن انتهينا من تناول الطعام في إحدى الليالي وقدمت القهوة ووزعت (النواركيل) لاحظت فجأة أن أحد الحاضرين ارتقى كرسياً عالياً (منبر) في وسط المضيف، ولم يكن الضوء كافياً، فهمس الرجل الجالس بقربي... بوجوب الامتناع عن التدخين... وقبل أن أعرف الوضع تماماً كنا في حالة تشبه ما يسمى بصلاة المغرب، وكان هذا رجل الدين المختص بالشيخ، وقد بدأ يصرخ وبطريقة حزينة، وبلحن كنائسي مؤذ خارج من الأنف، وهو يسرد قصة الحسين، وهي بالنسبة للشيعة مثل قصة صلب المسيح بالنسبة لنا، وفي خلال دقيقتين أخذ كل من الحاضرين باستثنائي أنا والشيخ يجهش بالبكاء، وكأن قلبه يتقطع حزناً، ودموعه تنهمر على الخدود، وقد استغرقت القصة عشرين دقيقة تقريباً، كان الجميع أثنائها في نحيب مستمر. ولم يكن في وسعي أن أفهم ما كان يردّده، بالنظر للّهجة التي كان يلقي القصة فيها، حيث كانت لهجة مأساوية للغاية، لكنها كانت بلا شك بلغة عربية سليمة جداً، مع لهجة جنوبية خالصة، وبعد ذلك أشار الملا فجأة إلى اسم الحاج جواد واختفى بين الحاضرين بالسرعة التي ارتقى فيها المنبر. ثم عاد الجميع يتكلمون ويدخنون ويشربون القهوة، وكأن شيئاً لم يكن..

من (ذرع) ٤٢٠٠ مشارة في سبعة أيام، وقد أبدى عدد من أعضاء اللجنة ارتياحاً لقدومي، كما أن الشيخ الذي كنا نذرع أراضيه وهو شيخ ظريف جداً اسمه الحاج جواد، أطرى على مهارتي الهندسية، وسبب هذا هو أنني كنت أشتغل في المساحات الواسعة بموجب مخططات، وهي طريقة جديدة كانوا يفهمونها بسهولة، ويقدرونها حق قدرها...

ومن سوء الحظ لم أستطع السير على رجليّ، حيث أُصيبت إحداهما إصابة بالغة عند مروري بمنطقة قصب، وكان ارتفاع الماء يصل إلى الوركين، ولا أكاد أستطيع أن أحتذي الجزمة، وقد سبب لي ذلك إزعاجاً، لقد عملت هذا اليوم ويوم أمس على ظهر الحصان، حيث أن الطين كان قليلاً جداً، فقد استطعت التحمل، ولكن وجدت أن قضاء خمس ساعات على سرج حصان يسير أكثر تعباً من قضاء ثمان ساعات من السير على الأقدام.

وعند انتصاف النهار هذا اليوم وجدنا أنفسنا قرب البيت، وقد شعرت بسعادة غامرة عند انتهاء العمل. لقد بقي لدينا عمل يوم سنقوم به غداً بعد مسير طويل في الذهاب، وبعد سفرة متعبة عند العودة بمحاذاة حافة بحيرة كبيرة، ونقوم بذرعة مساحات صغيرة هنا وهناك، بعدها ينتهي العمل من ذرعة حقول الشلب.

لقد استمتعت بالعمل كثيراً، وباستثناء اليومين الماضيين حيث كنت متعباً جداً، فقد كنت في قمة لياقتي، كنت أكرر نفس العمل طيلة ساعات اليوم دون تغيير تقريباً، فاستيقظ عند الفجر واعمل من السابعة صباحاً وحتى الثانية عشرة ظهراً، ومن الثانية من بعد الظهر حتى الخامسة أو بعدها (أو قبلها في بعض المناسبات) وأتناول الشاي وأعمل ساعة أو ساعتين للتأكد من الأرقام المسجّلة خلال اليوم وأستحم وأحلق وأتناول العشاء وأقرأ عدة مئات من الأسطر قبل النوم. لقد كان إفطاري في الأسبوع الماضي يشتمل على أربعة إلى ثمانية بيضات مسلوقة، وقد وصلت الرقم الأخير في يوم واحد، لذا فإن شهيتي لم تتأثر، كما أنني أتناول كمية كبيرة من الرز المطبوخ، لقد كنت مرتاحاً طيلة الوقت، وأُعامل معاملة الملوك أينما ذهبت، إنه مركبٌ لطيف من العمل والامتياز!..

[وعن تعليق صحفي عن بلاد ما بين النهرين]: لا يوجد في إنكلترا وفي دائرة شؤون الهند بالذات خمسة أشخاص من يمتلكون معلومات عن هذه البلاد، فلماذا يتبجح الصحفيون بأنهم يعرفون كل شيء؟ فبقدر تعلق الأمر بالزراعة، فإن الأراضي

... على أن الشيء المؤسف الوحيد صدر كما كان متوقّعاً من كبار ملاّكي الشلب، حيث أن الأغنياء في هذه المنطقة وفي أي مكان آخر يكونون أكثر دناءة وأكثر جشعاً من الفقراء. فقد اشتغلنا سبعة أيام كاملة في أراضي ملاّك واحد... ويمكنكم أن تحصلوا على فكرة عن ثروته إذا قلت لكم أن الضريبة المستحقة عليه وحده عن الشلب لهذه السنة فقط تبلغ حوالي (١٠,٠٠٠) جنيه بل وأكثر... ومع هذا فإن وكيل هذا الرجل الذي رافقنا خلال العمل كان يحاول أن يغشنا، كما كان دائماً يجادل من أجل مائة ياردة مربعة أو أكثر، ويحاول التودّد إلي بلغته الملأى بالنفاق...

إن مضيّفي (السيد حسين) في منطقة رائعة، تقع في سهل كبير تغطيه قطعان المواشي والأغنام وسائر الحيوانات، وتضرب فيه بيوت الشعر السوداء التي يأوي إليها رجال القبائل الممتدة إلى الجنوب حيث تمتد على بعد خمسة أميال الصحراء السورية عبر النهر قرب الشنافية. وقد حصد جميع الشلب الذي زرعه في هذه السنة تقريباً، و أخذت الحقول تبدو وكأنها حقول الحصاد الإنكليزية. (باكو) أم الحاصل الذهبية، ويتفرع النهر هنا إلى عشرين جدول أو أكثر. فتكون مساقط مائية «نكارات»[1] في كل مكان، بحيث يسمع صوت المياه الجارية فيها. وإلى أبعد من ذلك شمالاً توجد البساتين الممتدة على طول الجداول الثلاث الرئيسية التي تنساب إلى الأسفل من غماس، حيث أشجار الصفصاف والتين والنخيل والرمان، واتساع هذا السهل الممرع تولّد في المرء شعوراً بالحرية والانطلاق يشابه تماماً الشعور الذي يخالجه عندما يقف على قمة تلٍ عالٍ من تلال (الدوانز) في إنكلترا.

أم البعرور في ٥ تشرين الثاني (إلى والده)

لقد عدت من جديد إلى هنا بعد أسبوع شاق من الكدّ والتعب، فقد ذهبت لتخمين الشلب في ٢٩ تشرين الأول، وبدلاً من الإشراف على العمل، توليت القيام به فعلياً بنفسي، وهذا يعني السير على حدود الأراضي جميعها وغير ذلك للحصول على فكرة حول شكل الحقول، وهذا بلا شك عمل شاق!. على أن هذا التعب قد كانت له نتائجه المعوّضة، فقد تمكنت اللجنة في ١٤ يوماً من (ذرع) ٤٥٠٠ مشارة، بينما تمكنت بوجودي

(١) النكارات: تسمية محلية أطلقتها العامة على مساقط المياه الواقعة في جنوب الجعارة (الحيرة) الغربية، وبزايز شط المشخاب، وهي تشبه تماماً (الشلالات) حيث يسير الماء بسرعته خصوصاً عند لقاءه بمنطقة منخفضة فيحدث من جراء ذلك أصواتاً ودوياً ومناطقها غير صالحة للسير النهري.

يكتبها بالعربية، وقد كانت أرقامنا متطابقة مرة واحدة فقط خلال الأيام الأربعة هذه، وقد كان يخطئ أحياناً، ولكنه كان رجلاً لطيفاً للغاية، وذو ثقافة واسعة، وتتم تهيئة العشاء في حوالي الساعة الثامنة أو قبل ذلك بقليل، ثم أذهب إلى الفراش في الساعة التاسعة تقريباً.

لقد تناولت الكثير من الطعام في العشاء مستخدماً يديَّ في تناوله بطبيعة الحال، الأمر الذي جعلني أنام نوماً مزعجاً. إنني أتوقّع أن يستمر العمل لأسبوع آخر، ومن حسن الحظ فقد أصبح الجو لطيفاً مع برودة أثناء الليل، ستغمرك السعادة إذا شاهدتني أثناء العمل مرتدياً القميص والسروال القصير، وبلا جواريب، وساقاي وحذائي مغطاة بالطين.

([حاشية الرسالة]) باستثناء لقائي بالرائد[1] يوم غد، فقد مضت عليَّ عشرة أيام دون أن أتفوّه بكلمة باللغة الإنكليزية.

الشنافية: مع السيد حسين المكوطر في ٢٤ تشرين الأول (إلى والده)

سوف ننهي ذرعة الشلب في هذا المكان غداً، وفي اليوم التالي سوف أعود مع شيء من الأسف إلى أم البعرور، لقد استمتعت كثيراً خلال هذه الأيام العشرة وتحسنت صحتي بها، وكان العمل خلالها شاقاً جداً، صادفت خلاله يوماً متعباً انحرفت فيه صحتي وكدت أترك العمل، حيث تشققت ساقاي، وانسلخ جلدها، وتفطرت، بتأثير الشمس والشلب والقصب والطين، لكن الحياة في الهواء الطلق، والجو البديع - ليالي باردة، ونهارات حارة بحرارة الصيف الإنكليزي - والريف الزاهر، والابتعاد عن قيود الدائرة، والحكم للناس فيه بعربيتي الحالية التي تجهدني، قد تآزرت كلها لجعل هذه الجولة جولة ناجحة، ولقد سمعت بأن لجنة الذرعة التي تعمل معي قد تميَّزت على غيرها من اللجان الأخرى بكثير. ومع أن الفضل في ذلك يعود للمرؤوسين الذين يشتغلون بمعيتي، والذين يبذلون كل ما في وسعهم في العمل، فإنني أعتقد أن ذهابي معهم في المستنقعات وغيرها قد أسعدهم كثيراً وجعلهم أيضاً يشتغلون الشغل المطلوب. فليس هناك من شك بأن العربي عامل مثالي طالما كان بصحبة رجل إنكليزي، حيث أنني كنت أندهش كل يوم لبشاشتهم وأمانتهم وعدم صدور تذمر منهم مطلقاً.

---

(١) يقصد الميجر نوربري حاكم النجف والشامية.

غادرت أم البعرور في يوم ١٥، لذرعة مزروعات الشلب، أما الآن فأنا جالس في الخيمة التي كنت قد وصفتها لكِ في كتابي الذي بعثته في أوائل شهر أيلول، وفي أرضية الخيمة أمامي حوالي اثني عشر شخصاً يأكلون بقايا الغداء الممتاز الذي بدأنا بأكله أنا وموظفي لجنة الذرعة الذين جاؤوا معي.

نحن نشتغل اشتغالاً شاقاً في مهمتنا هذه، إن لياقتي جيدة، كما أنني أعمل في أرض صعبة وأقضي سبع أو ثمان ساعات يومياً من العمل في أراضٍ وعرة، وأحياناً أخوض الماء والوحل إلى مستوى الركبة أو إلى أعلى من ذلك.

أما برنامج العمل فهو كما يلي:

استيقظ في الفجر في الساعة السادسة، واستحم على عجل وأتناول إفطاراً مكوّناً من الخبز والبيض والشاي، ونبدأ السير إلى العمل في تمام الساعة السابعة، ونصل إلى الحقول بعد مسيرة نصف ساعة تقريباً، بعدها نبدأ العمل ولا نتوقف إلاّ لشرب اللبن في أية مجموعة من الأكواخ نصل إليها، واللبن هو من الحليب الحامض الذي يروي العطش بصورة تثير الدهشة، وقد شربت الكثير منه اليوم. ويتم تقديم اللبن عند الطلب وبدون مقابل لكل المجموعة التي يصل عدد أفرادها إلى اثني عشر أو يزيد، حيث أن أفقر الفلاحين الذين لا يمتلكون أرضاً لديه قطيع من الأغنام والأبقار، ويتم القياس باستخدام الحبال، ويمكن التأكد من دقّته بالمتابعة المباشرة لحاملي الحبال وسط حقول الشلب الذي يبلغ ارتفاعه أربعة أقدام في مياه يبلغ عمقها ستة إنجات.

لقد قمت في اليومين الأولين، بالعمل بأكمله إرضاءً لنفسي، وأنا الآن أجلس جانباً أراقب الرجال وهم يعملون. ومع ذلك فإن هناك أراضٍ كثيرة يتوجب قياسها وحسب اعتقادي فإنني كنت أسير ما بين عشرة إلى اثني عشر ميلاً في اليوم. ولا حاجة لي بالقول إنني متعب ولكنني اكتسبت لياقة عالية. ونتوقف عن العمل في الساعة الحادية عشرة والنصف أو عند الظهر في أي كوخ أو خيمة، ويأتي الخدم بالطعام الذي يتكوّن من الدجاج البارد والخبز والبيض المسلوق والتمر، فأتناول طعامي وأتمدّد حتى الساعة الواحدة والنصف أو الثانية، حيث نبدأ العمل من جديد، ونشرب اللبن مرّة واحدة أو مرّتين إن وجد. ونصل إلى هنا في الساعة الخامسة تقريباً، ولكننا وصلنا اليوم بعد الساعة السادسة، وإذا لم يكن الوقت متأخراً، أتناول الشاي وأقوم بالاستحمام والحلاقة. ثم أعمل لمدة ساعة في التأكد من حساب اليوم، ومقارنة أرقامي مع أرقام الموظف الذي

إخبارياً منذ وصولي إلى هنا قبل ستة أسابيع. وقد سمعت إشاعات مثيرة عن ضرب قطار، وإنني لأتساءل كثيراً عما يجري، وفي هذا المكان النائي الذي أشرف عليه انشغلت بسرعة وبصورة غير اعتيادية، وكان اختلاف المسائل التي أتعرض لها قد جعلني لا أكترث أبداً لما يحدث في العالم الخارجي.

[وبعد زيارة مريحة قام بها الرائد نوربري في الفترة من ٥ ـ ١٢ تشرين الأول، وبعد جولة قصيرة قاما بها في المنطقة وقابلهما خلالها في أحد الأماكن موكب مكوّن من حوالي عشرين من العرب والشيوخ والسراكيل ـ وهم الدرجة الثانية بعد الشيوخ ـ وأبنائهم ووكلائهم وغيرهم، عاد إلى العمل في الدائرة وكتب إلى أبيه]:

أم البعرور في ١٣ تشرين الأول (إلى والده)

كانت إحدى العرائض المقدمة تتضمن التماساً، فقد كانت هناك حالة اغتصاب قبل مدة، واستناداً إلى التقاليد العشائرية فإن الجاني يدخل في اتفاق يسلم بموجبه امرأة واحدة كتعويض، ويقدم امرأتين إذا عجز عن تقديم واحدة ضمن فترة محددة. وهذا ترتيب خاص أقرّه العرف العشائري والديني[1]، ولا علاقة له بالحكومة مطلقاً. ونظراً لأن الإتفاق لم يتم تنفيذه فإن المدّعي تقدم للحكومة طالباً إليها التدخل لتنفيذ الإتفاق، وعند حضوره أمامي كنت أأمل أن استجمع كل عربيتي لأخبره بصراحة عن رأيي بمثل هذه العادة العشائرية، وأن يبدل حقه إلى استلام مبلغ نقدي للتعويض عن الأضرار.

إن الجو حار جداً، ولكنه يميل ببطء إلى البرودة، لقد انتشرت الأمراض هنا، وقد تزوّدت بكمية من الأدوية التي أعالج فيها كل من يأتي وبكل إمكانيتي، وكلي أمل أن يتم في القريب العاجل افتتاح مستوصف إذ سيكون ذا فائدة جمّة..

كنت في الفترة الماضية مشغولاً بقضايا الخلافات على الأراضي، وهي مسائل يؤدي الخوض فيها إلى تثبيط العزائم، إذ لا يمكنني أن أعيد الأرض لمالكها السابق الذي أخرج منها حتى وإن كان ادعائه شرعياً ومدعماً بالوثائق. وذلك لسبب بسيط وهو إنه إذا ما حاولت إصلاح الأخطاء التي وقعت فيها الحكومة السابقة فإنني لن أصل إلى نهاية.

---

(١) هذا عرف عشائري متسالم عليه لدى بعض عشائر العراق، وهو مخالف لأحكام الشرع والقانون.

أمام مخيلتي وتفرض نفسها وكأنها واقع حي، ويتراءى الآن أمامي بوضوح كيف كانت أمور الحياة تسير بكل بساطة في أكسفورد. إنني لا أعني بذلك إنني لم أنجز أعمالي بهمة، أو أنني لم أكن في معظم الأحيان ضجراً أو غبياً، إذ أن ذلك مصير من قطع في التحضر شوطاً بعيداً، ولكنني أعني بأن أموراً كثيرة كان بإمكاني القيام بها هناك، وأناس طيبون أتحدث إليهم، وغرف جميلة أجلس فيها، ومأكولات شهية، وغيرها من الأمور، وذلك بعد بذل جهد بسيط للغاية.

إنني لم أأسف لعدم وجود هذه الأشياء، كما أنني سعيد لأنني لن أرجع غداً أو بعد غد إلى (باليول)، ولكن ما يؤلمني هو اعتمادي المطلق على نفسي في القيام بكل شيء وفي إصدار القرارات دونما مساعدة في كل مسألة ابتداءً من ملكية الأراضي إلى ما سأتناوله في وجبة العشاء وكيفية طبخه كذلك، إن ذلك بالتأكيد يرسخ في ذهني حقيقية سهولة الحياة المتحضرة.

إنني لن أقول بأن معيشتي هنا هي ليست بأفضل منها إذا كنت في إنكلترا، ولكن من المؤكد أن العيش في كلا الحالتين جيد.

إن كتبي كانت متعتي التي لا توصف، وكنت كل أسحب واحداً منها ازداد امتناناً لك، كما أنني سأقوم بترتيب حديقة ستكون في غاية الروعة....

إن السكان يعتزون في الواقع بوجود حاكم بريطاني في هذه المنطقة، وقد تلقيت خطاباً ترحيبياً مكتوباً بلغة منمّقة والذي ستسرك قراءته، إنهم يطلقون على أنفسهم (رعيّتي) ويطلقون على الأمر الاعتيادي الذي أصدره (حُسْن الالتفات وشمولنا بنظركم العالي)[1]!.

أما الآن فيتوجب علي أن أغيّر ملابسي للذهاب إلى عزرا.

أم البعرور في ١٣ تشرين الأول (إلى السيدة ماري موري)

لقد تناولت عشاءً شهياً ممتعاً، وقد كانت الأمور تسير بشكل مضجر لأن المضيف لا يفعل شيئاً أبداً، وكان يجلس ما لم يطلب منه الضيف الرئيسي شيئاً.

لم أستلم أي بريد إنكليزي منذ ثلاثة أسابيع، ولم أشاهد أية جريدة، أو تقريراً

---

(١) يشير إلى المضبطة السابقة.

إن عشائي يتكون من الشوربة، وبعض الأحيان على السمك والدجاج والرز والطماطمة، واتبعها بتناول صحن مصنوع من الحليب يسمى (المحلبي).

وإذا ذهبت للتجوال بين حقول المحاصيل راكباً أو راجلاً، فإنني أبدأ من الساعة الثامنة وحتى الساعة الحادية عشرة أو الثانية عشرة، وبعدها أذهب إلى المضيف وأبقى حتى الساعة الثالثة تقريباً، حيث أن الطعام يُحضر عموماً بعد ثلاث ساعات من حضور الشخص، لأن النساء يبدأن العمل في اللحظة التي تتم فيها مشاهدة الحاكم قادماً، إذ أن بقاءه لتناول الطعام أمرٌ مفروغ منه، كما أن الامتناع عن تناول الطعام يعتبر إهانة كبيرة لهم. وفي هذه الحال أعود في حوالي الساعة الرابعة أو بعدها، وأتناول الشاي وأستحم، ولا أخرج بعد ذلك.

لا حاجة بي للقول إن تكاليف حياتي رخيصة بصورة تثير الدهشة... وفي الواقع إنني أصرف ما يزيد قليلاً عن مخصصاتي... إن الأسعار في القرية مرتفعة أحياناً، ومنخفضة جداً في أحيان أخرى، حيث أشتري بيضتين بآنة واحدة، ودجاجة بثمان أو عشر بنسات. ولكن في زمن الأتراك كان بإمكان الفرد أن يشتري ثمان بيضات ببنس واحد، لذا فقد طرأت زيادة طفيفة على الأسعار. إن السلع المستوردة نادرة جداً، فالزجاجيات والسكاكين والشوكات وما إلى ذلك تكلّف الواحدة منها روبية أو أكثر...

أم البعرور في ١٢ تشرين الأول (إلى السيدة ماري موري)

لقد حل مساء يوم الأحد، وسوف أتناول طعام العشاء أيضاً بعد قليل عند عزرا[1]. إنه رجل لطيف ورائع، متقدم في السن، وهو مثل سائر اليهود، ممتن من الأعماق لوجود الحكومة البريطانية هنا، وأنك ستوافقيني الرأي بأن عزرا كان عجوزاً طيباً، إذ عندما اجتمع في مكتبي في أحد الأيام كبار تجار البلدة، وكنا نناقش موضوع تطوير البلدة، طالب الجميع بإنشاء جسر كضرورة أولى باستثناء عزرا الذي طالب بفتح مدرسة.

من المؤكد أن يوم الأحد هذا، هو أول أحد في الفصل الجديد، وإنني أفكر كثيراً في أكسفورد وفيكم أنتم جميعاً. إنني أعيش وحيداً، ومن الغريب إن صور الماضي تتمثل

(١) عزرا: يهودي من سكنة الشامية، كان يعمل تاجراً بالعطارة والقماش والبقالية، توفي بالشامية، وله فيها أملاك ومقاطعات واسعة على شواطئها.

أمامي بيديه إلى قطع صغيرة، كان هناك اثنان من المضائف وقد تجمّع الخدم جميعاً في أدناهما، وقد احتوت وجبة الطعام على اثني عشر دجاجة، ونصف خروف، والخضراوات والرز، بالإضافة إلى نوع من الحلوى الصلبة...

لقد عملت ثلاثة أيام كاملة خلال الأسبوع الماضي، وأربعة أيام خلال الأسبوع الذي سبقه دون مترجم.

إنني أشعر بأن أموري قد تحسنت، وأنا الآن أتعامل مع بعض القضايا البسيطة بمفردي، وأستطيع أن أتوصل إلى النقطة التي يكذب فيها طرفي القضية، ويكون فيها دليل المقاضاة في صالح الدفاع، عندها أقوم بإيقاف الدعوى، وقد أقوم بتغريم الطرفين لتعكير صفو السلام. وفي المضيف أتظاهر بأنني أفهم أكثر مما أفهمه حقيقة، ولكني من الناحية العملية أستطيع أن أخمّن فحوى الكلام.

لا أعتقد بأنني أعطيتك فكرة واضحة عن كيفية قضاء اليوم، فإذا كان يوم دوام فإنني أستيقظ بين السادسة والنصف والسابعة والنصف، وإذا استيقظت مبكراً فإنني أقوم بتعلم بعض الكلمات العربية قبل الإفطار، وأقوم بارتداء ملابسي ببطء شديد. وفي الساعة الثامنة أتناول إفطاري المكوّن من البيض المقلي والخبز والزبد والشاي والرقي والتمر.

وأعود من الدائرة لتناول غداء خفيف يتكون إما من السمك والبيض، أو قليلاً من اللحم مع الرز والخيار والطماطمة، ومن ثم أتناول الرقي والتمر (نظراً لشحّة الحلوى).

بعدها أتمدّد، إذا لم أقم بكتابة رسالة، أو أنجز بعض الأعمال قبل ذلك، على سطح داري في الظل أقرأ كتاباً من الساعة الثانية وحتى الرابعة عصراً، حيث يجلبون لي الشاي لتناوله دون أن آكل أي شيء معه.

ثم أعود إلى الدائرة، وبعد انتهاء الدوام أتمشى مسافة ميلين أو ثلاثة أميال، وغالباً ما أتمشى على شاطئ النهر، حيث يمكنني مراقبة غروب الشمس من إحدى الضفاف الجميلة، أعود بعدها إلى البيت فأقرأ أو أكتب قليلاً، ثم أستحم وأغيّر ملابسي استعداداً للعشاء الذي أتناوله في الساعة السابعة والنصف، وهو الوقت الذي يرفع فيه المؤذن صوته داعياً إلى الصلاة في الجامع المجاور. ويذهب الخدم ويقفلون البيت في حوالي الساعة الثامنة والنصف مساءً بعد انتهاء العشاء. كما أنني أقوم بالقراءة أو الكتابة حتى الساعة التاسعة والنصف، بعدها أصعد للنوم على السطح تحت ضوء القمر.

اليوم هو العاشر من محرم، وهو يوم عطلة في الدائرة، ومحرم هو فترة عزاء الحسن والحسين، إبني علي زوج إبنة النبي، ويقيم المسلمون الشيعة فيه مواكب كبيرة... إنه لأمر غريب، فالنساء يجهشن بالبكاء والنحيب، والرجال ينشدون ويلطمون الصدور، ويستمر هذا العمل في ازدياد يومي، حتى هذا اليوم الأخير، الذي تقام فيه مواكب عظيمة للنساء البواكي، والرجال الذين يجلدون أنفسهم، ومعظمهم يرتدي السواد، وهم يرددون ويصرخون ويجرحون أنفسهم أو يحرقونها، ولكني لم أشاهد من هذا القبيل اليوم. وقد جرى كل ذلك بهدوء تام، ويوجد في هذه القرية خمسين أو ستين يهودياً، وقد شاهدتهم اليوم يتجولون تغمرهم السعادة، وبالطبع فإنني النصراني الوحيد، ولا أشعر بالخوف من احتمال تعرضي للمضايقة.

إن هذه العطل الدينية تسبب الإزعاج بطريقة أو بأخرى، فرئيس الملاحظين في مكتبي يهودي، وكان يوم السبت صوم التكفير، لذا لم يكن باستطاعته المجيء إلى المكتب. والجمعة هي دائماً عطلة للموظفين وغيرهم. وحيث إنني بقيت هنا وحيداً، فقد ظل المكتب مغلقاً مدة أربعة أيام لمناسبة عيد المسلمين.

لقد كان بودي أن ألتقط صورة لموكب محرم، لقد كان مشهداً آخاذاً، ولكني ارتأيت أن من الأفضل أن لا أقوم بذلك حيث أن الكثير من المشاركين منفعلون متحمسون، ولم يكن بودّي أن أثيرهم...

تناولت يوم الجمعة وجبة طعام رائعة مع أحد الشيوخ الذي كنت أقوم بالإطلاع على محصوله من الرز، لقد جلس إلى جانبي وأصرّ على تفتيت الدجاجة الموجودة

حضرتكم في هذا الأثر الخيري يتسع بلادنا ويأخذ بالترقي والعمران وتكمل نواقصه، وكل هذا بقدوم حضرتكم وحسن موفقيتكم.

فأيضاً نقدم لحضرتكم التشكر والثناء منّا ومن عموم نفوس الساكنة بالقصبة المذكورة رجالاً ونساءً وأطفالاً بحسن هذا الالتفاف، وشمولنا بنظركم العالي.

نسأل الله أن يطيل بقاءكم في هذا المحل ويوفقكم لمصالح رعيتكم، هذا ودمتم مؤدين موفقين.

٢٩ ذي الحجة ١٣٣٧.

الداعي سيد محسن أبو طبيخ ـ الداعي عبد الرضا الشيخ مهدي ـ الداعي خزعل ـ الداعي كاشي الحاج علوان مظنون ـ فطنان الجوهر الداعي مهدي الكريدي أبو موجد رفيش، حسن العلي، هلال عبد الحسن، مهدي السلمان ـ حسن الشيخ عبيد ـ عزوز الصالح ـ محمد رضا السيد صافي ـ ملا جدوع ـ عباس ـ عبد آل فهد ـ جابر زغير ـ عاشورالعطيوي ـ حسين تلال ـ حسن المحمد ـ عبد الله الرشيد ـ حاج محمد ـ جاسم الحسين ـ طاهر الملا جدوع ـ محمد آل حسين ـ سيد حسن سيد محمد ـ علي آل باهي ـ عبود البويهي ـ خشيش بن ملا ياسين.

ام البعرور حضرة حاكم السياسي
الكابتن مان دام علاه

اننا سكان قصبة الحزم داخل شعبة كعراض نقدم مزيد تشكراتنا لدى الحكومة المعظمة البريطانية لما نالنا من الامتنان في تعيين حضرتكم حاكماً سياسياً في ام البعرور قضاءً شعبتنا المذكورة حيث انه في سنين الماضية بكل سنة وقت طغيان المياه يستولي الماء على بيوتنا فنكون مسلوبي الاستراحة بمنع الماء عن مساكننا ومحافظة على بيوتنا واموالنا من الغرق حتى اننا لم نزل نعجز عن المدافعة فيدخل الماء في القصبة فيغرق تمام نظرنا ولما حضرتكم حليتم بمركز ام البعرور وزرتم بلادنا ونظرتموها بعين رأفتكم امرتم على العشاير بانشاء روفه محيطة بالقصبة وبناءً على امر حضرتكم العالي اجتمعت العشاير وعملوا روفه تبلغ الفين متر طولاً وثلاثة امتار عرضاً ومترين ارتفاعاً وقد كملت باحسن عمل وبهذا خصوصاً كسبنا الاستراحة التامة مما كنا نقاسيه من الاخطار اللتي تصدر علينا من فيضان المياه ولاشك ان من الآن وصاعداً بواسطة التفاتة حضرتكم في هذا الاثر الخيري تتسع بلادنا وتأخذ بالترقي والعمران وتكمل نواقصه وكل هذا بقدوم حضرتكم وحسن موفقيتكم وايضاً نقدم لحضرتكم كتشكر والثناء منا ومن عموم نفوس الساكنة بالقصبة المذكورة رجالاً ونساءً واطفال نحن هذا الالتفات وشمولنا بنظركم العالي نسأل الله ان يطيل بقاكم في هذا المحل ويوفقكم لصالح رعيتكم هذا ودمتم مؤيدين ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٧

مضبطة أهالي مدينة غماس إلى الكابتن مان.

المسؤول بالإعدام، ومع ذلك فإنه شيء لا يطاق في بلد يكذب الجميع فيه، وقد ألزمته بدعوى يكون الحكم فيها عليه يعادل ثلاثة أضعاف عقوبة القتل غير المتعمد.

لقد استخدمت اليوم أقصى صلاحياتي، حيث أصدرت أحكاماً على ستة من اللصوص بالسجن ستة أشهر لكل واحد منهم، لقد حاولت أن أتصرف بصورة قانونية، ولكن الأفكار الأوربية بإعطاء المتهمين فرصة قانونية تثير السخرية عند تطبيقها على مثل هؤلاء الناس. لقد أحضر كل جانب خمسين شاهداً (كل قبيلتهم) ليقسموا خلاف ذلك أمامي، وقد أثار هذا الأمر غضبي، فقلت لهم: حسناً، إنكم بالتأكيد ستعترفون بأن أحدكم كاذب، وقد رفعوا أغطية رؤوسهم داعين الله أن يطيل عمري، إلى غير ذلك من كلام هراء. لذا فقد قلت لهم: إنه نظراً لكونهم جميعاً يكذبون، وأن أحدهم بالتأكيد هو لص، فإنني سأعاقبهم جميعاً بنفس العقوبة، ولكن الدعاء المتواصل لله ونشيجهم ودموعهم، ومخاتلتهم القذرة جاءت مقرونة بأدائهم اليمين على الكتاب المقدس (الذي لا يجوز لي تقديمه لهم ليقسموا به، لأنني مسيحي، ويدنسوه ويشوهوا معنى القسم) إنهم لا يجعلون الفرد يشعر بالرحمة.

إن سجني فارغ الآن والحمد لله، وأتمنى أن يبقى كذلك لفترة طويلة...

لقد تسلمت اليوم من غماس مركز منطقتي الجنوبية كتاب تهنئة، ولم أدرس ما فيه حتى الآن، لكنني أظن أنه ينص على أن الناس هناك قد قاموا بإنشاء سدة حول المدينة لتقيها من الغرق تيمناً بقدومي، لأنهم في غاية الامتنان من الحكومة البريطانية التي بعثت رجلاً مثلي، وهم يأملون بأني سأبقى هنا مدة طويلة أتوقف فيها! وقد وقع عليها أكثر من عشرين شخصاً[1]، وكثير منهم من الأخساء المشهورين!.

---

(١) نصّ المضبطة التي نظمها أهالي غماس:

أم البعرور ـ حضرة حاكم السياسي الكابتن من دام علاه.

إننا سكان قصبة الخزم داخل شعبة الغماس، نقدم مزيد تشكراتنا لحضرة الحكومة المعظمة البريطانية، لما نالنا من الامتنان في تعيين حضرتكم حاكماً سياسياً في أم البعرور، قضاء شعبتنا المذكورة، حيث إننا في سنين الماضية بكل سنة وقت طغيان المياه يستولي الماء على قصبتنا فنكون مسلوبين الاستراحة بمنع الماء عن مساكننا ومخاطرين على بيوتنا وأموالنا من الغرق، حتى إننا لم نزل نعجز عن المدافعة فيدخل الماء في القصبة، فيوجب تمام تضررنا، ولما حضرتكم حليتم بمركز أم البعرور، ووافيتم بلادنا وناظرتموها بعين رأفتكم، أمرتم على العشائر بإنشاء روفة محيطة بالقصبة، وبناء على أمر حضرتكم العالي اجتمعت العشائر وعملوا روفة تبلغ ألفين متر طولاً وستة أمتار عرضاً، ومترين ارتفاعاً. وقد كملت بأحسن عمل، وبهذا الخصوص كسبنا الاستراحة التامة مما كنا نقاسيه من الأضرار التي تصدر علينا من فيضان المياه، ولا شك أن من الآن وصاعد بواسطة التفات

صدرت لي الأوامر لأعقد جلسة يدعى إليها الملتزمون الذين يخصهم الأمر، أي كبار ملاكي الأراضي (حيث لا يوجد أصحاب حقيقيين للأراضي)[1] الذين يقومون بزراعة الشلب، في محاولة لإقناعهم للقبول بتقدير محدد لموسم الحصاد الحالي، وهي نسبة تعادل العديد من الجنيهات لكل دونم، وتمثل حصة الحكومة، وقد كانت تقدر على الدوام بثلث مجموع المحصول. وفي العادة يتم قياس وتقييم كل قطعة من المحصول، وبهذه الطريقة يتم اكتشاف العديد من المخالفات. على إنهم كانوا ينتظرون أن تقدر الضريبة بأقل مما قيل لنا أن نفعله. فحمي الوطيس جداً في الجلسة (لم أشترك في النقاش لعدم قدرتي على ذلك) وأخيراً رفضوا ما عُرض عليهم، لذا أصبح محتماً علينا أن نعود إلى القياس والتخمين. وهنا حصل الحادث التالي:

كان أحدهم، الحاج جواد، وهو رجل ذو ماضٍ ناصع، ومظهر قوي، وجرأة في الكلام، ويمتلك مساحات واسعة من أراضي الشلب، كان بجانب قبول الفكرة المعروضة عليهم، وعلى هذا فقد وقف وحده بجانب الحكومة، فأبدى ملاحظات قارصة حول انتشار الرشوة التي تدفع لصغار موظفي الحكومة، لقد كانت طروحاته جريئة وغير متهورة، وفي اليوم التالي هاجمه بعض الحاضرين من الموظفين بحضوري قائلين: إن الجميع هنا مسلمون صالحون، وموظفين جيدين، لذا كان يجب عليه أن لا يتفوه بمثل هذه العبارات! وفي هذه الأثناء قام أحد الموظفين الذي يعملون في مكتبي بعد سماعه لمقولة الحاج جواد، فقدم عريضة يعترف فيها بالرشوة التي تعطى لبعض الموظفين - وهو ليس منهم - وطلب قبول استقالته، وقد تحدثتُ إليه ليعود إلى رشده، وسحب الاستقالة. ثم روى لي قصة من زمن الأتراك، عندما قام أحد موظفي الضرائب الأتراك، كان يجلس في أحد مضائف القضاء فقدمت له رشوة بمبلغ ألف ليرة تركية علناً ليكف عن استيفاء الضريبة الأصولية، لكنه امتنع عن قبول الرشوة، وأراد تطبيق الأصول فقتل في الحال.

لقد تخلصت من حالة جريمة حدثت منذ قدومي إلى هذه المنطقة، فقد ثبت في النهاية أنها حالة قتل غير متعمد، أو مجرد حادثة عن غير عمد. وقد اعترف الرجل الذي وجه التهمة في البداية، بأن ما ذكره كان كذباً مقصوداً، الغاية منه أن يُحكَم الرجل

(١) الأراضي تعتبر ملكاً للدولة (أميرية) وتمنحها الدولة إلى المواطنين بموجب عقود.

أم البعرور في ٥ كانون الأول (إلى والدته)

[بعد جولة مع أحد موظفي الري لتفتيش سدود الفيضان وقضائه ليلة رائعة في مخيّم حضر سوماريز اجتماع لجنة في النجف حول أعمال الري المهمة]:

.... أكاد أعجز عن القيام بشيء تجاه قصر نظرهم والعداوات المريرة التي تسود بينهم.

[في رسالة إلى الرائد كمبر باج في ١٥ كانون الأول، كتب قائلاً]:

... كما يقول مثل سمعته الليلة الماضية: «إن العرب قد اتفقوا على أن لا يتفقوا». ولو لم يكن عجباً أنني كنت أجلس جنباً إلى جنب مع اثنين من الشيوخ اللذين جمع كل منهما أتباعه على جانبي النهر عند قدوم أول ضابط سياسي إلى الكوفة عام ١٩١٧ وقام كل جانب بإطلاق النار على الجانب الآخر، ولو أعطيت لهم فرصة لأعادوا الكرة يوم غد، ومع ذلك فقد أنجزنا بعض العمل... وقد وصلت إلى هنا في الساعة الخامسة والنصف عندما ظهر البدو بعد غياب الشمس.

كانت هناك مجموعة صيد تتألف من الرائد نوربري، وقاضي الحلة (وهو ضابط من نيوزلندا) وزوجته في مخيّم في قضاء أبي صخير على مسافة ١٥ ميلاً من هنا. وقد انتشرت دعاية تقول بأن ملكة بريطانيا تقوم بجولة في الشامية مع الرائد نوربري. وتقول رواية أخرى لنفس الدعاية بأن زوج الملكة وهو برتبة عقيد ركن يحمل شريطاً أحمر على ذراعه قد جاء إلى هنا لاعتقال الرائد والذهاب به إلى بغداد...

لقد شهد يوم أمس أول الأمطار الوافرة، فقد كانت السماء ملبدة بالغيوم، والرياح تهب بشدّة، ولم تهطل على صحراء النجف أمطار غزيرة. وقد غسلت الأمطار خط السكة الحديد، لقد بعثت الرياح مع الغيوم في نفسي سعادة لا توصف. إنني أحب الجوّ اللطيف المشمس، ولكني أشعر في بعض الأحيان برغبة لرؤية العواصف...

النجف في ١٢ كانون الأول (إلى والده)

... لقد أمضيت وقتاً متعباً في غماس، قضيته كلياً في أمور القضاء. ليس بوسع المرء أن يرفض القيام بوظيفة القاضي إذا كان بإمكانه النظر إلى الأمور كطرف خارجي، ولكن الحكم بين أناس يعيش المرء بين ظهرانيهم والأخذ بنظر الاعتبار التأثير السياسي



سوماريز مان عام ١٩١٩، التقطت له في النجف.

في المستقبل لأي حكم يعتبر أمراً مزعجاً للغاية. لقد وصلت إلى هناك عصر يوم السبت، وأمضيت المساء في إعداد البرنامج وتهيئة القضايا.

وفي يوم الأحد قضيت معظم الصباح كله في موضوع شائك تبادل فيه التهم اثنان هما من كبار الموظفين، واستمر هذا الوضع حتى اليوم التالي، حيث توضح الأمر بعد ثمان ساعات، ولم يتم التوصل إلى نتيجة حاسمة، كما أن الأمر أدى إلى فضح الأمور الخاصة، ولازلت أعتقد أن إعطاء الفرصة للطرفين وسماع كل ما يقال كان أمراً مفيداً. وقد أمضيت عصر يوم الأحد في الحكم بخلافات الأراضي.... كما أمضيت يوم الاثنين بالحكم في قضية أخرى تتعلق بالأرض يدّعي كل من طرفيها أموراً تخالف ما يدعيه الطرف الآخر. وقد تطلب الأمر الذهاب إلى منطقة تبعد مسافة ١٨ ميلاً، حيث كان بإمكاني معرفة متطلبات العدالة وإرضاء الطرفين بالعدل...

(إن امتلاك الأراضي هنا) أمر معقّد للغاية حيث لا توجد سندات أو وثائق قانونية تستحق الذكر، ولا يوجد مسح ولا حدود مثبتة ولا أدلّة واضحة، بالإضافة إلى العداء بين قبيلة وأخرى!.

... لقد انتفت الحاجة لاستدعائي إلى بغداد، حيث أنهم لا يفكرون في مسألة افتتاح مديرية للدعاية، كما أنهم يعانون من قلة دوائر البريد العسكرية. وفي الحقيقة فإنني سعيد لأنني مرتاح هنا جداً من جميع النواحي، كما أنني لا أفكر في ترك ما بدأت العمل به في المنطقة إلاّ في حالة ترفيعي بطبيعة الحال، وهذا أمر مختلف، حتى أُنهي السنة حيث ستتضح الخطط والبدائل.

ركبت من هنا يوم أمس لمشاهدة القبائل تعمل في واحد من ثلاثة مشاريع للوقاية من الفيضان والتي كنت مشغولاً في موضوعها في الشهر الماضي. لقد كانت سفرة ممتعة امتدت عشرة أميال من كل طريق. لقد ذهبت مع (ويغان)[1] [النقيب ويغان من دائرة البريد العسكري في النجف]. ووجدنا كل الترحيب عند استقبالنا. إن المشروع يسمى بثغرة ابن حيان، وكانت المهمة هي بناء سدّة ترابية أبعادها ١٢٠ متراً × ١٥ متراً × ثلاثة أمتار... عند وصولنا كان هنالك أربعمائة أو خمسمائة رجل يعملون. وعند رؤيتهم لنا توقّفوا عن العمل، وتجمعوا حسب القبائل (وكان مجموعها خمسة) ورفعوا البيارق وبدأوا بالهوسات رقصة الحرب التقليدية مكوّنين أشكالاً معيّنة وهم يرددون

---

(١) الكابتن ويغان Wigan مساعد الحاكم السياسي لمنطقة النجف والتي يديرها الميجر نوربري الحاكم السياسي لعموم النجف والشامية.

الأهازيج بأصوات عالية ومتناغمة، وبعد قليل تجمّع الكل أمامنا وأخذوا يدورون ويدورون وبإيقاع خلاّب، لقد كان مشهداً مثيراً، ولسوء الحظ لم تكن معي آلة التصوير. وبالطبع كان العمل دون مقابل، وقد قلت للرؤساء منهم بأنهم قد قاموا بعمل رائع، وأن كل المنطقة مدينة لهم، بعدها فارق كل منا الآخر بكل سعادة دون أن ننبس بكلمة تذمر أو تجريح. إنه لأمر رائع، حيث أن بعض هذه القبائل يستشري العداء بينها...

[بعد قضاء ما يقارب الأسبوع في البيت سوف ألتحق بداود في غماس] لكي أبدأ بمشروعي الكبير لإعادة بناء غماس كلياً حسب مشروع تخطيط المدن، حيث يتم البدء برفع مستوى الأرض حوالي قدمين.

[وقد وصف سوماريز هذا المشروع في رسالة إلى السيدة ميري موري في ٢٣ كانون الأول]:

تقع أرض غماس بنفس مستوى النهر تقريباً، وتصبح في وقت الفيضان في مستوى أقل منه، ونتيجة لذلك عندما بُنيت المدينة هناك أقام كل شخص لنفسه رصيفاً من التراب ليبني عليه كوخه، وقد ملأت المياه الحفر التي أخذوا منها التراب فكانت النتيجة روائح لا توصف، وذباب، وملاريا، وقذارة، لذا فإنني أحاول الآن أن أملأ كل الحفر والبدء من جديد.

إن المكان ذو أهمية فائقة، حيث يتم فيه تبادل تجاري كبير مع قبائل الصحراء، ويمكن أن يكون مدينة مكتظة بالسكان بمرور الزمن.

[ويستمر قائلاً لوالدته في ١٢ كانون الأول بعد أن ذكر مزيداً من التفاصيل عن عمله اليومي]:

وعلى كل حال فإن اندفاعي يزداد كثيراً لمعرفتي بأن رسائلي وطلباتي تجد أذناً صاغية هنا، وإن الناس يثقون في قراراتي، الأمر الذي جعلني أعود إلى العمل برغبة.

١٣ كانون الأول (إلى الآنسة د. ب. ولسن)

إن المنطقة برمتها مليئة بالنشاط في هذه الأشهر حيث تتم الزراعة الشتوية، بذر حبوب (الحنطة والشعير) والتي يتم حصادها في نيسان، حسب الجو في العراق. وقد تم تنظيف قنوات ري الأراضي التي تتم زراعتها بالرز. كما تجري تقوية السداد الصغيرة،

وتُبنى أكواخ جديدة من القصب، وكذلك يجري قطع مئات الآلاف من حُزم القصب من الأهوار لصناعة البواري .(فراش من القصب) وكذلك لإنشاء السدود وغيرها، بالإضافة إلى ذلك فإن دراسة وتذرية محصول الرز الذي تم حصاده في نهاية تشرين الأول وبداية تشرين الثاني لم ينته بعد، ويتم إنجاز ذلك بالعمل اليدوي، ويتم إنجاز درس المحصول باستخدام مجاميع من الثيران في الوقت الذي يبلغ موسم تربية المواشي أوجه، وما زالت صغار العجول غير مفطومة بعد.

إن هذا البلد يثير العجب حقاً لأنه بإمكانه القيام بتطورات هائلة، وإني لأشعر بأن بإمكاني أن أقوم بشيء ما لمساعدة هذا البلد ولمنفعة شعبه.

[ولكن جانباً آخر من مشكلة الإدارة يوّضحه في رسالة إلى الرائد كمبرباتش في ١٥ كانون الأول]:

... إن أية فكرة لحكومة عربية هي ببساطة، فكرة خادعة[١]، قاتلة، كما أن هذا البلد لا يمكن أن يدار دون الاعتماد على جيش... وعلى كل حال فإن هذا المكان يسوده السلام و الهدوء، وأعتقد بأن الناس لا يكرهوننا على وجه العموم.

إن تأخيرات مؤتمر الصلح (في باريس)، وأصحاب النوايا الحسنة من الداعين إلى الحكم الذاتي، الذين لا يعرفون الحقائق ولا العقيدة الإسلامية وعلم الأقوام والسلالات البشرية (اثنولوجي) لا تجيبهم كلهم على ادعاءاتهم إلاّ أرواح عدد من الضباط البريطانيين التي أزهقت حتى الآن، وإني أخشى أن تستمر مثل هذه الأرواح على أن تُزهق يوماً بعد يوم[٢].. وعلى كل حال فإن الأحوال مستقرة والسلم مستتب. وإني أعتقد أن معظم سكان الريف بعيدون عن السياسة، وأن الحاصل الجيد الذي تغله أرضهم أفضل بكثير في نظرهم من أي حديث عن تشكيل حكومة عربية[٣]...

---

(١) هكذا كانوا يفكرون ويحاولون زرع نظرية عدم قدرة العراقيين على القيام بحكومة عربية، وان أبناء هذه البلاد لا يتمكنون من إدارة وطنهم بدون حماية أجنبية.
(٢) يلاحظ عدم استقراره وارتياحه من سقوط بعض الضباط قتلى برصاص المواطنين العراقيين.
(٣) نموذجٍ لوجهة نظر المستعمر المحتل للمواطن العراقي، وبهذه النعوت ينعتونه، فلم يترك المستعمر وصمة إلا وصم بها أبناء الرافدين، وهو على ما يبدو يتصور ان العراقيين ليس لهم شعور وطني يدفعهم إلى الثورة والمطالبة بحقوقهم، وإنما همهم العمل والنوم فقط.

قمت بزيارة خاطفة لتناول الغداء مع الطبيب في النجف هذا اليوم، وقد حصلت على أخبار سارة مفادها أنه سيتم تزويدي في خلال أقل من أسبوع بكمية من الأدوية، مع زيارتين أسبوعياً يقوم بها الطبيب الهندي في أبي صخير. وقد طالب أهل المنطقة بذلك بإلحاح منذ مدة طويلة، وقد كنت أثير هذا الموضوع حتى أثمرت الجهود، لقد كان الرجل نفسه عربياً، وهذا أمر جيد، حيث أن السكان المحليين يحملون الضغينة ضد الأطباء... ويقوم هذا الطبيب بمعالجة حالات الحمى والآلام والمعدة وغيرها من الحالات البسيطة، ولكن مجرد وجوده هنا هو أمر جيد. كما أن الأقلية اليهودية في المنطقة أكثر سعادة لوجوده من السكان العرب، وستستغل إمكانياته إلى أبعد الحدود.

لقد جاء في قبل ليلتين زائر غريب، فبينما كنت أوشك أن أتناول عشائي لوحدي في البيت، إذ دخل شاب لم أتمكن من تمييز عنصريته في بادئ الأمر، يتكلم الإنكليزية بطلاقة، ويرتدي البزة العسكرية البريطانية، لقد كان من رجال الاستخبارات، أرسل من بغداد للتقصي عن جريمة مهمة ارتكبت في النجف، فتعقب أثر رجلين لهما علاقة بالقضية من النجف إلى عشيرة من عشائر منطقتي، ثم اعتقلهما وجاء بهما إليّ لوضعهما في سجن البلدة ريثما تنقضي الليلة. وكان قد قضى النهار كله راكباً مع أحد شيوخ منطقتي وهو رئيس هذه العشيرة من دون أن يأكل شيئاً أو يحمل عدة للمنام.

وقد عرضت عليه نصف عشائي وهو كثير ولكنه أبى تناوله، وعندها تملكني شعور بأنه يجب أن يكون يهودياً. لذا فقد أكل شوربة وبيضاً.

وكنت أتأمل بهدوء منظره كشرطي سري، شاب، نشط، ومثقف ثقافة عالية، تلوح عليه سيماء الجوع لكنه غير قادر على أن يأكل من عشائي الممتاز - مع الدراج أيضاً - الذي طبخه طباخي الخاص... وقد تبيّن بأنه يهودي من يهود بغداد، كان قد دخل في خدمتنا ككاتب، واستخدم في سلك الشرطة السرّية نظراً لذكائه غير اليسير... وهو يقضي معظم وقته في مراقبة الاجتماعات المنعقدة «لإثارة الفتن وما أشبه».

وقد حدثني عن الأشياء التي يقولها أهالي بغداد وغيرهم عن إدارتنا وحكمنا، وهذا أمر ليس من السهل الحصول عليه في الظروف الاعتيادية، وعموماً فإنني أعرف بأن الرجل الذي يأتي إلى الدائرة ويطلب شيئاً مستخدماً كلمات معسولة تبين ولائه وإخلاصه إلى (الحكومة البريطانية المعظمة) فإنه في اللحظة التي يخرج فيها من الدائرة يقول: « إلى متى يا الهي، متى نتحرر من هؤلاء الكفار؟» .

لكن هذا جميعه لا يؤثر، حيث أن الكلام في هذا البلد الذي يكثر فيه اللغو وحشو الكلام لا أهميه له[1].

وقد كان هذا الشاب اليهودي يلفت النظر في صراحته عن حكومتنا، فقد قال أنه مع كونه يهودياً لا يزال (ابن عرب) لكنه يخدم الحكومة البريطانية لأنه يعرف، كما يعرف كل شخص آخر غيره: إن تشكيل حكومة عربية أمر مستحيل، مثير للضحك.

لقد بدأت اليوم بكتابة تقريري السنوي عن هذه المنطقة، وسيكون هذا التقرير ممتعاً، ولأني لأرغب أن أرسل إليك نسخة منه. لقد بلغت المبالغ التي تم استحصالها من منطقتي أكثر من ثمانين ألف باون خلال السنة، فإذا استطعت مضاعفة هذا المبلغ في السنة القادمة فإن ذلك سيكون أمراً مفضلاً...

لديّ مشروع مهم هنا أيضاً، وهو تحويل مخزن حبوب كبير تمتلكه الحكومة، وتم تشييده في ـ السنة الماضية، ولا يحتاجه أحد الآن، حوّلته إلى دائرة ضرائب البلدية، حيث يتم فيه استيفاء الرسوم عن كل البضائع التي تدخل المدينة قبل بيعها.

وهذا المشروع يخص داود بصورة أساسية، لأنه يدير الشؤون البلدية عموماً، كما أن فكرة المشروع ناجحة، حيث أنه يمكننا من السيطرة على البضائع. وقد بدأنا فيه باختيار أربعة من وكلاء بيع الجملة يُطلق عليهم اسم (العلوجية) والذين يقومون بدور الوسطاء بين المزارعين وباعة المفرد، وخصصنا لكل واحد منهم دكاناً في مخزن الحبوب، وقمنا بتخصيص أربعة محلات لمكاتب البلدية، وتركنا ثمانية وعشرين للمستأجرين، بالإضافة إلى ذلك فقد أعلننا بوجوب جلب جميع المواشي المعدّة للذبح، والحبوب والخضراوات إلى هذا المكان لاستيفاء الضريبة عنها، قبل أن تتوزّع على المحلات الموجودة.

على أثر ذلك أصبح المكان يروق لكل تاجر، لكونه مركزاً تجارياً، وإنني أعتقد أنه سيكون لدينا سوقاً عامراً هناك خلال فترة قصيرة جداً، حيث أن البناية تقع على شاطئ النهر، وبإمكاننا عند الضرورة أن نجعل لها رصيفاً لتحميل السفن، حيث أن الماء عميق هناك... إن التجارة جيدة، وإن الريف الذي أعيش فيه يزدهر، حيث أن سعر الرز مرتفع، لذا فإنني أتوقّع الكثير من أم البعرور...

---

(١) كان جلّ توقعهم أن العراقيين لم يستطيعوا مقاومتهم، وإنما مجرد اجتماعات ودعايات وأحاديث في المجالس.

ذهبت صباح يوم الجمعة إلى غماس على ظهر حصان، وغماس تقع على مسافة تقارب ثمانية عشر ميلاً... فبدأت في الحال باستماع قضية مهمة من قضايا النزاع حول الأراضي، وتتلخص القصة بما يلي:

إن الأرض المتنازع عليها تبلغ مساحتها حوالي (١٥٠٠) دونم، وكانت قبل ثلاثين عاماً تعود ملكيتها لقبيلة من القبائل الكبيرة، تسمى الخزاعل التي كانت لا تعبأ بالحكومة التركية، ولم تدفع أية ضريبة لها[1]. وفي عام ١٨٨٩ قرر الأتراك القيام بعمل ما بشأنها، لذا فقد قاموا ببيع الأرض وأراضٍ أخرى غيرها، حتى بلغ المجموع الكلي (٣٠.٠٠٠) دونم بمبلغ إسمي إلى رجل ثري يسمى السيد حسن من الممالئين لهم، على أن يتعهد بدفع الضرائب المقتضية، وقد رافق جميع هذه المعاملة شيء عجيب من الرشوة والتزوير، وكانت سندات البيع غير قانونية، بحيث تجعلها باطلة بالمرة، غير أن الأتراك جهزوا جيشاً لإجلاء القبائل، واستطاع السيد حسن من الاستيلاء على قسم كبير من ا لأرض وزراعته.

أما قطعة الأرض المتنازع عليها الآن فإنه لم يستطع امتلاكها مطلقاً، بل بقيت تحت استيلاء الخزاعل.

وقد توفي السيد حسن، وبمرور الزمن ورثه من بعده إبنه السيد محسن أبو طبيخ عام ١٩٠٤، وكان شاباً، يمتلك روحاً عسكرية، وبذا لم يستطع تحمل بقاء هذه القبائل في أرض ورثها هو عن أبيه، وقد استطاع أن يقنع الحكومة التركية بإرسال الجيش مرتين لإجلاء تلك القبائل، ونجح في إحداها.

وفي عام ١٩١٠ تمكن من زراعة الأرض بالحبوب، ولكن الخزاعل عادوا إلى الأرض واستقروا فيها حتى يومنا هذا.

وفي عام ١٩١٨ قدم السيد محسن عريضة للبريطانيين لإعادة الأرض إليه، فأخذ معاون الحاكم السياسي الذي كان موجوداً يومذاك سندات البيع بشكلها الظاهري مع الأسف وأمر بإعادة تمليكها له فلم ينفذ الأمر تنفيذاً تاماً، وحصلت قلاقل واضطرابات مستمرة.

---

(١) يقصد الشيخ سلمان الظاهر رئيس آل مرزوق من عشائر الخزاعل ولهم الرئاسة على هذه العشيرة العربية الأصيلة.

وقبل عدة أشهر أثيرت الشكوك والطعون بصحة سندات البيع (وهي بالتركية طبعاً)، فأرسلت إلى بغداد للتدقيق، ولا داعي لأن نقول إن الجهات هناك قد حكمت ببطلانها كلها[1].

إن عملي بعد ذلك هو التحقيق عن الجهة التي كانت تمتلك الأراضي خلال الثلاثين سنة هذه، وتكوين فكرة عن القضية، حيث أن هذا العمل لم يقم به أحد من قبل، وكان أسلافي قد ركزوا تدقيقهم على المستندات فقط. وعندما انتهيت من التحقيق الذي قمت به، وهو القصة التي رويتها لكم في أعلاه صراحة، عندما انتهيت وأخبرتهم بأني تلقيت تعليمات تشير بوجوب تقديم القضية إلى النجف للبت فيها، حصل تطوّر يلفت النظر، فإن السيد محسن كان قد استشهد بشيخين كيّسين من شيوخ الخزاعل كانا في يوم من الأيام محاربين عظيمين أقضّا مضجع الأتراك[2]، كما إن إحدى زوجات السيد محسن الكبيرات كانت من الخزاعل، لكن والد الطرف المقابل، المتوفى الآن كان في أيامه (قبل ٤٠ سنة) أعظم جميع شيوخ الخزاعل، فذهب هذان الشيخان اللذان

---

(١) يذكر السيد جميل أبو طبيخ محقق «مذكرات السيد محسن أبو طبيخ» معلقاً:
كانت المعاملات السنية في المعهد العثماني والتي تشمل بيع أموال الدولة ترسل إلى العاصمة ـ الاستانة ـ للمصادقة عليها وتوقيعها من قبل الوزير المختص. لذا كانت تسمى المعاملات السنية، وهذه العملية تأخذ أشهراً بين ارسالها واعادتها الى بغداد، وفي كثير من الأحيان تفقد ولا تعود نظراً للفوضى التي كانت سائدة في دوائر الدولة العثمانية. وفي عهد السلطان عبد الحميد الذي جاء بإصلاحات إدارية واسعة منح الولاة بعض الصلاحيات ومن جملتها أراضي (الطابو) والأراضي العائدة للسلاطين، وتفادياً لتأخير المعاملات بوجوب توقيعها من قبل الوزير المختص في الاستانة. فقد جهزة مقرات الولاة بسندات الدولة العثمانية موقعة ومختومة من قبل الوزير المختص، وما أن تتم عملية البيع حتى يدخل اسم المشتري في السند وتوقع من قبل الوالي مع الرشوة المتعارف عليها يومئذ.
كانت السندات المشار إليها للأراضي التي اشتراها السيد حسن أبو طبيخ من هذا الصنف، إلا أن الذي حدث هو أنه عندما أصدرت السندات للسيد حسن، كان الوزير الذي ختم عليها في ذلك التأريخ قد طرد من منصبه منذ أمد طويل، ولم ينتظر الوالي في بغداد اصدار سندات أخرى تحل ختم واسم الوزير الجديد، لأن ذلك أيضاً غير مهم نظراً لسرعة تبديل الوزراء، والمهم في الأمر هو إصدار سند يحمل اسم المشتري... وهذا ما أثار اعتراف طابو بغداد على سندات السيد حسن أيام الاحتلال البريطاني والتي أشار إليها الكابتن مان، إلا أنهم أعادوا النظر في قرارهم هذا، ليس من أجل السيد محسن الوريث لها، إنما لوجود آلاف السندات الأخرى في عموم العراق تحت هذه الصفة وبذلك قبلت الإدارة الانكليزية بالأمر الواقع.
كانت هذه السندات العثمانية بحوزتي عند وفاة والدي، إلا أن محكمة التركات طلبتها بناء على دعوى من أحد الورثة ولم تعد لي منذ ذلك الحين.

(٢) يقصد بالشيخين الأخوين محمد العبطان وسلمان العبطان، ولدي عبطان بن طلال بن شلال وهما من شيوخ الخزاعل.

استدعاهما السيد محسن بطلب من الطرف المقابل، بعد أن أخذت أفادتهما إلى السيد محسن، وطلبا إليه أن يقبل تحكيمها، فقبل بذلك أخيراً. وقد اقترحا تقسيم الأرض إلى قسمين متساويين، وإعطاء كل نصف منهما إلى طرف من الطرفين المتنازعين على أن يقوما بوضع الحدود بنفسهما. إنني أعتقد أننا قد نضطر لقبول العرض الذي تقدما به مع الشكر. وبذا نكون قد أنهينا نزاعاً دام ثلاثين سنة.

إن هذا تقرير مبسط، ولا أستطيع أن أعطي كل تفاصيل القضية، ولا الانطباع عن أشخاصها، فهؤلاء شيوخ الخزاعل أبناء الصحراء، بما فيهم المليء بالقتال والنهب يتناقضون مع السيد محسن ملاّك الأراضي، وهو شخص معتد بنفسه، وليس بعشائري.

وفي اليوم التالي عقدنا اجتماعاً لإعداد خطط لمشروعي الكبير بتحسين حالة الموقع الذي تقع فيه بلدة غماس... وقد كان الحضور يتراوح بين ٦٠ ـ ٧٠ شخصاً كان معظمهم من شيوخ القبائل المختلفة وأعيان المدينة، وكذلك السيد محسن وهو المالك الكبير الذي يمتلك إسمياً كل المكان، وقد أخذنا عهداً مكتوباً من خمسة أنواع من الناس:

١ ـ السيد محسن نفسه، وبقوم بموجبه بدفن مناطق معينة ومحددة والتي يطالب بحق امتلاكها، بصورة كاملة وعلى حسابه الخاص.

٢ ـ من ممثلي ثلاث قبائل تقوم بزراعة الرز لتقديم خمسة عشر ألف حزمة من التبن.

٣ ـ من حوالي اثني عشر شخصاً من مالكي حصران القصب (البواري) لقطع مائة ألف حزمة من القصب ووضعها على ضفاف النهر.

٤ ـ من قبيلتين من قبائل الصحراء لتقديم مائة حمار.

٥ ـ من سكان المدينة للعناية بالحمير، وتوفير عمال لحفر الأرض وتحميل وقيادة الحمير وتفريغ أحمالها (إذ أن كل التراب يجب أن يجلب من خارج حدود المدينة على مسافة تقرب من الميل)، ولجلب القصب من أعالي النهر، ويوضع القصب والتبن في الماء لتشكل أساساً يفرش فوقه التراب.

وقد رفع الجميع عقيدتهم احتجاجاً، قائلين إنني طلبت الكثير ولكن (بطبيعة الحال فإنهم سوف يطيعون أوامر الحكومة). إنني لا أتوقّع أن بإمكاننا الحصول على كل ما طلبناه، ولكنني أعتقد أن شيئاً سيتحقق، أما إذا كان الأمر لا يتعدى كونه استعراضاً، فإنني سأطالب بمبلغ خمسة آلاف، أو ما يقارب ذلك لإكمال العمل لتطوير المدينة التي

تعتبر مكاناً فائق الأهمية، ومركزاً عشائرياً وتجارياً كبيراً، وسوقاً لمئات بل آلاف من سكان الصحراء الذين يأتون إليه بعد قطعهم مسافة أربعين أو خمسين ميلاً، و على كل حال فقد عملت ما في وسعي، وسوف نرى النتيجة!. لقد افتتحت الاجتماع بكلمة قصيرة باللغة العربية، وقام داود بعدها بالتفاصيل، ومن ثم أنهيت الاجتماع بتوجيه إنذار للحاضرين، إنهم إذا لم يلبّوا الطلبات التي أمرنا بها بصورة صحيحة، والتي ستأخذها كلها من جديد، فإنهم سيدفعون الثمن غالياً...

سوف يبدأ العمل في عيد رأس السنة، ويتم إنجازه في ثلاثة أسابيع، وقد طلبت من الرائد (نوربري) أن يرسل إليّ العريف (فير) ليقوم مقام رئيس المهندسين ويشرف على العمال وغير ذلك من الأمور.

لقد عدت يوم أمس إلى هنا، وكنت أناقش هذا اليوم مشروعاً مهماً آخر، وهو عن السوق والكمرك المحلي... لقد عقدنا اجتماعاً لأصحاب محلات الجملة والمفرد لمعرفة آرائهم، وإن من الصعوبة القيام بمثل هذا التغيير دون قلب موازين العمل... لقد توّصلنا الآن إلى اتفاقية أأمل لها النجاح، وهي عموماً في صالح الناس المشترين والمنتجين الصغار على حساب أصحاب المحلات. انني أشك بأن أصحاب المحلات كانوا يجنون أرباحاً كثيرة في الفترة الأخيرة كأمثالهم في كل مكان، ولكني أعتقد أن الوسطاء عنصر لا يمكن تفاديه، كما أنني لا أريد التخلص منهم... إن من الواضح أن المنتجين (الذين يكون معظمهم من النساء اللواتي يجلبن العباءات المملوءة بالرز أو الشعير، أو بحمل حمار من الخضراوات، أو عدداً من الديكة) ستغمرهم السعادة إذا تخلّصوا من ربقة الوسطاء.

وقد كتب سوماريز في ٢٥ كانون الأول قائلاً:«يجب أن لا أفكر بمثل هؤلاء الباعة أو المشترين، ولكني أفكر في ضبط الدولة لمنطقتي».

إن هناك أمراً واحداً يتضح في جميع الحالات في هذه المنطقة نتيجة لقضائي شهرين من التنقل وعقد الاجتماعات والأمر بإنجاز الأعمال العامة وتدخلي في شؤون القبائل والأفراد، وهو رغم الأخطاء التي ارتكبتها[1] (وبعضها فادحة) إن كل فرد يعرف الآن أن هناك حكومة في البلاد، وأعتقد أنهم يحبونها على وجه العموم، ولا أستطيع التظاهر بأن أسلوبي كان ديمقراطياً.

---

(١) يلاحظ اعترافه!! نموذج لتصرفات الحكام السياسيين في جميع مناطق العراق.

أم البعرور في ٢٣ كانون الأول (إلى السيدة ماري موري)

لقد أمضيت مدة الأربعة وثمانين يوماً منذ الأول من تشرين الأول كما يلي:

٤٧ يوماً في التجوال.
٣٥ يوماً في الدائرة.
يومان عطلة (لا أعمل فيها على الإطلاق).

وعلى كل حال لقد حصلت على ما كنت أريد، إنها حياة شاقة وغريبة أيضاً. (ومع هذه الرسالة أرفَقَ ترجمة حرفية لعريضة قدمت له هذا الأسبوع وتقرير موظفيه المحليين عنها).

العريضة والتحقيق:

١ ـ العريضة:

إني المستدعي، أعمل جندياً في القوات الشعبية، كان لدي عمّ وقد قتله (السريدات) (بني عارض)[1] وهم فخذ من (بني حسن) وقد قُتل مع عمي عدد من الناس، وقد تمّ دفع الفصل لهم جميعاً، وكان فصل عمي يتضمن امرأة وهي بنت سطام، وقد عينوها لتكون لأبي (لأنه أقرب المقربين) ولكنها بقيت مع عائلتها، حيث أنها كانت آنذاك بنت صغيرة، وقد قاموا بتزويجها إلى شخص آخر، رغم أنها كانت مخصصة لأبي.

لذا فإنني الآن ألتمس عطف الحكومة، وبعد أن تم تزويج المرأة إلى شخص آخر، أن تصدر أمراً بإعطائنا امرأة أخرى بدلاً عنها أو تعويضها بالمال، وأن لا تحرمنا من حقوقنا.

٢ ـ تقرير الموظف المحلي الذي كُلِّف بإجراء التحقيقي:

تبيّن من خلال التحقيق أنه قبل خمس وثلاثين أو أربعين سنة قام رجل من قبيلة الشيخ لفتة (السريدات) بنهب امرأة من بين عارض، الأمر الذي أدّى إلى نشوب قتال دامي بين القبيلتين، وكان عم المستدعي أحد أفراد قبيلة الشيخ لفتة الذين قُتلوا، وبعد إيقاف القتال اتفق الطرفان على دفع الفصل، شريطة أن يكون الدفع أول مرّة من قبل

(١) السريدات: فرع من البوعارضي (وليس بني عارض) وهم فخذ من ثلث آل عباس من سلف بني حسن.

بني عارض، بعدها تقوم قبيلة لفتة بالدفع. وكان جزء من الفصل يتمثل بنساء. وباختصار كان والد المستدعي قد عينت له إمرأة.

وعلى كل حال لم يقم لفتة بتنفيذ الاتفاقية، أو دفع الفصل حسب الاتفاق الذي تم بين القبيلتين، لذا فقد أصبحت الاتفاقية ملغاة وغير نافذة منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا، وبقيت الأمور كما هي بين الطرفين منذ ذلك الحين.

ملاحظة: إن ما ذكر أعلاه نسخة ثم توّخي الدقة فيها قدر المستطاع، حيث النسخة الأصلية تثير السخرية نظراً للتعابير الغريبة فيها.

أما الفتاة المذكورة كانت تبلغ من العمر آنذاك تسع سنوات، لذا فإنها الآن على أبواب الخمسين من عمرها، وربما هذا هو السبب الذي جعل المستدعي يطالب بواحدة جديدة.

إن لفته هو شيخ القبيلة التي أسكن معها، رجل يثير المشاكل، ولكن لحسن الحظ فإن أيام قوته قد أفلت وهو الآن يعاني من الروماتيزم.

ولا يفوتني أن أضيف بأنني لم أنفذ طلب المستدعي.

[وقد اعتزم سوماريز الذاهب إلى النجف لقضاء فترة أعياد الميلاد، ولكنه استلم في ٢٢ كانون الأول برقية مفادها إن الرائد نوربري سوف يأتي وينصب مخيّماً له عشية عيد الميلاد في منطقته، وقد ذكر قائلاً:]

سوف نكون خمسة، وسنمضي وقتاً ممتعاً، وإنني أتطلع لقضاء عطلة قصيرة، ومن المحتمل أنني سأقضي هناك يومين، وسنخرج لصيد البط في الأهوار، وقضاء الأوقات المتعة مع بعض الشيوخ، ولعب البردج والاستمتاع بالراحة والاختلاط بالآخرين.

أم البعرور في ٢٨ كانون الأول (إلى والدته)

لقد عدت من عطلتي التي تمتعت بها خلال عيد الكرسميس[١]، فقد ذهبت إلى المهناوية فوصلتها عند الظهر تقريباً من يوم ٢٤ كانون الأول، فوجدت المخيّم قد تمّ إعداده لنا، ولكن لم يصل أحد من الآخرين، ونظراً لأنهم لم يحضروا حتى الغسق، فقد قبلت دعوة الشيخ عبادي لتناول طعام العشاء عنده في المضيف.

---

(١) وهو عيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، ويصادف يوم ٢٥ كانون الأول.

لقد كانت ليلة من ليالي الكرسميس المبتكرة، حيث قضيتها في المضيف الذي كانت تشتمل في وسطه قطعة كبيرة من الخشب، ويتوفر فيه شيء كثير من القهوة، وكميات وافرة من الطعام وغير ذلك.

كما جرى الحديث في أشياء عامة كثيرة على غير المعتاد، بفضل وجود صهر الشيخ عبادي، وهو رجل لطيف مثقف، وجليس ممتع، وقف في خدمتنا مدة من الزمن.. وقد كان أول رجل صادفته في هذه الجهات له إطلاع على أحوال الحرب وأوربا وشؤون السياسة بوجه عام، وقد حدثتهم عن عاداتنا في أيام عيد الميلاد فسرهم الحديث سروراً بالغاً، كما سمعت الكثير عن تصرفات الأتراك، وقد كان الحديث مثيراً ومسلياً. وهذا الصهر المثقف يدعى مجيد، وهو يتكلم العربية الفصحى، ويسرّ المرء أن يستمع إليه وهو يتحدث، عدا كونه أكثر ذكاءً من غيره.

وفي صبيحة عيد الميلاد، وصل الميجر (الرائد نوربري) و(ويغان)، وهوبكنز في حوالي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، بعد أن كانت واسطة النقل التي تقلَهم قد أصابها عطب في اليوم السابق.

لقد تناولنا غداء طيباً عند الشيخ عبادي، ثم ركبنا بعد ذلك وتجولنا لاختيار مكان لاصطياد البط وغيره من الطيور. وفي المساء تناولنا عشاءً ممتازاً، قام بطبخه طباخ الميجر من دون دجاج الهند، وخاصة حلوى العنجاص والبطاطا التي أكلتها لأول مرة منذ أن نزلنا من الباخرة في البصرة.

وبعد العشاء استدعينا الخدم وشاركناهم في مراسم عيد الميلاد وقد قام الطباخ بإلقاء كلمة بالإنكليزية.

وفي اليوم التالي... ذهبت أنا وويغان بزورقي البخاري إلى مسافة ١٥ ميلاً إلى الشمال حيث يتقاطع نهر منطقتي مع طريق الحلة لاستقبال المس بيل، ولم أكن على علم بمجيئها، لقد كان لقاءً رائعاً، وقد كنت متشوقاً لرؤيتها من جديد. وقد وصلت في حوالي الساعة الثالثة والنصف بسيارة أقلتها من الحلة، فأخذناها في الزورق مع خادمها وقطتها والعفش، ثم عدنا إلى المخيّم في وقت المغيب، وقد كانت ذا شخصية عظيمة، كما كانت تتكلم خلال الوقت كله، ولديها معلومات ممتعة وطريفة، لأنها بلا شك على علم بجميع أسرار المنطقة الممتدة من استانبول إلى أفغانستان، ثم إنها كانت قد عادت مؤخراً من سفرتها إلى مصر عن طريق بيروت وحلب ودمشق والموصل، ورأت بأم عينها قيام دولة فيصل العربية، والفرنسيين وغير ذلك من الأمور. ولديها معلومات

مدهشة عن هذه البلاد، وفي وسعها أن تتحدث عن كل شيخ من شيوخ منطقتي كصديق قديم من أصدقائها، وتتذكر أسمائهم! وإذا سمعها المرء تتكلم عن القضايا العامة الكبرى في بغداد وغيرها توجهه في آرائه ومشاكله توجيهاً جديداً!.

وفي اليوم التالي... اجتمعنا في مضيف الشيخ عبادي[١]، وتناولنا وجبة طعام فاخرة، وقد كانت المس بيل[٢] تتحدث إلى الناس طيلة الوقت وكان حديثها مثار إعجابهم... وبعد ذلك طَلَبَتْ من الشيخ عبادي إذا كان يمكنها زيارة حريمه في البيت (زوجاته الست) فوافق على ذلك بعد إحجام ومضض، لكن الظاهر إنهن كن في غاية الخجل، فكانت المقابلة جافة[٣]...

---

(١) عبادي آل حسين: رئيس عشيرة آل فتلة في المهناوية والديوانية، قاد بعض المعارك في الثورة العراقية متضامناً مع عشائر آل فتلة في المشخاب، وبعد انتهاء الثورة قبضت عليه السلطة المحتلة وألقته في سجن الحلة العسكري وأحرقت مضيفه ونسفت قصره في المهناوية ولم يطلق سراحه إلا بعد العفو العام.

(٢) جرترود مرغريت لوثيان بل Gertrude Margaret, Lowthian Bell: ولدت سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، وتعلمت بلندن وأكسفورد. وقامت برحلات واسعة في ايران وسورية والجزائر وبلاد العرب (سنة ١٨٩٢ - ١٩١٣م) وعينتها حكومتها، في خلال الحرب العامة الأولى، مترجمة وخبيرة في إدارة المخابرات السرية في مصر (سنة ١٩١٥) وفي البصرة (١٩١٦) وفي بغداد (١٩١٧) وبرز نشاطها في العراق خاص، بعد الحرب، حتى كانت تنعت بملكة العراق غير المتوجة. واشتهرت بلقب (الخاتون) حتى كاد يغلب على اسمها. وكانت لولب السياسة البريطانية العراقية. وساعدت في التنقيب عن الآثار في العراق وأنشأت المتحف العراقي ببغداد. وألفت بالإنكليزية كتاب (الأخيضر ـ ط) والأخيضر قصر قديم في العراق بقيت أطلاله، و(عرب العراق ـ ط) و(الغامر والعامر ـ ط) و(من مراد إلى مراد ـ ط) و(صور فارسية ـ ط)، ولها تقرير (١٩٢٠) سمته: (استعراض الإدارة الملكية في العراق، ترجمه جعفر خياط وأصدره في كتاب سماه: (فصول من تاريخ العراق القريب). وكانت تحسن الفرنسية والألمانية والعربية والفارسية وترجمت بعض قصائد الشاعر الفارسي (حافظ) إلى الانكليزية. وماتت ببغداد سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

ترجمتها في: The New American Encyclopedia ١٣٦ ومجلة العرب: أيلول ١٩٢٦ ومجلة المشرق ٧١٨:٢٤، الاعلام ط ١١٥/١/٩.

(٣) ذكرت المس بل في إحدى رسائلها المؤرخة في ٤ كانون الثاني ١٩٢٠ ما ترجمته:

«... وذهبت بالسيارة إلى الفرع الآخر من الفرات حيث وجدت بانتظاري شابين هما الكابتن مان والكابتن ويغان، ومعهما زورق بخاري ليأخذاني به إلى مخيم مضيفي الميجر نوربري. حاكم الشامية السياسي...

وكان المخيم قد أقيم بالقرب من القرية مقر شيخ المنطقة الرئيس عبادي الحسين. ولذلك دعانا بعد العشاء إلى مضيفه. ولا يمكنكم أن تتصوروا المضيف ما لم ترونه رأي العين. فهو يصنع من القصب. إذ تفرش الحصر القصبية فوق حزم من القصب تتقوس فتلتقي في أعلاها بحث يكون المضيف بأجمعه نفقا جسيما أصفر اللون. منتظم الصنع جداً. مشيداً بصورة جذابة طوله خمسون ياردة.

وفي وسطه موقد للقهوة تشتعل فيه خشبان كبيرة من الصفصاف. وكان هناك في كلٍ من جهتي المضيف صف من الوسائد. المغطاة بأغطية مطرزة. المسندة إلى الجدر القصبية. لنجلس عليها ومن



المس غرترود بل.





الحاج عبادي آل حسين.

وقد تناولنا العشاء في مخيمنا وفي صباح هذا اليوم تفرّقت المجموعة....

وعند عودتي واجهتني رياح جنوبية قوية، جعلت النهر الذي يسير فيه زورقي البخاري هائجاً، وكان رذاذ الماء يتطاير فوق المركب، إن ذلك دليل على أن المطر سيهطل، والناس في أمس الحاجة إليه، إنه لأمر جيّد أن ترى الهدوء يعم المكان، فلا جريمة ولا شكوى، والعمل يجري على ما يرام. كما أن الناس مرتاحون لوضع السوق، وانخفضت أسعار الطعام بصورة غير اعتيادية. إن بعض تجار المفرد مستائون، ولكني لا أعتقد بأنهم سيعانون من الجوع...

حولنا العرب وبين أيدينا صانع القهوة مكباً على دلاله. وكانت تضيء المضيف كله نار الموقد مع زوجين من المصابيح الصغيرة. كما كانت نهاية المضيف تتضاءل بعيداً في عتمة ذهبية.

وقضينا اليوم الثاني في المخيم... إن هذه البلاد هي بلاد الرز، وقد حصد أصحابه هذه السنة حاصلاً وفيراً منه. وكانت قرى الخصاص الصفراء تجثم متوسعة رخية في شمس الشتاء محاطة بتبن الرز وقشوره. ولم تكن بيادر الشلب الذهبية مخزونة كلها أو محملة إلى الخارج وإنما كانت مكوّمة في مساطح الحصاد. وركبنا حينما وصلنا إلى الهور في (ساجات) صغيرة، وجذفنا خلال الممرات المائية بين البردي حتى وصلنا إلى الماء في العراء. وكانت هناك ألوف مؤلفة من البط والحذف والطيور المائية الأخرى. وتفرخ الحدأة هنا أيضاً. وكان الماء مغطى بأوراق زنبق الماء الذابلة. وكان يرعى فيها الجاموس بهدوء وهو يقف إلى بطنه في الهور. ومن بين جميع أنواع العلف غير الصالحة للجاموس يعد زنبق الماء بكل تأكيد أسوأها غداء».

«العراق في رسائل المسس بل، ترجمة وتعليق جعفر خياط، بغداد ١٩٧٧، ص ١١٠ ـ ١١١».

والساجات: جمع ساجة، كلمة عامية بمعنى ممر مائي ضيق (ساقية). ويبدو انها هنا بمعنى ضرب من الزوارق الصغيرة.

وفي رسالتها الثانية بنفس اليوم كتبت:

إن الشامية هي حديقة العراق، أو قل إذا شئت مربع أنسها، وقد كدت أنسى قبل مجيئي هذا كم هي جميلة في الشتاء. إذ يرفل الصفصاف فيها. وغرب الفرات. اللذان تكتسي بهما ضفاف النهر والجداول بحللٍ من اللون الذهبي والأخضر المائل إلى لون الذهب. وتكوّن من ورائها غابات النخيل خلفية بديعة، ولا يزيد عمرها كلها على خمسة عشر عاماً. أي تكون في أجمل أيام عمرها قبل أن تصبح نخيلة هشة.

وبعد أن جذفنا بالساجات في طرق الهور المائية تناولنا غداءنا في اليوم الأول عند شيخ المنطقة الأكبر. الشيخ عبادي الحسين. لقد كنا جياعاً لكننا لم نستطع أن نأكل كثيراً من تل الطعام المقدم لنا. لابد من أن تكون القبيلة كلها قد أُطعمت في ذلك اليوم ما بقي منه. وقد سمح لي بأن أتناول طعامي بالملعقة، بينما أكل الباقون بأيديهم». «ن.م.ص ١١٢ ـ ١١٣».

[١٩٢٠]

أم البعرور في ٣ كانون الثاني ١٩٢٠ (إلى الآنسة أ.م. روث)

إن الجو الآن رائع جداً، مع بعض البرودة أثناء الليل وعند الفجر، والسماء في النهار صافية، والشمس مشرقة مع برودة قليلة في الهواء. إنني أتجوّل طيلة اليوم بملابس الشتاء الكاملة، ولكني أعترف بأن خيمتي عند التجول تصبح باردة عند الساعة السادسة مساءً.

إن الشفق هنا يستمر طويلاً، كما هي الحال في إنكلترا، وغروب الشمس في غاية الجمال.

إن منطقتي مليئة بالطيور، والشريط الذي يبلغ طوله حوالي ٤٠ ميلاً والذي يمتد بين المنطقة المزروعة بمحاذاة النهر، وبين الصحراء التي تقع خارجها مليء بأسراب هائلة من البط البري وبعض الأوز وعدد لا يحصى من دجاج الماء.

أما عن الأزهار فإنها لا توجد سوى في الربيع، حيث أن هذه النباتات الضعيفة لا تحتمل حرّ الصيف هنا، كما أن معظم الفاكهة يظهر في مايس وحزيران. وقد حصلنا في أحد الأيام على بعض البرتقال الممتاز من بعقوبة - قرب بغداد - ولكن البرتقال هنا نادر، ويتوفر التمر في كل أيام السنة، وهو فاكهة رائعة.

أبو شورة في ٤ كانون الثاني ١٩٢٠ (إلى والده)

... لقد سرّتني ملاحظاتكم حول مجموعة الأخسّاء الموجودين في منطقتي... إن ما كتبه كيلنغ في كتابه (شرقي السويس) بأن «الوصايا العشر» غير موجودة، ينطبق على واقع الحال هنا تماماً. حيث أن خادمي يدعي بأنه كان قد قتل سبعة رجال، وهو من أكثر الناس الذين يمكن أن تجدهم حباً للسلام والهدوء والسكينة. أما بالنسبة للرذائل الحيوانية فهم نتاج مجتمع خشن ميّال للحرب، حيث تكون النتيجة الطبيعية للمعركة التي تقع فيه أن يقبض المنتصر على نساء المغلوب واستعباد أطفاله من دون أن يكون في عمله هذا شيء من الحطة مطلقاً. على أن المكان الوحيد الذي تستشري فيه الرذيلة بشكل لا

يطاق هو النجف، لأن الرذيلة هناك تختلط بخلاصة الرياء، والتظاهر بالتدين، والتشبه بالقدسية، وهذا أمر لا أطيقه[1]، ولكن الناس الذين أعيش بينهم يعيشون على الفطرة، وهم ذو شخصيات جذابة ومهذبون (رغم انعدام الثقافة بينهم) كما أنهم أناس يتحلون بأخلاق رفيعة وكرم حاتمي.

كلا... إن أيديهم بلا شك غير نظيفة، مع أنهم يصبّون عليها الماء قبل الأكل، غير أنه لما كانت صحونهم وأوانيهم وملاعقهم هي قذرة على الدوام، ونظراً لعادات الطعام عندهم، فإن من السخف أن يقلق المرء من أمور كهذه... فإذا أراد أن يتبع القواعد الصحية هنا عليه أن يأتي بخادم إنكليزي ويحيط نفسه بسياج ضد ضيافتهم[2]...

سررت جداً بالمقال الذي نشرته جريدة التايمس عن العراق.. أنا شخصياً غير متشائم مثل كاتب المقال وعلى استعداد للرد على الكثير من الحقائق التي جاء بها، لكن أحدنا لا يعرف في الحقيقة بماذا يفكر هؤلاء الناس هنا وماذا يريدون. إنهم في الواقع لا يعرفون أنفسهم، بينما المدن وخاصة بغداد حيث الأعداد الكبيرة، والموظفين السابقين عند الأتراك، والساخطين والمبعوثين من سوريا، والذين يرددون صدى ما يحدث في كردستان[3] والجزيرة العربية[4]، وأخبار البلاشفة الروس[5]، وبلاد فارس، وأفغانستان، كل ذلك يمثل مشاكل غير هيّنة، قد تخلق في أي وقت نغمات قد تستهوي شيوخ منطقتي الذين لا يعبأون بالسياسة، فيبادرون بمرور الزمن للدقة والتغني بها[6]..

[كانت المس بيل، والكابتن ويغان قد زاراه في أم البعرور في ٣٠ كانون الأول]، لقد أمضت هناك ليلة قبل سنتين، وقابلت بعض أهل منطقتي وقامت بزيارات عديدة جعلت السعادة تغمر الجميع...

لقد قضيت ليلة ٢ كانون الثاني مع محارب قديم مؤنس يدعى الشيخ لفتة الشمخي، فكانت ضيافته شيئاً أظرف من المعتاد، وكان له ابن صغير، لطيف جداً، يبلغ من العمر

---

(١) ما تزال المرارة تملأ أفواههم، فهو هنا إذ يشتم النجف.. إنما يتصور ما نقل له عن مصرع الكابتن مارشال وبطولة الحاج نجم البقال وجماعته، ومقارنته بين أبناء النجف والشامية، تبدو فيها واضحة سياسة «فرق تسد».

(٢) هذا مصير من يتسلط عليهم المستعمر الظالم.

(٣) إشارة إلى ثورات الأكراد في شمال العراق ضد المحتلين عام ١٩١٩.

(٤) يقصد الثورة العربية الكبرى التي قادها الشيرف حسين بن علي.

(٥) أي ثورة أكتوبر عام ١٩١٩.

(٦) يلاحظ تخوفه من حدوث بعض الأعمال من قبل ثوار منطقته.

حوالي أربع سنوات[1]، وقد أحبّني كثيراً، وقد استخدموا عبارة (عم) عند تعريفهم لي بالطفل، وهو المصطلح المستخدم بين من هم أعلى ومن هم أدنى.

لقد سجّلت نجاحاً باهراً في يوم بداية السنة الجديدة، رغم إنني ترددت في إخبارك عنه، لأنني خشيت أن ذلك الأمر يحدث دائماً، كنت راكباً جواداً مستعاراً، وكان جواداً عربياً سريعاً، فعندما انطلق مسرعاً اعترضت طريقه فجأة حفرة صغيرة وليست بعميقة، عندها ألقى الحصان بي أرضاً، ولكن قدمي اليمنى بقيت معلقة في الركاب، فسحبني الحصان مسافة تقرب من الثلاثين ياردة، حيث أدّى تمزّق حذائي إلى انفلات الحصان وذهابه.

فنجوت من الحادث، دون أن أصاب بأي أذى أو أية رضوض.

وكان بإمكاني ركوب الحصان وإتمام العمل، ولم أشعر بألم في صباح اليوم التالي. لقد اعتقد الذين كانوا برفقتي وعددهم سبعة أو ثمانية من العرب، بأنني قد فارقت الحياة، وتساءلوا وهم غير مصدّقين ألا زلت حياً؟ ولم يكادوا يصدقون بأن عظامي لازالت سليمة. لقد كانوا يعتقدون إنها عناية الله، وظلوا يتساءلون طيلة وقت العودة الأمر الذي ولّد لي حرجاً...

[وبعد ستة أسابيع تحدث عن تعليق حول هذه الحادثة قائلاً]: بأنه كان أمراً قريباً ونجاة سببها الحظ.

في ١٤ شباط ١٩٢٠ (إلى السيد ف. ف. اوركهارت)

يوم أمس كان عدد من الناس [أصحابه الذين كانوا معه في مناسبة الحادثة تلك والذين كانوا يركبون معه مرة ثانية] والذين يصعب (أو يستحيل) وصفهم أو الحديث عنهم، كانوا جميعاً يمتدحونني لأنني حسب قولهم كنت شخصاً عجيباً. وقد ذكر أحدهم قائلاً: ﴿ نعم، هذا صحيح، إن الحاكم رجل عجيب، فعند سقوطه ذلك اليوم من على ظهر الجواد وخروجه سليماً، علمت أن الله كان يرعاه رعاية خاصة ﴾ وقاموا بعدها بألعاب على خيولهم ليبيّنوا مدى سعادتهم.

(١) هو الحاج عبد اللفتة.

في ٩ كانون الثاني ١٩٢٠ (إلى والدته)

... لقد حقق مشروعي في غماس نجاحاً باهراً بعد أن كان على حافة الفشل، أعتقد بأنني أخبرتك بأن العمل سيبدأ مع بداية السنة الجديدة، ومن حسن الحظ فقد قمت وفي اللحظة الأخيرة بإرسال داود إلى هناك يوم ٣١ كانون الأول حيث أنني لم يكن بمقدوري الذهاب شخصياً، وعند وصوله إلى هناك وجد أنهم لم يقوموا بعمل يذكر. وعند رؤيتهم له علموا أن الحكومة كانت تريد منهم عملاً فعلياً، فشرعوا بالعمل الجاد الذي كان حصيلته عندما ذهبت إلى هناك يوم ٥ كانون الثاني هو اختفاء ما يقرب من ربع المستنقعات، وكان المكان ببساطة يعجّ بالنشاط والحيوية ويبشر بالأمل... وبطبيعة الحال كانت هناك صعوبات، حيث أن أولئك الذين يقومون بقطع القصب كانوا يحاولون أن يسلموا لنا حزماً صغيرة بدلاً عن الحزم المعتادة، وكذلك أصحاب التبن، وقد تم تجاوز ذلك، وعند مغادرتي في يوم ٧ كانون الأول كانت التقديرات تشير إلى أننا استلمنا حوالي اثنا عشر ألف حزمة من القصب. وقد تم إحضار الحمير المائة، ولكنها كانت الحمير الصغيرة التي تربيها قبائل الصحراء وليست من الحجم الكبير، لذا فإن كمية التراب الذي تنقله في كل مرّة ليست كبيرة، ومع ذلك، يبدو لي أن النتيجة كانت رائعة للغاية. وقد التقطت بعض الصور اللطيفة لها.

لقد كان القسم الأفضل هم سكان المدينة الذين كانت ثقتي بهم قليلة (نظراً لاستقلاليتهم وعدم انضوائهم تحت لواء أي شيخ، فإنهم غير مسؤولين، ومن الصعوبة التزامهم بالشروط) حيث أنهم شاهدوا أننا كنا نريد العمل الحقيقي، وأن القبائل قد أوفت بالتزاماتها بتوفير المواد، وأدركوا أن مصلحتهم في ذلك العمل، وقد كنت مصمماً على بناء بيوت مناسبة لهم بدلاً من أكواخ القصب المهترئة التي يسكنونها حالياً. وفي الوقت نفسه قمنا في الأول من كانون الثاني بتغيير معظم موظفي البلدية، واكتشفنا بأن المدينة كانت تعاني منذ زمن طويل من الفساد الإداري.

هكذا هم العرب لا يشتكون ضد الموظفين، لذا فعند قيامك بفصل الموظفين ستكشف فيما إذا كان ما قمت به صحيحاً أم لا! وفي هذه الحالة اكتشفنا بأن الرجل الذي يعمل على العبّارة كان يتقاضى (بنساً) واحداً في المرة الواحدة بدلاً من الأجرة القانونية وهي نصف بنس، لذا فعند قيامنا بتصحيح الوضع، أصبح الناس ممتنين لذلك واعتبروه مثلاً لعطف الحكومة.

سوف أذهب إلى غماس مرة أخرى حوالي يوم ١٩ أو ٢٠ كانون الثاني، حيث أأمل أن أشاهد المرحلة الأولى من العمل، وهي التخلص من المياه الآسنة والمستنقعات، وإكمال تصريف المياه.

أما المرحلة التالية فهي صرف مبلغ حوالي (٢٠٠٠) روبية من أموال البلدية وذلك لوضع أربعين ألف حمل حمار كبير من التراب فوق الشوارع التي أقترح تسويتها. ويجب علينا أن نقوم باستئجار مائة حمار تقريباً من الكوفة، ويمكننا الحصول عليها مقابل خمس روبيات لكل مائة حمل. وبعد القيام بذلك أأمل أن أصدر إعلاناً أعرض فيه حق البناء لكل شخص يرغب في البناء بالطابوق، بشرط أن يتم رفع الموقع إلى مستوى الطرق الجديدة وبموافقتي.

وكُلي أمل أن المدينة ستشهد توسعاً هائلاً عن وضعها الحالي في غضون سنة. وكل ذلك التغيير قد تم إجراؤه بعد صرف ألفي روبية من أموال الدولة. إنني أخمن قيمة العمل الحالي للعشائر وسكان المدينة في حده الأدنى كما يلي:

١٥٠٠٠ حزمة من التبن	٧٥٠ روبية
تكاليف نقلها عن طريق النهر	٢٥٠ روبية
١٠٠,٠٠٠ حزمة من القصب	٥٠٠٠ روبية
تكاليف نقلها عن طريق النهر بسعر ٢٥ روبية لكل ألف حزمة	٢.٥٠٠ روبية
أجرة مائة حمار لمدة ثلاثة أسابيع	٣٠٠ روبية
أجرة مائتي عامل لمدة ثلاثة أسابيع	٢٥٠٠ روبية
المجموع	١١.٣٠٠ روبية
أو ما يعادل	١٢٠٠ باون

ولا داعي للقول بأن الكلفة بأجمعها إذا دفعتها الحكومة أو مقاول فإنها ستكون على الأقل عشرون ألف روبية، أو ربما أكثر من ذلك بكثير. لذا فإن ما قام به العامة كان شيئاً رائعاً. وبالإضافة إلى ما ذكرناه من أرقام فإن السيد محسن أبو طبيخ وهو الملاك الكبير في غماس يقوم بحصته في بناء المدينة على حسابه الخاص ويبلغ ذلك الجزء حوالي السدس من كل العمل، لذا فإن ذلك يكلفه حوالي ٢٠٠ باون تضاف إلى مجموع المصروفات.

وحيث أن اليوم هو الجمعة فقد أخذت عطلة من الدائرة، وذهبت راكباً مع داود لزيارة أحد الشيوخ وهو يعيش على مسافة تقرب من الأربعة أميال أو أقل من ذلك.

وقد وصلنا في حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف، وجلسنا في المضيف حتى الساعة الثالثة حيث تمّ إعداد الطعام... وحال انتهاءنا دخلت إحدى القطط إلى المضيف ونهبت دجاجة محمّصة كاملة وهربت بها إلى النهاية الأخرى من المضيف، وحالما بدأت بقضمها ظهر كلب كبير وأخذ الدجاجة منها وبدأ يلتهمها بنهم، ولم يتأثر أحد لنهب الدجاجة مما يعكس رخص ثمن الدجاج..

لقد كنت أسمع روايات غريبة عن عادات العشائر... فإذا قتل رجل مخلوقاً، مثل رجل آخر أو حصان أو كلب، أو قام بالاعتداء على امرأة فإن عليه أن يدفع فصلاً وبكميات متفاوتة، وليس بالضرورة أن يدفعه نقداً. ويُقَدّر الفصل في اجتماع لأخيار العشائر المعنيّة. إن الفصل المعقول للرجل هو ٢٥ باوناً تقريباً، بينما يبلغ فصل الحصان أكثر من مائة باون في السعر الحالي. ولكن أغرب أنواع الفصول هو الفصل الذي يؤخذ عن الكلب. إن المسلمين يعتبرون الكلب نجساً وغير نظيف كالخنزير، فإذا قمت بلمس الكلب فعليك بالاغتسال، ولكن العرب بالإضافة إلى كونهم مسلمين يسكنون الخيام ويساوي كلب الحراسة الجيد بالنسبة لهم عشرة مسدسات أو عشرين حارساً. وهذا هو السبب الذي يجعل الكلاب تملأ الدنيا نباحاً طيلة الليل في كل أنحاء البلاد، وبأعداد لا تحصى. إن فصل الكلاب كما يلي:

يقوم صاحب الكلب بمسك جثة الكلب الميّت من ذيله بحيث تلمس نهاية أنفه الأرض، ثم يصار إلى إلقاء بذور الدخن على الحيوان حتى يأمر صاحب الكلب بالتوقف ولا داعي لأن يقوم بذلك بحيث يستمر سكب الحبوب حتى تغطى جثة الكلب برمتها. وقد اختير الدخن لأنه ذو شكل كروي ويسيح كالماء، لذا تكون الحاجة لكميات كبيرة منه لتغطية الكلب من أنفه حتى ذيله.

وللزواج عاداته اللطيفة أيضاً. إذ يكون كل شيخ متحمّساً لتزويج أولاده عند بلوغهم سن ١٥ سنة لإبعادهم عن النزوع للأذى، ويبدأ بالسؤال عن العوائل الجيّدة، وعند سماعه عن فتاة مناسبة يقوم بإرسال امرأة من عائلته لرؤيتها، وإخباره عنها. وبالطبع فإنه لا يجوز له أن يرى الفتاة بنفسه، وكذلك لا يجوز للعريس أن يراها أيضاً. وتقوم المرأة الزائرة بالحكم على جمال الفتاة، رغم أنني أعتقد أن فن الطبخ حسب علمي يلعب دوره أيضاً في مسألة الاختيار. وإذا كان رأي المرأة عن الفتاة جيداً يقوم أبو الولد بزيارة والد الفتاة ويتفاوض معه حول موضوع دفع المهر لها، وكما أخبروني فإن المهر يُدفع حسب جمال الفتاة كلياً، أما المنزلة وبقية الأمور فإنها ذات قيمة مادية قليلة.

وبعد الانتهاء من موضوع المهر يتم الإعداد لحفل الزفاف، وتُزفُ العروس إلى زوجها، ويجتمع الطرفان كزوج وزوجة.. ومع ذلك فإن للزوج الحق في أن يُطلق زوجته في اليوم التالي إذا اكتشف أنه قد أُعطي الفتاة التي لا تعجبه. وبلا شك فإن الوالد له قول في هذا الموضوع حيث أن نقود المهر قد دُفعت من جيبه. وقد قال النبي (ص) بأن النساء لهن أيضاً بعض الحقوق في تطليق أزواجهن على الرغم من كون السبب ليس بسبب الشكل القبيح. إن الزوجة الأولى، وهي من اختيار الأب، تلهي الولد لفترة من الوقت، حيث يقوم الشاب باختيار الزوجات الأخريات اللواتي يبلغ عددهن في حالة الرجل الغني خمس أو ست نساء في الحد الأدنى (رغم أنه لا يجوز له مشاهدتها حتى زواجه بهن) كما أنه هو الذي يدفع مهرهن لآبائهن. إن مهر الفتاة من عائلة معتدلة يبلغ حوالي عشر باونات إسترلينية، الأمر الذي يبيّن أن النساء على ما يبدو، رخيصات الثمن ووافرات العدد.

لقد سجّلت إسمي لامتحان الكفاءة باللغة العربية في بغداد في ٢٩ كانون الثاني... ولكن الامتحان سوف لن يلهيني عن العمل في منطقتي.

أم البعرور في ١٤ كانون الثاني (إلى المسز كمبرباج)

لقد نسيت متى كتبت لك آخر مرة، ولم أستلم منك أية رسالة منذ مدة، ولكنني يجب أن أكتب هذه الليلة إلى شخص أستطيع التحدث إليه، لا لأن هناك أخباراً أسردها عليه، بل لأنني فقط أريد التحدث إليه لا غير. لم أشاهد رجلاً إنكليزياً منذ ما يزيد على أسبوعين وهذه مدة طويلة جداً.

إن صديقيَ العزيز (داود) معي وهو يأتي هنا كل يوم تقريباً، وفي وقت متأخر، ليقرأ معي اللغة العربية، وقد كانت جهوده قيِّمة، وقد ازددت تعلقاً به، ولكن على الرغم من أنه يكاد أن يكون أوربياً تماماً، فهو يشترك في خصلة واحدة مع العرب الذين يحيطون بي وهي أنه لا يتركني أنسى بأنني الحاكم. إن مهنة الحاكم مضنية رغم ما فيها من أمور تبعث على السعادة، حيث أنه عندما يتم إنجاز الأعمال فإن هناك لحظات تتجمع فيها المسؤوليات يستغرق القيام بها طيلة وقت اليوم، مما يجعل الأمر كابوساً مزعجاً. وإذا قمت بإعطائك قائمة بالأعمال التي يتوجب عليّ القيام بها أو أكون مسؤولاً عنها من الآن وحتى نهاية الشهر حيث أأمل أن أمضي أربعة أيام في بغداد بعيداً عن المسؤوليات (والله يعلم إذا كان بإمكاني أن أتمتع بهذه العطلة أم لا؟) فإن ذلك

سيكون شيئاً مهولاً. يجب علي أن أذهب يوم غد للنظر في موضوع قطعة من الأرض مع اثنين من الشيوخ ذوي الشأن وهما لا يحبان بعضهما بعضاً أبداً. وحيث أنني لا أمتلك المعلومات من الناحية الفنية حول مشكلة الري هذه، فإن عليّ أن أتخذ قراراً حول مدى الحفر الواجب تنفيذه وذلك من أجل استغلال أكبر قدر ممكن من الأرض زراعياً، وتضمين ذلك في اتفاقية مكتوبة وجعلهما يوّقعان عليهما، وفي الحقيقة فإن ذلك لن يكون صعباً، فإنهما سيفعلان ما يؤمران. وفي اليوم التالي أذهب إلى النجف لقضاء ليلة، وأعود في اليوم الذي يليه مع رئيسي ليقوم بجولة أمدها ثلاثة أو أربعة أيام لرؤية الأعمال التي قمت بها في منطقة القضاء خلال الشهرين الماضيين، وفي الحقيقة فإن هذه الأعمال جيدة وتستحق المشاهدة، كما أن وجوده هنا سيكون مبعث سروري.. وبعد هذه المسائل... كان هناك أيضاً خلاف على الأرض بين عائلة غنيّة ذات قدسية من جهة وبين حوالي ألفين من البدو من جهة أخرى، ولم تكن هناك حقائق ولا وثائق، ولكن هناك قتال بين الطرفين، كما قمت بعدّة زيارات لبعض الناس الذين يحتاج التعامل معهم الكثير من المجاملة وبعضاً من القسوة، بالإضافة إلى وجود مسألتين أو ثلاثة من مسائل الري المعقّدة والتي تتضمن زراعة ما يقرب من خمسة عشر ألف دونم من الأرض.

وفي الوقت نفسه أقدم لك واحدة أو اثنتين من مشاكل الدائرة وهما إرسال حوالي عشرين ألف باون، نصفها تقريباً من الفضة إلى الخزينة في الكوفة والتي تبعد مسافة عشرين ميلاً من هنا، إنها مسألة بسيطة للغاية، ولكن المرء يشعر بالراحة بعد انتهائها. والمسألة الثانية هي تقديم أربعة لصوص للمحاكمة، ثلاثة منهم لقيامهم بسرقة حصان، وواحد منهم لسرقته الأغنام وكلهم من اللصوص المحترفين.

كنت وحتى قبل أسبوع مشغولاً جداً وأنتقل من مكان إلى آخر، وكنت في حركة دائمة بحيث لم يكن لدي متسع من الوقت سوى للعمل وتناول الطعام والنوم. ولكني بقيت في الوقت الحاضر في بيتي مدة سبعة أيام متواصلة، فقد قلّ العمل في الدائرة وقد كنت أجلس عند المساء بجانب النار أقرأ الكتب وأكتب الرسائل.

سأحاول أن أصف لك الشيخ الذي تغديت معه يوم أمس[1]، وعليكِ أنتِ أن تستنتجي النتائج، إنه أحد الرؤساء الخمسة لقبيلة تدعى باسم الخزاعل التي كانت قبل خمسين سنة تحكم هذه الجهة من العراق كلها، ولم يستطع الأتراك مدة طويلة من الزمن

(١) سلمان آل عبطان: له موقف مشرف في وجه الجيش الانكليزي أثناء انسحابه من معركة العارضيات وإرغامه عن فك الحصار عن عشيرة بني منصور الجبورية، صار عضواً في مجلس النواب وتوفي سنة ١٣٦٣هـ. «انظر: الخزاعل ص ١٠٢».

أن يعملوا شيئاً تجاههم. لكنهم تقدموا شيئاً فشيئاً نحو ذلك الهدف. ولم ينحطّ شأن هذه القبيلة إلاّ قليلاً قبل اندلاع نيران الحرب الأخيرة بعشرين سنة، فقد تمادوا في أخذ الخاوة من جميع زراع الشلب المتمدين على طول النهر، وعلى الركوب في كل ربيع للغزو، وعلى أن لا يدفعوا للأتراك من الضرائب إلاّ ما يرونه مناسباً لهم. ومع أن والد هذا الشيخ قد نفاه الترك إلى الأناضول[1] لم تتكسر روحيتهم مطلقاً، وبقي اسمهم حتى هذا اليوم موضع احترام في هذه الجهة من العراق، وقد كانوا بطبيعة الحال رؤساء لصوص محترفين من دون أن يعبأوا بأشغال النساء كالتجارة والفلاحة. وهم يأخذون ما يحصلون عليه في حروبهم ويجعلون دافعي الخاوة يفلحون الأرض لهم، فيعيشون هم عيشة حرة بقوة جاهزة على الدوام تقدّر بخمسمائة خيّال يوجهونها أينما يريدون، وكلهم يعيشون ويفتنون على ما يسلبونه من سكان شواطئ النهر.

ومن بين الشيوخ الخمسة لهذه القبيلة، الذين كانوا خلال الخمسة والعشرين سنة الأخيرة أسياد الفرات الأسفل، يوجد ثلاثة في منطقتي[2]. وإذا كنتِ قد قرأتِ القصة هذه بتفهم، أي بتناسي كل شيء عن الاشتراكية وتحرير المرأة (لاشك أن الخزاعل يأخذون على الدوام البنات الجميلات من عدوهم المندحر) وإنكِ سوف لا تندهشين إذا سمعت أن هؤلاء الشيوخ الثلاثة هم أشد شيوخ منطقتي جاذبيةً ولطفاً، فهم رجال بادية اعتياديون يتحلون بمنتهى الصراحة والبساطة، وبالأريحية والحدة، كما يكذبون مثل الايرلنديين لأجل الفن. وإني أعتقد أنهم من حيث المزاج ميّالين للبريطانيين لأنهم يحترمون على الدوام القوة العسكرية.

---

(١) وهو مطلك بن كريدي بن ذرب بن مغامس بن شلال شيخ الخزاعل، وقد أُلقي القبض عليه في سنة ١٢٨٢هـ ونفي إلى القسطنطينية، وأجبر على الجهاد ضد روسيا، وقُتل في احدى المعارك، وكان قد نفي معه أخوه صفوك، والأخير قد سجنه الأتراك في بلدة موش، ثم سمح له بالعودة إلى دياره. «انظر ترجمته وأخباره في الخزاعل ص ٩٦ ـ ٩٨».

(٢) وهم: أ ـ محمد بن عبطان بن طلال بن بلبول بن شلال بن صقر بن سلمان بن عباس، شيخ الخزاعل.
ب ـ أخيه، سلمان بن عبطان.
جـ ـ سلمان بن ظاهر بن محمد بن مغامس بن شلال المذكور.
أما الشيخين الآخرين خارج الشامية فهما:
د ـ شرماهي بن حاج منير بن زوير بن مغامس بن شلال بن صقر بن سلمان بن عباس، من شيوخ الخزاعل في منطقة الحمزة الشرقي.
هـ ـ دغيم بن براك بن سبتي بن كركوش بن شلال المذكور، يسكن في منطقة البراكية ـ جنوب مدينة الكوفة في الجهة اليمنى من نهر الفرات، توفي سنة ١٣٥٣هـ.
«انظر: الخزاعل ص ١٠٢ ـ ١٠٣».

ولما كانوا لسوء الحظ مطمحاً لجميع الأنظار، التي تستهويهم الهدايا من المال والحبوب والنساء، فإنهم الآن أفقر من جرذي الكنيسة. وهم لا يزعجون أنفسهم في امتلاك أراضي الشلب الجيّدة، فقد كان من المربح أكثر لهم أن يأخذوا الخاوة من الناس الذين يتفوّقون عليهم في الكدّ والعمل، ويعافون الحروب، وعلى هذا فإن أراضيهم تكاد تكون لا قيمة لها. ومن سوء الحظ إن الترتيبات التي اتخذتها الحكومة البريطانية لم تبقِ مجالاً للصوصية، وستكون من السابقات الصعبة أن يعاملوا بالمحاباة تعويضاً لعدم اشتغالهم، أنا أفكر الآن بجعل هؤلاء الشيوخ الثلاثة محكمّين أو قضاة بدلاً عن ذلك، ولكن هناك صعوبات تقف في هذا السبيل، على الرغم من أنهم يستطيعون القيام بهذه المنصبين بكل كفاءة وجدارة. فإن من أعظم الصعوبات التي تعترضني هي عدم استطاعتي تقديم الراتب المناسب لهم، حتى إذا كان بقدر أعلى راتب يتقاضاه أحسن موظف هنا إذا أردت أن أعيد لهم موقعهم السابق، حيث أن الشيخ يعيش لقبيلته وهو يفتح بيته دائماً ويحافظ على تقاليد الكرم العربي، وهذا يكلف على الأقل بين ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ باون سنوياً.

إن القضية التي تحتم علي أن أذهب من أجلها مع هذا الرجل وإسمه سلمان العبطان هي قضية شجار مع جار له حول سقي محاصيله بالماء. وقد ذهبنا إلى هناك وقمت بفرض نوع من التسوية حصل من خلالها على ما يريد بشكل أو بآخر، وعدنا بعدها لتناول الطعام في خيمته لأنه فقير جداً ولا يستطيع أن يبني بيتاً. لقد كان يحمل سيفاً رائعاً، وهذا مخالف للقانون، ولكني لم أستطع منعه من حمل السيف لأنه كان من الرجال الشجعان، وقد استمعت إليه وهو يتحدث عن أيام بطولاته القديمة. وقد أخبرني والسعادة تملأ قلبه عن معركة خاضها ضد عشيرة تعيش على مسافة خمسة عشر ميلاً تدعى آل فتلة، وهم أناس أغنياء يزرعون الرز وقد قُتل في تلك المعركة منهم (١٢٠) شخصاً في الوقت الذي قُتل من جانبه فقط خمسة وعشرون رجلاً. وذكر بعدها كيف حضر بعض السادة الأجلاء (وهم أناس لهم قدسية ومن سلالة علي) وأعرف واحداً منهم جيداً، وقاموا بإيقاف القتال وحدّدوا الفصل وهو ٧٠٠ ليرة تركية وثلاثة خيول تعطى للخزاعل، وحيث أن سلمان نفسه جُرح في المعركة فإن قطعة الأرض التي سقط دمه فيها قد أعطيت له لتصبح ملكاً له يورث لبنيه، غير أنه لم يأخذها نظراً لاندلاع الحرب العظمى فحالت دون التنفيذ. وعلى هذا فإني عازم على أن أبذل جهداً عظيماً لأملكها له، وبذا أنهي القصة إنهاءً مناسباً.

وقد تحدثنا كثيراً عن الغزو، فقصَّ علي قصصاً تتعلق به، ثم قال مازحاً بأنه يتمنى أن أسمح له برخصة لخمسة أيام يشنّ خلالها غزوة من مغازيه، وقال بأن أحداً لن يناله الأذى، ومن المحتمل أن يقتل شخصاً واحد ويصاب اثنان بجراح، ولكن ما أهمية ذلك؟ ثم دار الحديث حول المستندات القانونية وسندات الطابو فقص علي كيف أن أحد رجاله كان قد حصل على قطعة من الأرض، وكيف أنه عندما أشار عليه أحد الناس باستحصال سند التملك لتعيين الحدود، سلّ سيفه وقال: «إن سيفي هو حدودي، ولا أبغي شيئاً أحسن منه» واستطرد سلمان معلقاً: « نعم، هذه هي أصولنا، لأن السيف هو كل شيء، وليست الكتابة التي لا قيمة لها، إنها ذات قيمة للحكومات وما شابهها، ولم نكن نعبأ بها في تلك الأيام ».

فقلت له:« إنني لا أعجب من رغبتك في عودة تلك الأيام».

فأجاب قائلاً بوضوح:«ما الفائدة من التحدث بالماضي، فقد ذهب الآن، وإني أنتظر أن يكون كل من السلم والأمن و القانون شيئاً مفيداً حقاً، لقد كنت غنياً يومذاك، وأنا الآن اضطر لبيع حصاني لأشتري فيه الرز الذي آكله. وليس في وسعي أن أحصل على مائة روبية لتسديد دين قديم بذمتي».

إن صراحة مثل هذه شيء نادر بين سكان منطقتي، ولا توجد إلاّ في محيط البادية، وليس بين سكان وادي النهر الذين لا يحبون (أولئك الأعراب، البدو) كما يطلقون عليهم ذلك باحتقار. إنه لأمر عجيب حقاً أن يسير الإنسان طيلة اليوم بين هؤلاء الناس دون سلاح أو حراسة، وأن ينام الإنسان في بيت أحدهم بدون حرس، وأن يستمر في عمله، وأن تطاع كل أوامره، وتحت تصرفي قوّة مؤلفة من ستة أشخاص من المتطوعين العرب الذين لا يعتمد عليهم والذين تلقوا تدريباً رديئاً.

إن الاسم البريطاني قد سار شوطاً بعيداً يثير الدهشة، ولكني لا أعتقد أن من الحكمة دائماً أن تُرسم المخططات على أساس ذلك.

النجف في ١٧ كانون الثاني (إلى والده)

... تناولت عشائي ليلة الأحد الماضي في بيت عزرا، وقد قدم لنا أفخر عشاء تناولته في العراق خارج الفوضى الموجود في النجف.. وقبل العشاء دخل علينا ثلاث بنات صغيرات، هن أخوات زوج ابنته الجديد، وقلن بحياء بالغ باللغة الإنكليزية:

«تشرفنا» وعند مغادرتهن قُلن: «تصبحون على خير»، وبعد ذلك سمعناهن ينشدن في الغرفة المجاورة:«يحفظ الله الملك» البريطاني، وكان زيّهن تماماً كزي الأطفال الإنكليز حتى بالقبعة، وقد جئن من الحلة حيث توجد هناك مدرسة مناسبة يتعلمون فيها الإنكليزية.

إن العيش مع اليهود يجعل المرء هنا يدرك بوضوح مقدار تأخر العرب بصورة تكاد لا تصدق، والحقيقة هي أنه مما يشيع البهجة في النفس أن يتحدث المرء إلى أناس يسرّهم سروراً بالغاً أن يروا الحكومة البريطانية ولا يريدون شيئاً سوى بقاءها.

وبعد تناول العشاء قصّ علينا هو وأولاده قصصاً لا حصر لها عن أيام الأتراك، وكيف كان اليهود والنصارى يعانون من الاضطهاد مقارنة بالمسلمين، لكن المدهش هو كيف أنهم تمكنوا من جمع الثروة وأصبحوا أغنياء، فقد أثروا بصورة من الصور، وأعتقد أن رأس مال عزرا في الوقت الحاضر قد يبلغ العشرين ألف باون أو أكثر...

... [لقد أخبرني خادمي]... بأنه كان وحتى ثلاث سنوات مضت في سلاح الخيّالة التركي (والذي كنت أعرفه سابقاً) وقبل الاحتلال الإنكليزي حدث شجار بينه وبين ثمانية من رجال الشرطة الأتراك كان نتيجته أن قتل اثنين منهم وألقى بهم في النهر.. لقد حاولوا سلبه في ذلك الوقت، وقد تمّ إلقاء القبض عليه وأرسل إلى بغداد حيث صدر الحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً، وعند دخول الإنكليز كان قد أمضى من محكوميته ثلاثة أشهر فقط، فخرج هو وبقية السجناء منطلقين لمواجهة الإنكليز. وقد ذكر بأن أسوأ شيء هو أن الأتراك أخذوا معهم عند رحيلهم جِمالَهُ الخمسة، وفرساً جيدة، وقد كان يرجو أن يعتني بهن عناية مناسبة في حالة بقائهن. وقد كانت خسارته تقدّر بمائتي باون أو أكثر بأسعار الوقت الحاضر...

(لقد أدى تغيير الخطط إلى ذهاب سوماريز إلى بغداد مع الرائد نوربري، والرسالة التالية تعطي تفاصيل الرحلة والزيارة):

أم البعرور في ٢٥ كانون الثاني (إلى والدته)

... لقد كانت أكثر تجاربي متعة في بغداد هي عندما ذهبت في صباح أحد الأيام لرؤية المس بيل، وجدتها تتحدث إلى سائق جمل عكيلي وصل تواً مع قافلة من وسط الجزيرة العربية. لقد كان رجل صحراء حقاً بوجهه المتجعد، وقد أخبر المس بل عن كل

أخبار ابن سعود وابن رشيد، وتحدث عن نجد، وهي المنطقة التي غادرها قبل ستة أو سبعة أسابيع مضت. لقد كان الاستماع لذلك الحديث مثيراً للغاية، وكان كلانا يشعر بأن علينا أن لا نبقى جالسين بل يجب علينا أن ننطلق معه ونسافر بلا انقطاع. كانت المس بل قد ذهبت إلى نجد في أوائل عام ١٩١٤ وهي تعرف الكثير من الناس (وقد كانت المرأة الإنكليزية الوحيدة التي كانت هناك وعدد قليل من الرجال المتميزين كانوا هناك أيضاً، وكانت السفرة عبر الصحراء تستغرق بين خمسة عشر إلى عشرين يوماً).

وحتى أنا شخصياً الذي لم أكن أعرف شيئاً قد أصابني الذهول من حديث هذا الرجل المثير... وسأذهب إلى هناك يوماً ما.

(وفي رسالة في التأريخ نفسه إلى السيدة ماري موري يعطي سوماريز مزيداً من التفاصيل وكما يلي):

... لقد غادر إلى نجد قبل حوالي خمسة أسابيع وقطع الصحراء إلى الكويت، ومن هناك ركب السفينة عن طريق البصرة إلى بغداد، لقد كان شيئاً ممتعاً الاستماع إليه وهو يتحدث باللهجة العامية عن ابن سعود وعن ابن رشيد، وكيف حدثت الفوضى عندما ذكر رجل في السوق بأنه نزل من السماء وأنه نبي، وكيف أن ابن سعود جلس وأصدر أحكامه، ولم يعر ذلك أي شخص اهتماماً. إنه رجل ابن صحراء صحيح، وذو ملكة كلامية عجيبة، وإمكانية كبيرة على الوصف (كبقية العرب)، وقدرة هائلة على تصوير الأحداث. وعندما طلبت منه المس بل أن يحمل رسالة إلى آل سعود فإنه بدلاً من أن يقول:« بكل سرور» أو أية عبارة بهذا المعنى فإنه قال ببطء: «على راسي، على أنفي، على كتفي، على صدري» .

وكانت هذه أول مرة أجلس فيها وأتحدث مع رجل عربي من الجزيرة العربية، على الرغم من أن الفرق بينه وبين الناس في منطقتي كان قليلاً جداً، باستثناء أن لغته بصورة عامة كانت أكثر فصاحة.

(ويستمر سوماريز في الكتابة إلى أمه في ٢٥ كانون الثاني):

لقد تحدثت مع العقيد ولسوف، فقال: بأنهم سيطلبونني بالتأكيد في بغداد، ولكنه سيتركني هنا حتى الخريف لإكمال السنة، والأمر يوجب عليّ ألا أكون على اتصال كثير بمنطقتي، وقلت له بأن الصعوبة قد مرّت وإنني لم أشأ أن أنتقل، وأن هناك المزيد من الوقت للقيام بذلك.

لقد سرّني ما ذكرتِ في إحدى الرسائل حول استذكاري لتمنياتي في عيد الميلاد ١٩١٨، بأنني سأكون مشغولاً في أعمال التعمير.

إنني أقوم الآن بأعمال بناء أكثر من قيامي بأعمال تعمير، وعلى كل حال فإن عملي في الوقت الحاضر عمل مقنع، ويمكن مشاهدة نتائجه.

إن مستقبلنا في العالم الإسلامي هو غير أكيد[1] بصورة تامة، كما أن من المحتمل أننا قد فشلنا تماماً لاستعادة قوتنا، وفي الوقت نفسه فإن مستقبل سياسة جديدة في الشرق الأوسط قد يكون زاهراً، الأمر الذي يعطيني فرصة جيدة لإيجاد موقع جيّد لي فيها، وبطبيعة الحال فإنني أفضل أن أقوم بتعمير إنكلترا، ولكن باستثناء بعض أنواع التربية. ومن على هذه المسافة فإنني أعتقد أن التطوير الاجتماعي يقع كلياً على عاتق العاملين طوعاً مثل حضرتك. ولا أدري كيف يمكن للمرء أن يعمل من أجل التطوير وبصفته المهنية، أي إذا أخذنا الوظائف المدنية أو المحاماة أو الأدب أو السياسة أو حتى الحركة العمالية فكيف يمكن للمرء أن يجعل منها بنّاءة؟.

ومن ناحية أخرى فإنني هنا أقوم بالتعمير طيلة الوقت وإنه لعمل شاق ولطيف.

لقد عدت إلى هنا ووجدت أن داود قد أطلق تسميات على الشوارع، وقد سمّى واحداً منها (شارع الحاكم الكابتن مان) لذا فإن اسمي قد يخلد في العراق. إننا نثبت الأسماء باللغتين الإنكليزية والعربية..

لقد حصلت على مبلغ خمس وعشرين ألف روبية لصرفها على أعمالي في منطقة القضاء.

لقد أعلن خادماي عن نيتهما في الذهاب معي إلى لندن عند عودتي، وقد بيّنت لهما بأنني لا أستطيع تحمل ذلك، ولكن ذلك لم يغيّر من تفكيرهما قليلاً..

أم البعرور في ٢٥ كانون الثاني (إلى الآنسة أ. م. روث)

... نحن الآن حسب التقويم العربي في الشهر الثاني من الربيع، ولكن الريف يبدو وكأنه في الخريف، فالصفصاف والحور تكتسي لوناً ذهبياً، ورائحة الأوراق اليابسة تملأ

---

(١) يبدو تشاؤمه ومخاوفه، وبأنهم غير موفقين باحتلالهم للبلاد الإسلامية، وبقاؤهم غير مؤكد، ومستقبلهم مجهول تحوطه المخاطر.

الهواء، وتهب الرياح القارصة البرد صباحاً، والنهار صحو، والشمس دافئة، كما أنه لأمر لطيف أن يشعر المرء بأن الليل قد أخذ بالطول..

غماس في ١ شباط (إلى والدته)

جئت هنا بجولة مع الميجر الذي يقوم بتفتيش الأعمال العظيمة التي تجري في المنطقة... وقد تفقدنا صباح أمس جميع التحسينات التي أُدخلت على البلدة، فرأينا السوق الجديد الذي أنشأته فأدى إلى هبوط الأسعار، وتقوية جبهة النهر بأربعة سلالم تؤدي إلى النهر، والعبّارة الجديدة، وفتح الشوارع، والنظافة العامة، وأخيراً السدّة المقامة لدرء الفيضان التي يبلغ طولها ميلاً ونصف الميل والتي تدور حول البلدة وبساتين النخيل الموجودة خلفها. وقد سُرّ الميجر للغاية بذلك. وبعد أن تناولنا الغداء ركبنا إلى هنا فوصلنا بارتياح مع مغيب الشمس وقد تناولنا العشاء في مضيف السيد محسن الذي كان غاية الأبهة والهيبة القدسية.

وقد تجولنا صباح هذا اليوم العمل العظيم الذي يتم إنجازه هنا، وقد كان حقاً عملاً ناجحاً للغاية. لقد اصبح نصف المدينة خالياً من الأوحال والمستنقعات، وليست هناك أية روائح نتنة على الإطلاق. أما بالنسبة للنصف الآخر من المدينة فإن العمل لازال فيه جارياً. إن الحماس الأول قد فَتَر إلى حدّ ما، والعمل يسير بكل راحة، كما أن حوالي نصف الحمير أنهكت من العمل، وكان يجب عليّ أن أعيدها إلى أصحابها لتستريح، ومع ذلك فإن التغيير الحاصل كبير جداً، والشيء المهم أن ذلك قد ترك آثاره الطيبة على مشاعر الناس.

وفي الوقت نفسه، ونتيجة للإصلاح في مجال البلديات فإن أرباح البلديات الشهرية قد تضاعفت تقريباً. والفضل يعود في ذلك أساساً للترتيبات الجيدة التي قام بها داود.

وبعد أن شاهد الميجر كل ذلك ذهبنا لتناول الغداء عند أحد الشيوخ، وكان يعيش على ضفاف بحيرة كبيرة فيها أعداد هائلة من البط، وهناك حاول الميجر أن يصطاد البط وهو في الزورق، وبالنظر لوجود ريح قوية لم يصطد سوى بطة واحدة، وقد كان يوماً سعيداً. وبعد الغداء ذهبنا لرؤية أحد السدود الجديدة التي أمرت ببنائها بدلاً عن السد الذي تهدّم في السنة الماضية، وقد كان عملاً في غاية الإتقان...

وعند صباح يوم غد سنعود بالمركب إلى أم البعرور، ونقوم بجملة أعمال، وربما نمر في طريقنا بأحد الشيوخ، وفي اليوم الذي يليه سنخرج لمشاهدة أعمال الحفر التي تجري استعداداً لزراعة الأرض بالرز. وسنقوم يوم الأربعاء مرة أخرى بنفس البرنامج ولكن على الضفة الأخرى من النهر ونتناول في كل مرة الغداء في أحد المضائف..

إنه ليسعدني أن يكون الميجر معي، كما أن له عندي كثير من الأمور ليشاهدها حيث أن آخر زيارة له لهذا المكان كانت في شهر تشرين الأول الماضي، إذ أن الكثير في العمل قد تم إنجازه خلال هذه الفترة. وبطبيعة الحال فقد كنت محظوظاً من الناحية العملية أن أجد أرضاً بكراً للعمل عليها، حيث كنت أول حاكم بريطاني في المنطقة، وقد كانت هناك ولازالت الكثير من الأمور التي يجب القيام بها والتي يتطلب إنجازها بذل جهود مضنية من أجل تحقيق نجاح في العمل، وبالتأكيد فقد حققنا النجاح، أما القضاء الآخر وهو الشامية الغربية فقد كانت تلقى عناية جيدة في الماضي، لذا فإنه لا يوجد الكثير مما يجب القيام به.

أم البعرور في ٢ شباط

وبعد أن أمضينا أربع ساعات في المركب، عدنا، وكان الجو صحواً، والريح شمالية باردة، فما أحلى العودة والجلوس قرب موقد النار.

أم البعرور في ٤ شباط (إلى السيدة ماري موري)

استلمت في بريد اليوم صحفاً إنكليزية وفيها أخبار وتعليقات عن (مذبحة أمرسار)، لقد ذكرت أن السير موري يقول عن عملي بأنه رهيب، حسناً، إنه كذلك، فإذا عاملت (رعيتي) - كما يسمون أنفسهم هكذا - كما أعامل الإنكليز، فسيكون من المستحيل علي القيام بكل ذلك.. فهل أن الجواب المناسب لمثل هذا هو أن يرفض المرء مثل هذا المنصب على اعتبار أن وجود حاكم أجنبي يعتبر إما أمراً مستحيلاً أو غير صحيح.

عندما كنت ذاهباً من البيت إلى الدائرة عصر هذا اليوم اندفعت ثلاث نساء نحوي وأمسكن بساقي وذراعيّ وأجزاء أخرى من جسدي متوسلات إليّ لإطلاق سراح أبنائهن وإخوانهن وأزواجهن والذين كان خمسة منهم في الوقت الحاضر في سجني بتهمة سرقة الخيل. وقد استطعت أن أمنعهن من تقبيل أقدامي دون استخدام العنف،

(وقد ساعدني في ذلك ولد صغير، وأحد العاملين في دائرتي) ولكني أعترف بأنني تأثرت بعد ذلك كثيراً، كما أن دموع النساء العربيات تسبب إحراجاً كبيراً للرجل الإنكليزي.

إن أحد موظفينا في النجف، وهو رجل مصري ممتاز[1]، كان قد خلّد بداية اشتغاله في هذا القضاء، في نهاية عام ١٩١٩ بقتل أكثر من (٣٠٠٠) كلب في البلدة التي يبلغ عدد سكانها (١٥٠٠) نسمة تقريباً. وقد ساءت صحته أخيراً مما استوجب منحه إجازة لمدة شهرين، وأن أمر عودته إلينا لمشكوك فيه. لقد كان الخدم هنا يتكلمون عن مرضه قبل بضعة أيام، فقال أحدهم بكل جدّية:«لاشك أن الله سبحانه وتعالى قد ابتلاه بهذا المرض لأنه أمر بقتل كل هذا العدد من الكلاب» .

لو استطعت أن أترجم حرفياً لكِ الأمور التي تقال لي يومياً وإجابتي عليها، ستتملكك الدهشة، فكثير من العبارات لا تتعدى في معناها الحرفي ما نعنيه في لغتنا بعبارة «في أمان الله»، وما زال خادمي الصغير وهو غلام يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً يواجهني دائماً عند عودتي من غياب يوم يكثر قائلاً: «بارك الله بك» ويضيف الفراش قائلاً: «أسعدك الله» وعندما يأتي البدل من قيادة الفوج في أبي صخير لتغيير الحرس في دائرتي فإن رئيس الحرس يأتي دائماً ويقبّل يدي، وهذا إجراء مقدس يمارسونه عند قدومهم. وعندما أقول لشخص يلتمس طلباً، بأن ما يقوله ليس صحيحاً تماماً، فإنه يردّ قائلاً: «لا والله، إن قسمي برأسه أيها الحاكم». وعندما يُتَهم سيّد بارتكاب أية مخالفة وتثبت براءته فإن مساعدي يخاطبه قائلاً له بشكل أو بآخر ما يلي: «لمثل هذه المخالفة كان يمكن أن تودعَ السجن لمدة عشر سنوات، ولكن سيادة الحاكم ذو قلب طيّب وشغوف، ويعلم أنك سيد ابن رسول الله... الخ....». وهذا لأن جميع السادة (الذين تمتلئ منطقتي بهم) يقولون بأن نسبهم يعود إلى الإمام علي. صهر النبي محمد.

وختاماً فعندما أواجه بعبارات التملق (إذ ليس بإمكان العربي أن يكلم الحاكم دون أن يستخدم خمسين من أكثر العبارات تملقاً)، ولو تذكرت طبائعي الحميدة لهتفت بصوت عال (أستغفر الله).

وبقي أن أضيف ما ربما كنت قد ذكرته لكم من قبل، إن الناس هنا لا يهتمون كثيراً باسم الله، وربما كان ذلك ناشئاً عن ترديده في أفواههم على الدوام. وإن اليمين الوحيد الذي يُلزِم الرجل هو القسم بالعباس بن علي، عندما يتم في ضريحه الموجود في كربلاء،

---

(١) يقصد غاوي المصري.

حيث أن الناس على الدوام يقدمون العرائض بإحالتهم هم وخصومهم لأداء اليمين في كربلاء، وإذا صدرت لهم الأوامر بذلك فإنهم يذهبون في الحال، ومتى فعلوا ذلك تقبل أقوالهم بالتأكيد، بينما لا يعبأ بأي يمين آخر مطلقاً.

إن المذهب الشيعي آخذ بالخفوق، وهو يدعو إلى التخلف، كما أنه بالتحديد ضد الإنسانية من أولها إلى آخرها، إنه بلاء على وجه الأرض، حيث لا يتذكر أحد أي شيء من تعاليم النبي الأخلاقية، وكلمة (الله) كلمة عديمة المعنى، كما أن جميع التعابير التي اقتبستها من قبل وجدت أنها من بقايا لغة البادية الحرة التي كان يتكلمها العربي قبل أن تفسده ثمار فتوحاته، وخاصة أسوأ نواحي الديانة الفارسية. إن قسماً من القرآن بديع جداً، وهناك شيء من الأمل في أهل السنة، غير أن الشيعة كما يبدو لي قد فسدوا منذ البداية، وهذا سبب كون الفلاح أحسن وأنزه من الشيخ والسيد، نظراً لكون معلوماته الدينية معلومات ضحلة نوعاً ما[1]...

سأقدِمُ في إجازة في آب عن طريق حلب، ولكنني أعتقد أن ذلك غير محتمل.

أم البعرور في ٥ شباط (إلى والده)

لقد سافر داود صباح هذا اليوم بزورقي البخاري، وسيصل بغداد غداً... سأفتقده كثيراً في الواقع، كما أن العمل سيتأثر بطريقة أو بأخرى، ولكن ذلك سيكون بالنسبة لي تجربة لاتُقدَّر بثمن، حيث يجب عليَّ الآن أن أعمل وأعرف كل شيء بنفسي...

لديَّ عطلة مرة أخرى وسوف أقوم بجولة غداً تستغرق ثلاثة ليال كما أعتقد، لأقابل قبل كل شيء رجلاً لطيفاً طاعناً في السن يدعى (ودّاي) وهو يعيش على مسافة تقرب من اثني عشر ميلاً إلى الشمال، فيما يقرب من الكوفة، وهو شيخ قبيلة صغيرة اسمها (آل علي) وله قطعة ممتازة من الأرض لم يحصد منها في البضع سنوات الأخيرة أي حاصل كان، بسبب الفيضان وأحوال الحرب على الأكثر، وعلى هذا فقد ساءت حالته هذه السنة وأرضه بحاجة إلى كثير من التعمير والتعديل. وقد تعهد بذلك واستحصلت له مساعدة من الكوفة. لذا فإن زيارتي ستكون للراحة...

(١) نموذج آخر وهو ليس بجديد، فأساليب المستعمرين في فتح أبواب الصراع الطائفي بين أبناء الشعب الواحد سلاح لا يكلف أثماناً باهضة...

... عندما يصبح الشيخ فقيراً بسبب بوار أرضه فإن فلاليحه (المرادف في العراق لكلمة فلاحين) يتركونه ويذهبون إلى مناطق أخرى بحثاً عن المعيشة، ولا يبقى معه إلا عائلته والعائدين لها وعدد من الأقارب (الذين يمتلكون في الواقع الأرض التي تسكنها القبيلة) يبقون معه ويتحملون الجوع والفقر بإباء، أو قد يلجأون إلى السرقة. فإذا حدث وإن حصلت ضربة حظ أو (كما في هذه الحالة) كان الحاكم ذا رحمة فإن الشيخ يحصل على مساعدة لإعداد الأرض وشراء البذور، ويعود (الفلاليح) وتتوحد القبيلة من جديد، وهكذا فإن القوى العاملة تذهب حيث يتم الحصول على العيش اليسير نظراً لقلّة الكثافة السكّانية في البلاد، بالإضافة إلى أن النظام لا يشجع أبداً الزراعة المكثفة، والجهود المبذولة لتحسين الغلة وزيادة المحصول.

وعندما اعتذرت لودّاي عن عدم زيارته منذ مدة، أجابني بابتسامة عريضة: «نحن رعيتك مثل الزوجات، فإذا التفت الزوج إلى واحدة من دون الباقيات تشعر بقية الزوجات بالغيرة والحسد».

إني أتصوّر الآن إنني سأحاول يوماً ما أن أتناول الطعام وحتى أقضي الليلة مع جميع (زوجاتي) وهناك أكثر من خمسين منهن بين شيخ وسركال وسيد، فقد بُتّ حتى الآن في حوالي ١٥ أو ٢٠ مضيف أو أكلت فيها، ولكنني لم أستطع لكثرة مشغوليتي من الذهاب إلى جميع المضايف، لقد كانت هذه هي طريقتي في الاتصال بمعظم شخصيات المنطقة، لأنني عندما أحلّ في أحد المضايف يحضر جميع الناس الموجودين في المحيط للمساهمة في الوليمة. غير أنه هناك عدد كبير من الناس لم أتناول الطعام معهم بعد، وهذه عادة مقدسة جداً عند العرب، ومهمة للغاية...

إن من المستحيل عليّ أن أنزل في أي مضيف في الصباح ولا أبقى إلى الغداء، والذي يُعد حال وصولي سواء قلت بأنني سأبقى أم لا...

لقد تناولت طعام العشاء مع عزرا قبل ليلتين... فقص عليّ قصصاً مثيرة عن الماضي وعن شيوخ منطقتي، وعن الطريقة التي كان يعاملهم بها الأتراك. وكانت أهم قصة تختص بشيخ يسمى عبادي[1]، وهو رجل غني جداً، وشخصٌ مراوغٌ جداً[2]، له معاملات كثيرة معي. فقد وصف لي عزرا كيف أن الحاكم التركي في يوم من الأيام جاء إلى مضيف الشيخ عبادي مع ثلة من الجنود، وطلب منه تأدية ضريبة مستحقة عليه

(١) عبادي آل حسين.
(٢) ماذا ننتظر من الكابتن مان أن يقول غير هذا؟ مع رجل له مواقفه المناوئة لهم.

قدرها (٦٠٠) ليرة. ولم يكن من الممكن في ذلك الوقت جمع هذا المبلغ من جميع القبيلة. فخفّ عبادي إلى عزرا في الصباح الباكر وتوسّل إليه - وهو اليهودي الحقير[1] - بأن يقرضه المبلغ، غير أن عزرا كانت له معرفة تامة بالحاكم التركي، وكانت له معاملات كثيرة سابقة معه، فركب حالاً إلى المضيف حيث وجد الحاكم جالساً على الأرض والطعام مصفوف بين يديه، بينما كان أهل المضيف يتوسّلون إليه أن يأكل منه، لكنه كان يجيب بغضب وحدّه (والبنادق موّجهة على جميع المداخل) بأنه لا يأكل ما لم يستوف الستمائة ليرة منهم، وبذا فقد كان الجو مشحوناً بالتوتّر والذعر، فما كان من عزرا إلاّ أن كتب له صكاً بالمبلغ، فخفّت حدته وصفا الجو. «فتصوّر» قال عزرا: «إن الشيخ عبادي الآن هو غير موالٍ لحكومتكم».

فمن الملّذ على الدوام، أن يتحدث المرء إلى رجل ميّال للبريطانيين من دون شك مثل عزرا...

أم البعرور في ٩ شباط (إلى والدته)

... لقد قضيت يوماً ساراً، وليلتين مؤنستين مع الشيخ ودّاي، عندما ذهبت إليه يوم الجمعة الفائت، إنه رجل مؤنس لطيف وصريح جداً، ومهذب للغاية، ويسعى جاهداً لراحة ضيفه، لقد كانت لي معه تجربة فريدة كالتي وصفها الرحالة دوتي والتي حدثت له في رحلاته في الجزيرة العربية في خيام البدو. لكنني لم أتوقّع أن أجد مثل ذلك مع العرب المتوطنين المتعصبين الموجودين في منطقتي، ومع ذلك يبدو أن عشيرة ودّاي كانت تحتفظ بالشيء الكثير من جو البادية. وها أني أسرد لكم الحادثة كما وقعت على قدر ما يمكن، لكنكم يجب أن تضيفوا إلى الصورة التي تكوّنونها في فكركم عن مشهد المضيف المظلم قليلاً، مع نار حادة تشتعل بالخشب، وبعض الفوانيس أيضاً، وقد خيّم الدخان في أعلى المضيف، وجلس حوالي أربعين أو خمسين رجلاً في جانب من جانبيه وهم يدخنون صامتين.

وقد أخذ ودّاي المسّن يسلّيني، وأنا خجل لعدم تمكني من التكلم والتحدث ولرغبتي في عدم جرح شعوره.

---

(١) من وجهة نظر عبادي.

قال ودّاي: عندي سؤال أوّد توجيهه لسعادتكم وهو: «متزوّج لو بعدك»؟ (وهي صيغة عامية لجملة «هل أنت متزوّج» ؟.

أنا: لم أتزوّج لحد الآن.

ودّاي: لماذا؟ إنك لا تستطيع أن تستمر على هذه الحالة، لماذا لا تتزوج سعادتك زوجة عربية؟.

أنا: لا شك أنه ليس هناك أحد من رجال قبيلتك يسمح لامرأة من أقاربه بالتزوج من رجل غير مسلم، أليس هو نجساً؟.

ودّاي: كلا، إنه ليس كذلك مطلقاً. فإذا وافقت على ذلك فإني سأعطيك بنتاً الآن وفي هذا المكان.

أنا: شكراً جزيلاً، لكن عاداتنا تختلف اختلافاً غير يسير عن عاداتكم، ومن جملة ذلك إننا لا نستطيع أن نتزوّج سوى زوجة واحدة.

ودّاي: حسناً، إذن خذ الواحدة من هنا.

أنا: ولكن لنفترض أنني ذهبت مستقبلاً في إجازة، وأردت أن أتزوّج من فتاة إنكليزية، فماذا ستقول لزوجتي العربية؟.

ودّاي: عندما تذهب للإجازة أنك سوف تطلق زوجتك العربية بالطبع[1].

وعندما ذهبت أخيراً لخيمتي التي أثثها تأثيثاً جميلاً وفرشها بالسجاد والأرائك والمناقل الجميلة لتدفئتي، جاءني قائلاً: هل أنت متأكد تماماً، أنك ترغب في أن تنام وحيداً في فراشك؟.

لقد كان مؤنساً فوق الحدّ بطرق كثيرة أخرى. حيث كان يسألني عن الكيفية التي تجعل زياراتي مريحة للغاية، وظل يقول: هل أنت متأكد بأنني لا أزعجك بالكلام الكثير؟.

---

(١) [وفي رسالة أخرى يقول سوماريز: إن ودّاي أضاف قائلاً: «ولكن فكّر كم تكون مفيدة لك في بيتك» وذكر أيضاً «من ناحية الراحة لا أستطيع أن أجزم بأن تدبير منزلي لا يمكن أن يكون أفضل ببعض التحسينات التي تقوم بها النساء».

وفي الحقيقة فإنني استلمت رسالتك وكنت في طريقي لأن أحسم الأمر. إنني في الوقت نفسه أستطيع أن أطرد خدمي في أي وقت إذا لم اكن أحب وجوههم وأستطيع اختيارهم وبنجاح.

ولكن لو كنت قد قبلت بالزوجة التي عرضها علي الشيخ ودّاي لم أكن أعرف ما يدور حتى بعد توقيع العقد ودفعي للمبلغ المطلوب والذي يتجاوز العشر باونات].

أما عن تقديم الزوجة لي، فيجب أن تتذكري أن ذلك من قبيل الإكرام التقليدي، وأن ذلك بحسب ما أعرف أن الفتاة تعتبر نفسها بأنها قد نالت شيئاً مشرفاً لها، وإنكِ سوف تبتعدين عن الحقيقة إذا استنتجتِ إن ما جاء في القصة يحطّ من شأن النساء في الإسلام...

لقد تسلمت اليوم عريضة تضمنت التماساً غريباً، فقد اشتكى مقدّم الطلب بأن بعضهم قد سرق أغنامه، وهو يعرف من هم اللصوص، وقد ذهب إليهم وطلب منهم أن يأتوا معه لأداء اليمين أمام (سيّد) حول السرقة، ونظراً لكونهم حرّاساً ولأنهم ينتمون إلى طبقة أو عشيرة أو جمعية سرية للصوص المحترفين (الجنابات، الذين كتبت عنهم في تشرين الثاني الماضي) قد وافقوا على مضض ولكنهم قالوا بأنه يجب أن يدفع عنهم أجرة السفر، وهذا يبين عقلية غريبة. إن طول السفرة المذكورة يبلغ حسب ما هو متوقع (٣٠ ميلاً) لذا فإن مبلغ أجرة الطريق لن يكون كبيراً، وقد قدّم الرجل طلباً لإصدار أمر بإرسالهم لأداء اليمين دون إجباره على دفع أجرة السفر، وقد أعطيته ذلك بلا تردد. إنني لا أحب أن أستخدم الإجراءات الرسمية في أمور غير رسمية وأبذل الكثير من الجهود التي تمكنني من الحد من تقليد الذهاب لأداء اليمين أمام (السيد) ولكنه عميق الجذور ولا يمكن التأثير في الوقت الحاضر.

وعودة إلى ودّاي، فقد تناولت عدة وجبات طعام معه، وهو الآن فقير جداً، ولا أتوقّع أن الرز قد دخل إلى مضيفه منذ أمدٍ بعيد، ومع ذلك فقد قدّم لي طعاماً ممتازاً من ضمنه صحنين فيهما لونين جديدين من ألوان الطعام، وكذلك البيض والفطائر المصنوعة من دقيق الرز، ونوع من السبانغ، وقد دلّ على ندرة مثل هذه الوليمة عدد الناس الذين أكلوا من الطعام والطريقة التي أتوا فيها على كل الطعام الموجود، ولقد عددت الذين أكلوا في إحدى الليالي فكانوا (٦٣) بالإضافة إلى طفلين لطيفين هما ولداه الصغيران اللذان يبلغ عمرهما أربع أو خمس سنوات. وقد تم ترتيب الوليمة بالطريقة المعتادة حيث وضع عدد كبير من الصحون حول صحن الرز الكبير الموجود في الوسط، وكانت الوجبة الأولى لتناول الطعام تتكوّن مني والشيخ وولديه وأربعة من السادة الذين كانوا في زيارته والذين جاءوا لإلقاء التحية عند سماعهم بوجودي، وكانت المجموعة الثانية التي احتلّت أماكننا عندما انتهينا من تناول الطعام بعد عشر دقائق أو خمسة عشر دقيقة كانت تتألف من ثمانية أشخاص بضمنهم مرافقي الخيّال (وهو رجل لطيف ذو عين واحدة، وكانت عنده فرس رائعة) بالإضافة إلى أشخاص آخرين من ذوي الشأن، وكانت الوجبة الثالثة تتألف من إثني عشر شخصاً، والرابعة من أربعة عشر حيث لم يبق

آنذاك سوى العظام وقليل من الرز ثم جاءت بعدها مجموعة من الأولاد الصغار الذين كانوا يشعرون بالخجل لوجود الحاكم وتناولت الطعام أيضاً. واستغلّت القطط الثلاث في المضيف الفرصة بين كل وجبة، وتناولت طعامها أيضاً، وقد استغرقت عملية الإطعام لخمسة وستين شخصاً ساعة كاملة...

أما بخصوص رجال الشرطة العجم، فإن النجف التي تعتبر المدينة المقدسة عند العجم، توجد فيها شرطة من العجم (معيّنة من قبلنا)، وقد أخبرتك عنهم وهم أناس طيبون للغاية.

في ٩ شباط (إلى الآنسة بربارة)

.... إنها لحياة رائعة، فعلى الرغم من أن العراق ليس جميلاً فإن الشامية على العكس من ذلك حيث أنها منطقة جميلة للغاية، وهي مليئة عموماً بالناس الطيبين وبالمشاكل أيضاً. ولا أستغرب إذا عاد أخوك (ليونيل سمث الحاصل على شهادة الماجستير ويعمل في مديرية التربية ببغداد) إنه ليسعدني أن أراه مرة أخرى على الرغم من اعتقادي بأنه سيمضي معظم وقته في بغداد. إنني شخصياً لا أشعر بميل تجاه مديرية التربية التي أخذت على عاتقها أهم الواجبات في حالة ما إذا سارت هذه البلاد نحو الأحسن، وسوف تواجه هذه المديرية مشاكل دينية واجتماعية في كل لحظة وكل يوم للسنوات الخمسين المقبلة، ولكني أعتقد أن هذا العمل يعتبر مغامرة كبيرة لكل من يقوم به.

أما فيما يتعلق بحياتي الشخصية فإنها تسير على ما يرام. ولو كان لديّ وقت للتوقف وإلقاء نظرة عليها فسيغمى عليّ من الضحك أو أُصاب بدهشة كبيرة للتغيير الذي طرأ في ذهن رجل لم يكن يعرف قبل سنة مضت إلاّ القليل عن الحكومة، ولا يعرف شيئاً البتة عن الحكومات الأجنبية. وهكذا فإنني رغم ذلك لا أجد الوقت لأتذكر عُشْراً واحداً من الأشياء المضحكة التي تقال لي والأشياء التي أقوم بها كل يوم، كما أن العيش وحيداً يجعلني أشعر بالحاجة لجليس أتحدث معه بعد تناول الطعام حول ما يجري في العمل خلال اليوم.. وخلال فترة العطلة ﴿ من أعمال الحكومة والمحاكم ﴾ أقوم ببعض الأعمال المتعلقة بالشؤون البلدية لاثنتين من مُدني اللتين عمّ الازدهار فيها.

إن الفساد ليسود بين جميع الموظفين العاملين معي وهذا أمر لا يمكن تفاديه، فعندما لا يأخذون نصف رسوم السوق المستحصلة يومياً ويعطون النصف الآخر إلى موظف بلدية المدينة لضمان سكوته، فإنهم يأخذون ضعف ما يستحق عليهم، الأمر الذي قد يجعلني أسجل زيادة كبيرة في العوائد الشهرية، لذا فإنهم بحاجة إلى رقابة.

أم البعرور في ١٥ شباط (إلى والده)

إنك تسأل عن الملح الذي يصيب الأرض، يبدو أن الخبراء يختلفون حول الموضوع، ولكن الأرض يمكن غسلها بنجاح لكي تتخلص من الملح خلال سنتين أو ثلاث سنوات كما يجري ذلك في مصر، وفي الحقيقة فإن العربي يقوم بذلك بنفسه بطريقة بدائية. إن الأرض تتقبل التحول إلى الملح، وفي بعض الأجزاء الصحراوية لمقاطعتي يكون سطح الأرض ناصع البياض إذ تغطيه حبيبات الملح ويشبه تماماً سقوط الثلج. إنه لمن المؤكد أن الأرض لا تنتج غلة كبيرة كما كانت تنتج خلال فترة الألفي سنة قبل الميلاد عندما كانت مساحات واسعة والتي هي الآن صحراء كانت تزرع باستمرار. ويقول أحد المؤرخين العرب في حوالي عام ١١٠٠ بعد الميلاد إن المعلومات تذكر بأن خصوبة الأرض قد انخفضت خلال القرون العديدة الماضية. ومن جانب آخر ومنذ الفتح الإسلامي في القرن السابع أصبح الري يسير من سيء إلى أسوأ حتى قام الأتراك في النهاية بتدمير ما تبقى من نظام الري البابلي في القرن الرابع عشر. ولم يستطع أحد من السيطرة على مياه النهرين.

لقد كانت النتائج السريعة لسدة الهندية[1] وقنواتها هي زيادة هائلة في المحاصيل، وإنني شخصياً لا يخالجني أدنى شك بأننا لو كان لدينا الكثير من السكان، ولو استطعنا الحصول على قرض مقداره حوالي عشرين مليون باون للقيام بأعمال الري الضرورية، لاستطعنا أن نجعل من البلد منجم ذهب خلال سنوات قليلة جداً. إن غياب الأيدي

(١) سدة الهندية: أنشأت لغرض رفع مستوى الماء في نهر الفرات ليسيل في شط الحلة الذي صعب جداً تجهيزه بالمياه الكافية لكثرة الترسبات التي حدثت في مجراه. ففي عام ١٨٨٥م أقيم السد بإشراف المهندس الفرنسي المسيو شندنفير، ولعدم سيطرته على مقاومة تيار الفرات السريع، فقد شيد عجلة السد الحالي بهندسة ومعرفة المهندس الإنكليزي الشهير السير وليم ولكوكس الذي جاء إلى العراق بتكليف من الحكومة العثمانية لدراسة مشاريع الري فيه، وأوصى وصايا عديدة نفذ منها مشروع سدة الهندية الحالي، وقد شرع فيه بأوائل سنة ١٩١٠ بتعهد شركة جاكسون الإنكليزية، وجرى حفل تدشينه في ١٩١٣/١٢/١٢، وتتألف السدة من ٣٦ فتحة عرض كل فتحة ٥ أمتار، إضافة إلى إنشاء صدر لشط الحلة يتألف من مقدم السدة ويضم ٦ فتحات عرض كل فتحة ٥ أمتار.

العاملة وعدم وجود الشخص المتحمس لإقراض النقود في الوقت الحاضر يجعل العمل بطيئاً ولكني أعتقد أنه سيُجدي نفعاً على الرغم من أنه سيكون لبعض الوقت عملاً مكّلفاً، نظراً لحالة الاضطراب التي تشهدها دفاعات حدودنا الشمالية. وعلى الرغم أيضاً من البلد غني جداً في الحقيقة، في بعض الأمور فإنه يفتقر كلياً إلى مواد أساسية مثل الخشب والحجر والمعادن باستثناء مقاطعة الموصل البعيدة. كما أن تحسين المواصلات يتطلب وقتاً طويلاً، حيث أن المواصلات رديئة جداً.

لديّ عمل أكثر بكثير من أن أستطيع القيام به في الوقت الحاضر، كما أن افتقادي لداود في ازدياد كل يوم. إن عملي مزعج، كما أن أمامي عدداً من المشاكل التي لا يمكن بشكل أو بآخر حلها.

عندما كنت أمس في جولة في أبي شورة كان يجب عليّ محاكمة أحد صغار الشيوخ لارتكابه مخالفة خطيرة وهي مقاومة أمر الحكومة بالقوة المسلحة. لقد كان الأمر عداء عشائرياً محضاً، وهو من آثار قتالٍ دامٍ مرير مزعج امتد عبر سنين عديدة. ولحد الآن لم تطلق أية رصاصة. وقد أصدرت عليه حكماً بأن يقوم بتسليم مائة مسدس ومائة خنجر خلال مدة خمسة أيام، أو يتم سجنه بخلاف ذلك، وقد أنكر امتلاكه لأي مسدس لذا أرسلته مباشرة تحت حراسة مشدّدة إلى النجف. وهكذا جاء شيخه الكبير إليّ حالاً وعرض عليّ ضماناً بتقديم الخمسين مسدساً والخمسين خنجراً، فقبلت ذلك وأمرت بعودته.

ثم كان عليّ أن أقوم بمحاكمة أربعة من لصوص الخيول في قضية مزعجة مضت عليها ستة أسابيع. وقد حكمتُ على ثلاثة كانت الأدلّة ضدهم واضحة. ولكن العرب أناس لم أرَ أكذبُ منهم، كما حكمتُ على أحدهم بالسجن سنتين، والآخر سنة واحدة، والثالث ستة أشهر، وقمت بإرسالهم جميعاً إلى النجف.

إنني أكره أعمال القضاء وتكاد أن تتملكني الرغبة في أن أطلق سراح أي شخص يدعي بأنه بريء. ولكننا نعاني من مشاكل كثيرة مع اللصوص في هذه الأيام ونظراً لأن هؤلاء الناس يحترفون مهنة السرقة فإن المحتمل أن يكونوا من المذنبين.

لقد ركبت في يوم الجمعة إلى حدود منطقة الحلة لمقابلة أحد المسؤولين عن الحلة، وذلك حول موضوع خلاف حول حدود المنطقة. لقد كان عملاً مثيراً، فقد كان موعدنا

عند تلّ مرتفع منعزل في الصحراء يسمّى تل أبو الذهب[1]، وهو بلا شك يمثل موقعاً لمدينة بابلية، وحينما اقتربت من مجموعتي المكوّنة من سبعة أو ثمانية شيوخ وغيرهم من هذا التل شاهدنا فجأة من بعيد على جانبنا حوالي خمسة عشر خطّاً أسوداً مُتأرجحاً في السراب، وقد اتضح أنها كانت المسؤول وأتباعه الذين وصلوا بالضبط بنفس وقت وصولنا. لقد كان توقيتاً جيداً. فنزلنا وجلسنا على التل، وقد فشلنا تماماً في التوصل إلى قرار حيث أنني اختلفت معه حول مسائل جوهرية، ولكني اكتشتف بأنه كان إنساناً لطيفاً للغاية، وإنه كان معي في أكسفورد وكان يعرف جيداً (فريدي أوكلفي) من (باليول) والذي يقوم الآن بالتدريس في (ترنتي). وقد جلب معه قنينة من البيرة.

وافترقنا حوالي الساعة الثانية بعد الظهر، وركبت عائداً، ونمت تلك الليلة في النجف. وعدت إلى هنا من أبي شورة هذا الصباح قاطعاً مسافة تقرب من ستة عشر ميلاً في ساعة واحدة وثلاثة أرباع الساعة، وهذا رقم قياسي في السرعة. لقد حصلت على فرس رائعة الجمال، يبعث ركوبها السعادة في نفسي، وعند عودتي وجدت هنا الكثير من عمل الدائرة، فأمضيت اليوم كله في إنجازه، وسأذهب غداً إلى منطقة تبعد حوالي ثمانية أميال على الحدود الشرقية لمنطقتي لمواجهة الضابط السياسي للديوانية لأبحث معه إحدى مشاكل الري، أما يوم الثلاثاء فسأكون حراً من الأعمال، وسأعقد صباح يوم الأربعاء عدة اجتماعات مع حوالي عشرين شيخاً، وسأذهب عصراً إلى غماس حيث يحتمل أن أبقي يومي الخميس والجمعة، كما أنني أتوقع يوم السبت حضور الميجر نوربري، ومسؤول الري للبقاء بضعة أيام...

أم البعرور في ١٧ شباط **(إلى أخته)**

... بإمكاني تزويدك بالكثير من المواد في مجال العمل بحقل المالية العامة، وخاصة بعد أن قمنا بإعداد ميزانيتنا. إن ثلثها أو بالأحرى في هذا القسم يمثل ٣٠ بالمائة يمكن أن يبدو للوهلة الأولى نسبة عالية جداً. ولكن يجب أن نوضح بأن جميع الأراضي تملكها الدولة وأن الضريبة التي تشكل ٣٠ بالمائة تتضمن مبالغ الإيجار. لقد كانت مطالب

---

(١) تل أبو الذهب: هناك موقعان أثريان بهذا الاسم:
أحدهما: في أراضي الزرفية ـ ناحية الطليعة اليوم ـ التابعة لقضاء الهاشمية، محافظة بابل.
والآخر: بين منطقة الهور والعجيز، وكلاهما ـ كما يظهر ـ ينطبق عليهما المقصود، حيث أنهما في حدود المنطقة المشار إليها، وهما يعودان لفترة العصر البابلي الأخير والاسلامي ٦٠٠ ق.م ـ ٦٠٠ م.
«انظر: المواقع الأثرية في العراق ـ مديرية الآثار العامة ١٤٦».

الأتراك الضريبية تختلف حسب المناطق، حيث كانت تبلغ في بعض الأماكن ٤٧ بالمائة ولكنهم لم يستطيعوا أبداً أن يستحصلوا أي شيء في أي من المقاطعات نظراً لكثرة عدد الموظفين الذين يجب تقديم الرشوة لكل واحد منهم. ومن الثلاثين بالمائة التي نحصل عليها ندفع لجميع الشيوخ والسراكيل نسبة ثلاثة بالمائة وعموماً (يبقى لدينا فقط ٢٧ بالمائة) وذلك كنوع من المكافأة لهم لدقة مواعيد دفعهم ولسلوكهم العام الجيد، وبالمقابل فإننا نلزمهم بإلقاء القبض على المجرمين وإنجاز الأعمال العامة التي نطلبها منهم بين وقت وآخر.

إن هذا الترتيب الأخير في الوقت الذي يكون فيه من حيث المبدأ سيئاً للغاية لجملة أسباب يصعب شرحها فإنه مفيد جداً في بعض الأحيان، وهو بالتأكيد يجعل سيطرتنا قوية على (الرؤساء). ونظرياً فإنني أعتقد بأن الأتراك قد سمحوا بذلك حيث أن الحكومة كانت تمتلك الأرض ولا تأخذ شيئاً من ثلث إلى نصف المحصول، وكانت مسؤولة عن القيام بأعمال الري الضرورية، ولكن من الناحية العملية لم يقم أحد بذلك. إنني أعتقد أن على الحكومة أن تقدم مساعدة في الأمور المهمة تصل إلى الثلث، وقد قمت بتطبيق ذلك إلى درجة أنني أقوم الآن بصرف حوالي عشرين ألف روبية حول تحسينات تبلغ قيمتها حوالي مائة ألف روبية، ولكن فيما يتعلق بسدود الفيضان فإن القبائل تقوم بالكثير من العمل الضروري في هذا المجال سنوياً دون تشجيع لمعرفتهم بأن ذلك في مصلحتهم، حيث أنهم بدونه سيغرقون، إننا نأخذ فقط ثلاثين بالمائة من مجموع محصول الحبوب ومطالبنا عن التمور والفاكهة والخضراوات أقل من ذلك بكثير. ويدفع مبلغ قدره ثمان آنات سنوياً عن كل رأس غنم.

إن لدى العرب العديد من الطرق لجمع المبلغ، نظراً لسهولة زراعة الخضراوات، ولأن الأغنام والبقر والحمير لا تحتاج إلى طعام عدا التبن، إضافة إلى ما يمكن أن تحصل عليه، إن هذا الأمر يجعل من نسبة الثلاثين بالمائة التي نطلبها ليست صعبة. إن الأمر بلا شك يصبح صعباً عندما تقوم باستحصال ضريبة الدخل، حيث أن التقدير صعب للغاية. لقد حاول الأتراك ذلك ولكنهم فشلوا، وأعتقد أننا الآن نبحث في التفاصيل. وبطبيعة الحال فإن الفلاح في الوقت الحاضر وهو أقل المستفيدين يكاد يدفع كل تكاليف الدولة في الوقت الذي لا يسهم فيه التاجر بشيء يذكر من الضرائب المباشرة وهو أكثر الناس استفادة من الدولة، ويزداد غنىً باستمرار نظراً للأسعار السائدة في العالم حالياً. ولكن من الصعب التصرف بضريبة الدخل دون وجود المصارف والمحاسبين وغير ذلك.

... إنني أحيا حياة ملؤها النشاط والجدّ حالياً، ولكنني رغم ذلك ازداد سمنة. لقد ركبت يوم الخميس مسافة ١٦ ميلاً، ويوم الجمعة ٢٢ ميلاً، ويوم السبت ٨ أميال، ويوم الأحد ١٥ ميلاً، ويوم أمس حوالي ١٨ ميلاً، أي ما يقرب من ثمانين ميلاً خلال خمسة أميال، وهي على الرغم من كونها ليست مسافة طويلة فإنها تصبح مرهقة إذا ما صاحبها عمل متعب كثير...

لقد كان لدي عمل متعب كثير مؤخراً من النوع الذي لا يمكن إيجاد حلّ له يرضي الجميع، وقد حضر عندي بعض الناس من مثيري المشاكل حول قضية زواج والتي تكون قضية مثلها مفرحة في بريطانيا، ولكنها غير مريحة من وجهة النظر القبلية. لقد ادعى أحد الموظفين الصغار الذين يعملون معي بأنه قبل سنتين مضت خطب فتاة (وقد دفع سياقها إلى أبيها) ولكن عشيرة البنت اعترضت على أساس أن الفتاة قد أعطيت إلى شخص آخر كجزء من فصل دُفع بَعد جريمة ارتكبت. وقد تم استدعاء والد البنت إلى هنا، حيث قال بأنه يريد تزويج البنت إلى الموظف ولم يحضر المشتكون.

ولكي نضمن سلامة القضية فقد أرسلنا العريس المتوّقع والبنت والأب إلى المحكمة الشرعية في الكوفة (والتي تعرف باسم الشرع والمعترف بها من قبلنا) وذلك من أجل الحصول على القرار. وقد قرر حاكم الشرع (وهو من رجال الدين في النجف) بأنه لا يوجد مانع من الزواج، وأصدر بعد ذلك أمراً يؤكد قراره، وهكذا تحقق الزواج.

وقد حضر اليوم شيخ العشيرة الرئيسي وشيخ آخر، وتبدو عليهما علامات الحزن وقالا بأن ذلك لا يمكن أن يتم. وأن القبائل لا تستخدم المحاكم الشرغية وحاكم الشرع، ولا يمكن أن تسمح بذلك، لأن مثل هذه القضايا يجب أن تُحل حسب التقاليد العشائرية. وقد أجبت بأنني أعرف كل شيء عن التقاليد العشائرية، وأن بعضها جيد والبعض الآخر رديء للغاية، وأن من الأفضل لهم التوقف عن إعطاء النساء كجزء من الفصل، وأن الحكومة البريطانية سوف لن تعترف بذلك. لذا فقد قال الشيخ بعد ذلك أن مجرد فكرة أخذ رأي المرأة نفسها (وهو ما ذكره داود سابقاً) كان أمراً صعباً، وأن استشارة المرأة في مثل هذه القضايا تعني نهاية العالم. كان هذا ما قاله الشيخ الكبير، وكان كل ما قاله الرجل الصغير هو (إن جنابكم لا يمكن أن يرتكب الخطأ، ولكننا نحن الغشائر لا نعترف بمثل هذه الأمور). وعندما قمت بإسكاته كنت بطبيعة الحال في موقع القوة بسبب قرار الشرع، وقد غادر الإثنان وهما في غاية الاستياء.

لقد قمت بعمل جيّد آخر، فقد جاء رجل محافظ لطيف، وذكر بأن بعض الناس يلعبون القمار دائماً في المدينة، وهم بذلك يسلبون عوائلهم كل نقودها، وأن هذه تعتبر فضيحة عامة تؤدي بالتأكيد إلى قيامهم بالسرقة. إن القمار محرم عند المسلمين بطبيعة الحال، كما أن القانون العثماني يمنعه، لذا فقدتم جلب أربعة منهم أمامي وهم في غاية الخوف. وقد أعطوا تعهداً بأنهم سيُودّعون السجن ويدفعون غرامة كبيرة إذا قبض عليهم يلعبون القمار مرّة أخرى.

لقد قرّرت بصورة قاطعة بأنك يجب أن تأتي إلى هنا في شهر تشرين الأول القادم، وأنك من الأفضل أن تتعلمي حالاً كيف تركبين الخيول.

أم البعرور في ٢٠ شباط (إلى والدته)

... إن الميجر ومسؤول الري قادمان إلى هنا بعد يوم غد واليوم الذي يليه، وسوف نذهب إلى مسافة حوالي ثمانية أميال شرقاً إلى مكان على حدود الديوانية حيث نقابل هناك الكولونيل هاول[1] والضابط السياسي للديوانية[2] لمناقشة مشروع كبير وحيوي للغاية لاستصلاح مساحة كبيرة من الأرض ونشر زراعة الرز وإيصال الماء إلى المحاصيل الشتوية على مساحة واسعة من الأرض في جانب الديوانية. إن للمشروع فوائد كبيرة لي، حيث أنه سيمكنني من فتح طريق إلى الديوانية بتكاليف قليلة. وقد عدت من الديوانية إلى هذا المكان في اليوم التالي خلال ساعة واحدة وأربعين دقيقة، وكانت المسافة ٢٣ ميلاً. وقد جئت بالسيارة إلى نقطة تبعد حوالي سبعة أميال من هنا، وركبت الفرس لبقية الطريق إلى البيت. لذا فلو كان بالإمكان إيصال طريق السيارات إلى هنا فإن هذا المكان سيشهد تطوراً هائلاً. بالإضافة إلى ذلك فإنني سأكون على تماس مباشر مع الحضارة.

إنه لأمر متع أن نشاهد التطور الذي يشهده البلد خمس سنوات في مجال الطرق والسكك وغيرها. هل أخبرتك بأن داراً للاستراحة ستفتح قريباً عند تقاطع أور؟ إنه المكان الذي عاش فيه إبراهيم.

[ويعطي سوماريز المزيد من التفاصيل عن قضية الزواج في رسالة لاحقة].

---

(١) الكولونيل هاول: ناظر الواردات في إدارة الحاكم الملكي للعراق، وهو الذي اقترح تثبيت حدود ملكية الأراضي وتنظيم سجلات لها تحفظ حقوق أصحابها، أيضاً اقترح تنظيم ضريبة الأرض على أسس وضوابط أطلق عليها العامة (خمس الميري)، وضريبة التمور وغيرها من المقترحات.

(٢) الميجر ديلي.

أم البعرور في ٢٧ شباط (إلى الكابتن ف. بينز)

إنني مشغول في قضية زواج مربكة، إنها مسألة معقدة للغاية، ولكن أحد الشيوخ وبمساندة رجل كبير هو رئيس عشائر بني حسن (علوان الحاج سعدون[1] الذي ربما سمعت عنه عندما كنت في النجف)، ادعى بأن البنت موضوعة البحث قد أعطيت لرجال قبيلته كفصل... ولكني رفضت طلب دفع الفصل، وأمرت بعقد الزواج بينها وبين شخص آخر بموافقة أبيها، وبحكم فتوى من العالم الشيعي في الكوفة. وعلى هذا فقد ذهب علوان وشنّع بالموضوع في النجف دون التعرض لقضية الفصل قائلاً: إن القضية إذا لم تعكس فستؤدي إلى سفك الدماء. وهكذا فقد صدرت لي الأوامر لعقد مجلس للشيوخ لحسم القضية بحسب التقاليد العشائرية.

... إن هذه مهمة صعبة ومقيتة للغاية.... إنني مصّر على عدم التوقيع على أي حسم للفصل يتضمن المساومة بالنساء. وليس ذلك بسبب أن النساء يعرن اهتماماً للموضوع، لأنهن لا مجال لهن في الاختيار بكلا الطريقتين، وإنما هناك أسباب كثيرة عندي تدل على أن علوان غايته إحداث المشاكل والقلاقل...

لقد عدت إلى هنا يوم أمس بعد غياب ليلتين، فوجدت أن اللصوص كانوا قد حفروا الجدار، الذي يفصل بيتي عن مكان الخزينة المدنية والتي تحتوي على حوالي خمسين ألف روبية، وأحدثوا فتحة من خلاله، ولكنهم تركوها دون أن يخلفوا أثراً... وقد قام الجنابيون الذين يعملون معي بإلقاء القبض على ستة أشخاص عُثر في بيوت ثلاثة منهم على أدوات حفر وبعض الممتلكات المسروقة، أما الآخرون فلم يكن ضدهم أي دليل سوى أنهم من الناس الذين يقومون بهذا النوع من السطو. وكما أوضح موظف البلدية فإن هذا العمل لا يقوم به إلا لصّ من الطراز الأول يغامر في الدخول إلى بيت الحاكم ويحاول سرقة الخزينة، وليس من نوع الرجال الذين يسرقون الخيول والأغنام وغيرها من الأشياء الصغيرة. وقد طلبت منه إبراز بعض الأدلّة ضد المعتقلين

(١) علوان الحاج سعدون: رئيس قبائل بني حسن، وكانت تشمل سيطرته معظم القبائل الشامية من نفس مركز قضاء الشامية إلى ناحية الكفل تقريباً. وقد بلغ من سعة سلطته إلى أنه عهد إلى أحد عبيده المسمى (طرخان) حكم قصبة الكوفة، وقد حكمها هذا العبد طوال مدة الفترة. وفي أيام نفوذ الشيخ علوان إن قبائل بني حسن كانت تشمل أيضاً قبيلة الحميدات والعوابد وآل علي. وكان ذا شأن كبير فقد شارك في حرب العراق عام ١٩١٤ بمنطقة العمارة. وله دور بارز في الثورة العراقية بحيث لا يمكن أن يستغنى عنه في حركة خطيرة كتلك الحركة، إذ قاد عشائره التي تمكنت من محاصرة الكوفة ومشاغلة الحامية المحصورة فيها.
«انظر الحقائق الناصعة في الثورة العراقية للفرعون، وعلى هامش الثورة العراقية لفراتي».

الستة ولكن لم يكن هناك شيء سوى أدوات الحفر. لا أعرف ما أعمله بهم، وهذه مشكلة طفيفة أخرى. ولكن هناك الكثير من الأمور المزعجة الأخرى التي ظهرت بعد ذلك.

إن نقطة الضعف في تقاليد القبض على اللصوص قد بانت.

[ويكتب سوماريز إلى السيدة ماري موري في ٢٢ شباط قائلاً:]

إن طريقة استعادة (الممتلكات) هي تحديد اللص (بطريقة لا يعلمها إلاّ الله) وبطبيعة الحال فإن اللص ينكر التهمة ويخفي كل الآثار ويذهب بعد ذلك الشخص الذي وجّه التهمة، والشخص المتهم باللصوصية والحارس إلى كربلاء (سفرة يومين أو ثلاثة) حيث يجري أداء اليمين بالعباس بن علي، فإذا أقسم هناك بأنه لم يسرق الأشياء المطلوبة يطلق سراحه. إن هذا القسم بالعباس والذي يؤدى في الضريح في كربلاء هو القسم الوحيد الذي يعترف به الشخص العربي الاعتيادي، وإن أي حنث بالقسم نادر الحدوث للغاية.

لقد ذهب حارسي أمس لإلقاء القبض على شخص مشتبه به ووجد في بيته بعض الممتلكات المسروقة، وقد أقسم بالعباس بأنه لم يأخذها، إن الحنث بالقسم له وقع في نفس الحارس.

إن حراسي يتملكهم الغضب، ويريدون إنزال العقاب الصارم بحق الرجل ولكني لا أعتقد بأن المحكمة ستعتبر ذلك الحنث بالقسم أسوأ من غيره من المخالفات. وبالتأكيد فإن المحكمة مخطئة إذا لم تأخذ بنظر الاعتبار درجة خطورة هذا الأمر، حيث أن اليمين بالعباس هو الأمر الوحيد الذي يعتمد في حالة السرقات، أما إذا تم تطبيق المعتقدات التقليدية الأخرى، ففي هذه الحالة لا يمكن حماية الناس من هؤلاء اللصوص الذين يتمتعون بخبرة فائقة مهما كان عدد الشرطة الذين نستخدمهم كبيراً.

إن الشريعة الإسلامية تسمح للفرد أن يضع حداً لتصرفات الشباب الطائشين، حيث أنها تحرّم بشكل قاطع الخمر والقمار، وقد قمت بإصدار أمر بغلق جميع المقاهي في الساعة العاشرة مساءً، نظراً لظهور مجموعة من المقامرين والسكّيرين، إنني أعتقد أن مثل هذا الأمر يثير مشاعر الناس ضد (الطغيان الأجنبي).

لم يكتمل نصاب الاجتماع على حدود الديوانية، كما أن الميجر نوربري لم يستطع المجيء إلى أم البعرور بسبب حادث جعله يتأخر وهو في طريقه.

[وقد كتب سوماريز إلى أمه في ٢٥ شباط قائلاً:]

لقد كان خادمي غاضباً، وجاءني قائلاً: «للمرة الثانية قمنا بصرف خمس أو ست أو عشر روبيات ولكن الميجر لم يحضر: وعند العرب جرت العادة أنه إذا أخبر رجل رجلاً آخر بأنه سوف يتناول الغداء معه في يوم معين ولم يحضر يتوجب عليه أن يدفع لمضيّفه غرامة خمس نساء» ، لذا فإنني أقول بأني سأطالب الميجر بدفع خمس نساء...

[لقد بقي الدكتور هالي الذي جاء من النجف في أم البعرور مدة ثلاثة أيام].

إن صيدليتي الصغيرة تعمل بصورة جيدة حالياً، كما أن الناس أعربوا عن تقديرهم لزيارات الطبيب. وقد جاء إلى هنا يوم أمس ما لا يقل عن ستين مريضاً وعادوا جميعاً وهم راضون وفرحون بما حصلوا عليه من علاج أو وصفة طبيّة.

وعندما أقوم بسجن شخص في هذا البلد فإن جميع النساء من قريباته يأتين ويحاولن إطلاق سراحه من خلال إلقاء أنفسهن عليّ وتقبيل حذائي أو أي جزء آخر يستطعن الإمساك به. ونظراً لوجود عشرة سجناء عندي في الوقت الحاضر فإن هذا الموضوع أصبح مصدر إزعاج، مما جعلني أن أصدر أمراً إلى أحد رجال الشرطة للسير أمامي من بيتي إلى الدائرة وبالعكس، وهي مسافة تبلغ أربعين ياردة، وذلك للدفاع عني. إن النساء يتبعنني باكيات، وعندما يحاولن الإمساك بي فإن الشرطة يتعاملون معهن برفق ولا يرغبون في سجهن، ولو كانت عندي لحية وقمن بالإمساك بها لاستمعت إليهن حسب الأصول، وهذا سبب مقنع لأن أكون حليق اللحية.

يوم أمس جاءني موظف البلدية وقال بأن مجموعة من الراقصين المتجولين[1] قد نصبوا مخيمهم خارج المدينة ويطلبون الإذن للمجيء وممارسة نشاطهم داخل المدينة. وقد كان متحمساً لعدم السماح لهم وذكر بأن بعض الأذى سيحدث إذا قاموا بذلك، وأن من الأفضل إبعادهم جميعاً (نظراً لأنهم، وخاصة النساء منهم أُناس منحطّون للغاية). وهذا للأسف ما قمت به حيث كان يتملكني الشعور بالرياء، فقد كنت أفضل الذهاب والتحدث إليهم والطلب إليهم بأن يرقصوا لي، ولكن لم أشك بما قاله عن سلوكهم. وبطبيعة الحال فإن الإسلام متشدّد في هذا المجال. حيث لا يوجد أي نوع من أنواع الأنس، ولا يقوم الفرد بأي شيء سوى الجلوس في المقهى وإطلاق الأكاذيب. أعتقد

(١) يطلق عليهم في العراق اسم (الكاولية) وفي البلاد الأخرى (النوَر) و(الغجر).

بأنني أخبرتك عن الذين يلعبون القمار في المدينة وإنني أصدرت بعدها أمراً يقضي بأن تغلق المقاهي في الساعة العاشرة مساءً.

تسألني عن السادة. إن كلمة سيّد تعني ببساطة (الأسياد) وفي مصر وعند عموم السنّة فإنها تستخدم كمرادف لكلمة (سير) (أي سيّد باللغة الإنكليزية). ولكنها عند الشيعة الذين يشكلون مجموع سكان منطقتي، فإن لها معنى خاص إذ تطلق على سلالة الإمام علي زوج ابنة النبي، وهناك عدد هائل من السادة في النجف وما يحيطها من البلاد، وكثير منهم لابد أن يكون نسبهم هذا غير صحيح. وفي كل يوم تقدم لي عرائض تبدأ كما يلي: «الداعي رجل فقير، سيد ابن رسول الله» ويمكن أن يوثّق نظرياً بالسيّد بأنه يتكلم الصحيح، وأن يُعتمد لأداء اليمين به، ولكنه عملياً فهو أقذر خسيس من الجميع لأنه يتقمص التديّن، ولبعضهم قدسية عظيمة، مثل السيد محسن أو طبيخ في غماس الذي يعد نسبه صحيحاً، وعلى هذا فالناس يأتون إلى بيته للصلاة ويتبركون بوضع الحناء على جدرانه.

أم البعرور في ١ آذار (إلى والده)

... سأذهب في الليلة المقبلة للمبيت خارج البيت ليس لأغراض العمل بل لأن الظروف مناسبة. فهنالك رجل غير ذي أهمية كبيرة يعمل سركالاً ويعيش على مسافة تبعد حوالي خمسة أميال، احترق مضيفه قبل شهرين أو ثلاثة، وقد أعاد بنائه الآن، وقد رفض من قبيل المجاملة أن يستخدمه حتى أقومُ بتشريفه بتناول وجبة طعام فيه. إنني أحب ذلك الرجل شخصياً، لذا لم يكن لدي بُد من قبول الدعوة بسرور على الرغم من متاعب إرسال خيمتي وغير ذلك. وقد كان سروره لا يوصف لحضوري، حيث أن من الأمور الغريبة عندهم أن الحاكم قد (شرّف) - كما يقولون - بيتهم بتناوله الطعام فيه أمر يرفع مكانتهم في أعين فلاحيهم. إن الفضل في ذلك لا يعود لكوني سوماريز مان ولكن لكوني اختلف عنهم لأني أمتلك مفاتيح الخزينة ولأنني أستطيع إيداعهم السجن وغير ذلك من الأمور...

لقد أخبرت اليوم موظف البلدية بأنني سأقوم بصرف المستحصل من أموال البلدية والتي تتجاوز العشرة آلاف روبية على تطوير المدينة خلال الأشهر القليلة القادمة، وأخبرته بأنني أتوقّع أن أرى طريق الديوانية مكتملاً خلال أشهر قليلة، وأن يكتمل طريق الكوفة بعده مباشرة، مع تشييد جسر يربطهما هنا، مما يزيد - حسب اعتقادي -

تجارتنا بصورة كبيرة. وإن المدينة ستنمو وأنها تستحق مثل هذه التطورات. وقد انتشرت أخبار الطرق والجسر الذين كانوا يطالبون بها جميعاً، في جميع الأرجاء في الوقت الحاضر، وهذا أمر في غاية الأهمية، لقد التقيت بأحد المهندسين في النجف يوم الجمعة وكان قادماً من بغداد حول هذه المسألة، وإنني أتوقّع مجيئه إلى هنا خلال بضعة أيام لتخمين طريق الديوانية وهو الطريق الأول والأسهل، وعند افتتاحه فسأكون على مسافة ساعة بالسيارة من محطة القطار، وأكثر قليلاً من تسع ساعات عن بغداد.

هنالك مقترحان حول صرف مبلغ العشرة آلاف روبية، وهما إنشاء حمام عام، وتبليط السوق بالقير. إن المشروع الأول جيّد لأنه يدر دخلاً لنا، ولأن العربي يحب الاستحمام، والذي يقوم به في مكان نظامي (عدا الطبقات الضعيفة جداً والتي يستحم أفرادها في مياه النهر).

إن تبليط السوق عمل كبير ويستأهل القيام به من أجل النظافة، وفي الوقت نفسه لن يكون له تأثير كبير على توسيع وتطوير التجارة، سيكون من الأمور المفضلة لو شرعنا بفتح مدرسة ولكن ينقصنا المدرسون، وعلى كل حال فإن هذا كما أعتقد يمكن حلّه خلال عدة أشهر.

إنه لأمر عجيب أن يتم الكثير من التجارة والحركة دون وجود طرق، وكم هو صعب الوصول إلينا. ففي هذه المنطقة يوجد الطريق الوحيد بين الكوفة والحلة مروراً بمدينة الكفل، والترام الذي تجرّه الخيول من الكفل إلى النجف. وهنالك قطار عجيب يسير بين الكفل والحلة ويقطع مسافته البالغة ٢١ ميلاً في ثلاث ساعات ونصف، وغالباً ما تغمر المياه السكة. ويوجد جسر واحد في الكوفة، وجسر آخر قرب مدينة الكفل حيث يعبر طريق الحلة نهر الشامية[1].

ولكي أصل إلى الديوانية فعليّ أن أسير خلال مسافة ثلاثمائة ياردة من المياه التي ترتفع بين أربعة إلى خمسة أقدام. وعندما تكون مناسيب المياه مرتفعة في النهر فإننا نعبر في عبارة، وحتى إذا كانت مناسيب المياه منخفضة في النهر فإن المسافر الذي يسير على قدميه أو الذي يستخدم الحمير يتبلل بالماء حتى الخصر. وتتكرر الحالة في الكوفة أيضاً، غير أن طريق الكوفة لا يمكن السير عليه خلال أشهر الفيضان الثلاث أو الأربع، الأمر الذي يحتّم استخدام القوارب للنقل إلى أبي صخير، ويتم نقل الرز المصدّر من مقاطعتي

---

(١) وهو جسر العباسيات، وكان قد أقيم خلال عام ١٩١٨ تقريباً على هيئة طبقات، ثم نصب له جساريات عام ١٩٢٤، ثم جسر خشبي وحديدي ثابت عام ١٩٣٦.



حقول الرز في غماس، ويظهر في يسار الصورة خليل أفندي مأمور شعبة غماس عام١٩١٩.



الذرعة في حقول الرز في غماس، ويظهر في الصورة من اليسار إلى اليمين: سيد منذور، ثم خليل أفندي، وسيد تقي، عام١٩١٩.

عن طريق النهر في سفن كبيرة يجرها ستة أو ثمانية رجال إما إلى الكفل لنقله بالقطار (ولكن هذا ليس أمراً غير مفضل لوجود كسر في قضبان السكة في الحلة)، أو يأخذونه إلى الحلة بواسطة القوارب عن طريق سدة الهندية في سفرة تزيد على المائة ميل. كما أن السفرة إلى الكوفة عن طريق النهر تستغرق يومين حيث يجب الذهاب إلى الكفل تقريباً للوصول إلى النهر.

وهكذا وعلى الرغم من ذلك فإنني أعيش على طريق رئيس تمرّ فيه معظم الجنائز القادمة من جهة دجلة من الكوت عبر الديوانية، ثم تمر علينا إلى الكوفة والنجف حيث تُدفن في الأرض المقدسة.

في ٦ آذار (إلى والدته)

نعم... إن العربي غالباً ما يكون شخصاً جميلاً جداً في الحقيقة، على الرغم من أن أولئك الذين ظهروا في الصور التي التقطتها لم يكونوا على درجة من الجمال. ولكن خليل[1] من أهالي غماس كان ذا وجه لطيف للغاية حسب ما أعتقد ـ رغم أن مزاجه يختلف اختلافاً كبيراً عن شكله. إنه في الواقع رجل خشن كما أتصوّر، ولكن يجب على الفرد أن يكون خشناً مع العرب...

وكما تقولين فإن من الصعوبة أن يدفع السكان ٣٠ بالمائة ضرائب، ويقوم بإنجاز جميع الأعمال العامة، وفي الوقت نفسه فإن هناك اعتباران هامّان:

أولهما: إنه لا يتم دفع إيجار للأراضي التي تعود من الناحية النظرية للحكومة (عدا جزء قليل يسمى الطابو وهو أمر معقّد وغير ذي أهمية).

وثانيهما: إنه إذا قامت الحكومة بدفع كل تكاليف سدود الفيضان وغيرها فإنها ستعلن إفلاسها بعد مرور ستة أشهر.

إن الحكومة لا تدفع الناس للقيام بهذه الأعمال لمنفعتها الخاصة، فإذا كانوا من قبيلة واحدة تعيش بانسجام فإن شيخهم سيجبرهم بطريقة أو بأخرى نظراً لقوة مركزه للقيام بتلك الأعمال التي تعتبر بالنسبة لأرض زراعة الرز كالمحراث بالنسبة للأراضي الزراعية في إنكلترا. ونظراً لكونهم منقسمين إلى قبائل متناحرة فإن على الحكومة أن

---

(١) خليل أفندي: مأمور شعبة غماس، وهو من أبنائها.

تتدخل. وأخيراً فقد نجحت في الحصول على مقدار قليل من الأموال الحكومية لهم، وكان المبلغ يساوي مائة ألف روبية أعطيتهم منه مبلغاً وقدره (١٧٠٠٠) روبية لمختلف الأعمال، وقمت بتخصيص مبلغ قدره ثمنين ألف روبية كقروض تستخدم لشراء البذور وتُسدد في تشرين الأول المقبل، وعلى الرغم من محدودية المبلغ فإن النتائج كانت بالتأكيد جيّدة.

إن هذه السنة في غاية الأهمية بالنسبة لمنطقتي، والفضل يعود في ذلك لهذه الأعمال(والتي لا يعود الفضل فيها لي، ولكني استفدت منها لأنني «الحكومة». لأنني إذا ثابرت على العمل وحالفني الحظ من حيث عدم حدوث فيضان سوف أجعل إنشاء الله مساحة عشرين ألف دونم بالرز، والتي لم تزرع رزاً منذ خمس سنوات، وبذا نضاعف ثروة المنطقة، وقد نتمكن من إعادة حوالي ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ نسمة من أبناء العشائر الذين انتقلوا إلى أماكن أخرى خلال السنوات الخمس الأخيرة نظراً لقلة موارد العيش في قبائلهم، وبذا نكون قد أعدنا لثلاث قبائل قوّتها وموقعها. لذا فإن بذل أقصى الجهود أمر ضروري، وإذا لم تحدث أي كارثة طبيعية فإنها ستكون سنة رائعة لسكان المنطقة.

وعندما يتم العمل في الخريف القادم سيكون هناك مجال واسع أيضاً للعمل في القسم الشمالي من المنطقة، أي هور الدخن، الذي لم تتهيأ لي الفرصة حتى الآن للقيام بأي عمل فيه، ويمكن القول بصراحة إنه إذا توّفر لدينا المال والعمل فإننا نستطيع بالتأكيد أن نحوّل الصحراء إلى جنة، وأن نحوّل عصابات اللصوص الجائعة، أي بني حسن، إلى أناس أغنياء يسود بين ظهرانيهم الرخاء.

لذا فإنني إذا بقيت هنا سنة أخرى فسيكون لدي الكثير لأقوم به حيث يجب فتح الشوارع وتسيير القطارات، وقد يتم فتح مصرف وجميع الأشياء التي تشاهدها في الشارع العام والتي تتعلق بالمواصلات والتجارة والتربية وربما حتى بالتسلية.

إنه لأمر متعب وأنني لأشعر بعض الأحيان بتأنيب الضمير لقيامي بإجبار لبعض القبائل الفقيرة والضعيفة على القيام بهذه الأعمال. لقد بقيت عشرين يوماً فقط على بداية الفيضانات، وقد تم إنجاز كل الأمور المهمة باستثناء إحدى السداد الكبيرة وهو عمل هائل أُنجز تسعة أعشاره في وقت قياسي من قبل إحدى العشائر التي عملت ما في وسعي من أجلها، وقد ردّوا الجميل بأحسن منه، أما العشر الآخر فقد كان في حصة قبيلة بني حسن الذين لم أقم لهم بأي خدمة، لأنني وببساطة لم استطع التعامل معهم هذه السنة ولأنني لم أكن أمتلك المال.

لقد جاءني هذا الصباح حوالي عشرة من سراكيلهم الذين أحب بعضهم ولكنهم جميعاً كانوا كذّابين ولصوص وقتلة، جاءوا باكين قائلين بأنهم لم يستطيعوا إنجاز العمل. وإنني على يقين بأنهم لم يقوموا بأي شيء، لذا فقد أفزعتهم قائلاً: بأنه نظراً لقيامهم بالعمل هناك مدة أربعة أيام ـ حسب ما ذكروا ـ فسأذهب غداً إلى هناك. وقررت الذهاب غداً إلى ذلك المكان لأثبت مدى كذبهم، على الرغم من أنهم قد اعترفوا بكونهم أناساً كذابين، وإنهم في حالة يأس. وعند الانتهاء من هذا العمل البسيط لن يشغل بالي شيء يتعلق بالفيضان، وستكون بالطبع هناك ثغرات في السداد، ولكننا بذلنا ما في وسعنا لجعل الأمور تسير على ما يرام، وإنني أعتقد بأننا في وضع آمنٍ من الفيضانات أكثر من أي وقت مضى. وكم تمنيت أن تشاهدي هذه الأعمال العظيمة التي تبذو عجيبة وهائلة وكأنها ستدوم أبد الدهر، ولكن نظراً لتأثير الشمس والجو على التربة فإن من الضروري إجراء الإصلاحات سنوياً.

... يوم أمس وعندما كنت أستمتع بأول يوم هادئ من أيام الجُمع في بيتي خلال مدة شهرين أو أكثر، جاء مسؤول البيطرة لمعالجة الثيران من أحد الأمراض الذي انتشر في تلك الأنحاء، والذي كان أصحاب الثيران يعتقدون بأنه كان بفعل الحسد أو أي شيء أسوأ منه.

لقد عمل معي محاسب هندي جديد والذي سيقوم بتدوين حساباتي باللغة الإنكليزية، وقد جاءني طالب السماح له بأداء الامتحان الذي تجريه له جامعة حيدر آباد وقد وافقت على ذلك. لذا فقد كتب رسالة إلى رئيس القسم طالباً منه إرسال الأوراق إلى هنا ووصفني أولاً بقوله بأنني أحد الخريجين المتميّزين من إحدى الجامعات الإنكليزية الشهيرة، وقد سمحت له بذلك. ووصفني بعدها قائلاً: إنه نظراً لموقعي المتميّز كمحامي في القضاء الإنكليزي فقد جعلوني حاكماً من الطراز الأول. إن للهنود خيالاً خصباً خصوصاً عند كتابتهم باللغة الإنكليزية. إنني حاكم من الطراز الأول وهذا يعني أن بإمكاني إصدار أحكام بالسجن تبلغ سنتين ويتوجّب علي استخدام هذه الصلاحية فيما بعد ضد بعض محترفي اللصوصية الذين يتطلب التعامل معهم ببعض الخشونة.

أم البعرور في ٧ آذار (إلى السيدة ماري موري).

خرجت راكباً طيلة اليوم قاطعاً مسافة حوالي ثلاثين ميلاً وعدت بعدها تعباً. (قام أولاً بزيارة بني حسن في العمل حسب ما موصوف في رسالة أخرى). ومن هذا المشهد

المؤلم (إنني أكره إجبار الناس على العمل وأكره وجوب إخبارهم عن حقائق بلادهم) ذهبت للنظر في خلاف حول الأرض، وقد كان الموضوع لطيفاً، إذ أن الطرف المذنب لم يكن موجوداً، ولم يكن معي سوى الناس الذين كانوا الضحية والذين كانوا حتى تلك اللحظة على حق. لقد تعهد اثنان من الشرطة بتحقيق ما يطلبونه وذلك بعد إرسال هؤلاء الشرطة يوم غد لمنع المتجاوزين من الحفر ضمن حدود منطقة سكان مقاطعتي. لذا فقد تم إنجاز هذا العمل دون كلمات نابية، وبالطبع فقد كانوا يعتقدون بأنني إنسان رائع وإنني أتحلى بالعدالة والحكمة.

ومن هناك ركبت لرؤية إحدى القبائل التي أرادت أن تحفر فتحة جديدة لإحدى قنوات الري في أراضي شخص آخر، وقد اعترض الشخص بصوت عال وتهوّر، وبعد نقاش غير مجدٍ وتفتيش دقيق، لم أستجب لطلبه، وأعطيتهم السماح بالاستمرار مع وجود ضمانات في صالح مالك الأرض.

أدناه وصف لعملي اليومي والذي يبدو على الورق أمراً كئيباً ومعقّداً للغاية. وفي الحقيقة فإن العمل ممتع ومتعب أيضاً. فينبغي على المرء أن يبذل جهده بنفسه نظراً لنقص الحقائق والمعرفة. وعلى الرغم من أن الأمور تسير بصورة ممتازة يبقى المرء قلقاً وتتملكه الفكرة من أن النتائج قد لا تكون عادلة أو قد يكون الفرد قد عاقب بعض الناس من خلال تخفيفه على البعض الآخر. إن هذه الأفكار لا يحددها العمل وتنم عن عدم كفاءة الفرد في كونه حاكماً في بلد كهذا.

إن من المضحك التفكير في أيام الأحد التي نقضيها في إنكلترا في يوم كهذا، وخاصة أيام الأحد في أكسفورد، حيث تعزف الفرقة الموسيقية، وحيث الحياة المرفهة تسير بيسر وسهولة، وتتوفر كل وسائل الراحة وسبلها كالموسيقى أو الروايات والدرجات وعطلة نهاية الأسبوع وغير ذلك، لقد كنت أصلّي دائماً لحياة صعبة وإنني لأحبّها ولكنها صعبة.

أم البعرور في ١٠ آذار (إلى والده).

لقد نظرت من فوق جدار بيتي الآن ورأيت مجموعة مكوّنة من حوالي مائة رجل حاملين المشاعل، سائرين في موكب وينشدون بحماس وبصورة غير منتظمة، ولكنهم كانوا كما يبدو يستمتعون بذلك، كما رأيت خادمي يغني معهم (وقد تبيّن أن ذلك جزءاً

من الاحتفال بالسنة الفارسية الجديدة)[1].

إن المرء ليدهش عند قراءته للقرآن للهيبة وللحقيقة في الجزء الأعظم منه ولقلّة الأهمية النسبية للآيات التي تستند إليها السمات الأساسية للإسلام. إنه لأمر في غاية الروعة في معظمه، وإنه ليعكس بصورة كبيرة (العهد القديم، الإنجيل) مع إضافات ممتعة، والذي يبيّن حسب رأيي كان يعرف الكثير عن (العهد الجديد) كما أن اللغة التي يستخدمها والتي لا يمكن ترجمتها عموماً لغة رائعة.

إنني لأتصور أحد البغداديين الأذكياء يقول الشيء نفسه عن الإنجيل بعد قضائه ستة أشهر في محاولة للحكم، ولنقل مثلاً في مقاطعة كنت الشرقية. إنني أتوقع أن الفرق بين النظرية والتطبيق ليس فرقاً كبيراً، ولكن بالطبع إن العربي لا يعرف التوجه الأدبي لكتابة (القرآن). ففي مدينة النجف المقدسة لا أعتقد أن هناك عشرة من الحفّاظ - كما يطلق عليهم - يمتلكون معلومات قليلة عما ورد فيه، رغم أنهم يحفظونه عن ظهر قلب. وهناك آية جديدة (ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق....)[2].

عندما ذهبت لتفتيش العمل في تحكيم سداد الفيضان الذي أنيط بقبيلة بني حسن وجدت أنهم لم يقوموا بواجبهم، فأنبتهم وقلت لهم إنهم كذابون وسأعاملهم كما أعامل الكذابين عادةً. ثم قسّمت العمل بينهم وقلت لهم إن كل سركال إذا لم يأت لي بورقة من المأمور المختص تفيد بأنه قد أكمل حصته من العمل فإنني سوف لا أدفع لهم أي مبلغ من المال كسلفة للبذور. فأخذوا يولولون قائلين: «إذا أمرتنا أن نموت فإننا سنموت». وبادروا إلى العمل. وبنتيجة ذلك أُنجز العمل في ثلاثة أيام، وتقاطروا كلهم يحملون ورقة المأمور مطالبين بالمال. أما شيخهم الأكبر، علوان الحاج سعدون، الذي لا خير فيه، والذي أعامل مشورته بخشونة عادة، فقد زارني اليوم وظننت أنه جاء يتذمر من معاملتي لهم، لكنه كان راضياً حسبما يظهر، على أنه جاء يطلب مني أن أقرضه مبلغ (٥٠٠٠) روبية حيث أنه كان مثقلاً بالديون، ومن حسن الحظ أن العرب لم يتعلموا الإضراب حتى الآن. وإنه لسرّ غامض عندي لماذا يفعلون ما آمرهم به، ولكنني أعتقد بأنهم يتصورون بأني قادر على معاقبتهم بصورة أشدّ مما أقوم به في الواقع...

---

(١) إنه عيد النوروز المصادف ٢١ آذار، تبدأ الناس - يومذاك - بالاحتفال به منذ بداية شهر آذار.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

الحاج عبد المحسن شلاش.



علوان الحاج سعدون.

بعد أن تحدثت طويلاً في النجف مع أحد رجال الدين الكبار، وهو السيد هادي (المعروف بنقيب الأشراف)[1] حول نزاع حصل على بعض الأراضي، ذهبت لتناول الشاي في بيته، فتعرفت هناك على أكبر تاجر نجفي، يدعى الحاج محسن شلاش[2]، وهو رجل مقتدر جداً، ومطلّع، ويكاد يكون العربي الوحيد الذي تعرفت عليه والذي يعرف كثيراً عن أوربا وشؤون الحرب ويطالع الجرائد... وقد تحدثنا عدة ساعات، وكان من المؤنس جداً لي أن أتكلم العربية الأصيلة مع أناس أذكياء، إنهم يعرفون حتى تأريخهم... وفي المساء تناولنا العشاء مع الحامية التي كانت تتكون من ضابطين بريطانيين في مفرزة من كتيبة هندية كانت تعسكر في الكوفة...

قمت يوم أمس بعمل كان من المقرر أن يقوم به الميجر، ونظراً لعدم قدومه تطوّعت، وكنت سعيداً لهذه الفرصة، وكان هذا العمل هو زيارة لمكان يدعى (الرحبة)[3] تقع في الصحراء الشامية على مسافة ٢٥ ميل إلى الجنوب الغربي من النجف، حيث توجد لدينا نقطة صغيرة. وكان ذلك المكان ذو أهمية بالغة نظراً لوقوعه على طريق القوافل إلى حائل ووسط الجزيرة العربية عموماً، وإلى الحجاز بصورة خاصة، كما أن بدو الصحراء شمر وعنزة اعتادوا على المجيء إلى هناك لشراء الحبوب من النجف. أما الآن فإن الطريق مهجور، وأن البدو جميعاً قد ذهبوا إلى حيث لا يعلم أحد، ولكنهم قد يرجعون في يوم ما.

---

(١) السيد هادي نقيب الأشراف ابن سادن الروضة الحيدرية السيد جواد ابن سادن الروضة الحيدرية السيد رضا الرفيعي. كان سيداً جليل القدر، عظيم المنزلة، ولي نقابة الأشراف في النجف عند احتلال الحكومة البريطانية للعراق، (وفي الحكم الوطني عين عضواً في مجلس الأعيان) توفي سنة ١٣٤٢هـ. «ماضي النجف وحاضرها ٣١٩/١، موارد الإتحاف ٧٢/٢».

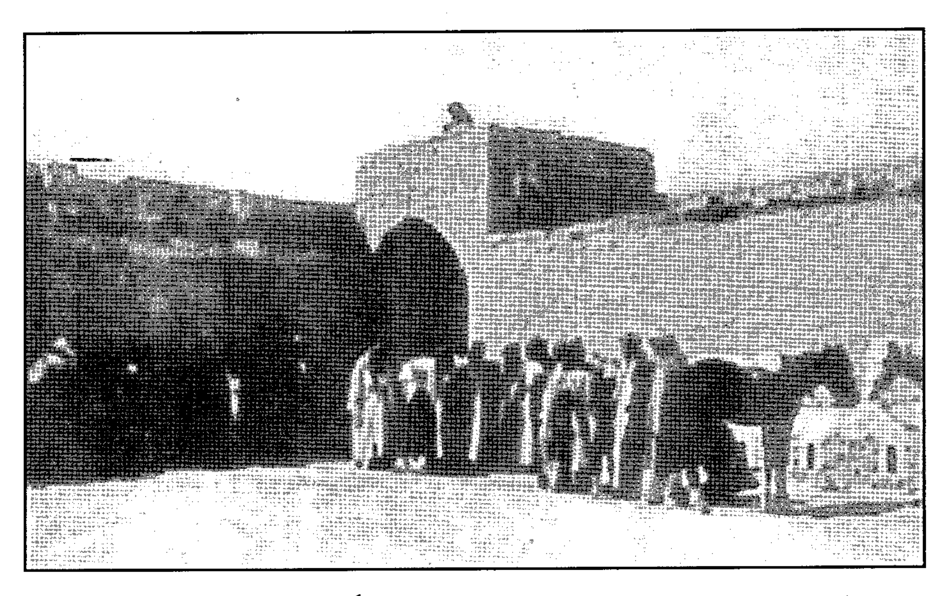
وكان «من أشد أنصار الحكومة في الواقع، إلا أنه ضعيف ومتذبذب بشكل مزرٍ، وبالنتيجة عديم الفائدة في الوقت الذي تكون في أشد الحاجة إليه...».

«الجذور ل: د. وميض عمر نظمي ص ٣٤٢ عن الوثائق البريطانية».

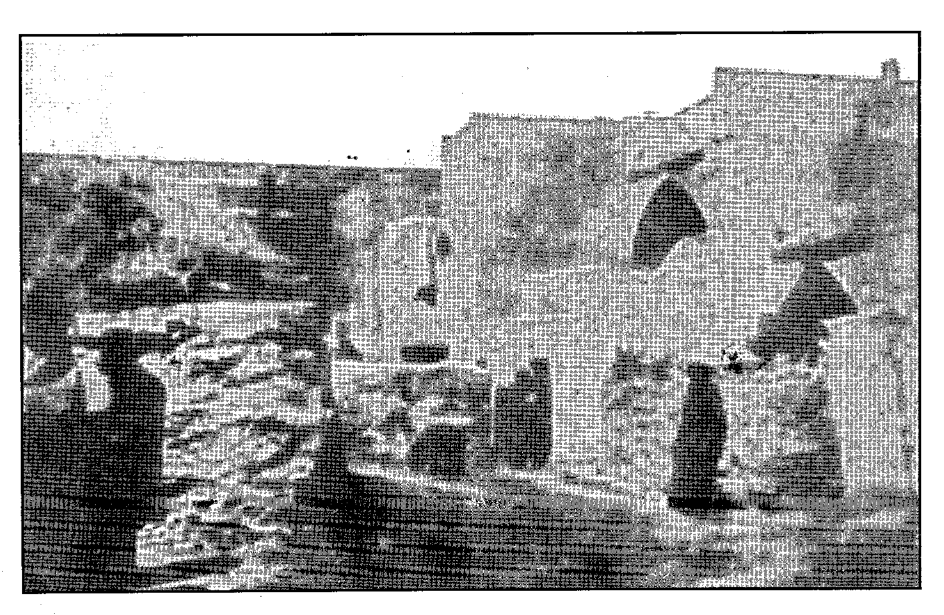
(٢) الحاج محسن (عبد المحسن) بن عبود شلاش: من الشخصيات الأدبية ورجال المال المشهورين، حائز على الوسام المجيدي من الدولة العثمانية، عقدت في داره بعض الاجتماعات التمهيدية للثورة، انتدبه الثوار ممثلاً عنهم للمطالبة بالاستقلال، سلمت له مسؤولية إعاشة الأسرى الانكليز في النجف، وبعد الثورة تولى الوزارة أكثر من مرة، توفي عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

(٣) الرحبة: قرية تقع جنوب غربي مدينة النجف بـ ٣٥ كم، أنشأت عند عين ماء قديمة أشار إليها البلدانيون العرب في العصور الإسلامية الأولى (معجم البلدان ٣٢/٣) واندثرت في العصر التالي، ثم جرى إحياؤها سنة ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م، وأصابها شيء من التوسع فرسمت ناحية تابعة لقضاء النجف في ١٢٩٤ هـ وبقيت حتى سنة ١٣٣٢ هـ، ثم أعيدت ناحية وألغيت...

أما القلعة التي أشار إليها (مان) فهي قلعة السيد محمود الرحباوي...



الرحبة: خان الرحبة (قلعة السيد محمود الرحباوي) المكان الذي يحجز فيه العرب المحكوم عليهم من قبل الحاكم السياسي.



الرحبة: خان الرحبة من الداخل.

إن الرحبة نفسها مكان غريب، وهي لا تتعدى كونها قلعة منعزلة تقف إلى جانب عين ماء في الصحراء، يستخدم الماء المستخرج منها لسقي بعض مساحات مزروعة بالحنطة والشعير والخضراوات، ويبلغ عمر القلعة القديمة ٣٠٠ - ٤٠٠ سنة حسب اعتقادي، وكان جدارها الخارجي سليماً وكذلك بعض الغرف والتي كانت غرف جميلة، وكانت الساحة مليئة بالأكواخ التي ازدحمت بطريقة تثير العجب، وكانت مزدحمة بالأغنام والكلاب والأطفال، وأعتقد أن هناك ما يقرب من ١٥٠ شخصاً يعيشون فيها.

لقد كان وكيل الحكومة المسؤول عن المحطة سوري من دمشق، وكان فخوراً بتحدثه باللغة الفرنسية، والتي كان يصرّ على التكلم بها، وقد تكلمت معه الفرنسية أيضاً، ووجدت نفسي أطلق باستمرار كلمات باللغة العربية، وواجهت صعوبة كبيرة في كتابة الأوامر باللغة الفرنسية.

لقد ذهبت بالسيارة ولم يكن هنالك طريق، ولكن هناك صحراء على طول الطريق، لذا يمكن للفرد أن يقول إن السير صعب، وإنه لأمر سيء للغاية، السير بالسيارة، حيث يعبر الفرد الحفر والجداول وليس هناك سيارة تستطيع القيام بذلك سوى سيارة (فورد). لقد كانت الرحبة موقعاً لإحدى معارك الإسلام العظيمة وهي معركة القادسية، ولكنني أعتقد أن الآثار قد اختفت، ومع ذلك فقد كان هناك عدد من المدن في الصحراء ولكن هذه المدن لم يعد لها وجود نظراً لشحّة المياه، إذ يمرّ الفرد بالكثير من الآثار. إن الصحراء مكان مرعب، ولكن لها سحر غير اعتيادي.

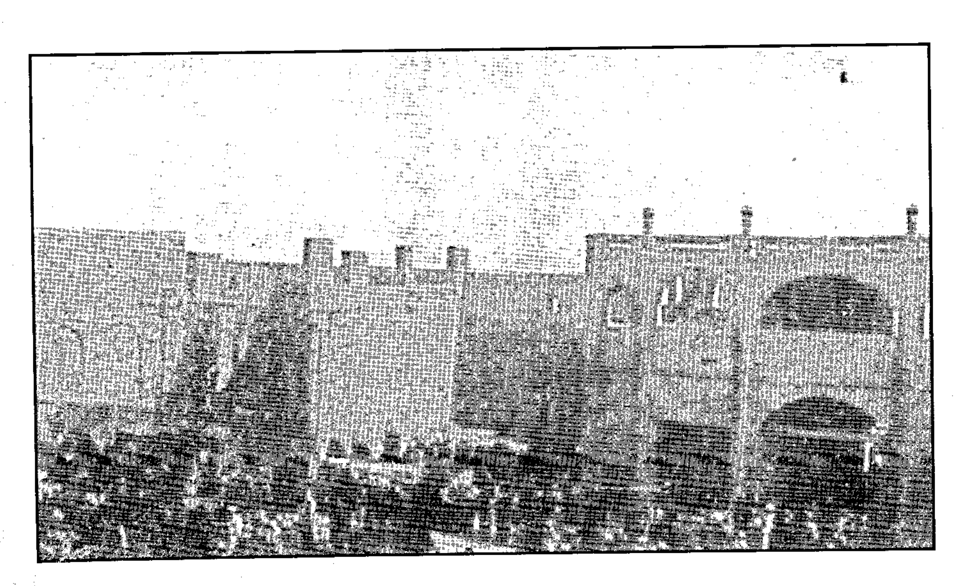
وبعد عودتي إلى النجف ذهبت مع مصطفى لتناول العشاء عند الكليدار أو سادن الروضة، وهو ابن أخ السيد هادي المذكور في أعلاه[1]، لكن العشاء لم يكن جيداً، والحديث كان بارداً حيث أنه كان برمته مدحاً وتزلفا... إنني لا أتلائم مع مجتمع ذو تدين رفيع، إذ أنهم متأكدون من إرادة الله سبحانه وتعالى....

---

(١) هو السيد أحمد بن سادن الروضة الحيدرية محمد حسن بن سادن الروضة الحيدرية السيد جواد، بن سادن الروضة الحيدرية السيد رضا الرفيعي. وعمه السيد هادي نقيب الاشراف. بن السيد جواد المذكور. قال عنه صاحب ماضي النجف وحاضرها ٢٦٦/١-٢٦٧: «قام بعد والده بمنصب السدانة وهو شاب، ولكن له رأي الشيوخ وهيبة الملوك، وذلك بعد أن كابد المتاعب والمشاق عمن نافسه على ذلك المنصب، وكان مما ساعده على استظهاره على مناوئه مكانته السامية وشخصيته البارزة عند العلماء والأعيان والأشراف والحكام وكان متفرداً بالسخاء وعلو الهمة في إدارة شؤون الحرم المطهر مع عفة ونزاهة، فاستقل هو بالسدانة كما استقل عمه السيد هادي بوسام نقابة الأشراف».



مدينة النجف: زيارة الدخول عام ١٩١٩.



مدينة النجف: زيارة الدخول عام ١٩١٩.

لقد سررت لقيامك بقراءة كتابات (داوتي) كما أنني قمت أيضاً بقراءة ما كتبه. إنه رائع للغاية وغالباً ما يكون أسلوبه ليس بالسهل، ولكنه يعطي الانطباع عن حرارة الصحراء وصعوبة العيش فيها، كما أن البدو الذين كتب عنهم أناس يثيرون العجب، إن الناس الذين أعيش معهم يشبهون أولئك البدو، ولكن حياتهم بالطبع سهلة يسيرة، وعلى الرغم من ذلك يجب أن لا يغيب عن بالك بأن سكان الصحراء كثيرون في منطقتي، وقد تتوهمين إذا تصوّرت أن الولائم التي أقاموها لي هي نموذج من طعامهم الاعتيادي، على العكس من ذلك، فإن هذه كانت مناسبات عظيمة. إن سكان منطقتي من الشيخ إلى الفلاح يعيشون على الخبز والتمر كمادة أساسية...

... أما بالنسبة إلى أور فإنها الآن مشهورة لوجود دار استراحة في محطة القطار فيها. ويقال بأن الآثار المكتشفة مثيرة حقاً، ولكنها كغيرها من الأماكن المشهورة مثل بابل، في أن النتيجة ليست لها معنى سوى عند الخبراء، ومن الناحية العملية ليس هناك من شيء للمشاهدة.

أم البعرور في ٢١ آذار (إلى والده)

لقد شهدت الأيام القليلة الماضية احتفالاً عظيماً (السنة الفارسية الجديدة، وتسمى الدخول من قبل العرب)، إن جميع الموظفين العاملين معي وكذلك عدة آلاف من الناس من كافة أنحاء العراق قد أدّوا الزيارة للنجف وعادوا اليوم. وقد حصلت على صورتين فوتوغرافيتين عن التجمع في النجف[١]، وأرجو أن تروقا لكم. لقد قيل بأن هذا التجمع كان من أكبر التجمعات خلال سنوات. لم تكن الطرق آمنة كثيراً في زمن الأتراك، ويحتمل أن يكون عدد القادمين قد بلغ خمسين ألفاً جاءوا من كل البلاد. وخلال هذا الاحتفال، وفي الحقيقة في مثل هذا اليوم قبل عامين قُتل مارشال، أول حاكم سياسي للنجف[٢]. وقد كان من المعتقد أن تحدث بعض الاضطرابات هذه المرّة، ولكن كل شيء مرّ بهدوء تام، وكان الناس سعداء وفرحون للغاية. ويبدو أن سكّان منطقتي قد استمتعوا بوقتهم تماماً على الرغم من أن المدينة كانت مزدحمة بالناس إلى الحدّ الذي نام فيه المئات من الناس في الشوارع، وكان المرور في السوق أمراً صعباً للغاية.

---

(١) انظر الصورتين ص ٢٢٩.

(٢) الكابتن مارشال W.M.Marshall كان معاوناً للحاكم السياسي في الكاظمية، وقد نقل إلى النجف في أواخر محرم ١٣٣٦هـ. وثار عليه أبناءها وقتلوه في ١٩ آذار ١٩١٨م (٦ جمادى الآخرة ١٣٣٦هـ).

... [بعد رؤية الميجر نوربري] لقد عدت إلى هنا ويملؤني الحماس، فقد حصلت على إجازة على فتح صيدلية مناسبة وتشغيل أحد السكان المحليين ليتعلم صناعة الأدوية، كما حصلت على المزيد من الأموال للصرف، بالإضافة إلى أنني تخلصت من خلافين مزعجين حول الأراضي، كما تخلصت من بعض الأمور الطفيفة الأخرى لم تكن تبعث على الراحة.

ومع ذلك فقد حدث أمر سيء في غماس، إذ جرفت مياه الفيضانات خلال الأسبوع الماضي ثلاث سدود مهمة كانت قد تمّت تقويتها بصورة خاصة، وكانت قد كلفت مالكيها الكثير من الأموال، وسببت لهم مشاكل جمّة أيضاً. ومن الضروري استبدال هذه السدود في الحال، وإلاّ فإن الشلالات ستتكون، الأمر الذي يؤدي إلى غمر المزيد من الأراضي الزراعية. وسأذهب إلى هناك بعد يوم غد لرؤية ما يمكن عمله. ولكن في أمور مهمة للغاية مثل هذا الأمر يمكن الحصول على أناس يعملون بإرادة، كما إنني ولحسن الحظ أمتلك بعض المال الذي يمكنني من مساعدتهم فيه..

[كانت هنالك خطة لنقله إلى النجف، وإعطائه كل من الشامية الشرقية والغربية، ولكن تم حسم الموضوع بتعيين ضابط آخر وهو الكابتن أوكونر إلى أبي صخير، وبقي سوماريز في أم البعرور، كما هي الحال في السابق].

لقد امتلأت البلاد باللون الأخضر الجميل، وتفتحت الأزهار، كما أزهرت أشجار التين والفواكه الأخرى. لقد كانت حقول الحنطة والشعير والخضار ذات لون أخضر خلاّب يسرّ الناظرين (على العكس مما كانت عليه من جفاف وقذارة حشائش فصل الخريف الماضي).

إن كل هذه المحاصيل تروى بالواسطة في منطقتي، أما الأراضي التي تروى سيحاً فقد كانت تحجز لزراعة الرز، لذلك كانت مساحاتها غير واسعة نظراً لمحدودية عمل واسطة السقي. ولكن الحقول حول مدينة الكوفة كانت تزهو بالمخضرات التي تباع بكثرة في سوق النجف، فقد كانت محاصيل اللوبياء والخس والبصل وغيرها تزرع هناك. وتوجد لديّ ما يقرب من أربعة آلاف دونم من الحنطة والشعير والتي نأخذ منها ١٠ بالمائة فقط، وذلك مقابل السقي بالواسطة، وهو مجهد مكلف، كما أن الحصاد سيكون في الشهر المقبل، ولكن هذا يعتبر أمراً بسيطاً قياساً لزراعة الرز، والتي أأمل أن تقرب من أربعين ألف دونم، وتعطي إنتاجاً وافراً للدونم الواحد.

لقد قدم أحد القسس إلى النجف يوم الأربعاء، لذا ذهبت أنا وهوبكنز وأدينا الصلاة صباح يوم الخميس.

غماس في ٢٤ آذار (إلى السيدة ماري موري)

(بعد إخبارها عن مختلف الصعوبات الإدارية استمر قائلاً:)

إني أتصوّر أن الكلمات التي ذكرتها في الاعتراف العام هي ليست أصحّ مما يذكره أي حاكم آخر. إن هذه الحالة تجعل الفرد يعكس حالة المقامرة التي ينغمس فيها، فإن من الغريب يكون شخص غريب لم يكن في البداية يستطيع أن يتكلم بكلمة واحدة من اللغة، والذي يختلف تماماً في تفكيره يجد نفسه في وضع يقول فيه الجميع له: «كل شيء تأمر به سيادتكم إن شاء الله يصير» ، إنني لأشعر بالسعادة عندما أتذكر قدومي إلى غماس، وكانت تغمرها الأطيان والمياه الآسنة، وقد تحوّلت بعد ذلك إلى أرض زاهية نظيفة، وإن أي حاكم يستطيع أن يخدم ذلك لصالحه، حيث لم يتعامل أو نادراً ما يتعامل مع الجانب الجيد في الناس، ودائماً ما يكون مهتماً بالديون والمشاجرات والجرائم وتبقى الكثير من الأعمال التي تتطلب القيام بها.

إن قدوم الربيع هنا يجعلني أن أتشوّق إلى إنكلترا وإلى جيري (وهو اسم دراجته البخارية).

٢٧ آذار (إلى والدته)

لدي الكثير من المشاكل في الوقت الحاضر، وليس بينها مشاكل خطيرة للغاية، ولكنها عموماً مزعجة، وعلى كل حال فإن هذه هي حال الحاكم،.. أعتقد أن الأمور تسير بشكل جيد، كما أن هناك ما يجعلني أعتقد أن معظم الناس في المقاطعة يثقون بنياتي الحسنة، رغم إنهم لا يحمدون النتائج دائماً.

لقد عدت أمس من غماس بعد زيارة دامت يومين... وباستثناء حدوث خلاف حاد (بين الموظفين) فإن الأمور تسير بشكل حسن، كما أن العمل لتسوية أرض المدينة قد أحرز تقدماً. لقد صنع المأمور عربة مدهشة لجلب التراب، إذ أنني لم أستطع أن أجد مقاولاً يمتلك حميراً للقيام بالعمل. وبالطبع فإن المنطقة لم تر من قبل أبداً شيئاً يسير على

عجلات فكانت اختراعاً غريباً، إنها لا تختلف كثيراً عن الآلة التي كنت استخدمها خلال ممرات الحديقة (وكانت نوعاً من دراجات الرِجْل. إن استخدام عربة يدوية ذات عجلات يمكن أن يكون ذا فائدة أعظم. وعلى الرغم من ذلك فقد تمّ صنع ثلاث من هذه العربات، وكلي أمل أن أراها تجلب الكثير من التراب.

إن موعد زيارتي الطويلة المقررة لقبائل الصحراء سيحل الأسبوع المقبل... وأعتقد بأنني أخبرتك بأنهم يريدون مني أن أعيد توزيع كافة أراضيهم والتي تبلغ مساحتها (٢٥٠) ميلاً مربعاً على الأقل. لا أعلم إذا كان بالإمكان إنجاز المهمة، ولكني سأقوم بجمع المعلومات خلال الأيام الثلاثة تلك (مع القبائل) وسيكون الأمر ممتعاً.

[بعد تحدثه عن الأخطاء التي ارتكبها موظفو دائرته].

... لذا فإنني لا أأخذ بنصيحة أي أحد في معظم الأعمال التي أنجزها لعدم وجود نصيحة تستحق أن تُتّبَع. إنه لأمر مريح للغاية أن يجد المرء من يلقي عليه بالمشاكل الصعبة ومن يؤكد له أنها لا يمكن أن تُحل. وقد يبدو ذلك ضعفاً في التفكير، ولكن عموماً فإن ما يعتبر ضعفاً في التفكير غالباً ما يعود إلى الوعي وليس العكس.

إن مما لاشك فيه أن السياسة الحقيقية هي أن يتمكن المرء من اتخاذ القرار السريع مع العرب والاستمرار في أداء العمل دون مراعاة لمشاعر أي فرد أو لمصالحه.

إن السؤال الوحيد هو عن مدى القيام بالتحقق قبل اتخاذ قرارك. وإنني لعلى ثقة بأنني ألقيت على نفسي الكثير من العمل والمشاكل من خلال المبالغة في الأمور.

إن العربي هو مزيج من الفارس والطفل والشرقي المتملق. وأساساً فإنه ليس شرقياً على الإطلاق، كما أن عقله وكذلك عقل اليهودي هو عقل أوربي بالمقارنة مع الأجناس الشرقية الحقيقية، وبصورة عامة فإن العربي زبون لطيف، والمشكلة أنه لا يعرف ما يدور في ذهنه ولا يعرف ما يريده خارج حدود المألوف لدى البشر جميعاً بأن الثروة ستنهمر عليه من السماء دونما جهد. وليس هناك من يعتبر العمل سلعة بحد ذاته إلاّ رومانسيّو الحضارة المتقدمة، ويمكن أن يكونوا على حق. إنني بالتأكيد لا أحسد الشيوخ في منطقتي والذين لا يعملون شيئاً سوى احتساء القهوة طيلة اليوم.

سوف تستلمين هذه الرسالة في مايس، وعندما أفكر بأكسفورد في مايس أتمنى أنني لو كنت للحظة مدرساً أو على الأقل لو كنت قد حصلت على أمنيات (ديورست) لبقيت هناك سنة أخرى ودخلت مدرسة اللغات الشرقية. إن نهري (وهذا خارج عن الموضوع من جانبي، إذ أنني أرى الحكماء يظنون أن نهري ليس إلا جيحون[1] وأنه قبل فترة طويلة من ولادة إبراهيم كانت تبحر فيه السفن وكان يسقي أراضٍ شاسعة، حسناً إنني أتوقع أن تكون لي أهلية الأسياد الذين انحدروا عن حمورابي، لذا يمكنني أن أقول بأنه نهري حتى أُطرد من وظيفتي). إن نهري يذكرني بأنهار أكسفورد (رغم أنه أكبر منها).

في هذا الفصل حيث أشجار الصفصاف والحور تصطف على امتداد ضفتي النهر وتتخللها أشجار الخوخ والتين والنخيل. إن البلد في الوقت الحاضر جميل للغاية، وإنني مسرور جداً لوجودي فيه، ولكن مركبي عاطل كما أن جميع الطرق قد غمرتها المياه، لذا لم يعد بوسعي التنقل على ظهور الخيل إضافة إلى أن استخدام الزورق وخاصة عندما يجري ربطه وسحبه عملية بطيئة جداً، كذلك فإن حرارة الشمس عند منتصف النهار خلال الأيام القليلة الماضية كانت شديدة للغاية. لقد حلّ الربيع فجأة نظراً لتأخر سقوط المطر، ويكاد المرء في هذه البلاد أن يرى نمو أوراق الشجر.

لقد كنت مؤخراً منشغلاً بمشاكل كثيرة ولكن معظمها انفرجت إلى حد ما وإني لأشعر بالتفاؤل حالياً، وستغمرني السعادة عند عودة داود حيث أن المرء يحتاج إلى بعض من يتكلم إليه في مهنة كهذه، وإلاّ فإن الأمور ستتراكم في الذهن، كما أن العمل يتطلب براعة (رغم أنه في الواقع لا يشكل عبئاً، نظراً لطول ساعات الدوام المملّة في الدائرة). إنني أعتقد أن من المحتمل أن تكون الأمور أكثر نجاحاً عندما تكون مليئة بالمشاكل، وذلك استناداً للمبدأ الذي ذكره لي مرة العقيد ريدي وهو أن كفاءة الضابط المساعد تتناسب عكسياً مع شعبيته. لقد انهال الناس عليّ مؤخراً بسيل من الإطراء، الأمر الذي يجعلني أتساءل عما يخبئونه من مؤامرات رهيبة إذا لم يظهروا هذه المجاملة اللطيفة.

نحن الآن في فترة مهمة من السنة والتي ينتهي الزرّاع من عملهم في استزراع الأراضي وينتظرون ارتفاع مناسيب المياه في النهر مخلفاً الغرين، ومن ثم إكمال الحراثة

---

(١) مجرد افتراض، يخلو من الصحة والدقة.

والبذار. إننا نريد زيادة بمناسيب المياه قدرها أربعة إنجات، وإن هذه الزيادة ستحدث عاجلاً أو آجلاً. ولكن إذا لم تحدث عاجلاً فإن محصول الرز (الهرفي) سيكون في خطر بسبب حرارة الجو اللاهبة في حزيران وارتفاع أراضي المنطقة وقلة المستنقعات فيها. لذا فإن كل الأنظار تتجه إلى النهر الذي تناسب مياهه بلونها البنّي الداكن، حاملة الغرين عبر مئات الأميال داخل العراق وفي تلال آسيا الصغرى (حيث بدأت الثلوج بالذوبان). إن اسم (الله) يتردد في كل جملة نقولها عند حديثنا عن البذار.

إنني أقرأ كتاب (آخر البارونات) وكنت أُفكر بنوع اللغة التي تظهر إذا حدث.

خذ مثلاً ما يلي: (إننا ندعو الله أن يمدّ في عمرك، وأن يطيل بقاءك في هذا المكان. ويكفينا أن تشمل أراضينا بعين رعايتك، ولا نريد شيئاً سوى وجودك. أنت أبونا ونحن رعيتك، مُرنا نُطِعْكَ. واسمح لي أن أُقبل يدك... الخ.... الخ).

ويتضح لي أن (داوتي) قد أجبر على استخدام الأسلوب الذي أُنتُقِد بسببه كثيراً في (الجزيرة العربية) وذلك لذكر مثل هذه الأمور.

لقد حققت نصراً مبيناً في أحد الأيام عندما جاءني خادمي الصغير، وحول زنده قطعة من الجلد، وقد أظهرها لي بفخر قائلاً: إنها كلّفته أربع روبيات، لقد كانت تعويذة تحتوي على كتابات من القرآن، وقد أكّد لي أنها تحفظ من الشرور. فقلت له وقد اعترف هو بذلك بأنها لا يمكن أن تحفظه من رصاصة تطلق عليه من مسافة خمسة ياردات. فقال بأنه سيرميها. وقد نصحته أن يبيعها إلى شخص آخر إذ أنه كان مغفلاً عندما اشتراها، وقد قام فعلاً ببيعها. لقد تملكتني الدهشة عند أخذه بنصيحتي، حيث أن السكان المحليين يعتقدون بشكل راسخ بالعين الشريرة. لذا فإن كل الأطفال وكل الخيول تقريباً تحمل نوعاً من الخرز الزجاجي الأزرق ليكون لهم حفظاً، لم يكن الانتصار كاملاً إذ أُصيبت عيني في اليوم التالي وقد نصحني عندها بأنني إذا نظرت إلى يهودي فإنني سأتماثل للشفاء.

أأمل أن تذهبي في أحد أطيب أيام شهر مايس لتصعدي إلى قمة تل (وايت هاوس) وتصطحبين معك من يناسبك وتصلين إلى هناك قبل تناول غدائك الذي يجب أن يشتمل على البيض والسندويج والكيك، وأن تقولي كلمة (ابن السبيل) (وهي الكلمة التي وردت في القرآن بمعنى المتجوّل) ومن ثم تسيرين في طريق (أولد رود) باتجاه كهف (ويلاند سمث) للبحث عن شحاذ من أولئك المتواجدين في المنطقة، وأن تتصدقي عليه بمبلغ يعادل واحداً من أربعين من دخلك السنوي نيابة عني، وتعودي بعدها نقية

إلى أكسفورد[1]. لقد ذهبت إلى هناك خمس مرات في شهري مايس وحزيران الماضيين ولا يوجد الكثير من بقاع العالم ما يضاهيها سحراً.

غماس، ١ نيسان، يوم كذبة نيسان (إلى الآنسة أ. م. روث)

لقد اكتست الأرض هنا بحلتها الربيعية، ولكن المنطقة تخلو تماماً من الأزهار، باستثناء براعم الفاكهة، إن الربيع يشرف على النهاية، وإن كل شيء يمكن أن يثمر هنا إذا سقيته، إن العربي لم يشاهد ورداً على الإطلاق، ولا توجد كلمة في لغته بهذا المغنى. وإن عمال الحدائق في بغداد هم من العجم. لقد ذهبت في أحد الأيام لزيارة جاري الثري عزرا اليهودي في إحدى حدائقه الكبيرة في أم البعرور، وكم تمنيت أن تشاهديها. إنها ليست حديقة بالمعنى الذي نعرفه. إن هذه الكلمة تطلق على كل مكان يحتوي على الأشجار كالنخيل وغيره. وتبلغ مساحة هذه الحديقة حوالي ثمانية آلاف متر مربع مسيجة ومليئة بالأشجار المثمرة، وتزهر فيها أشجار الليمون والبرتقال والرمان والتين. كما أن هناك مساحات مزروعة بالشعير والباقلاء. أما المساحة المتبقية من الحديقة فسيجري بذرها بالدخن خلال أسابيع قليلة. كما أن هناك بعض من أشجار الكروم التي تأثرت كثيراً نتيجة للإهمال الذي لحق بالحديقة خلال مدة خمس سنوات إذ لم يلتفت إليها أحد إلاّ في السنة الماضية، حيث أن من الخطر بالنسبة لليهود الذهاب إلى هناك لرعاية ممتلكاتهم. إن البستاني وهو عربي يستلم أجره من المحصول وليس نقداً، وليس له حصة في التمور، وله نصف الفاكهة والشعير والدخن، وقد نسيت حصته من المخضرات. لذا فليس هناك من دافع لزراعة الأزهار التي تكاد تكون غير ذات قيمة كبيرة في السوق في أم البعرور. إن مالك البستان مسؤول عن كل طلبات الحكومة عن المحصول.

وعلى كل حال فإن المكان في غاية الجمال لكونه يتميّز بالبرودة والخضرة في هذه الأمسيات الصيفية. لقد جلسنا وتناولنا الشاي تحت الأشجار، وقد أخبرتهم عن البيوت الزجاجية في (كيو) وعن أمور أخرى مماثلة. وأن لهم علاقات مع بغداد، كما أنهم أناس لطفاء كما هو معروف عن اليهود، وقد أرسلوا في طلب بذور الأزهار والورد، كما أنني أحاول الحصول على بعض منها من مديرية الزراعة التابعة للدولة. إن لدي الآن الكثير من بذور الخضراوات.

---

(١) ما زال يزداد قلقه يوماً بعد آخر، متشائماً مما سيحدث له في المستقبل القريب.

[وفي معرض إشارته لزيارته المقبلة لسكان الخيام (وهم أناس يسكنون بيوت الشعر في الصحراء) يقول]: إن ثروتهم الرئيسية هي الأغنام، وبعد الحرب مارسوا الغزو والنهب ولكنهم كفّوا عن ذلك وتوجهوا نحو الزراعة، وهم يزرعون في هذه السنة مساحات شاسعة من الأرض بالحنطة والشعير والتي سأقوم بزيارتها. وخلال فترة الحرب كانت لهم حروب صغيرة فيما بينهم، وقام بعضهم بسرقة مساحات كبيرة من الأراضي من البعض الآخر، أما الآن فإنهم يريدون توزيعها بينهم كما كانت في الماضي. إن هذه مهمة كبيرة لا أستطيع إنجازها في يوم واحد، ولكني أأمل القيام بها في أقرب وقت، كما أنني أريد في الوقت نفسه أن أطّلع عليهم.

أم البعرور في أول نيسان (إلى والده)

سأتوجه الآن إلى غماس في طريقي لزيارة عشيرة من عشائر البادية تدعى (آل شبل)[1]... وسأصل غماس هذا المساء فأبيت هناك، وفي الصباح الباكر سوف أذهب بالزورق مع خليل المأمور إلى حاشية البادية حيث ستكون الخيول العربية بانتظارنا كما أتوقع. وعند ذاك سوف نتجول راكبين في أراضي آل شبل، ونرى حنطتهم التي أخذت بالاصفرار الآن، وسأحاول جمع المعلومات عن نزاعهم وما يملكون من الأرض. وفي يوم السبت سوف ألتقي بمعاون الحاكم السياسي في الرميثة في (النبي عيسى)[2]، وهو قبة تقع في حدودنا البعيدة، وهناك سوف نجري تحقيقاً عن حقوق الماء المتنازع عليها بين آل شبل، وأسرة من السادة يطلق عليهم (آل مكَوطر)[3]، ويعود قسم منهم لمنطقتي وقسم آخر للرميثة...

---

(١) آل شبل: عشيرة طائية من سنبس، أصلهم من نجد، ومنها هاجروا إلى أنحاء السماوة من أرض العراق، ويقطنون اليوم في المنطقة الممتدة بين أبي صخير والشنافية.

(٢) هكذا يسميه العامة، والصحيح هو مرقد عيسى بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وموقعه قرب ناحية الشنافية على بعد ٨ كم منها في أراضي قبيلة آل شبل، والظاهر أنه على حدود الرميثة ـ الشنافية، وهو حرم صغير فوقه قبة بيضاء، والقبة التي شاهدها الكابتن مان تاريخ تشييدها عام ١٣٢٧ هـ.

(٣) السادة آل مكوطر: أسرة حسينية النسب، من زعماء منطقة الشنافية، يمتلك فيها أفرادهم مساحات شاسعة من الأراضي المتخصصة بزراعة الشعب (الرز)، من أعلامهم السيد هادي آل مكوطر، قام بتمويل المجاهدين المتطوعين من العشائر المجاورة للشنافية بسفرهم إلى الشعيبة، وقد شارك في حملة الجهاد هذه بنفسه، وعند دخول الانكليز إلى مدينة السماوة ألقي القبض عليه ونفي إلى الهند، وبعيد عودته اشتعلت نار ثورة ١٩٢٠ فكان من قادتها ومموليها.. وبعد عودته من الحجاز إثر تأسيس =

وأأمل أن أقوم يوم الإثنين بإنهاء نزاع حول الأرض على الجانب البعيد من النهر الرئيسي على تخوم الصحراء الشامية (أي على الجانب الذي يقع عليه النجف) والعودة في ذلك المسار إلى غماس، ثم العودة إلى هنا يوم الاثنين.

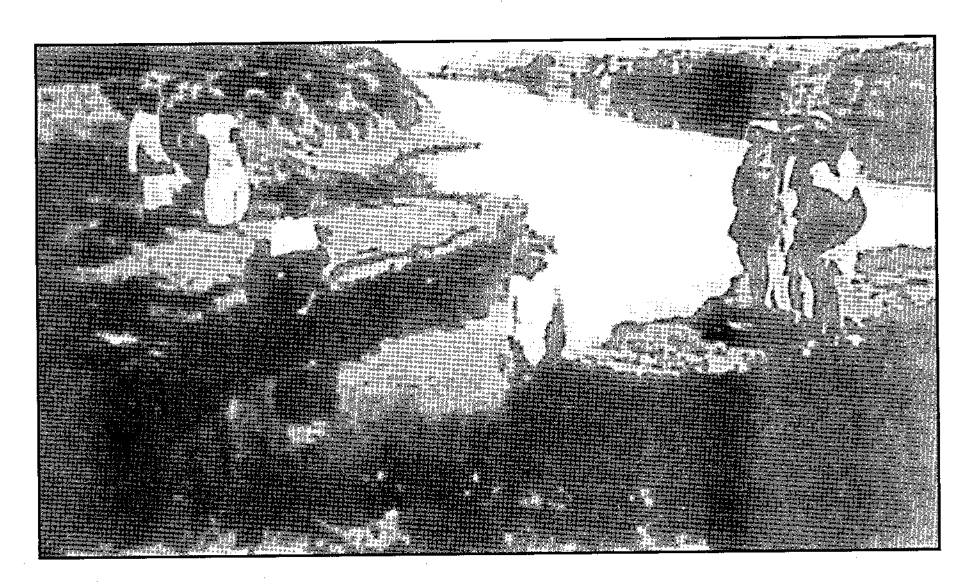
ولا أدري أين سنقضي الليلة في منطقة آل شبل، حيث أنهم من «أهل بيوت الشعر» وليس عندهم مضايف، إنني بلا شك سآخذ خيمتي رغم أن نقلها سيكون صعباً في البادية. وأأمل إنهم سيستقبلونني استقبالاً حافلاً، حيث أنهم منعزلين بعيداً عن الناس، ونادراً ما يرون حاكماً من الحكام، ولاشك أنهم سيظهرون فرحهم بكثير من الكلام وتقبيل الأيادي...

إنني متأسف لأنك لم توافق على مقارنة شيوخ منطقتي بالناس الذين جاء ذكرهم في الإنجيل، ولكنهم في الواقع من نفس النوع يحملون صفة النذالة، فيجب عيك أن لا تتصور أن شيوخ منطقتي يحملون الصفة نفسها، إنهم جميعاً منزهين عنها. إن النظام الأبوي العشائري يخلق فضائل ورذائل معينة، نظراً لكون القبيلة هي الوحدة الاجتماعية وإنني أتصور أن هذه التطورات تحدث في كافة أنحاء العالم. لقد كان تأثير الأتراك على العرب سيئاً، ولكن التمسك بالإسلام هو الإرشاد العام، وإن مستوى العيش هنا مرتفع إلى حد ما مقارنة مع البلدان المتحضرة. وبالطبع فإن النجف يختلف عن ذلك...

أم البعرور في ٥ نيسان (إلى والدته)

لقد إستَمتعتُ بزيارتي (آل شبل) رغم مساوئها، إن خيمة الضيوف عندهم تقسم بستارة وسطية، حيث أن النصف الأيمن يخصص لنساء الشيوخ وحملان الغنم والأطفال والدواجن والكلاب وغيرها، والتي تقوم بالتجاوز على النصف الآخر العام، بالإضافة إلى ذلك تنتشر البراغيث بشكل كبير. كما أنهم أناس فقراء ولا يحتوي الطعام الذي يقدمونه إلاّ على نوعين من الصحون وهما التمن واللحم المطبوخين، إن ذلك طعام جيد بالتأكيد، ولكنه يصبح مملاً بعد ثلاث أو أربع وجبات متتالية لعدم تقديم أي نوع من الحلوى معه. كما أن لغتهم لا تكاد تفهم ليس من قبلي فحسب ولكن حتى بالنسبة للعربي المثقف، إضافة إلى أنهم لا يكادون يفهمون كلمة واحدة مما أقول: إنهم يشعرون

= الحكم الوطني، أقعده المرض ولم يشارك في الحياة السياسية، توفي سنة ١٩٢٤. «مذكرات السيد محسن أبو طبيخ ص ٢٠٤ هامش».



منطقة (طلاع) اثناء موسم الفيضان.



بسعادة غامرة لرؤيتي، ومن المشاهد التي يمكن رؤيتها في الليالي التي ينيرها البدو هي عندما يتم تجميع الأغنام وتُصف الخيول بجانب الخيمة.

لقد اجتمعت القبيلة كلها، وقد صحبني عشرون خيالاً عند مسيرتي. ومن سوء الحظ لم يأت الحاكم السياسي للرميثة، لذا بقي جزء مهم من عملي دون إنجاز. ومع ذلك قمت بزيارة الناس، وهذا عمل جيّد، كما شاهدت مساحات شاسعة من الأراضي المزروعة بالحنطة والشعير، واستمعت إلى مظالم الناس ومشاكلهم، وقابلت جميع كبارهم تقريباً، وكان هذا الأمر في غاية الفائدة لي شخصياً.

وبالطبع فإن هذا البلد ليس بلد إبل، ولكن تقطنه القبائل التي تقوم بتربية المواشي، وتسعى وراء العشب في الصحراء ليعتاشوا عليها إلى حد ما. أرجو أن لا تصدق بما يقوله (ر) - وهو جندي متسرح - حول العرب الصامتين. إن (تومي) البريطاني لا يحب جاره كثيراً كما أنه لا يحترم أي رجل يتحدث لغة لا يفهمها... ولم يحصل أي جندي على فرصة مشاهدة الريف أبداً، وليس هناك شخص من خارج الدائرة السياسية يعرف شيئاً عن العربي وأعماله. كما أن عدد الذين يعرفون ذلك في الدائرة السياسية أقل مما يستوجب.

٧ نيسان (إلى السيد ف. ف. أوركهارت)

لقد عاد الصيف إلى هنا مسرعاً في بداية الشهر، والجو شديد الحرارة. بعد ستة أشهر من البرد مضت علينا، هاجمنا الحر دفعة واحدة، ولكني سأعتاد عليه بعد فترة وجيزة.

لقد عدت قبل يومين من جولة ووجدت برقية تقول: إن المس بل وأباها (السير هيوبل) سيقومان بزيارتي في اليوم التالي[1]. وقمت باستعدادات كبيرة ولكنهما لم يحضرا. وهذه هي المرة الرابعة على التوالي والتي يقوم فيها الزوار بإخباري بواسطة البرقيات عن قدومهم ولكنهم لم يأتوا، وذلك خلال مدة شهرين. لقد فقد طباخي أعصابه تماماً، كما أن أهل المدينة الذين يعتبرون الضيوف ملكاً عاماً يعتقدون أن تصرفات الإنكليز غريبة - وأحمد الله انهم ليسوا مثلنا - وحسب العرف العشائري فإن

(١) تقول المسس بل في رسالتها من البصرة المؤرخة في ٣٠ آذار ١٩٢٠:
«وصل والدي صباح أمس... سنتوجه غداً إلى الناصرية بالقطار، ومن هناك إلى الحلة فالنجف حتى نصل إلى بغداد في اليوم الثامن». «العراق في رسائل المسس بل ص ١٢٩».

المضيف الذي لا يحضر ضيفه دون إشعار، له الحق أن يؤخذ منه غرامة مقدارها خمس نساء، وهذا يسمى (حشم) وقد اقترح خادمي يوم أمس أن أقوم بفرض الحشم مرة واحدة لأننا سنتخلص من هذه السخافات في المستقبل، ولكن الأمر قد يصبح صعباً إذا كان الضيف الرئيسي امرأة.

لقد كان لدي من المشاكل أكثر مما أحتمل خلال هذين الشهرين، وأنا الآن مشغول بنزاعات مع جيراني الثلاثة من المقاطعات الأخرى إضافة إلى مشاكل سكان منطقتي. ومع ذلك فإن لدي الدليل على أن ظرف المقاطعة ليس سيئاً للغاية، وخاصة فيما يتعلق بالعمل العام وحسن النيّة، وفي الحقيقة فإن الناس بدأوا باستيعاب حقيقتين أساسيتين:

١ ـ أن السِّلم يعني الازدهار والأمن (لأن الجميع منتجون وليس هنالك من بطالة، حيث يجري دائماً استغلال أراضٍ جديدة).

٢ ـ إن الحكومة تعمل على تطوير البلد بفتح الطرق، وإنها تعطي للناس شيئاً لقاء ما تتقاضاه منهم من الضريبة. وأعتقد أننا مقبلون على فترة من الهدوء الاعتيادي الذي يلفت النظر إذا وجدنا المجال الكافي للعمل. ولكن عندما أفكر في إنكلترا عند حلول شهر مايس أتمنى لو كنت مدرساً هناك، ومثل جمال الربيع هنا، ولكن تنقصه الزهور والعطر وأغاني الطيور في إنكلترا.

١٠ نيسان (إلى والده)

لا توجد لسوء الحظ أزهار ربيعية تستحق الحديث عنها. لقد شاهدت حالة أو اثنتين في أحد الأيام في الصحراء ولكنهما كانتا صغيرتان جداً، وغير ذواتي أهمية، وأعتقد أن الفيضان المستمر الذي يغمر الأرض، وطبقات الغرين التي تتخلف سنوياً هي السبب في هذا النقص المحزن.

أم البعرور في ١٥ نيسان (إلى والدته)

لقد تم قبولي لأداء امتحان اللغة العربية، ويتوجّب عليَّ الذهاب إلى بغداد. ولكني متردد في الذهاب بسبب العدد الكبير من المشاكل والتي تشتمل على مشكلة خطيرة، كما أنها جميعاً تتطلب إجراءات فورية وحازمة. وفيما يتعلق بمختلف أعمال التنظيم فقد

اصبح من الواضح أن أقوم حتماً بتهديم بعض السدود التي بنيت في فترة غياب الحكومة، وذلك بغرق قطعة من الأرض استزرعها بعض من آل شبل، ويلحق بعض الأذى بالزراعة أيضاً في منطقة أبي صخير. (ويضيف قائلاً إن الأمر جرى تأكيده وتم إنذار آل شبل قبل أعياد الميلاد، وقد تم تأجيل التنفيذ لحين وصول حاكم سياسي جديد لأبي صخير، عندها يتم تأكيد الأمر مرة أخرى).

لقد أرسلت جماعة تتألف من حوالي خمسين رجلاً بقيادة شيخ[1] لا بأس به وبمعية اثنين من موظفي دائرتي لكسر السدّة، وهناك هاجمهم فريق من آل شبل وسكان أبي صخير (بنسبة أربعة أو خمسة إلى واحد) وأطلقوا النار عليهم ثم جرحوا قسماً منهم بالخناجر ونجحوا في قلب الزورق الذي كان فيه الشيخ نفسه. وكانت الإصابات الفعلية طفيفة، لكن الجريمة كانت بلا شك خطيرة. وآل شبل المساكين يسكنون الخيم، ويبدو أن معظمهم قد قوّض خيامه وفرّ هارباً بعد الحادث، وعلى هذا فإن إنزال العقوبة فيهم شيء غير هين، غير أنه لابد لهم من تسليم عدد من السلاح، ودفع غرامة غير يسيرة على سبيل التعويض للمجاريح لدرجة ما بحسب العرف العشائري. على أن السبب أعمق مما يظهر، وهو من بقايا نزاع كان قد حصل قبل الحرب، حيث استغل فيه آل شبل غير المحظوظين من قبل سكان أبي صخير الذين لا يخضعون لسلطتي، وإني سوف أسعى حثيثاً لإنزال العقوبة بهم. وقد سببت هذه الحادثة الطفيفة لغطاً كثيراً، كما أغضبت الشيخ الذي وقع في الماء (وهو الحاج حمود الرجل الطيب) غضباً شديداً، للإهانة التي لحقت به.

وكنموذج للقلاقل السخيفة التي تحدث يومياً من خلال موقفنا المزدوج كأعوان للنظام القبلي، وفي نفس الوقت كمحبين للعدالة، أقدم لك حالة سببت لي بعض الإزعاج:

هناك قطعة من الأرض تسكنها جماعات مختلفة، تنتمي إلى عدة قبائل، وكانت هذه الجماعات قبل مجيئي قد دُعيت وأجبرت على انتخاب رئيس لها. فتم ذلك ووقع الاختيار على رجل محترم لا ضرر فيه يدعى علي آل حسن آغا[2]، وهو من الرعايا الموالين، لكنه لا يتمتع بشخصية قوية، ولا ينتمي إلى أسرة خاصة ذات تأريخ حربي حافل، وعلى كلّ فقد أصبح شيخاً، وترتب علينا أن نؤيده لكونه شيخاً ولأنه يقوم

---

(١) هو الشيخ حمود البدن.
(٢) علي آل حسن آغا: من أصل كردي، ثم صار شرطياً في الحكومة العراقية، وبما أن ليس له عقب فقد استملكت الأوقاف تركته.

بواجبه أفضل من الكثير من الشيوخ الكبار. وقد جاءني متذمراً من اثنين من سراكيله (الرؤساء الثانويين) بقيت له بذمتهما مبالغ زهيدة من المال بسبب شؤون قديمة تعود للحكومة، وقد كانا على الدوام يؤجلان الدفع ويحتقرانه ويتقصدان إهانته، وهذا مضر بشرفه وسلطته. فدعوت السركالين، فأنكرا بإباء قائلين إنهما دفعا حصتيهما كاملتين في وقتها. وكان يتوجب علي أن أترك القضية لعدم وجود أدلة أو شهود لكلا الطرفين. لكن علياً جاء مجدداً وطلب تعويضاً عن الإهانة التي لحقت به حيث وصفوه بالكذب. فأخبرت الفريقين بأنه كان من الواضح أن أحد الفريقين لابد أن يكون قد كذب في القضية، وليس هناك بيّنة ما تثبت شيئاً. وبالنظر لمكانة علي سوف أرسل الجميع إلى كربلاء لأداء اليمين المعتادة في حضرة العباس، وهو القسم المشهور الذي يريد البعض أن ينقضوه بدراية. فأزعجتهم الفكرة إزعاجاً تاماً، لأننا نرسل عادةً اللصوص والمجرمين لأداء هذه اليمين، وقد ذهبوا والأسى يملأ نفوسهم، ولأنني سوف أغرم الكاذب غرامة بمقدار (٥٠٠) روبية.

ومن أجل التطرق إلى جوانب أكثر متعة في حياة العراق، أذكر لكم شيئاً عن الشؤون الدينية الرسمية. ويوجد هنا جامع للسنّة بناه الترك وأشرفوا عليه، وبالطبع فإن كل السكان من الشيعة، ولكن علينا أن نتدبّر أمر الجامع، ودفع الراتب للإمام من الخزينة الحكومية وفي مقابل ذلك يتحتم عليه أن يؤذن خمس مرات يومياً من دون أن يعترض عليه أحد، ويقع أمام بيتي[1]، إن الإمام نفسه موظف في الدولة، وعليه أن يطلب رخصة مني عندما يذهب إلى خارج البلدة، وقد كان في بغداد لدعوة تخصه في المحاكم بعد أن استرخص مني فانتهت رخصته، ويوم أمس تسلم الثري اليهودي عزرا كتاباً منه من بغداد يطلب منه قرضاً مقداره خمسين روبية ليعود إلى هنا ويمدّد إجازته من الحاكم (النصراني)! ولا شك أن السني أقل تعصباً من الشيعي.

جلست يوم أمس مع عزرا في حديقته، وبعد ذلك تناولت عشائي عنده، وقد قدم لي باقة جميلة من الزهور، فيها ورود ذات رائحة زكية، وأزهار بنفسجية، ونباتات ذات أوراق جميلة...

.. لقد أحسنت صنعاً عندما أرسلت أزهار البنفسج في رسالتك الأخيرة[2]، وأتمنى

---

(١) كان على شارع النهر في الصوب الكبير بجانب دار عبد الكاظم الحاج مرزوق. وقد هُدم مؤخراً في توسعة الشارع.

(٢) كتب سوماريز إلى الآنسة د. ب. ولسون في ١١ حزيران طالباً منها القيام بزيارة أمه في بروملي وقال لها: سوف تشاهدين الحديقة التي أحببتها كثيراً. ـ هامش الأصل.

لو كنت في البيت لرؤيتها، إن هذا بالتأكيد هو وقت ظهور أوراقها.

إنني بالإضافة إلى مشاكلي مشغول في نزاعين شديدين مع جيراني في الحلة والديوانية، وليس هنالك من شك في أن كون الفرد مستقلاً وله منطقة معينة يتصرف فيها كيف يشاء، يخلق مشاكل ومتاعب. ولأنني لأفهم السبب وراء قيام حكام الأقاليم بمنازعة أحدهم الآخر في التأريخ القديم.

لذا لن أشعر بالأسف إذا اعتقد الميجر رغم كل ذلك أن من المناسب إرسالي إلى بغداد والقيام بالأمر نفسه، ولكن من أجل مصلحته سأدعوه وبشدة أن لا يدعني اذهب لأنني أعرف أكثر مما يعرف هو كيفية التعامل في حالات التحقيق والنقاش والنساء الباكيات والتبليغات الكاذبة.

أم البعرور في ٢٠ نيسان (إلى والده)

بعد شرحه لمختلف الأسباب التي حالت دون ذهابه إلى بغداد لأداء امتحان الكفاءة باللغة العربية يواصل قائلاً:

إن الميجر نوربري قد عاد يوم السبت (إلى النجف)، ورجعت أنا إلى أم البعرور يوم الأحد، وجدت أن القلائل لا تزال موجودة بسبب كسر السدة المشار إليها في كتاب سابق، فقررت أن أقوم بعمل حاسم بنفسي، فأركبت في الزوارق صباح يوم أمس الباكر القوة الموجودة عندي المتألفة من عريف وثمانية من أفراد الشرطة المسلحين بالبنادق، وتوجهت نحو السدّة، وكما كنت أتوقّع فإن مجرد وصول الأنباء إلى هناك عند مجيئي قد أدّى إلى تفرق المتمردين وبقاء السدّة مكسورة تماماً يجري من خلالها الماء على أحسن ما يكون. وقد اجتمع بالقرب منها بعض النساء التعسات يندبن ويبكين، ولا شك إنهن كن يشتمنني. وعلى هذا أركبت رجالي الباسلين ثانية وسرنا لنتغدى عند الشيخ الذي ألقاه آل شبل في الماء في الأسبوع الماضي من قبل آل شبل الهائجين.

إن هذه السدّة كانت قد أُقيمت من قبل آل شبل في ١٩١٣ فهبّت القبيلة العائدة لمنطقتي وهي قبيلة الحميدات (التي ينتمي إليها الشيخ) للاشتباك في معركة مع آل فتلة، وهي من قبائل أبي صخير القوية الشكيمة التي كانت تؤيد آل شبل كما تؤيدهم اليوم. وقد كانت نتيجة تلك المعركة أن قُتل من الحميدات ٣٥ شخصاً وجرح ما يزيد على ٧٥، ولذا كانت القضية غير يسيرة فتدخل الأتراك واعتقلوا عدداً كبيراً من آل فتلة (وكانوا

يستحقون الاعتقال استحقاقاً تاماً) ثم حبسوا شيوخهم في بغداد، ولكنني كسرت السدّة بسبعة أشخاص من دون إصابات خطيرة جداً بعد أن كاد أحد الشيوخ (الشيخ علي)[1] يغرق، والحمد لله على أن الحالة لم تزداد سوءاً...

وباستثناء هذه الحادثة فإن الأمور تسير بشكل حسن جداً، حيث ارتفع منسوب المياه في النهر كثيراً.

لقد أمضيت صباحاً مضنياً في حل المشاكل التي تجمعت في غيابي ولم تكن أياً من هذه المشاكل مثيرة للإزعاج، وقد نظرت في تهمة قتل وقررت براءة المتهم وهو ولد في السادسة عشرة من عمره، اعترف بالحقيقة أن لصّاً هاجمه في البيت فأطلق النار عليه دفاعاً عن النفس.

وكانت لديّ قضية ادعاء شخص بحصته في وراثة ممتلكات على أساس أنه كان أخاً للمالكين الحاليين وإبن لأبيهم، وقد أنكروا ذلك إنكاراً تاماً. وبما أن الأب متوفى، وأن فحص الأمهات مسألة حساسة، ولعدم حصولي على أي تأكيد على ادعاء الرجل فإنني رفضت النظر في الدعوى...

أما الآن فيتوجب عليّ الذهاب لمحاكمة رجل قدم رشوة لموظف بلدية المدينة...

وقد استأنفت عشائر أبي صخير قضية السدّة عند الميجر نوربري؛ (يكتب سوماريز إلى أمه في ٢٦ نيسان) وعلى هذا ففي يوم ٢٤ نيسان أخذت الشيخين مع شيوخ منطقة أم البعرور الأربعة في زورق بخاري ظنه العرب زورقاً مسلحاً جاء لنفي الشيوخ إلى بغداد. وكان شيوخ أبي صخير ينتظرون في (أم شواريف) التي تقع في منتصف الطريق إلى غماس.

(ويكتب قائلاً): وهناك نزلنا إلى البر وانتقلنا إلى المشاحيف، ثم شرحت للميجر وجوه القضية بأجمعها كما تقتضيه وجهة نظري، وقد أيدني بشدة موظف الري، وهو رجل من السيك مقتدر، ورئيس الدائرة المالية العربي. وعدنا بعد ذلك إلى أم شواريف حيث جمع الميجر نوربري شيوخ الطرفين وبكل هدوء وأدب، ولكن بشدة وحزم، أبلغهم قراره الذي كان في صالحي...

وقد سُرّ بطبيعة الحال شيوخ منطقتي سروراً بالغاً بالنظر لمصلحة مزروعاتهم، ولأنهم انتقموا بهذا من أعدائهم القدماء الذين كانوا بإغلاقهم السدّة لمدة خمس سنوات

---

(١) علي آل حسن آغا.



الكابتن وليم . أم. مارشال معاون الحاكم السياسي للنجف، قتل في ثورة النجف المسلحة ٢١ آذار ١٩١٨.

قد امتصوا ثروتهم وقوتهم كثيراً. وقد سرت في مقاهي أم البعرور حكايات مُبالغ فيها حول ما يجري... ويقال إن مرزوقاً[1]، أحد شيوخ منطقتي الذين يهمهم الأمر كثيراً، والرجل القوي الذي كان يكن كرهاً عميقاً لآل فتلة، كان يفرّع رأسه كل دقيقتين، ويدعو الله لي قائلاً: «الله يطوّل عمر حاكمنا (أي أنا) الله ينصره» وغير ذلك...

وفي الوقت نفسه فإنه من غير المتوقع أن أجد استقبالاً وديّاً في منطقة أبو صخير، ولكن ليس هناك من مناسبة تدعوني للذهاب إلى هناك، كما أن ذلك لن يؤثر في نفسي...

أم البعرور في ٢٧ نيسان (إلى الآنسة بربارة سمث)

إن مقاطعتي تنتج الرز، وهذا يحتاج إلى ري كثير، كما أن هناك أشجار النخيل والفواكه والخوخ والتين والعنب وأشجار الرمان التي تحمل في الوقت الحاضر أزهاراً حمراء، كما توجد أيضاً الحشائش ومساحات شاسعة من المستنقعات المغطاة بالقصب والأزهار المائية الصغيرة. كما توجد بشكل كثيف أشجار الصفصاف والحور على امتداد الأنهر والقنوات.

إنها بلاد جميلة، وكم تزداد سعادتي لرؤيتي تلاً، ولكن لا يوجد حتى على مسافة ٣٠٠ ميل. إن الألوان هنا رائعة، وقد كان الربيع في غاية الجمال، ويمكنني أن أصفه بالمرأة التي استخدمت كل وسائل الزينة. وعلى كل حال فإنها بلاد مزدهرة جداً، وعندما نتمكن من مدّ الطرق وسكك الحديد فإننا سنشهد سنوات مليئة بالازدهار... وعدا ذلك فيمكنني القول أنني لا أريد شيئاً سوى وجود مدرسة هنا، وأنني لأنتظر من أخيكِ أن يؤسس لي مدرسة، وفي الحقيقة فإنني اتصلت به حول الموضوع..

ولا أستطيع التحدث لك عن الأطفال، إنهم في معظم الأحيان يهربون عند رؤيتي قادماً، وهذه تركة من العهود التركية، إنهم صغار سعداء، ويلقون عناية رقيقة من والديهم، وهم يتمتعون بالحيوية والحبور حتى بلوغهم سن العاشرة تقريباً، حيث تملأ الكآبة نفوسهم. إن الأولاد الصغار يسبحون عراة في النهر طيلة اليوم خلال الصيف، وإنني لأحسدهم على ذلك، رغم أنني أقوم بالسباحة في بعض الأحيان.

---

(١) مرزوق العوّاد.

وخلال استماعي لشجار دار في أحد الأيام بين الشيخ وأحد أقاربه الذي قال له: (حسناً، أنت أبو العشيرة، ويجب أن تكون كذلك... الخ) فأجابه الشيخ قائلاً: (لا، لا، إن الحاكم السياسي هو أبونا، إنه أبو الجميع، وإننا جميعاً أبنائه المطيعين)..

واليوم كنت أستمع إلى نزاع آخر مماثل حاول فيه الطرفان أن يعطوا انطباعاً جيداً للغاية. فقال الأول: (دعوا الحاكم السياسي يقرّر، إن تفكيره أفضل من تفكيرنا). وقال الثاني: (أفضل من تفكيرنا! لماذا، لأنه يجب أن يحكم كل الناس من الكفل إلى الشامية - أربعين ميلاً - ويجب أن يكون ذو عقل أفضل من عقول أتباعه كلهم). وبعد هذه الملاحظات كان يتوّجب عليّ أن أقول (أستغفر الله) وهي الطريقة المهذبة للمجاملة، وكم تمنيت أن أجد شخصاً أضحك معه على هذه المهازل...

أم البعرور في ٢٨ نيسان (إلى السيدة ماري موري)

إنني لا أعتقد أن إدارتنا استعمارية جداً، وفي الواقع فإنني غير مسموح لي أن أرفع العلم البريطاني حتى لو كنت راغباً في ذلك، وإذا لم نكن نعرف ما يقوم به بعض أقطاب المال في التلاعب بالصفقات مع الحكومة في بريطانيا يمكننا أن نقول بصراحة بأننا ندير البلاد فقط من أجل مصلحة سكانها[1]...

لقد أمضيت وقتاً مهولاً مؤخراً، وكم تمنيت في مناسبتين أو ثلاثة أن أتمكن من الهروب أو الاختباء. وفي بعض الأحيان يخاف المرء حقاً من الذهاب إلى الدائرة وعلى مدى ما يقرب من أربع ساعات يبقى مع سيل من المدعين والمدعى عليهم ويقول أحدهم: (إذا بقيت هذه القناة مفتوحة فسيصيب الدمار كل محاصيلي، ولكني سأطيع أوامرك)، ويقول الآخر: (إذا أغلقت هذه القناة فلن أجني أية محاصيل أبداً، ولكني أنتظر أوامرك وسوف أطيعها)، ومن ثم على المرء أن يعطي أوامره!.

أم البعرور في ٣٠ نيسان (إلى أخته)

بعد إنهاء هذه الرسالة سأقوم بكتابة مذكرة حول تقديم حكومة نيابية في العراق، وتتضمن ملاحظات حول أساليب الانتخاب، وهذه مسألة تبعث على اليأس، وعند

(١) قالها قبله الجنرال مود في بيانه عند دخوله العراق محتلاً: «إن الانكليز جاؤوا محررين لا فاتحين».

الساعة الخامسة مساءً سأذهب لأجلس وأشرب الشاي مع عزرا في إحدى حدائقه على الجانب الآخر من النهر. إن هذا الرجل العجوز يتمتع في الوقت الحاضر بحالة نفسية ممتازة بعد أن كان متأثراً من موظف من العرب، ربما لمشاعر شخصية، وقد تألم لذلك. إننا سوف نستوفي ضريبة بنسبة خُمس (واحد من كل خمسة) من سعر البيع على جميع المخضرات التي تباع في الأسواق المعترف بها، وقد قمنا في السنة الماضية بجمعها بأنفسنا وكان مجموعها حوالي ثمانين ألف روبية. وفي هذه السنة وضعنا الضريبة في المزايدة (نعرض عدداً من الضرائب للمزايدة وهذا أقل شراً من الفساد الكثير بين موظفينا) كل سوق على حدة، وقد وصلت العطاءات إلى ما يقرب من تسعين ألف روبية. وعندما جاء عزرا وقال لي أنه كان يرغب في تقديم عطاء لكل منطقة الشامية. وقد أرسلته مباشرة إلى النجف مع رسالة، وبعد يوم أو يومين وضعنا الشروط ونشرناها في البلاد في الحلة والديوانية وهنا أيضاً. وقد ازدادت العطاءات بشكل كبير ووصلت إلى مائة وواحد وخمسين ألف روبية عندما رَسَتْ على رجل من أهالي الحلة بتواطؤ (كما يبدو) مع الموظف العربي الذي كان يدير المزاد رغم أن عزرا كان مستعداً لمواصلة المزايدة حتى يصل إلى مائة واثنان وسبعين ألف روبية، لذا عاد إلى هنا وهو متألم طبعاً.

ومع ذلك فإننا نعتقد بأننا قمنا بإنجاز رائع، لقد كانت تقديراتي أننا لن نحصل على أكثر من مائة وعشرين ألف روبية أي زيادة خمسين بالمائة عن السنة الماضية. إن مبلغ مائة وخمسين ألفاً يمثل زيادة نسبتها مائة بالمائة عن العام الماضي، كما أنها تعني بأن مخضراتنا لهذا الموسم ستبلغ قيمتها حوالي المليون روبية، أي مائة ألف باون. وبما أن عدد السكان يمكن أن يصل لحوالي مائتي ألف، فإنني أعتقد بأن ذلك سيحدث ازدهاراً كثيراً، وقد كان الترك يعتقدون أنهم محظوظون إذا استطاعوا الحصول على ألف باون من ضريبة الخضراوات.

إن مناسيب مياه النهر مرتفعة حقاً، وقد كانت هناك ثغرة وأأمل أن تكمل الجهود الجارية غلقها. إن كبير الموظفين العاملين معي قد غادر وأخذ زوجته إلى المستشفى في بغداد، وإنني لا أريد التحرك حتى عودته. وعند حدوث الثغرات يجب جمع القصب والتبن من أي شخص قريب، وعند الضرورة تهدم بيوت القصب القريبة، وذلك لصنع نوع من الحصران للتراب، فإذا قمت بنفسي بإصدار الأوامر للقيام بهذه الأمور فلن يحدث إلا القليل من المشاكل، أما إذا لم اصدر أوامري بذلك يأتي الجميع شاكين.

ويتأخر العمل. بالإضافة إلى ذلك فقد ذهب كلِ الشيوخ الكبار لأداء الزيارة في كربلاء[1]، الأمر الذي يجعل سرعة إنجاز العمل أقل يسراً.

وهكذا فإن الزيادة الكبيرة المتوقعة على محصول الرز تثير دهشة الجميع، كما أن أعمال البذر تجري بكل همة. لم أعتد أن أكون مفرطاً في التفاؤل، كما أن مسألة المحاصيل ذات مفاجئات ولكنهم أكدوا لي بأن هناك أملاً كبيراً في الحصول على حصاد خمسين ألف مشارة. لقد حصلنا في السنة الماضية أكثر من عشرين ألف مشارة. إن مشارة الرز قد تساوي مبلغاً يتراوح من خمسة إلى خمسة عشر باوناً، فإذا أخذنا ٨ باونات كمعدل فإن ذلك يعطي قيمة كلية تبلغ أربعمائة ألف باوند، وحصة الحكومة تبلغ مائة وعشرون ألف باون. فإذا حصلنا على ذلك فعلاً فإنني سأتمكن من تحقيق ما قلته في مضاعفة ثروة المنطقة في سنة واحدة، كما أنني سأحقق شهرة واسعة.

[ويلحّ على أخته للقدوم ويواصل قائلاً] : كلما طال انتظارك، فإن العراق سيصبح أكثر تمدناً، بينما الوضع الآن باستثناء حقيقة إن الطرق آمنة، وإن أعمال السلب والجريمة والاختطاف أندر حدوثاً من حدوثها في إنكلترا، فإن الوضع مشابه لما كان عليه عندما تحرك إبراهيم من أور الكلدانيين. إنني آمل أن أبدأ عملية التطوير بفتح طريقين ومدرسة، حتى قبل الخريف المقبل لذا فإنني أخشى بأنكِ لن تشاهدي أم البعرور في حالتها التي يصعب الوصول إليها، ولكني أعتقد أنه لن يكون بمقدورنا إنشاء فندق أو ملعب للغولف أو دار سينما في غضون سنة أو اثنتين.

ومع ذلك فإن الحضارة الغربية في طريقها إلى هنا. وقبل يومين جاءني موظف البلدية قائلاً بأن جميع أصحاب المراكب المحليين قد شكلوا جماعة وقد رفعوا أجرة النقل من أم البعرور إلى أبي شورة من أربعة روبيات إلى عشرة روبيات. ولا أعلم إذا كنت أطلق على ذلك إضراباً أو احتكاراً كما هو الحال فعلاً، إذ أنهم أصحاب المراكب وقوّادها أيضاً. وهكذا وبعد مفاوضات (تختلف عن المفاوضات التي يجريها اللورد اسكويث وغيره) قلنا فيها بأننا سنقوم بمصادرة مراكبهم ونقوم بتسيير مراكب بأجرة قدرها عشرة آنات للفرد الواحد، وقمنا بإصدار قائمة تتضمن أجور مختلف السفرات وجعلنا أجرة السفرة إلى أبي شورة الخمس روبيات. ومثل أشباههم في أوربا فقد اختاروا الجانب النفسي حيث أن مناسيب المياه مرتفعة للقيام بسفرة سيراً على الأقدام

---

(١) وهي زيارة النصف من شعبان ١٣٣٨ هـ.

أو على ظهور الخيل إلى النجف أو ما بعدها، كما أن الزيارة كانت على الأبواب، ولذلك كان الجميع يعدون المراكب للذهاب إلى الكوفة ومنها إلى كربلاء.

أم البعرور في ٣ مايس (إلى السيد هيوبرت سيكرتان)

إنني أقوم بوظيفة تتطلب جهود ثلاثة رجال من الإنكليز وعدد كبير من الموظفين المحليين. ودائماً ما أكون غارقاً في العمل، وأترك القيام بمشاريع ذات فائدة نظراً للنقص الموجود من ناحية الإشراف الأمر الذي يجعلني أتعامل مع الناس بشكل مزعج.

... ﴿ قد يزداد الإنتاج عن السنة الماضية بنسبة تتراوح بين ٨٠٪ إلى ١٢٠٪ ولكن ﴾ قد تكون الزيادة التي نحصل عليها قليلة، وقد لا تطرأ أية زيادة الأمر الذي يؤدي إلى عدم إمكانية تغطية العديد من القروض المستحقة علي. إن كل شيء يعتمد على الفيضان، وعلى كل حال فإنني أعتقد إن الناس بصورة عاملة تملؤهم الثقة والحماس ويتشاجرون مع جيرانهم، ولكن دون إلحاق أضرار. وإذا جاء أحدهم ليبلغك بأن المياه قد غمرت أرضه فاعلم بأنه المنطقة برمتها تعاني من الأمر نفسه.

أم البعرور في ٢ مايس (إلى والده)

جاءني أمس الموظف الذي يعمل عندي، وأخبرني بأن هناك مأساة تجري، فقد طلق رجل زوجته الأولى بعد أن تزوج زوجة ثانية شابة. وكانت زوجة إبنه موجودة في البيت آنذاك. وقد رفضت الزوجة المطلقة مغادرة المنزل. وهاجمت زوجها وقامت بضرب الزوجة الشابة ضرباً مبرحاً بحيث أن صراخها قد جعل يهودياً في جوارها يذهب إلى المقهى ويستحث الجالسين فيها، إنهم إذا سمحوا بذلك فإنهم لن يكونوا مسلمين جيدين. وقد هوجم الزوج وضرب وطرد من البيت عندما حاول دخوله. لذا كان علي أن أصدر الأوامر للموظف أن يختار ثلاثة أو أربعة من أعيان المدينة ويطالبوا باسم الحكومة بتسليم الزوجة الشابة الجديدة إلى والدها حتى يتم نقل المطلقة. لقد كان الموظف خائفاً ولكن الأمور سارت على ما يرام وساد السلام في الوقت الحاضر.

أم البعرور في ٧ مايس (إلى والدته)

... إنني أشك كثيراً في مسألة استمراري بعملي في المنطقة بعد نهاية هذا العام. ولكن نظراً لاعتماد كل شيء على الظروف وبعد مضي تسعة أشهر فإن نيتي رؤية الربيع والصيف عام ١٩٢١ في إنكلترا معك وليس في أي مكان آخر، وعندما أفكر في أكسفورد أتساءل عما جاء بي إلى هذا النوع من الحياة بدلاً عن قبول التماس (ديوهرست) بأن أبقى وأقرأ اللغات الشرقية، أو المقترحات التي كانت تقول بضرورة الالتحاق بجامعة أكسفورد. ولكنني بالتأكيد غير متأسف على ذلك...

كيف يمكن للناس أن يكوّنوا نظريات عن التسوية المتعلقة بالإمبراطورية العثمانية الراحلة عن طريق عصبة الأمم. إنني لا ألوم شخصاً لعدم معرفته عن أي شيء عن العرب والأكراد والنساطرة[1] والكلدان والأرمن، وأن يتركهم يتحدثون كما يشاؤون عن المشاعر القومية والتاريخ والتقاليد الخاصة بهؤلاء الناس الطيبين ولكنهم يتحملون مسؤولية الإهمال التام من خلال عدم الاكتراث بالحقائق الماثلة أمام أعينهم ومن ضمنها المتعلقة بأمريكا والأخرى هي أنك لا تستطيع وبكل إرادة العالم أن توجد بلحظة واحدة شرطة دولية مسلّحين ومجهزين وموالين لفكرة ينطوي عليها مجلس العصبة بقيادة السيد بلفور وكل الموظفين ومن ضمنهم (كما هو معلوم لحد الآن) كبير الموظفين السير إريك دراموند الذي يبلغ مرتبه عشرة آلاف باوند سنوياً. إنني أحد أتباع العصبة مثل الآخرين ولكن لا يهمني إذا استخدمت القوة في حكم مقاطعتي في بعض الحالات. لماذا تغير سكان مقاطعتي الذين اعتادوا على اقتراف الجرائم والنهب خلال ستمائة سنة من الحكم التركي وحتى بداية عام ١٩١٨ فجأة واصبحوا من المتمسكين بالقانون؟ إن الجواب هو بالطبع وجود حكومة قوية أي أن الطرق آمنة وغالباً ما يتم القبض على المجرمين وهذا أكثر مما يمكنك أن تقوليه عن ايرلندا في الوقت الحاضر. يجب عليك أن لا تتصوري بأنني أدافع عن الرعب ولا أتصور أنك توجهين لي هذه التهمة ولا أعتقد بأنني أثير الرعب في نفوس سكان مقاطعتي إضافة إلى ذلك يتوجب عليك أن لا تتصوري أن الخوف كان أمراً ضرورياً أو أن الإدارة المدنية استخدمته هنا.

---

(١) النساطرة: فرقة من النصارى عرفت باسم مؤسسها (نسطور) وقد صار بطريركاً على القسطنطينية سنة ٤٢٨م، ثم زاغ عن آرائه الدينية عما هو ثابت لدى أئمة الكنيسة. وفي سنة ٤٣١ م عقد مجمع ديني في أفسس؛ حرم نسطور وتعليمه وأنزل من كرسيه البطريركي وقد انتشرت بدعته بين كثير من نصارى المشرق، ومازالت بقاياه الآن بين الكلدان والنساطرة. مات نسطور في صحراء ليبيا سنة ٤٤٠م.

ولكن عندما أقرأ مقترحات من قبل مستشارين أوربيين لا تستند إلى شيء حول تكوين سلسلة من الجمهوريات ابتداء من البصرة إلى جالاتا وإلى بحر قزوين (عدا بلاد فارس)، أود أن أبيّن لهؤلاء الناس عدة أمور هنا:

حتى حلول عام ١٩١٧، كان المعروف أن النزاعات العشائرية على الفرات من المناطق القريبة على بغداد إلى البصرة، كانت تعني عادة مقتل خمسة آلاف رجل في السنة، وهذا الرقم مبالغ فيه، أما الآن فلا توجد مثل هذه النزاعات، قبل خمس سنوات لم يكن بمقدور الفرد أن يذهب من هنا إلى الديوانية (التي تبعد عشرين ميلاً) دون حراسة مسلحة. فقد هوجم عزرا ومعه خمسة رجال مسلحين وسُلب منه مبلغ ٥٠ باون، وكان الشيوخ ممن لا يتمتعون بشعبية واسعة لا يتحركون أبداً إلاّ برفقة خمسين من رجال الخيالة المسلّحين، فهل أن القضاء على مثل هذه الأمور جيد أم لا؟ عليك أن توجّهي هذا السؤال إلى المزارع الفقير.

وهذا هو السبب الذي يدعوك لعدم التوقيع على أية وثيقة تتعلق بأرمينيا لأن الالتماس على الورق بدون جيش غير مفيد مطلقاً. وبطبيعة الحال فإن الشعب البريطاني إذا كان مستعداً للقيام باحتلال عسكري واسع لأرمينيا ويستمر لفترة غير محدودة، وتسمع بذلك كل من فرنسا وإيطاليا وبقية الدول فإن المشكلة يمكن معالجتها بلا شك، ولكن هذا يمكن أن يعني بأن خمسين مليون باوند أخرى ستكلف الخزينة كل سنة ومزيداً من الرجال وغير ذلك من الأمور. وأنا متأكد أنه أمر مستحيل. لذا فإن أي فرد إذا دعا الأمة البريطانية أن تطلب استقلال أرمينيا أو غيرها فإن علينا أن نتذكر بأن الحلفاء لا يمكنهم الاستمرار إلى الأبد مع التزامات عسكرية جديدة. وأنه إذا شرعنا بضرب (مصطفى كمال) فإن هناك الكثير من كبار الضباط الأتراك يقفون من ورائه، كما أن هناك الكثير من البلاشفة المتطرفين في طشقند وهم يخلقون العديد من المشاكل في أفغانستان وبلاد فارس إضافة إلى حركة القومية العربية في سورية التي تثير القلق. وكل هذه الحركات تُريد محاربة البريطانيين، فإذا اهتم المرء بهذه الأمور فذلك شيء جيّد، أما إذا دوّن عنها بالطريقة التقليدية فلن يكون هناك سوى أكوام من الورق.

أعذريني عما قلته ولا تتهميني بأني أصبحت سياسياً حقيقياً، سوف أعمل دائماً على بناء حكومة وطنية هنا أوفي أي مكان آخر. ولا يمكن للمرء أن يبدأ العمل من خلال التعاطف والنصيحة فقط، ولكن يتوجب عليه أن يمتلك القوّة لغرض نصيحته. لذا فقد حكمت على شيخ أبو صخير يوم أمس، وقام الميجر بتغريمه مبلغ ٢٠٠ باوند لإعفائه،

حيث أنه ظن إنهم سيرسلونه إلى السجن. لقد كان دفاعه بائساً، كما أنه اعترف بأخطائه، إنه رجل ثري لذا لم تؤثر عليه الغرامة، وأنا أعتقد أن من الأفضل لو كان مبلغ الغرامة أكثر من ذلك.

لقد كان التعامل المباشر مع مشاكل الإدارة أثر في تعديل الليبرالية الأكاديمية التي تربى عليها سوماريز.

وفي شباط احتج على صحيفة (نيشن) [الأمة] للطريقة التي تتعامل بها مع مشاكل الشرق الأوسط، وبعث برسالة إلى البروفيسور جلبرت موري ليقوم بإرسالها حسب اختياره.

وقد نشرت في صحيفة (نيشن) في عددها الصادر بتاريخ ١٠ نيسان، وقد أدرك والداه فوراً أنها رسالته، ومن ثم وصلت إلى بغداد وأثارت انتباه السلطات هناك. ومن خلال وصفه لما يحيط به فقد عرفوا أنها من تأليفه واعتبرتها الدوائر الرسمية في بلاد ما بين النهرين أنها بيان واضح عن صعوبات الوضع ويمكن أن تؤدي إلى نقله العاجل إلى عمل خاص في بغداد.

مستقبل بلاد ما بين النهرين:

سيدي، إنني أعيش وحيداً في زاوية نائية من العالم، ولا تحتاج إلى وصف سوى أنها كانت مؤخراً جزءاً من الإمبراطورية التركية. إنني أتكلم بلغة عربية ركيكة خلال ساعات العمل اليومي. وقد أمضيت أوقاتاً طويلة في بيوت شيوخ منطقتي وأصدرت أوامراً في كل المسائل المتعلقة بالحكومة. وفي الحقيقة ولأغراض خاصة فإنني الحكومة، وهو منصب يثير السخرية، وغالباً ما يسبب الإحراج، ولكنه يعطي شهرة واسعة.

وكما أثبت سانشو فإن احتلال منصب الحاكم يعني العمل الشاق، وهكذا فإن العيش وحيداً بعيداً عن أي شخص إنكليزي في المنطقة يشغل التفكير ويثير كثيراً من التساؤلات.

إنني أعرف أخبار شؤون أوربا من خلال جريدة (التايمز) الأسبوعية وجريدة (نيشن) اللتان يجلبهما ساعي البريد خلال الفيضانات والأنهار وتصلان بشكل غير منتظم، وغالباً ما تكونا مبتلتين.

واستناداً لقوة المقدمة المذكورة أعلاه يتعيّن عليّ عرض أية ملاحظات قد لا يلاحظها الشرقي. إضافة إلى ذلك سوف أضع أسس نظريات الحكم. وقبل عام كنت

أكتب مقالات جامعية عن إرادة الشعب والقانون الطبيعي من خلال قراءاتي ما استطعت عن المنظّرين وتكوين فكرة جديدة تعقيباً على نظرياتهم.

إن هذا هو عذري في لفت الانتباه إلى خطئين يجعلان في رأيي - كل شيء تقريباً دون قيمة من الأمور التي ظهرت مؤخراً في أعمدتكم الصحفية حول موضوع الإمبراطورية التركية الزائلة. لقد كنت أقرأ صحيفة (نيشن) لعدة سنوات بشكل منتظم وأنا أواصل متابعتها بشكل كبير لأنني غالباً ما أرفض ما تنشره من حلول، وأكاد دائماً أشاركها الأفكار المثالية. ولكنكم الآن تعرضون للخطر نفوذكم الجيّد من خلال إقرار هذين الخطأين اللذين لم يألفهما موطنو البلدان المتحضرة.

إن الخطأ الأول هو التمويه على الحقيقة التي تعتمد عليها في المدى البعيد أية حكومة في قوّتها على السيطرة. ومع الزمن يمكن أن تؤدي إلى ديمقراطية حقيقية أنا لا أخالف ولا أحاول مناقشة أين يجب أن تكمن القوة، لقد ذكرت مجرد حقيقة تتحدث عن نفسها بأن الحكومة التي لا تنفذ أوامرها فاشلة.

الآن يا سيدي فإن القوة التي أحكم بها أتباعي تتألف من ستة وثلاثين شرطياً محلياً لا يعتمد عليهم. ومع ذلك فإن أوامري تُنفذ دائماً، فلماذا؟ والسبب في ذلك يعود أساساً لصورة الجيش البريطاني في أذهان الناس المحليين، ورغم أن القوات بعيدة وغير كثيرة ولكنها مازالت تشكل أسطورة بين السكان.

إنك سيدي، ومراسليك تريدون رؤية (التطلعات الوطنية متحققة) والاعتراف (بوحدة العنصر العربي) وإنشاء حكومة عربية مسؤولة والمنع التام لأية إضافات للإمبراطورية البريطانية المثقلة حالياً. ولهذا السبب أطلب منكم أن لا تسمحوا لمثل هذا التفكير، وأن توضحوا كما لم يتوضح أبداً من قبل - حسب علمي - بأن التقدم في مثل هذه الخطوط هو مسألة صعوبة غير اعتيادية، وأن النظرية وكذلك التاريخ لا تساعد في حل المشكلة التي لم يحاول أحداً القيام به. إن المشكلة بالطبع هي كيفية إيجاد حكومة محلية ذات قوة تمكنها من حكم عنصر وحشي وخليط تقسمه العداوات الدينية المريرة، والخصومات القبلية، ويحتوي أيضاً على أقليات يهودية ومسيحية مقيتة، وقد قيل: إن المشكلة لا تحتاج إلى توضيح من قبلي، وأنكم تسمحون لمراسليكم الاسترسال في الافتراض (كما فعلت أنت نفسك عند مناقشة الاتفاقية مع بلاد فارس) بأن هؤلاء الناس إذا تُركوا لوحدهم فإن بإمكانهم حكم أنفسهم واستخدام المستشارين الأوربيين بحرية، وهذا يكاد أن يكون من أفكار تولستوي من حيث النظرة إلى الطبيعة البشرية.

ثانياً: وهذه مسألة تجربة ومعرفة محلية، إنكم لا تعرفون العرب، إن معلوماتي الخاصة محدودة جداً وغالباً ما تكون مقتصرة على المقاطعة الصغيرة جداً والتي أعرفها بالتفصيل.

إن النقاط المهمة في هذا المجال هي أربع نقاط:

١ ـ إننا نتعامل مع أناس فقدوا كل إحساس بالوعي القومي بالمعنى السياسي، والذين رزحوا تحت حكم الأجانب منذ فترة طويلة، وإن استخدام كلمة (العرب) بينهم هو ازدراء بهم.

٢ ـ إن هؤلاء الناس لا يضجون أبداً بأصواتهم مثل بقية الناس غير المتعلمين، ومن المستحيل معرفة رأيهم بالحكومة. إننا نتعامل معهم من حيث المجموع من خلال شيوخهم وإن رأي الشيخ بالحكومة وسيلة لا اعتراض عليها في الحصول على الأموال. إن الحقيقة الصعبة بالنسبة لدافعي الضرائب المحليين هي أن الحكومة المحلية لا تعني شيئاً سوى الإعفاء من الضرائب كلها، لأنه على الأقل لا يثق بقدرة الحكومة المحلية على جمع هذه الضرائب.

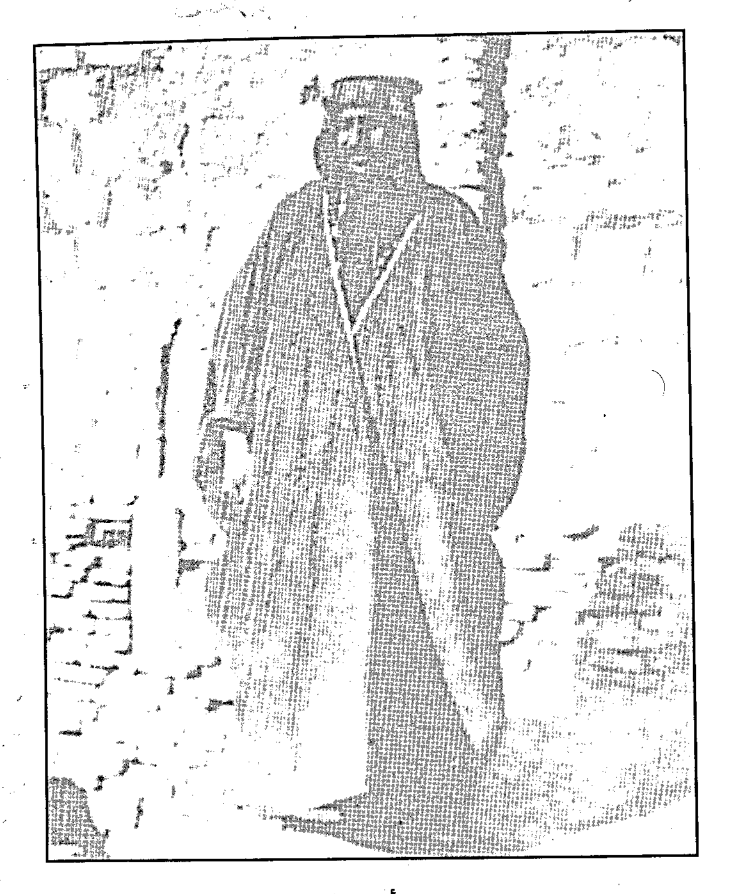
٣ ـ إضافة إلى خلافات التطرف الديني هناك، فإن النظام العشائري الذي أدى إلى تمزيق المجتمع بشكل قد لا يمكن علاجه، وإذا كان علاجه ممكناً فإن ذلك سيستغرق أجيالاً عدة. إن القبيلة الصحراوية تتوق للهجوم على القبيلة المستقرة للزراعة والحصول على فدية منها، وإن كل قبيلة مستقرة لأغراض الزراعة تتشاجر دائماً مع قبيلة مجاورة على حقوق المياه وغير ذلك الخ الحكاية. وفي خضم كل هذه الأجزاء الصغيرة لا يوجد مبدأ يوحدهم من الداخل.

٤ ـ إننا نعمل ضد تيار إعلامي قوي، إن الناس الذين يقفون خلف ذلك، بعد أن قدموا الأموال لمثيري الشغب، قد طردوا العاملين الأتراك والأجانب، يتميزون بالإخلاص ولكنهم ليسوا عناصر بناءة، لا يستطيع المرء أن يبني دون طابوق، وهم على الأقل يعرفون الحقائق التي ذكرتها بإيجاز ليدركوا أن العربي لا يمكنه أن يحكم نفسه بنفسه في الوقت الحاضر[1]، إن النقطة الأساسية هي أنهم جميعاً من سكان المدن، ولا يعرفون إلا القليل عن مناطق البلاد. ولا يتمتعون بثقة رجال القبائل الذين يمثلون أغلبية السكان والذين لا صوت لهم.

---

(١) هكذا ينظر الانكليز إلى أن الشعب العراقي لا يستطيع حكم نفسه بنفسه، وإنما يستطيع أبناؤه أن يحكموا أنفسهم بإشراف المستشارين الانكليز.

الأمير عبد الله بن الحسين.



شعلان أبو الجون

وهناك نقاط أخرى عديدة، ولكن هذه هي أبرز النقاط.

لقد تحركت لحلّها بعد قراءة عددكم الصادر بتاريخ ١٧ كانون الثاني عند وصوله، وهو يتضمن رسالة عن سوريا، موقعة من قبل (مد إيست) [الشرق الأوسط]، ومقالة عن الانتداب في الشرق الأوسط وخاصة بعض الجمل الواردة في المقالة المعنونة (السلام القادم).

ويختتم (مد إيست) رسالته مقترحاً حول تنصيب عبد الله[1] أميراً في بغداد، وإنشاء حكومة وطنية تحت قيادته، وترك كل الصعوبات الطارئة. دعونا نتصور إن هذا الترتيب يجري مع وجود مستشارين أوربيين، سيسود الخراب الإداري بين الموظفين، ولا يوجد هنا جيش محلي، ولا حتى شرطة، فهل يمكن حل العقدة بإعطائه قوة أوربية لتعضيد سلطته؟ أنا لا أقول إن ذلك مستحيل. إذا تم إنشاء حكومة عربية غداً، وإذا قبلت هذه الحكومة خدماتي فإنني سأعمل بكل إخلاص تحت إمرتها، إن كل ما أريده منك هو أن تخبر الناس إن أي ترتيب مشابه محفوف بالصعوبات، كما أنه لم يؤذن به حتى عن بعد في الواقع منذ بداية التأريخ.

ولكن عند قراءتي لمقالتكم (السلام القادم) كان صبري أقل. إنك تتمنى رؤية توسيع الحكم الذاتي الثقافي، لقد شهده الناس هنا قبل خمس سنوات، وإننا غير متشوقين لإعادة التجربة. وخلال الحرب كانت هنا فترة فراغ بعد انسحاب الترك وقبل أن يصبح احتلالنا فعالاً. ماذا حدث؟ على امتداد عشرين ميلاً من النهر حيث أعيش، يوجد ما لا يقل عن سبع عشائر مختلفة تتقاضى أتاوة من كل زورق يسير في النهر، في الذهاب والإياب، عند دخوله لمنطقة أي من هذه العشائر. وهذا ما يعنيه الحكم الذاتي الثقافي بالنسبة للعرب وهو يعني تسليب الأجنبي، والأجنبي هو أحد رجال القبائل الأخرى.

إنني أعتقد أن بإمكاننا إنشاء حكومة عربية. وأعتقد أنها مهمة في غاية الصعوبة وتستحق القيام بها. ولكنني متأكد أن الواجب عليكم إعطاءنا الوقت. سندفع من أجله

---

(١) عبد الله بن الحسين بن علي، الابن الثاني لوالده شريف مكة، ولد عام ١٨٨٢، وعاش طفولته في الصحراء بين القبائل العربية، كما قضى خمسة عشر عاماً من صباه فيما بعد منفياً مع أبيه عاشها في اسطنبول، مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية، إذ كان أميراً على الضفة الشرقية من نهر الأردن منذ عام ١٩٢١، وكانت تسمى في ذلك الوقت (شرقي الأردن) ضم الضفة الغربية لإمارته عام ١٩٤٨ بعد حرب فلسطين في تلك السنة، اغتاله شاب فلسطيني في الجامع الأقصى يوم ٢٩ تموز ١٩٥١ ودفن في حرم الجامع.

التضحية بحياتنا في أية مناسبة. وانتم في الوطن ستتحملون إهانة الإمبريالية والخيانة وغيرها. وإذا كنتم مصرين على إخراجنا فإنكم ستطلقون قوى تدمير لا تعد ولا تحصى.

المخلص

ملاّ

[إننا لم نقترح مطلقاً (إنشاء) حكومة عربية غداً]

صحيفة نيشن

لقد أخذ كثيراً من السطر نفسه في رسالة إلى أمه.

أم البعرور في ٢٠ مايس

بعد التعليق على انتقادات الصحافة لحكم البريطانيين لبلاد ما بين النهرين والاعتراف بأن (قضايا الاقتصاد ومسألة الالتزامات العسكرية خطيرة جداً)، ويشكو قائلاً: إن هذه الانتقادات وحماقاتها حول الضمانات الدولية والمستشارين والقومية تثير الشك ضد موقفنا برمته في الشرق الأوسط والهند، وتشجع في الوقت نفسه خبراء دعايتنا الذين لا يتميزون بالإخلاص والفطنة كما نتوقعهم.

أستطيع الحديث بشكل مفصّل عن المقالة السخيفة عن نفط الموصل والاستخدام الكثير لكلمة (الاستغلال) لتغطية ما يمكن أن يدعوه أي فرد (بالتنمية). هل أنا (أستغل) عشائري عندما أجعلهم يشقون الطرق والقنوات ويبنون ضفافاً لمنع الفيضان دون أجور لزيادة الدخل؟.

وبطبيعة الحال فإن (بعض كبار أصحاب رؤوس الأموال) يشكلون خطراً كبيراً. وليس هناك من بيننا من يعرف عن علاقاتهم بالحكومة في بريطانيا. إن الطريقة الوحيدة للتعامل معهم هو تقوية حزب العمال ووضع روبرت سيسيل مثلاً في وزارة الخارجية ولكن ذلك لا يؤثر على الحقيقة البسيطة التي تقول بأنه يتوجب علينا إما العمل فوراً والاستعداد أو أن نترك للعمل على راحتنا لمعرفة كيف يكون الانتداب ذا معنى إذا لا أحد يعرف ماهية الموضوع كله ولم يجربه أحد من قبل مطلقاً، وهذه هي النقطة التي تناولتها في رسالتي....

أخشى أنكم قد تقلقون بسبب الملاحظات التي جاءت في الرسالة التي نشرتها صحيفة (نيشن) وذكر فيها (سنقتل بين حين وآخر) وهذا يمكن أن يحدث بالطبع في

الحدود الشمالية فقط، ولكن يمكنك الحصول على الكيك دون أن تكسر البيض، وبالتأكيد لا يمكنك الشروع بإعادة القانون والنظام بدل الفوضى دون خطر معين. ولكن الخطر في هذه الأجزاء قليل جداً، ومن المحتمل أنه سيختفي عندما يكون هناك مزيد من الازدهار.

ويعبّر عن آرائه بشكل أكثر وضوحاً في رسالته إلى البروفيسور جلبرت موري في ٢١ مايس:

... متى تمسكنا بالعراق؟ إذا كنت تستند إلى سياستنا الحربية وتقول بأنه كان من غير المحتم علينا إرسال قوات إلى هنا أبداً، فإنني أعتقد إن هذه مسألة قابلة للنقاش. ولكني لا أعتقد أن هذا هو ما تعنيه. فإذا كان ذلك فإنك تعني بأنه كان يتوجب علينا عندما تضع الحرب أوزارها أن ننسحب كلياً وأن ننتظر ليُطلب منا العودة، وهذا ما لا أتفق عليه مطلقاً، إذا انسحبنا فإننا يجب أن ننسحب نهائياً وإلى الأبد... إنني أعتقد أن هناك الكثير مما يقال عن الانسحاب الكلي وبصورة رئيسية على أساس التكاليف والالتزامات العسكرية، ويسعدني أن أناقش هذه المسألة بشكل مسهب وعادل. فإذا قمنا بذلك فإن البلاد ستشهد من الخراب أكثر مما شهدته تحت حكم الأتراك، وستشهد بلاد فارس الخراب نفسه، وستكون هناك فرصة كبيرة لمزيد من الإخفاقات، إن حدوث ذلك أمر لا جدال فيه. وعلى كل حال فإنني لا أعلم إذا كان هذا الأمر فظيعاً كما يراه المرء الذي يعيش في المنطقة. إن نفوس العراق أقل من ثلاثة ملايين نسمة وهو عدد ليس بكثير ليتحملوا نتائج أعمالهم، كما أن بلاد فارس تعيش في حالة فوضى، ورغم ذلك فإنني أقترح بأن هناك شيئاً يقال للحكومة بذاتها بأنه إذا حصلتم على فرصة لازدهار جزء من العالم عظيم ومحطّم فإن هناك أسباب للقيام بذلك.

ثانياً: ما هو الاستغلال، وما هي عادات بناء الإمبراطورية القديمة؟ كان عليّ أن أقول أن الأمور التي أردت إزالتها وجعلها مستحيلة هي:

١ ـ تحويل الأرض من ملكية أبناء البلاد إلى الأوربيين.

٢ ـ تجنيد مواطني البلاد.

٣ ـ جعل موارد أبناء البلاد تسهم في عوائد دولة الاحتلال.

إن النقطتين الأولى والثانية لا يمكن التفكير بهما في العراق. والنقطة الثالثة غير متوقعة لسنوات كثيرة. حيث أن كلفة الإدارة والدفاع ستكون باهظة لبعض الوقت.

إنني أتفق معكم أن أموراً سخيفة قد قيلت عن النفط والحنطة. والثانية في رأيي هي بجانب النقطة الأساسية. إن العربي سيحصل على ثمن الحبوب المتزايدة، ويبدو لي أن كلما ازدادت الحنطة في العالم كلما كان ذلك أفضل. إن من واجب عصبة الأمم أن تتعامل مع نظام (الأفضلية) وإن نظام (الحماية) هي مشكلة في العالم.

إن النفط يختلف كثيراً، لأنه يظهر في أراضي جرداء ولا يمكن للعربي أن يستغلها، إضافة إلى ذلك فإن المصالح النفطية في إنكلترا وأمريكا خطيرة للغاية. «كان لدينا أمريكي في النجف في يوم ما يعمل للاستكشافات لشركة ستاندرو أويل، لم يكن ذا سلوكية جيدة، وكان يتحدث بقوة عن (التجارة الحرة العادلة)»، ولكن من المؤكد في كل الظروف بأن بعضهم سيقوم بتطوير هذا النفط، وحتى تقوموا بتدويل تجارة العالم برمتها تحت راية عصبة الأمم، فإنني أعتقد بأنكم ستواجهون دائماً مشكلة مع الشركات الاحتكارية وغيرها. ولم تكن الحالة نفسها بأننا عندما قمنا باحتلال الموصل هو من أجل الوصول إلى المنطقة النفطية[1]. لقد قمنا باحتلال الموصل لضرب الأتراك. إنني لا أعتقد أن هناك مسؤولاً سياسياً أو عسكرياً يعطي أهمية لمسألة الحصول على الآبار طالما كانت لدينا حدود لا تكسل التقسيمات العشائرية وغيرها، ولقد رأيت الكثير من الترابط مع الحكومة في بريطانيا والذي ستؤكده حتماً صحيفة (نيشن)، وليس هناك كلمة استغلال تقال عنها. وبطبيعة الحال فإن المرء لا يعرف ماذا عمل بعض كبار أصحاب رؤوس الأموال مع لويد جورج، أو تشرشل، ولكني متأكد بأن ولسن (وكيل الحاكم الملكي العام) سينتصر عليهم.

لا أدري ما هو رأيكم في الصهيونية وفي شؤوننا في فلسطين؟ إنني لا أبيح سراً إذا قلت بأن مجازفتنا في هذا الشأن قد أحدثت من القلاقل في سوريا وغيرها أكثر مما أحدثه احتلالنا للعراق.

وإذا عدنا الآن إلى الجيش نجد:

١ ـ إن هناك أدلة قوية تدل على أن مجيئنا إلى هنا في أول الأمر قد رحبت به البلاد ترحيباً بالغاً.

٢ ـ أما الآن فإنني لا يسعني إلا أن أتكلم عن منطقتي فأقول: إنني على استعداد لأن أجزم بأن سكان المنطقة هم ممتنون للغاية لوجود حكومتنا هنا، وإنهم يعتبرون

---

(١) هذا نموذج لمصداقية شعارهم «جئنا محررين لا فاتحين..» !!

زوالها كارثة عظمى... إني أعرف ذلك جيداً، كما أعرفه بالنسبة للشامية معرفة غير يسيرة. وإن شرح ذلك بالتفصيل مع بيان أسباب رغبتهم في الحكومة وعدم رغبتهم فيها يتطلب مقالة مطوّلة، لكنني أتجاسر وأقول إنكم يمكنكم أن تعتمدوا على قولي هذا. ولا شك أن بغداد والمدينتين المقدستين بطبيعة الحال مختلفة وصعبة، ومعالجة شؤونها بحاجة إلى مقالتين أخريين. لكن الجيش لا يستعمل الآن للقيام بأعمال الشرطة ولا يحتفظ به الآن لذلك الغرض. إنه موجود هنا لرعاية قضية الحدود، وهذه القضية ناشئة عن أسباب خارجة كلياً عن سيطرة الجميع، لكن أمريكا كان يجب أن تعمل على تحسينها وتهدئتها. فليس هناك شيء نخشاه يمكن أن يقوم به أهالي العراق غدا حدوث قلاقل عشائرية بين حين وآخر. وحصول بعض التعصب في المدن المقدسة مما يكون الإنكليزي الطبيب المداوي فيها حالاً.

... ليس هناك بديل أبداً بين الانسحاب الكامل والجهود المتواصلة تحت الانتداب لإيجاد دستور وطني. إن نجاح ذلك يعتمد أولاً على سيادة حكومة بريطانيا، وثانياً على واقع عصبة الأمم. إن عصبة الأمم لا وجود لها حتى تدخلها ألمانيا والنمسا وروسيا، وإنني لا أرى فرقاً كبيراً بين أن يؤخذ الانتداب من الهيئة الحالية وأن يؤخذ من المجلس الأعلى.

وأخيراً فإن وجود الكره يعطي دليلاً للجريمة، وهل أن الصحافة تتمتع بأهمية قصوى؟ إنني أتساءل عن حقيقة وجود الكثيرين ممن يكنّون لنا العداوة خارج نطاق أولئك المحترفين.

إن عدم الترابط في رسالتك يظهر في نهايتها: لماذا يتوجب علينا أن نأخذ المستعمرات الأفريقية الجنوبية؟ بالتأكيد إن تدويلها أسهل بكثير من تدويل هذه البلاد أو بدلاً عن ذلك يمكننا الانسحاب دون زعزعة آسيا برمتها.

نعم، كلها مأساة. ولكننا سننتصر على دعاة النفط على كل حال. أتمنى أن يكون بإمكانك القدوم والتحدث إلى سكان مقاطعتي، إنك ستحبهم حباً جماً.

أم البعرور في ١٤ مايس (إلى والده)

بدأت مياه النهر بالانخفاض، لذا لن يكون هناك خلاف حول الضفاف والتجاوزات، لقد ارتفع محصول الرز الهرفي والحقول تغطيها الخضرة الرائعة. لقد

شاهدت الكثير يوم أمس وكانت تبدو بشكل مدهش وجميعها في أراضٍ كانت جرداء في السنة الماضية، لذا بدأت أشعر بالمردود النافع للجهود التي بذلتها في الماضي. لقد كان لمشهد المحصول النامي وقع السحر في نفوس العشائر التي تمتلئ أملاً وثقة.

لقد نالني يوم أمس شرف عظيم غير متوقّع وعلى شكل خطاب قدمه لي سكان المدينة يشكرونني فيه لقيامي ببناء السد الكبير حول المدينة، والذي أثبت أنه مفيد للغاية، وكان له أبلغ الأثر لمصلحتهم. إن الخطاب وثيقة رائعة ولكنها مكتوبة بخط رديء ولم تتوفر لديّ الفرصة لقراءتها بشكل جيد لحد الآن. لقد قدمها لي موظف البلدية الذي عبّر عن امتنانهم بكلمات بليغة، وقد طلبوا إليه أن يلتمس مني تسليمها إلى السلطات العليا، وإلاّ فإنهم سيقومون بكتابة خطاب آخر ويقدمونه إلى الميجر نوربري.

أم البعرور في ٢٠ مايس (إلى والده)

أمضيت ثمانية أيام متوالية في جولة بقاربي وقطعت مسافة ١٥٠ ميلاً أو أكثر، ومن حسن الحظ كان الجو فيه برودة ونسيم، ولم أتناول أطعمة عربية كثيرة إلاّ نادراً... وقد أمضيت اليومين الأخيرين في التجوال في معظم الأراضي التي تم استغلالها لزراعة الرز هذا العام. إن المحصول المبكر يبلغ طوله حوالي أربعة بوصات ويشرق بلونه الأخضر الفاتح، إنه منظر يسرّ الناظرين، إضافة إلى ذلك فإن الناس الذين لم يكن لديهم محصول الرز منذ عام ١٩١٤ تغمرهم السعادة وهم يلهجون بالشكر لله والعرفان لي. إن الحاكم ينال من الشكر ما يجعل قيصر راضياً.

ونتيجة لما رأيت أصبح لدي اعتقاد أن بالإمكان أن تقوم مقاطعتي بزراعة خمسين ألف مشارة من الرز في هذه السنة. إن بذار الرز يستمر حتى نهاية شهر تموز، ومن المستحيل الحصول على تقدير دقيق حتى ذلك الوقت ولكن الرقم المذكور أعلاه يبدو متوقعاً. في السنة الماضية كانت المساحة المزروعة عشرين ألف مشارة. إن من السهل كتابة هذه الأرقام ولكنها تحتاج الكثير من أجل تحقيقها، حيث أن الرز بالنسبة للعربي هو كلحم البقر بالنسبة للفلاح الإنكليزي. فإذا استطعنا مضاعفة المحصول في سنة واحدة فإننا نضاعف التجارة ونحسن التموين الغذائي ونضاعف من عوائدنا، إضافة إلى جذب أعداد كبيرة من المزارعين الذين ذهبوا خلال السنوات الخمس الأخيرة إلى أماكن أخرى. وهكذا نقوّي بعض القبائل المهمة ونضع الأساس لزيادات كبيرة في المستقبل. إن المستقبل هم الجزء الأهم. ولو سمح لي بالبقاء سنتين أخريين، ولو أعطيت الأموال

الكافية للتنمية، فإنني أتوقّع بأن هذه المقاطعة ستنتج في السنة المالية ٢٢ - ١٩٢٣ (إذ لم تحصل كارثة فيضان) أربعين ألف طن من الرز، وخمسة آلاف طن من الحنطة والشعير، وخمسة عشر ألف طن من التمور، وكمية كبيرة جداً من المخضرات والفواكه والبقوليات، مكوّنة مورداً للحكومة يتراوح بين ١٨ - ٢٠ وهذا أمر ليس بالسيئ للسكان البالغ عددهم أربعين ألفاً. ويمكن للمرء أن يتوقع حدوث زيادة سنوية تتراوح بين ١٠ - ٢٠ بالمائة بعد ذلك. أنا لا أفترض مع ذلك بأنني سأبقى هنا فترة طويلة، وإن الشخص الذي سيخلفني في منصبي سيمضي سنة تقريباً لتقييم التطورات الممكنة، إضافة إلى ذلك لا أتوقع بأنه سيعرف من اللغة العربية بقدر ما أعرفه. أعتقد أنني سأتقدم بطلب مُلح لإبقائي هنا حتى الربيع القادم عندما أذهب في إجازة وأخبر العقيد ولسن بأنه إذا تركني أبقى هنا حتى ذلك الوقت فإنني سأضمن زيادة قدرها ٣٠٪ على عائد هذه السنة، والذي أرجو أن يبلغ ١٣ (في حين بلغ ٨.٥ في السنة الماضية).

اليوم هو أول أيام شهر رمضان المبارك، وهو من الأشهر المهمة بالنسبة للعربي، وهو يوم عطلة لي. ولا يدخل الجوف طعام ولا شراب ما بين شروق وغروبها وحتى التدخين غير جائز. ونتيجة لذلك فإن الوجبتين اللتين يتناولهما العربي يتم تناولهما عند الغروب، وفي حوالي الثالثة صباحاً ويمضي معظم النهار في النوم. لذا ليس هناك عمل مستمر في الدائرة صباحاً. ونحن نبدأ هناك في الساعة الرابعة عصراً، إضافة إلى ذلك فإن تجوالي محدد جداً، حيث إنني أرفض أن أجلسِ في أحد المضائف ويقدم لي الطعام والشراب في وسط النهار في الوقت الذي يتوجب على كل المحيطين بي أن يصوموا ومعظمهم نصف نائم. لقد قمت يوم أمس بتوقيع إعلان إلى سكان المدينة يبدأ بالعبارات التالية:

(في الحقيقة شهر رمضان هو أفضل الشهور جميعاً) وطلبت منهم الالتزام وأصدرت التعليمات لليهود وبقية الأديان بعدم التدخين في الشوارع، وأخشى أنني قد أنسى هذا الالتزام بنفسي!!.

إن الصوم مجهد جداً في هذا الجو الحار، وخاصة فيما يتعلق بالماء، وبلا شك فإن الكثيرين منهم لا يلتزمون به كثيراً في بيوتهم. لقد ابتدأه محمد في الشتاء ولكن بالنظر لأن سنته تتكون من ٣٥٤ يوماً فإنها تكمل دورة كاملة حول التقويم كل اثنتين وثلاثين سنة تقريباً... وعلى كل حال لن أقول بأن تعليمات القرآن قد قصّرت في تعديل حياة العربي مقارنة مع ما عملته الديانة المسيحية للإنكليزي. إن ما أريد أن أقوله بالطبع، إن جانب

الطقوس له تأثير كبير للغاية... إنه لمشهد رائع جداً أن ترى هذا الالتزام الإسلامي حيث ينهي الناس حديثهم فجأة في المضيف، ويتجمعون في الوسط لأداء صلواتهم، وينادي للصلاة في المساجد، وصيام شهر رمضان وغير ذلك. لم أقرر فيما إذا كان التكلم بلهجة الحاكم شيئاً مفيداً أم لا! إنه بالتأكيد لأمر خطير في أيدي الأنذال، ولكنه أفضل بكثير من الصوفية مثلاً، وأعتقد أنه أفضل من المادية الصرفة. لم تتوضح الأمور حوله عندي لحد الآن. وهناك نقطة ختامية وهي برغم ما كنت قد كتبت في السابق عن رجال الدين في النجف فإن الإسلام في وسعه أن يخرج فعلاً قديسين حقيقيين.

إنكم قد تتذكرون إنني كتبت لكم في السابق عن شيخ يدعى الحاج جواد. لقد توفاه الله قبل يومين[1]، وقد تعجبت عندما علمت أنه كان قد بلغ السبعين من عمره. والظاهر إنني الشخص الوحيد في الشامية الذي يأسف على موته، لأنه كان ثرياً بصورة خيالية، ووضيعاً إلى أقصى حد[2]، لقد كان مكروهاً من جميع أقاربه، وإن قضية تعيين خلف له أخذت تقلقني بعض القلق، وقد زارني إبنه الأكبر أخيراً، وهو شاب مكروه ذو سمعة سيئة، ولم يستطع أن يعمل شيئاً سوى أن يقول: «إنك كنت تحب والدي، وأرجو من الله إنك ستحبني أكثر. فليس هناك أحد يأخذ بيدي سوى الله وأنت». فوعدته بحضور مجلس الفاتحة خلال يومين. وفي هذه الأثناء سوف أقرر تعيين الشخص الذي يخلفه في المشيخة. وليس من الضروري أن يعين الإبن الأكبر، حيث أن العادة هي أن رجال القبيلة البارزين هم الذين ينتخبون شيخهم. غير أنه في هذه الحالة توجد خلافات داخلية شديدة بالنظر لوضاعة الحاج جواد ودنائته، ولا أرى أملاً في الحصول على أكثرية لأي شخص كان. وقد كنت أحب الحاج نفسه برغم أنني كنت أعرف مقدار وضاعته، لأنه كان يصدقني القول على الدوام ويؤيدني[3]، وأبدى لي من العون والمساعدة الكبيرة أكثر من بعض جيرانه المعروفين من الشيوخ الذين يتمتعون بشعبية أكثر...

---

(١) أي يوم ١٨ مايس ١٩٢٠ م الموافق ٢٨ شعبان ١٣٣٨ هـ.

(٢) في رسالة إلى السيدة هيراباث يكتب سوماريز بمناسبة وفاة حجي جواد بأن عدم إبداء الكرم يعتبر بالنسبة للعربي أكبر جريمة وتساوي مثلاً جريمة وحشية في إنكلترا.

(٣) هذه النظرة الحقيقية التي ينظرها المستعمر لمن يسير في ركابه ويؤيده في أقواله وأفعاله.

أم البعرور في ٢٤ مايس (إلى السيدة ماري موري)

كان من الواجب علي أن أستغل يوم الأحد لأفضليته في الكتابة إليك، لولا تأثرنا بموجة الحر المفاجئة والتي كانت حسب اعتقادي أسوأ موجة حر شهدتها لحد الآن. لقد بدأت الموجة في الساعة الخامسة عصراً على وجه التقريب وجلبت معها الكثير من الحشرات الصغيرة التي لا يمكن منعها من مشاركتي في طعامي، واستمرت نحو الأسوأ، تصحبها غيوم رعدية هائلة حتى الساعة التاسعة والنصف عندما قررت الاستلقاء على فراشي، وكنت قد خلعت ملابسي تواً عندما سمعت صوت ضوضاء يأتي من جهة الجنوب يشبه إلى حد كبير قطاراً سريعاً أو قنبلة كبيرة، لقد كان صوتاً مرعباً في الحقيقة. وتساءلت للحظة فيما إذا كان النهر سيقفز خارجاً من مجراه وإلا فما تفسير ذلك!!.

ولم يمض وقت طويل حتى هبّ إعصار محمل بالرمال والتراب اللاهب من الصحراء الواسعة التي لا تبعد سوى عشرة أميال. لقد كان البيت يهتز مدة خمس دقائق، وانحنت أشجار النخيل (ولكنها كانت صلبة) وقد أصيب أهل المدينة بالذعر، ورفعت النساء أصواتهن بالصراخ. وبعد عشر دقائق كان كل شيء هادئاً.

إن العاصفة الترابية الصحراوية حارة، ولا أبالي لو صادفتها في الفلاة. ولكن قبل وقت قليل من الفجر هبّت ريح الشمال وكان الجو معتدلاً لطيفاً رغم أن الرياح ستصبح أكثر حرارة بعد مرورها بنا وفي نهاية المطاف اضطررت للنزول إلى الطابق الأسفل إلى غرفة طعامي المظلمة الكئيبة والتي تركتها في كانون الأول لأشغل غرفة صغيرة مضيئة في الطابق الأعلى. إن الغرفة الأخيرة حارة جداً في الوقت الحاضر، وتلفح الشمس الجدران والسقف، بينما تنخفض الحرارة عدة درجات في الغرفة السفلى، إضافة إلى أنها تحتوي على مروحة يدوية والتي يتطلب مني تشغيلها استخدام ولد صغير. إنني لا أحبذ المراوح اليدوية السقفية إذ أنها تجعل أوراقي تتطاير، كما أنني أكره وجود الأولاد الصغار في البيت، ولكن المروحة تجعل بإمكان الفرد الكتابة عند منتصف النهار، وكذلك الغيوم، وهذه طريقة ليست سيئة لقضاء ساعات الحر وخاصة إذا كنت تستيقظ في الساعة الخامسة والنصف صباحاً.

... إنني أحاول جاهداً تعلم اللغة الفارسية مرة أخرى، وأتقنها تقريباً بعد ثلاث سنوات من مواصلة تعلّمها. إنها لغة لطيفة وسهلة للغاية، ولكن المرء يحتاج إلى مدرّس ليتعلم كيفية الكلام، وكذلك لتصحيح التمارين حيث لا توجد قواعد ولا حلول لها.

وتخامرني فكرة قضاء إجازة أمدها أسبوعين في بلاد فارس لكي أتمكن من التحدث قليلاً.

أشكركم كذلك لإرسالكم كتاب كينز الذي استلمته قبل حوالي عشرة أيام. إن أسلوب كتابته جيّد، وإن وضعي لا يسمح لي بنقد ما جاء في الكتاب من نقاط ومقترحات. هل إن جميع الناس الأذكياء الذين كانوا في باريس قد تبنّوا نفس وجهة نظر الرئيس؟ فلو كان تصور كينز عنه صحيحاً ولو جزئياً - إنني متأكد تماماً بأنه لم يكن صحيحاً - فإنه يبدو لي بأنه أكثر نذالة من لويد جورج أو كليمنصو. إنني أعتقد ودون أدنى شك أن الكاتب قد وضع الكتاب بكل وضوح، وأظن شخصياً أن أسلوب (هاردي) في (دانيستس) هو الطريقة الوحيدة لوصف شخصيات الحرب والسلام، أما عن اتخاذ خطوات عملية لإصلاح هذه الأخطاء الجسيمة، فليس هنالك أمل من القول بأن الخيار الوحيد هو التغيير الشامل للحكومة مهما كانت حقيقته. وفي الواقع فإنه لا تبدو هناك منافذ للمثالية النزيهة في أي مكان. وعندما أقنع نفسي بالتفكير أن عملي هنا هو أنني قبل كل شيء أعمل للمصلحة العامة فإن صحيفة (نيشن) ترد بخشونة قائلة: إن هدفي الوحيد هو النفط. وبإمكاني القول إن ذلك صحيح[1]...

أم البعرور في ٢٣ مايس (إلى الآنسة بربارة سميث)

لقد مضت فترة أسبوعين كاملين على وصول الكتب، ويتوجب علي أن أعتذر لتأخري في الردّ. وفي الحقيقة لا يمكنني أن أصف فرحتي بالكتب. لقد قرأت كل الكتب في مكتبتي وبدأت بالمحاولة الثالثة لقراءاتها باستثناء الكتب العربية والفارسية والتي تتطلب تركيزاً أكثر مما أتحمل في أوقات العصر الحارة. لم أقرأ أياً من الكتب التي أرسلتيها، وقد كانت متعتي بها كبيرة. أرجو أن تتقبلي خالص شكري وفائق تقديري.

لم أنتهِ بعد من قراءة كتاب إينج (مقالات ذائعة). ولم أقرأ شيئاً له من قبل. لقد رفضت وبشدّة المقالة الافتتاحية حول المتاعب الحالية. وفي الواقع فإنني شعرت أن عليَّ أن أكتب جواباً قابلاً للنقاش ويتميّز بالشدّة.. إنه ذو أسلوب مثير للجدل وهو بالتأكيد يعرف كيف يكتب.

إن الكتاب الثاني يمثل واحدة من أكثر القصص إثارة للدهشة في العالم وعنوانه

---

(١) يلاحظ الهدف الرئيسي في احتلالهم العراق. وهو سلب خيراته وثرواته، لا غير.

(الطريق إلى إندرو)... ولم أقرأ أبداً قصة أفضل منه يتجلى فيها الذكاء والشجاعة. لقد كان بطلا القصة مدهشين وجريئين. وكم يشتاق المرء لمعرفة (هيل). إن له لهيبة مع إنجيله. إنها لقصة رائعة للغاية وتبدو وكأنها حقيقية كما أن طريقة عرضها ممتازة..

هل لديك أية أفكار حول الجوانب الأخلاقية للعملية كلها؟.

إنني لا أستطيع ترتيب أفكاري. و يبدو أن لديّ ثلاثة مبادئ متضاربة حول الهروب، وليس بإمكاني إيجاد أي سبب لتبرير أحدهم على حساب الآخر في حالة تضاربهم، وهذه المبادئ هي:

١ ـ من المحتم أن السجين يبحث عن أو يصنع أو ينتهز أية فرصة للهرب. هذه مسألة تختلف باختلاف أنواع الرجال ـ وغالباً ما يكون الاختلاف جسدياً ..

٢ ـ إن الرجل لا يهمه تعريض سلامة زملائه السجناء الآخرين في سبيل الحصول على حريته، ولست متأكداً من مدى صحة ذلك.

٣ ـ إن من الخطأ غش الآخرين.

أم البعرور في ٢٥ مايس **(إلى والده)**

بالنسبة للنفط، أنا لا أعرف الكثير عنه. إن المعامل الكبرى لشركة النفط الإنكليزية الفارسية موجودة بالطبع في عبادان وهي دون البصرة (في مدخل شط العرب) وينساب النفط الخام في أنابيب من إيران. وهنالك آبار أُستغلت بطرق بدائية من قبل بعض العرب قرب الموصل. وأعتقد أن بعض الناس يظنون بوجود الكثير من النفط في أماكن أخرى قرب بغداد ولكنه لم يستغل لحد الآن. إن كمية النفط التي يحصل عليها العرب في الوقت الحاضر ليست ذات أهمية بطبيعة الحال... وغالباً ما توجد آبار النفط في المناطق القاحلة وغير المأهولة بالسكان وتتطلب رؤوس أموال كبيرة لاستغلالها. إنني أتعاطف مع صحيفة (نيشن) إلى الحد الذي يجعلني أنظر بعين الشك إلى الاستثمارات التجارية في أي مكان. وأعتقد أن علاقة أعضاء مجلس الوزراء ـ بمصالح نفطية معينة ـ تزداد خطورة، وذلك بسبب اعتبارات المصلحة الذاتية التي يدخلونها في المسائل السياسية البحتة وخاصة في زمن الحرب. ولكن المؤكد أن العالم سيستغل النفط وأمثاله من المواد، ويبدو أن تطور وسائل الاتصال والتقدم العلمي تنحو باتجاه التقدم العالمي أكثر من كونها مرحلة تصنيع غربي حديث. ولا أعرف ما يمكن عمله إزاء هذا الموضوع

سوى المراقبة الدقيقة للأمر قدر الإمكان ومحاربة المستغلين كلما سنحت الفرصة لذلك. ولا علم لي عن مدى دقة استكشاف المصادر المعدنية في العراق، ولكني أعتقد أنها أقل بكثير مما تتصور.

كان الجو حاراً جداً خلال الأيام الثلاثة الماضية، وقد كان ذلك ذا أثر شديد على الصائمين، إضافة إلى آثاره السيئة على صحتهم ومزاجهم.

ولكنهم قالوا عندما تحدثت إليهم: ماذا عسانا أن نفعل إزاء ذلك؟.

ويبدو محتملاً (من وجهة نظر المطلّع بشك على التاريخ) بأن ظروف العالم من الآن فلاحقاً لا يمكن أن تسمح بظهور المهدي الذي ينتظرون قدومه، والذي جُمعت من أجله الكنوز الثمينة في المراقد المقدسة في النجف وكربلاء وأماكن أخرى (ويقولون إنها جمعت لسنوات في أماكن لا يسمح لأحد بدخولها حتى يأتي ذلك اليوم العظيم، وفيها الذهب والجواهر التي جاء معظمها من الهند) ويبدو أنهم سيواصلون الصيام في رمضان حتى النهاية، لأنه ليس هناك من آلية لتعديل ما شرعه النبي، وإنني لا أعتقد أن الإسلام سوف يفقد قوّته في قلوب السكان في المناطق الحارة، وأعتقد أن من شبه المؤكد إجراء إصلاحات عليه من الداخل من خلال العودة إلى التعليمات التي جاء بها القرآن، والتي تنادي جميعها بالخير، ولكن ذلك لن يؤثر على السنّة التي وضعها النبي بنفسه.

أما فيما يتعلق بسؤالكم حول الصور الفوتوغرافية[1]، أنا لا أعتقد بوجود مشاعر دينية حول الموضوع هنا، فإلى حد ما فإن الشيعة أكثر تحمّلاً من السنة، لقد صوِّر ليلى ومجنون اللذين اشتهرا بحبهما لبعضهما في الأساطير العربية كانت صورتهما تطبع وعلى مدى ألف سنة على المنسوجات الفارسية، ويواصل الوهابيون تطرّفهم إضافة إلى تحريمهم الحرير والتبغ، ولكن هذا التعصب الصحراوي لم ينجح أبداً في الحياة المترفة التي يعيشها العراقيون.

إن تأريخ الإسلام هو دراسة في غاية الوضوح للعقل البشري، ومن هذا المنطلق فإنه يستحق كتاباً جديداً متعمّقاً ، لا أمتلك المعلومات ولا القدرة على تأليفه.

إنني أستمتع في صباح أيام رمضان الرائعة، بالنظر لغياب موظفي الدائرة الذين يخلدون إلى النوم حتى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، رغم أن الجو حار جداً عند ذهابي إلى الدائرة عند الساعة الثالثة والنصف مما يجعلني في مزاج سيء كأمزجتهم.

---

(١) سأله أبوه عما إذا كان المسلمون يعتبرونها محرّمة. «هامش الأصل».

إنني أحاول مجدداً تعلم اللغة الفارسية، ولكني وصلت إلى المرحلة التي أحتاج فيها إلى مدرس ذكي، أي من أصل فارسي وله معرفة بقواعد اللغة ويعرف العربية جيداً...

... إن دراستي للغة الفارسية واللغة العربية أعطتني بعض الأفكار عن الكلاسيكية ولكني لست متأكداً عن ماهيّتها، وأظن أن المعلومات التالية تعطي موجزاً وافياً:

١ ـ لا تبدأ بمعرفة اللغة حتى تتمكن من التكلم بها بطلاقة.
٢ ـ يمكنك تعلم ذلك فقط من خلال التركيز على قواعدها، ومن ثم التكلم بها، والتمارين المكتوبة، وأدب اللغة، والتي تكون ذات فائدة في التعلم.
٣ ـ لذلك فإن قيمة تعلم القراءة والكتابة للنثر الجيّد والمزيد من الشعر هي مسألة تتعلق بالقيمة المعطاة للغة كتمرين فكري، وللأدب لكونه فنّاً بحد ذاته أكثر من تعلّقها بقيام المرء بفتح عالم جديد أمام نفسه من خلال اكتساب خبرة جديدة.

مازلت أستمتع بتعلم اللغات أكثر بكثير من بقية الناس، وعلى ما أظن فإنني أجد ذلك صفقة رابحة.

أم البعرور في ٢٧ مايس **(إلى أخته)**

... إن كتاب (كلارتي) يستحق القراءة حقّاً، لقد قرأته للمرة الثانية قبل فترة وأعتقد حالياً إن معظم فلسفته خاطئة، ولكنه يعتبر دراسة وافية للإرباك الذي تسببه الحرب في عقل الجندي وكذلك على وجه الطبيعة.

ذهبت قبل ليلتين لأبيت عند شيخ إسمه مرزوق لم يزرع الشلب منذ خمس سنوات، كما كانت محاصيله من الحبوب الأخرى شحيحة، أما هذه السنة فقد صار عنده محصول رائع من الشلب... والشيخ مرزوق ذو شخصية تلفت النظر، حيث كانت القبائل الأخرى في الماضي تكرهه وتخافه كثيراً، لأنه محارب عنيف له شهرة واسعة عن شجاعته الشخصية الفائقة، وقائد تتبعه عشيرته إلى أي مكان يقودها إليه، وهو في حالات كثيرة يتصرف كأنه طفل كثير الجاذبية، لا يعتمد عليه كثيراً في الشؤون الطفيفة، ولكني أعتقد أنه يمكن الاعتماد عليه في الأمور الكبيرة. لقد كان الحاكمان اللذان سبقاني (وهما ليسا من الإنكليز) كثيري التعصب ضده بدافع من مستشاريهما العرب المحليين الذين ألحقوا به أضراراً جسيمة وجعلوه غير راضٍ بالمرة عن الحكومة البريطانية، أما الآن فإنه متحمس جداً في الميل نحوها، وهو كعربي فإنه يستخدم صيغ المبالغة في حديثه

وتفكيره ويستخدم للتعبير عن مشاعره عبارات لطيفة ومخجلة في بعض الأحيان، وعلى هذا فعندما ذهبت لمقابلته بعد العشاء، أخذ جميعهم يثنون على الحكم الحالي والسلام والازدهار اللذين رأوا أن الحكم القائم يسعى لتحقيقهما إلى غير ذلك من المديح. وبعد ذلك أخذ المأمور الذي يشتغل في معيتي (وهو شخص كردي ممتاز يثير الإعجاب، وأكن له كل الحب)[1] قال بأنهم يتمنون أن أصبح ميجراً وأتقدم في الوظيفة في القريب العاجل، وعندها تدخل مرزوق قائلاً بأنه لا يتمنى أبداً لي الترقية إلى رتبة (ميجر) أو أن أصعد في سُلم الوظيفة، لأنني سأُنقل عند ذلك، وأكد مرزوق بأنه لا يوجد حاكم آخر مثلي يمكن أن يحل محلي، وهذا أعظم ثناء أُثني به علي حتى الآن، وهو أفخر إطراء سمعته بحقي على الإطلاق، لأنه كان ثناءً صادراً عن نيّة خالصة. رغم أن مرزوق دون شك سيقف ضدي تماماً إذا قمت بأي عمل لا يرتضيه.

إن النظام الفردي للحكم يعطي للحاكم بالطبع سلطة كبيرة، ليس لأنه غير دقيق، ولا أعتقد أن الكثير من الإنكليز يحملون هذه الصفة، ولكن إذا كان جاهلاً باللغة، أو مهملاً في التحقيق، أو متحيَزاً ولو بشكل بسيط فيما يتعلق بما يريده الناس وما لا يريدونه.

إن سمة الترحيب الأساسية للجولات الرمضانية هي تقديم العشاء عند غياب الشمس بالضبط، أي في الساعة السابعة والنصف مساءً بدلاً عن الانتظار حتى حلول الساعة التاسعة أو العاشرة.

إن الناس يعانون الكثير بسبب الحرارة التي يتحملونها بكل بطولة.

في أحد الأيام التي كنت فيها مع مرزوق أمسى الوقت في الساعة السابعة والربع وغابت الشمس حقاً، وكانت تحجبها كتلة من الغيوم، فكان من المستحيل معرفة الوقت المضبوط للإفطار، وتم الرجوع إلى الساعات فكانت أوقاتها مختلفة، وقد أكّدت لهم (وكنت محقاً في ذلك) إن الشمس قد غابت، ولكنهم قرروا بعد المناقشة الانتظار عشر دقائق أخرى لتجنب الخطأ، وحسب ظني فإن ذلك كان أمراً عظيماً حيث إنهم لم يتناولوا أي نوع من السوائل منذ الساعة الخامسة صباحاً، لقد انتهى الأسبوع الأول من رمضان، وقد بدأ الناس الاعتياد على الصيام، ولكن علاماته بدأت تظهر على وجوههم، ويقولون إن عيونهم لا تستطيع الرؤية عند حلول الساعة الخامسة عصراً، وتتوقف قدرة آذانهم عن السمع، وغالباً ما يصابون بالدوار عند وقوفهم.

---

(١) علي آل حسن أغا.

آسف لعدم سماعي لحد الآن بأنك بدأت تتعلم ركوب الخيل والتحدث بالعربية، أعتقد أنك ارتكبت خطأ كبيراً عندما رفضت نصيحتي للقدوم في هذا الشتاء، ولن تواجهك أية مشكلة حول جواز السفر، وبإمكانك تحقيق ما تريد إذا بذلت جهداً كافياً. أما فيما يتعلق بالنقود فليس هناك أفضل من هذا المجال لصرفها، وإذا جئت في هذه السنة فإنك سترى مشهداً يبدي سمات التحضر والتخلف التي طرأت عليه في غضون سنوات قليلة، ولكنه يستحق في الوقت الحاضر أن تُكتب عنه خمسونَ أطروحة في المجالات العرقية والتاريخية والأخلاقية.

[وقد أظهرت رسالة بعث بها سوماريز إلى عمتّه السيدة هيراباث في ٢٣ مايس موقف العرب إزاء التحسينات الأخيرة]:

لقد عاد أحد شيوخ منطقتي توّاً من زيارة أربعة مدن مقدسة وهي النجف وكربلاء والكاظميين وسامراء، لقد كانت سفرته تستغرق قبل الحرب حوالي عشرة أيام إذا سار بسرعة، كما كانت تتطلب أعداداً كبيرة من الخيول والمضايف وغيرها، أما الآن فإنه يستطيع القيام بكل هذه الأمور باستخدام القطار، وقد عاد وهو متحمس للغاية، وكان يريد مدّ خطوط السكك الحديد في كل مكان، وكان الأمر الذي يدهشهم هو رخص أسعار السفر بالقطار، فأجرة النقل من الكفل إلى بغداد وهي سبع روبيات، والمسافة هي ٨٥ ميلاً، ولكن هذه السفرة كانت تستغرق في الماضي أربعة أيام محفوفة بالمخاطر في طرق خطرة مليئة باللصوص والقبائل ذات النزعة العدائية، أما الآن فإنها تستغرق ست ساعات بالقطار..

أم البعرور في ٢٨ مايس (إلى المشرفة على - ميرتون -)

... لقد أصبحت فلاحاً صالحاً لا أتكلم إلاّ بشؤون الزرع والمحاصيل، وخاصة الشلب الذي يقابل الخبز في إنكلترا، ولم أرَ إنكليزياً واحداً منذ أسبوعين، وأنا أتشوّق للقيام بزيارة إلى النجف يوم الاثنين، وأعتبر تلك الزيارة عطلة حقيقية. لقد عُدت أخيراً من سفرة تُعد من أشدّ السفرات التي سافرتها حزناً وكآبة، حيث إنني حضرت مجلس الفاتحة المقام على روح شيخ من شيوخ وهو (الحاج جواد) الذي توفى أخيراً، وكنت أحبّه كثيراً، ويعد أبناؤه من أرذل أهل الشامية، وهم يختصمون الآن خصومة عنيفة حول الميراث (الذي يساوي مائتي ألف جنيه إسترليني) فضلاً عن وجود الخصومة الشديدة بينهم حول المشيخة التي سوف أعين أنا من يقع اختياري عليه فيها لأنه يقع

ضمن صلاحياتي، وقد أحطتهم علماً بأنني لا أفضل أي واحد من أبنائه، وعلى هذا فقد أخذوا كلهم يصبّون في أذاني أسخف أنواع التزلف، الأمر الذي جعلني أكرههم جميعاً أكثر من السابق، كان عددهم تسعة أولاد، معظمهم من أمهات مختلفة وهذا مما يسبب الخصومات الموجودة، ومع إنهم قدموا لي عشاءً ممتازاً فإنني نادراً ما قضيت أمسية مثل تلك الأمسية غير المريحة، ورغم هذا فلم يضع الجهد سدى، حيث قمت بجمع معلومات نافعة تساعدني على اختيار الشيخ الجديد....

أم البعرور في ٣٠ مايس . (إلى أمه)

لقد جلب لي منشي[١] شيئاً من التين الأبيض الجيد، وهو أول تين يقطف في هذا الموسم، وقد أكلته بلذّة فائقة. و توجد على المائدة بجنبي أيضاً كمية من الطماطمة الطازجة وهي أو طماطمة الموسم أيضاً، وأخيراً فإن عندي على المائدة أيضاً باقة ورد جاء بها إلي منشي أيضاً، وهذا الورد ذو لون بنفسجي رائع وقد نسيت الاسم الذي يطلق عليه.

وقد تركت خدمي في خارج الغرفة يصطادون العصافير، فقد ضجرت من زقزقتها المزعجة، وقد أخبرني شاكر بأنه يستطيع القضاء عليها باستخدام إحدى البنادق التي قمت بمصادرتها، وذلك بإزالة الرصاص وحشو الغلاف بنوع من الحبوب النباتية الصلبة التي تشبه الحمص، وقد أطلق مشطين حتى الآن فأزعجني وأزعج الجيران ولم يقتل أي عصفور لحد الآن، رغم وجود مائتي عصفور على الأقل في البيت حالياً وهو بيت صغير جداً. ويقول إنه إذا استمر لفترة أطول فإنه سوف يخيف العصافير، ولكني لا أعتقد أن العصافير لها من الذكاء ما يكفي لجعلها تشعر بالخوف، إنها مخلوقات مزعجة، إنني أكرهها أكثر من الذباب والخنافس كما أنها تملأ البيت قذارة.

لقد ذهبت لحضور مجلس الفاتحة المقام على روح الحاج جواد، لكن أولاده كانوا متوحشين وحقيرين بحيث لا أستطيع الصبر على وصفهم أو وصف الفاتحة فقد همس أحدهم في أذني قائلاً: «لقد كنا نبكي قبل مجيئك، لكن الناس منعونا عن البكاء، وقالوا لنا: كفوا عن البكاء فإن الحاكم قادم في طريقه إلى هنا وهو لكم أحسن من أبيكم».

---

(١) منشي: ملاك يهودي، كان من كبار ملاكي الشامية، تقع أملاكه على شاطيء الشامية، يتعاطي تجارة المواد العطارية والبقالية والأقمشة. وهو شقيق (الياهو)، قتله (عبد) أحد عبيد الحاج حسين بليبش في الثلاثينات.

وكان يعتقد أن مثل هذا التزلف والنفاق سيجعلني أنحاز إليه، وقد كدت أن أقول له إن مثل هذا التزلف سوف لا يكون في صالحه...

أم البعرور في ٤ حزيران (إلى أبيه)

ليس عندي كثير من الأخبار في هذه اللحظة، ولم تكن سفرتي إلى الكوفة سفرة ممتعة، وقد سمعت بزيارة الشاه للنجف، لقد كان مريضاً جداً في أول يوم وصوله، ثم تحسنت حالته في اليوم الثاني وصار في وسعه أن يكمل منهج الزيارة، لقد أهدى للموظفين خواتم جميلة جداً ذات أحجار كريمة تبلغ قيمة كل منها بين ٢٥ إلى ١٠٠ جنيه إسترليني، ولو كنت موجوداً لحصلت على واحد من هذه الخواتم، وعلى كل حال فإنني لا أشعر بالأسف لهذه الخسارة لأن الخاتم الماس لا يعتبر أمراً جيداً بالنسبة لي... وقد جلبت معي كتاب جيد لقواعد اللغة الفارسية، لذا فإنني أبذل جهداً كبيراً من أجل التعلم.

لقد تعقدت الأحوال السياسية هنا مؤخراً[1]، لكننا ليس لدينا إلاّ القليل من الأخبار الموثوقة، وقد امتلأت المقاهي بالإشاعات، وقد وقعت عدة حوادث عنيفة في بغداد، كما أن رجال الدين في النجف وكربلاء، يتحركون بنشاط وفعالية من أجل أهداف غير واضحة، وليس لها صلة وثيقة بالقبائل، وليس هناك علامات لأقل هياج أو حركة في الريف، و لا أعتقد أنه ينتظر وقوع أي حادث خطير في أي مكان كان، حيث أن الريف بوجه عام يرفل بحلل الرخاء، وإن فائدة العهد الحالي واضحة، بحيث أن رجال الدين لا يجدون أشياء كثيرة يستغلونها، ولكن نفوذهم بلا شك هو نفوذ كبير جداً ومقداره لا يعرف حجمه بالضبط.

وفي بلاد مثل هذه تكون فيها السلعة الدارجة في الحياة اليومية الحديث من دون جرائد يعتد بها تكثر الإشاعات غير المقولة على الدوام، وهي عرضية، لأن تسبب كثيراً من الضرر بالنسبة لعظمها ومبالغاتها، وعلى كل حال فإنني لا أتوقع حدوث شيء في

---

(١) إشارة إلى بدء الاجتماعات المكثفة بين زعماء العراق ورؤساء القبائل والاتفاق على الاستمرار في مطالبة الانكليز بالإستقلال بالطرق السلمية وعند رفض مطاليبهم اللجوء إلى القيام بالثورة المسلحة. ثم أدائهم القسم بالقرآن الكريم عند ضريح الإمام الحسين عليه السلام، على أن يبذلوا قصارى جهدهم في سبيل إنقاذ البلاد من أيدي المحتلين.
انظر : (المقدمة التمهيدية).

هذه الناحية من البلاد في جميع الحالات، ومن المؤكد فإن علاقة الناس في منطقتي ممتازة للغاية معي، كما أن الإنتاج الوافر في محاصيلهم الزراعية لهذه السنة جعلهم يساندون الحكومة بقوة، ويمكنني أن أقول بأن النجف قد تحدث فيها أموراً معلقة ولكنها ستكون ذات تأثير كبير، إن المؤثرات التي تقف وراء الشائعات (التي تناهض الانتداب ولكنها ليست ضد الإنكليز وتطالب بالاستقلال) مبهمة ومتداخلة، ويحتاج المرء إلى فهم الواقع المحلي لتقييمها، حيث أن رجال الدين المتعصبين النزيهين يشكلون أقلية صغيرة، غير أنه يوجد عدد من القوميين السوريين والمناهضين للصهيونية، والموظفين الأتراك السابقين ومحرضون من الهند وقليل من البلاشفة، إضافة إلى عدد من الخارجين على القانون من العرب وهم من أكبر الفوضويين، وبالطبع فإنهم يعملون في المدن فقط، ويرسلون الرسائل إلى العشائر، غير أن العشائر يبدو عليها بحسب ما عندنا من معلومات، بأنها لا تعبأ بها مطلقاً.

ولا شك أن هؤلاء يضربون على وتر حقيقي واحد، وهو أن الحلفاء ونحن في ضمنهم حنثوا بالوعود، فإذا قرأتم التصريح الإنكليزي ـ الفرنسي المذاع في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨، والبيان الذي أذيع على أهالي بغداد[1] في يوم دخولنا المظفر إليها في مارت ١٩١٧ سوف تجدون بأن هذا القول صحيح تماماً، كما أن تعاملنا مع الصهاينة لم يكن شيئاً صائباً، ومما يثير الاستغراب إن الحملات الإعلامية تدعو فقط إلى أن يقوم الجميع بالخروج والمطالبة بحقوقهم حسب وعود الحلفاء، من دون أن تشير إلى العنف أو مخالفة ضد الحكومة القائمة.

ولا أدري ماذا يمكننا أن نفعله تجاه هذه الوعود التي نكثت، فليس هناك غير الحمقى أو السياسيين كان يمكن أن لا يبروا بالوعود، ولكن طالما جرى قطع هذه العهود

---

(١) جاء في خطاب الجنرال مود إلى أهالي بغداد: إن الإنكليز جاءوا محررين لا فاتحين، (يا أهالي بغداد إن الحكومة البريطانية لا ترغب في أن تفرض عليكم مؤسسات غريبة، إن أهالي بغداد سينعمون ويتمتعون بثروتهم وممتلكاتهم تحت ظل مؤسسات تتلائم مع قوانينهم المقدسة والأصول المرعية).

كما ذكر البيان الإنكليزي ـ الفرنسي في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨:

(إن الغاية التي ترمي إليها كل من فرنسة وبريطانية العظمى هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت أعباء استعباد الأتراك تحريراً تاماً نهائياً، وتأسيس حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم).

«مقتبس من كتاب المس بل: استعراض الإدارة الملكية في بلاد ما بين النهرين» «هامش الأصل»

أقول: ترجم الكتاب إلى العربية من قبل المرحوم جعفر خياط، وطبع تحت عنوان: فصول من تاريخ العراق القريب. بيروت ١٩٧١.

راجع المقدمة التمهيدية عن دور لواء عموم الشامية والنجف في الثورة.

فإنها تكون ملزمة بشكل من الأشكال، وقبل أن نكون ملزمين بتنفيذها فإنني أفضّل وجوب توضيح موقفنا، إنني لا أعتقد أن هذا الطرح سيتسبب في رد فعل عنيف، ولكنني أرى أن معاهدة السلام التركية تتضمن اعتبار بلاد ما بين النهرين دولة مستقلة، أما ما يعنيه ذلك فليس لي علم به، إن ذلك يبين أن رجل السياسة يجب أن يراوغ لكي يعيش، لذا فإنه يجعل الأمور لا تطاق بالنسبة لإدارة مثل إدارتنا.

أم البعرور في ٥ حزيران (إلى السيد سيريل بيلي)

... في الوقت الذي يتواصل فيه هبوط مستوى المياه في النهر الذي يصل من الآن حتى حلول شهر تشرين الأول أدنى مستوى له، يجب على القبائل بناء سدود لرفع المياه، ونحن نقوم الآن بالشروع بهذه العملية، إنها سدود مدهشة تبنى نتيجة الخبرة المتراكمة من القصب والتراب فقط، ولم تترك إلاّ فجوة صغيرة تبلغ عدد ياردات في الوسط لجريان الماء من خلالها، وعندما نعرف أن عرض النهر هو نفس عرض نهر التايمس عند منطقة كنجستون وأن عمقه يتراوح بين عشرة إلى اثني عشر قدماً، وسرعة جريانه تتراوح بين خمسة إلى ستة أميال في الساعة، فلك أن تتصور مقدار الجهد المبذول مثل هذا السد دون استخدام أية آلة[1]، وفي كل واحدة من العشائر الكبيرة توجد عائلة أو عائلتان لها معرفة في هذا الفن توارثتها أباً عن جد، ويأخذون على عاتقهم إنجاز هذا العمل.

بعد ذلك كلي أمل بالشروع في إنشاء طريق من هذا المكان إلى الديوانية التي تبعد مسافة عشرين ميلاً، وعلى الطريق الرئيسي للسكة الحديد بين بغداد و البصرة، وهذا الطريق سيكون ذا أثر كبير على سكان منطقتي وعلى تجارتهم، وأرجو أن أُتبع ذلك فوراً بإنشاء طريق على الجانب الآخر يؤدي إلى الكوفة على مسافة أربعة عشر ميلاً مع بناء جسر هنا، وهذا الطريق يمرّ به زوّار العتبات المقدسة (والجنائز) بأعداد كبيرة قادمة من جهة نهر دجلة (منطقة الكوت) وحتى من منطقة (بشت كوه)[2]. إلى مدينة النجف

---

(١) في رسالته إلى أبيه في ٢٦ حزيران كتب، بأن ثلاثة من هذه السدود سيجري بناؤها (والفكرة هي وضع حبل من القصب يتراوح عرضه بين عشرين إلى ثلاثين قدماً، وبعمق يتناسب مع عمق النهر، ومن ثم يثقل بالتراب حتى يستقر، وقد تستخدم ما يقرب من مائة ألف شدة من القصب، حيث تضعها يد الخبير في موضعها، إن مهارته تنتقل من الآباء إلى الأبناء، وأعتقد أن جذورها تمتد إلى العهد البابلي). هامش الأصل.

(٢) بشت كوه: منطقة تقع على الحدود الايرانية العراقية، وتقابلها في العراق منطقة الكوت، كانت تقوم بها إمارة آل قلي خان.

المقدسة، لذا فإن لهذا الطريق مستقبلاً، ومن المؤكد أن تسير عليه في يوم من الأيام الترام أو القطارات الخفيفة. إن العرب يحبّون الطرق وسكك الحديد لأن بلاد ما بين النهرين كان السفر فيها متعباً عند وصولنا إليها، حيث المسافات شاسعة، والصحاري اللاهبة الحرارة والجفاف، إضافة إلى أعداد لا تحصى من قطاع الطرق[1].

كم أتمنى أن أغني ضمن مجموعة (لباخ) فقد مضت سنة كاملة على السيمفونية.

أم البعرور في ٩ حزيران (إلى الميجر كمبرباج)

لقد ظهرت لي مهمة جديدة أقوم بها في المستقبل القريب، وهي الحصول على خمسة آلاف طن من التبن للجيش، وقد كانوا يشترونه حتى هذا الوقت من الهند، ويأملون الحصول على كميات كافية منه هذه السنة من العراق، وتوفير ما يقرب عن ٥٠٪ من ثمنه، وبما أنهم يدفعون للعشائر أربعين روبية للطن الواحد الذي يجلبونه إلى ضفة النهر فإن ذلك عمل مربح، ولكنه يحتاج إلى شيء من التنظيم، وسيبلغ النشاط أقصاه في هذا المجال في غضون شهر تقريباً.

بعد أن وجدت العمل في غاية الصعوبة فقد بدأت الآن أستمتع القيام به والإبداع فيه، حيث أنني أعرف عنه كل شيء، كما أن الجميع يراجعونني بدلاً من إتباعهم طرقاً ملتوية، إن الأمور تجري بيسر وسهولة، كما أن المواطنين يعرفون ما هو مطلوب منهم، لذلك لا يوجد الكثير من الأعمال القضائية والروتينية، ومما يقوّي عزائم الناس هي المساحة الكبيرة التي تزرع بمحاصيل الحبوب والازدهار المتوقع كذلك.

إن الجو السياسي ينذر بالخطر كما أتوقّع، إنني لا أمتلك المعلومات لتقييم أهمية ما يحدث، ولكنه من الناحية العملية مقتصر على بغداد مع وجود بعض الوكلاء الفعّالين في المدينتين المقدستين النجف وكربلاء، وخارج هذا النطاق هناك نسبة قليلة من رجال الدين الملتزمين الذين يرفضون حكم الإنكليز رفضاً قاطعاً، لا أعتقد أن دعايتهم سوف يكون لها أقل تأثير على القبائل في جميع الحالات في هذه الأنحاء من البلاد، ولكن الفرد لا يعلم عند تعامله مع العامل الديني أن هذا العامل هو حسب اعتقادي من الأمور التي يصعب حسابها من حيث استثارته لعواطف الناس، وأنا مقتنع شخصياً بأن شعور البلاد

---

(١) يكتب إلى والده في ٢٦ حزيران: (لم يبق أي قاطع طريق في منطقتي، ولكن حصلت على وعد بفتح مدرسة في أيلول، وهذه خطوة عظيمة). هامش الأصل

هو متجّه بالكلية نحو وجود حكومة قوية كثيرة البعد عن الديمقراطية. ومما لاشك فيه أن بغداد لا تعير أهمية للعشائر وزراعتها، كما أن العشائر تكره البغداديين، على أنني لا أعرف شيئاً عن بغداد بحيث أستطيع أن أحكم على ما يمكن عمله تجاهها، لكنني لا أتوقع أن أُقتل في هذه السنة[1]...

أم البعرور في ١١ حزيران (إلى والدته)

لقد عدت أمس من زيارة قصيرة وصلت بها إلى القسم البعيد الضارب في البادية من عشيرة آل شبل الذين لم أشاهدهم من قبل، وقد وجدتهم محظوظين بشيخهم الجدّي الفعّال المتميز بحماسته وصغر جسمه ونشاطه الكبير في مجال الزراعة، وقد صرف مالاً كافياً لاستثمار أراضيه، وكانت هذه الأراضي بادية قاحلة منذ مئتي سنة تقريباً، إنه يقوم تدريجياً بمدّ قنوات الري ويوصل الماء إلى أكثر فأكثر من الأراضي فيحصل في مقابل ذلك على محاصيل ممتازة من الحنطة والشعير والدخن إضافة إلى ما يحصل عليه من الإبل والغنم والجاموس والخيل، وقد أخذ جيرانه بطبيعة الحال يحسدونه ويقولون أنه اغتصب أراضيهم وهذا أمر غير مطابق للواقع، فهناك نزاع شديد على الأرض بين آل شبل جميعهم، ولكني بعد أن رأيت ما قام به هذا الرجل من عمل جيّد فإني بالتأكيد لن أدع أي شخص أن يأخذ أرضه منه. لقد كان الجوّ في غاية الحرارة هناك، وكانت السفرة مزعجة، لقد غادرت مضيفه صباح يوم أمس في الساعة السادسة والنصف بعد أن استيقظت في الساعة الخامسة صباحاً، وتذاكرت مع عدد من شيوخ آل شبل الآخرين وتجوّلت راكباً الحصان لمدة ساعة، وبعد ذلك قضيت ثلاث ساعات في المشحوف وثلاث ساعات أخرى في زورقي البخاري فوصلت البيت في شدة الحرّ، أي في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر.

ورغم أني لم أتأثر كثيراً ولكني أتحاشى قدر الإمكان الخروج بعد الساعة الحادية عشرة قبل الظهر. إن آل شبل يعانون كثيراً في رمضان، فهم يؤدون فروضه بكل دقّة، إنه من أصعب الفروض على الرجال الذين يتوجّب عليهم العمل في الشمس طيلة النهار، ولكن عندما يبدي المرء تعاطفه معهم يهزون أكتافهم قائلين: «وماذا بإمكاننا أن نفعل؟ هذا ما فرضه الله علينا» وفي هذا نهاية الحديث.

---

(١) يتوجس خيفة الثورة، ومن هنا يبدأ التحامل المركز، والألفاظ القذرة على الثورة ورجالها. للتفاصيل عن مجريات الثورة يمكن الرجوع إلى المقدمة التمهيدية عن دور لواء عموم الشامية والنجف في الثورة.



السيد علوان الياسري.

السيد هادي زوين.

إنني أفكر بالذهاب إلى النجف غداً، حيث أن الجو السياسي جوّ عاصف للغاية، وأريد الوقوف على آخر الأنباء، لقد أجريت أحاديث ممتعة مع سكان منطقتي مؤخراً، وإنني لعلى ثقة مطلقة بأنه مهما حدث من أمر في النجف نفسها فلن تكون هناك أية فرصة لحدوث أي اضطرابات في هذه المقاطعة، فإن العشائر راضية بوضعها وهي تنظر إلى الحكومة في كل شيء، وليس إلى شيوخها - الذين يكرهونهم - طلباً للعدالة والمساعدة.

هناك دعاية يتم تداولها دون هدف من قبل عدد من الأغبياء من نفس نوع (لجنة تركيا الفتاة للاتحاد والترقي) يدعمهم رجال الدين، وهذا الأمر خطير ولا يمكن حساب نتائجه التي تؤدي إلى عرقلة وإعاقة عمل الحكومة، وتوجد في الشامية الغَربية(1) عصابة من الرجال بهذا النمط تشتغل مع شيخ من شيوخ العشائر(2) يملك ثروة طائلة، ويقوم بخيانة مشهودة لنا، وقد أخذوا يدعون شيوخ منطقتي إلى الانضمام إليهم في تقديم مذكرة إلى الميجر وإلى الحكومة في بغداد(3).

إنني لا أعتقد أن شيوخ منطقتي قد تأثروا بهذه الحركة، وأنا أفكر الآن بعقد اجتماع أدعوهم إليه، وأقول لهم بصريح العبارة بأنه قد آن الأوان إظهار إخلاصهم وولائهم، وإن عليهم أن يبرهنوا على ما كانوا يعترفون به من الاعتراف بالجميل للحكومة، وعلى أن ذلك الكلام يعني شيئاً من الأشياء، وإنهم يجب أن يعملوا بصراحة على مساعدة الحكومة بشكل علني، والحقيقة التي يعرفها الجميع إنهم على علم تام بأن حكومتنا إذا انسحبت أو ضعفت ضعفاً خطيراً فإن البنادق ستثور في كل مكان وتقع مجزرة عظيمة، فيختفي الرخاء الذي يتمتعون به الآن، ولن تشهد بلادهم إنشاء الطرق وسكك الحديد وغيرها من الأمور التي هم فعلاً بحاجة إليها ويتمنون وجودها، وليس هناك واحد من الناس المسؤولين يرغب في إضعاف مركزنا ولو لحظة واحدة، ولكن العقلية العربية

---

(1) أي منطقة المشخاب وأبي صخير.

(2) الحاج عبد الواحد بن الحاج سكر بن فرعون بن ياقوت، رئيس عشيرة آل فتلة، وهي من أكبر عشائر الفرات الأوسط انتشاراً، ولد عام ١٨٨٠م، شارك هو وعشيرته في حرب العراق ١٩١٤، واشتغل في القضية العراقية منذ ذلك الحين وفي ثورة العشرين، وقاد الجبهات مع أقرانه في أبي صخير والكوفة والكفل والرارنجية وغيرها، وبعد انتهاء الثورة واحتلال الكوفة من قبل السلطات الانكليزية سلّم نفسه في الكوفة وحكم عليه بالحبس المؤبد، ثم أطلق سراحه في الحكم الوطني. انتخب نائباً عن الديوانية لعدة دورات انتخابية، ثم عضواً في مجلس الأعيان عام ١٩٥٤. توفي في بغداد ليلة الأحد ربيع الأول ١٣٧٦هـ/٧ تشرين الأول ١٩٥٦.

(3) وقد سُلّمت المذكرة بتأريخ ١٢ حزيران. انظر: المقدمة التمهيدية.

الشريرة تستحوذ عليهم، وهم يعتقدون بأنهم أبطال عظماء يتعشقون الحرية والوطنية والاستقلال، وعندما يقوم أرباب الدعاية بالتحلق إليهم ووصفهم بالشيوخ الصالحين، وإن الحكومة تقوم بنهب ما حصلوا عليه بعرق الجبين من المال بشكل ضرائب ترسلها إلى إنكلترا، (في الوقت الذي يقوم به دافع الضريبة البريطاني مبلغ ٢٥ مليون باون سنوياً من أجل استقرار الأمن والنظام هنا)، وعندما يتدخل رجال الدين بتأثيراتهم المميتة يصبحون أداة طيّعة بيدهم.

وكما قلت فإنهم لا يمتلكون أية فكرة عما يريدونه في الواقع عندما يقدمون مضابطهم، وهم أول من يعترض على أي شخص بغدادي، إذا حلَّ في محلي مثلاً.

إنني أنتظر أن تردني اليوم من النجف تفصيلات تتعلق بمقابلة تمّت بين زعماء الشامية الغربية وبين الميجر[1]، وعلى هذا الأساس أأمل أن يتسنى لي دعوة واحد أو اثنين من شيوخ منطقتي والتحدث إليهم بصراحة، حيث أن العربي لا يهتم إذا قلت له إنه كذّاب خائن إذا اعتقد أنك إنسان مخلص، ويبدو أن الطريقة الوحيدة هي أن أنبههم بأنهم يقومون بأعمال سيئة وإنهم يسيئون إلى أنفسهم بها، وإذا استطعت أن آتي بشيوخ منطقتي الخجولين الميّالين للجبن المخلصين وجعلتهم يقولون كلمة طيبة عن الحكومة فإن ذلك يعد ظفراً وتوفيقاً.

لقد وصلت رسالتك التي كتبتها بتاريخ ٦ مايس والأزهار الرائعة من الحديقة التي يبدو أنها أظهرت هذه السنة معجزات أسالت لعابي.

إن الصيدلي الذي يعمل معي مسلم هندي إسمه شرافة الله ويعني (جلالة الله)، إن العرب سيتعلمون مع مرور الوقت، ولكن الصيادلة الذين يعملون معنا حالياً معظمهم من الهنود مع عدد من المصريين والسوريين.

لقد أثار اهتمامي تفكيركم بالقيام بزيارة إلى المناطق المدمّرة... وبالطبع فإن الأمر برِمته بالغ الوحشية، ولكن تجد متعة فيه، ومن الأفضل لك الذهاب إلى مقاطعة بريتاني وسآخذك في يوم ما في جولة بالسيارة عندما تهيأ الظروف.

---

(١) تم هذا الاجتماع في ١٢ حزيران ١٩٢٠ مع الميجر نوربري، وتم تسليمه مذكرة يطلبون فيها أن يعين لهم وقتاً للاجتماع بهم. فعين لهم يوم الاثنين ٢٦ رمضان ١٣٣٨هـ/٤ حزيران ١٩٢٠. انظر: المقدمة التمهيدية.

١٥ حزيران (إلى المستر غوردون روث)

... تجتاحنا الآن موجة من الحركة القومية الهدامة التي تنوي باستخدام أساليب ينبغي التقليل في الكلام عنها، استنهاض البلاد لتعلن بأنها لا تريد الانتداب وأنها تطالب بتكوين ولايات متحدة عربية مستقلة، إنني لا أزال متطرفاً بالوطنية والقومية، كما كنت في إنكلترا، لكن هذه الوظيفة إذا استغلتها عناصر جاهلة لا تريد الخير للبلاد تصبح وطنية مخطرة، ثم إن السياسة الدينية لا تعد جزءاً من منهجي في الوطنية والحرية.

إن قبائل منطقتي في رخاء لا مثيل له في هذه السنة، وراضية رضاءً تاماً بالسلم والأمان، فلا يبدو أنها متأثرة ولو قليلاً بما تقوله الحملات الدعائية التي تبث بينها، ولكن عدداً قليلاً من الشيوخ الذين يروق لهم مهاجمة جيرانهم واكتساب سمعة القوة كلصوص، والذين كانوا معتادين على القلائل في أيام الترك وخاصة في فترة الحرب ١٩١٤ - ١٩١٨، وهم يعتقدون إنهم يظهرون بطولة عند إبدائهم مشاعر لا يفهمون هم معناها، وإذا فهموها فلن يرضوا على أنفسهم إبدائها.

إن الحملات الدعائية خطيرة في المدن المقدسة (النجف وكربلاء وغيرها)، حيث يوجد كبار المتطرفين الذين تعتبر كلماتهم مقدسة حتى أكثر من القرآن نفسه[1]، إنهم يصفون بصفات غير حميدة مصير كل مسلم يتقبل إحساناً من حكومة مسيحية، أو حتى إذا قال كلمة (شكراً) للحاكم السياسي الذي يحملهم بسيارته في بعض الأحيان، وإذا قيل لأي مسلم بأنه نصراني فإن ذلك لا يعد إهانة أو تشهير فحسب، بل إن هذه الكلمة إذا خرجت من فم رجل من رجال الدين المقدسين فإنها تعني تقريباً حكماً باللعنة الأبدية. إن رجال الدين الذين أعنيهم والذين قد يقولون مثل هذه الأشياء هم لاشك أناس مخلصون، وعلى هذا فهم غير خطرين بمرور الزمن، ولكن الخطر يأتي من الشياطين الذين يستغلون هذا المنصب.

أم البعرور في ١٧ حزيران (إلى أبيه)

... نحن الآن في وسط موجة من التطورات السياسية المثيرة للدهشة، رغم أن بعضها لا يبعث السعادة فينا، إنها نابعة عن وطنية مريضة يدعمها التعصب الديني، لكن

---

(١) إن هذه التعابير وغيرها شاعت على ألسنة المستعمرين وذاعت في كتبهم، وهم يقصدون بها التشفي والتقليل من شأن رجال الثورة، علماء وزعماء وأبطال. ولكن هيهات!!

الدافع الديني هو تحريكات فئة فاسدة تريد النهب أكثر من أي شيء آخر، ويبذل رؤساء الحركة (من أجل مصلحتهم ودوافعهم التي يفضل أن تبقى مستورة) جهوداً جبارة في تحاشي أي شكل من أشكال التظاهر، وعلى هذا فإن الأمور تسير سيراً هادئاً، ويسرني أن تكون كذلك، ومن حسن الحظ أنه لا يوجد هناك أي تذمر بين الناس يستطيعون استغلاله، وهم لولا الدعاية الدينية غير موفقين في عملهم...

لقد ذهبت إلى النجف يوم السبت فوجدت هناك الكولونيل ويلسن الذي جاء إلى هناك بالطيارة من بغداد... وقد حصلت على جميع أخبار النجف وبغداد جميعاً، وقد وضعنا الخطط اللازمة للقيام بأعمال احترازية لكي تجري الأمور بشكل مرضٍ تماماً. وفي طريق عودته إلى بغداد مر ويلسن من هنا، وترك تحليق الطائرتين انطباعاً مثيراً لدى الناس، فكان تأثير مفرح في نفوس أصدقائي، وتأثير مسكت في نفوس المراوغين، مما يدل على كيفية سير الأمور هنا، إن أم البعرور لم تشاهد أية طيارة من قبل مطلقاً.

وبصرف النظر عن واحد أو اثنين من العناصر الخبيثة في غماس، والذين أستطيع حسب اعتقادي تحطيمهم دون أية متاعب، فإن شيوخ منطقتي ووجهائها كانوا يسلكون سلوكاً صالحاً للغاية، بحيث أن رؤساء المؤامرة كانوا قد بعثوا وكلاء خاصين للتوصل إلى سبب عدم معاضدة هذه المنطقة لهم، ويقال إن رشوة مقدارها الألف باون إسترليني قد أعطيت إلى أبرز شيوخ المنطقة كان في الماضي محارباً عظيماً ورئيساً من رؤساء اللصوص، ويترفع عن أن يشغل نفسه بالشؤون البسيطة كشؤون الزراعة أو ما أشبه، مما أدى إلى أن يصبح فقيراً اليوم، وقد علمت أن المبلغ المذكور سيقدم له في هذا اليوم نفسه، وإن جماعة خاصة (يتألف معظمها من أعدائه القدامى) سوف يحضرون إلى مضيفه... وهذا شيء مضحك، لأنني كنت قد رتّبت مع الميجر نوربري يوم الأحد بأن أجدّد له ولأخيه وابن عمّه مخصصات شهرية قدرها ألف روبية (وهي مخصصات كان يتقاضاها في بادئ الأمر منا، ثم أُبطلت قبل مجيئي) حتى نتمكن من مساعدتهم على زراعة أراضيهم وإعادتهم إلى مكانتهم السابقة، وليس هناك فرق كبير بين الألف ليرة تركية وبين ا لألف روبية في الشهر لمدة سنة كاملة، كما أنني كنت قد رتبت أيضاً، وأخبرته بذلك بأن أقضي مساء الأحد القادم عنده لأفهمه ببعض التفصيلات. وسيكون من المفيد أن أقف على جميع ما حصل في هذا اليوم، لكنني أودّ الرجل وأثق به وأتصور أنه سيقابل الوفد المذكور بجواب صريح.

وقد علمت في النجف بأن أحد شيوخ منطقتي ويدعى مرزوق، وكنت أعتقد أنه من المخلصين، علمت بأنه كان يلقي خطباً حماسية ملتهبة، ويثير القلق في النفوس،

ويبدو أنه قد يتعرض للاعتقال كإجراء احترازي بالطبع، وفي الحقيقة لم أتفق أبداً مع سياسة بعض أسلافي، لأنها قاسية، بل على العكس من ذلك، ولكنها تتسم بقصر النظر، وبطبيعة الحال فإنهم يعرفون شؤون النجف أكثر مما أعرفها أنا شخصياً، وعلى كل حال فقد ناقشت هذه النقطة كثيراً خاصة وهو الشخص الوحيد المطلوب اعتقاله في منطقتي، وقد جرى الاتفاق في النهاية على أن آتي به في زورقي البخاري لتناول الغداء معي، وعند حضوره هنا في هذا الجو الهادئ البعيد عن قلاقل المدينة المقدسة سوف أكلمه بلهجة صارمة. وقد فعلت ذلك واضعاً نصب عيني مستقبل مرزوق، فكان ذلك تمثيلاً مضحكاً، فكانت النتيجة بالنسبة لي شيئاً مرضياً تماماً، فقد تنصل تماماً من تهمة الكذب والخيانة، وأقسم بالولاء المطلق لي رغم أنه لم يؤكد ولائه للحكومة، وهذا من شأنه أن يثير أشد المشاكل صعوبةً في طراز حكومتنا وهي أن شخصاً ما يحصل على مكانة شخصية قوية يبدو فيها للسكان أن تبديل الحاكم يعد أكثر إثارة للخواطر، وهو حدث أكثر عنفاً من حدوث ثورة في إنكلترا.

لقد رأى مرزوق الذي كان في السابق محارباً عظيماً وشجاعاً قوياً رأى الذين سبقوني في الحكم وهم يفرقون رجاله من حوله ويوجهونهم نحو رجال كان هو يحتقرهم، ومما لاشك فيه أن أسلافي كانوا سياسيين فاشلين، ولكن تساورني الشكوك في أن ما قاموا به في هذه الحالة كان للصالح العام، والأقسام المقتطعة هي كبيرة وذات رخاء، ومع هذا فليس من الممكن للمرء أن ينتظر من شيخ كبير الشأن أن ينظر نظرة ودّية إلى مثل هذه الطريقة الديمقراطية، وقد بقي مرزوق معادياً لنا على وجه التأكيد إلى أن تسلمت وظيفتي هذه، وقد كنت السبب في أن أعيد لأراضيه إمكان زراعتها، ويبدو إنه سيحصل في هذه السنة على حاصل ممتاز من الرز، وهذا هو الذي يعلّل تفانيه في سبيلي وإخلاصه لي، وقد يسرّكم الحديث التالي:

لقد كنت أقول له بأنني في حين أوافق على حرية الكلام والمطالبة الصرحية بما يعتقده المرء حقوقه المشروعة لا يمكنني أن أعتقد بصحة الدعاية واستحصال التواقيع على المضابط بمجرد انطلاق صيحة من أعلى سطوح المنازل: «إن كل من لا يوقّع يعتبر مسيحياً»، لقد أكّد واعترف بالتهمة الموجّهة للنجفيين في أساليبهم، ثم أردف قائلاً: «وعلى كل حال، فأنت تعادل عندي عشرين مسلماً، ولا يهمني إذا ما سمعت أصرح بذلك...».

وعن الاضطراب السياسي يكتب سوماريز إلى السيدة ماري موري في ١٨ حزيران:

... ومهما كان أحدنا واثقاً من مركزه وسكان منطقته، فإن الحركات لابد أن تكون شيئاً مرهقاً لفكره، وخاصة إذا كان يعيش وحيداً. إن عشائر منطقتي لم تؤثر فيهم الدعاية تأثيراً ملموساً، كما أن شيوخ منطقتي يسلكون سلوكاً معجباً، ولولا تأثير النجف ونفوذها (المقدس) لسارت الأمور على ما يرام، ولكن الجانب الديني من الدعاية خطير، ولا يعرف مدى الضرر الذي قد يتسبب فيه ولا النقطة التي يتفجر فيها الوضع الداخلي.

توجد في الوقت الحاضر ثلاثة عوامل في غاية القوة هنا، ستعطينا المنعة لو حكّمنا عقولنا. (إنني أكتب بطبيعة الحال عن المنطقة التي أعيش فيها، وهي كما تعلمون بلاد زراعية وقبلية بحتة، وإن ما أقوله لا ينطبق على المدن في وضعها المعتاد):

١ ـ إن الناس لم ينسوا بعد الفترة المخيفة التي حلّت بين رحيل الترك عن البلاد وقدومنا، وهم يعرفون جيّداً أنه في حالة انسحابنا لن يكون هناك ما يمنع حدوث حالة الفوضى. لأن البلاد أصبحت الآن أغنى بكثير كما أننا قمنا بقلب موازين القوى بين القبائل التي اتخذت شكلها في ظل الحكومة التركية التي كانت في غاية الضعف، لذا فإن التحول الذي طرأ نتيجة لاندلاع الحرب ورغم كونه مدمراً قد استغرق وقتاً طويلاً.

٢ ـ لقد فتحنا ولا نزال نفتح لهم الطرق، ونمد سكك الحديد، وأعددنا كثيراً من الأراضي إلى الاستثمار والزراعة، ثم اتخذنا الخطوات الأولى لإحياء ازدهار شعب لم ينس أبداً تقاليد غناه وعظمته، وليس هناك من أحد يفكر أن هذه العملية يمكن أن تستمر دون الخضوع لسلطة الانتداب.

٣ ـ لقد قمنا بإضعاف استبدال الشيوخ إلى حدّ كبير، ووصلوا إلى مصّاف المزارعين الفقراء الذين يحصلون مبلغ زهيد من المال، أصبحوا في استطاعتهم تقديم عريضة إلى معاون الحاكم السياسي لسماع قضيّته من دون أن يكلفهم ذلك سوى بضعة فلوس، وعلى هذا فإن الفلاحين لا ينظرون اليوم إلى الشيخ كما كانوا ينظرونه في السابق.

وقد تقولون بالنظر لهذه العوامل الحقيقية المشجّعة إننا ليس عندنا ما نخشاه من الدعاية المعادية لأنها عبارة عن تذمر يخالج نفوس أفراد معدودين، إن الحقيقة هي أنني أعتقد أننا ليس عندنا ما نخشاه، غير أن تأثير الدعاية الحالية التي تطالب بتحرر العراق من دون بقاء الانتداب المهين أو الحماية أو المساعدة في الإدارة يتوقف على ما يلي:

١ ـ **الدين**: إن الحصول على تواقيع للمضابط يمكن أن يتم بسهولة في بلدة مقدسة كالنجف بإذاعة فتوى بأن من لا يوقع يعد نصرانياً.

٢ ـ **النظام العشائري**: رغم ما ذكرته في أعلاه كان ظهور القانون والنظام في العراق قد جرى قبل ثلاث سنوات فقط، وفي أماكن كثيرة قبل أقل من ذلك، وإن بعض الشيوخ الذين كانوا من المحاربين الأشدّاء وفي تلك الأيام أكثر قوة ورخاءً مما هم الآن، وتسرهم كثيراً أن يعودوا إلى مهنة اللصوصية والسلب. وينطبق هذا بوجه خاص على عشائر البادية وليس على القبائل التي تمارس الزراعة، كما أن رجال القبائل لم ينسوا بأن الغزو والنهب لهما محسناتهما المفيدة، رغم أن المزيد من الرخاء والازدهار قد يزيد استمراره وتقدمه بوجود القانون والنظام.

٣ ـ **الروح الوطنية**: إنني أستخدم هذا المصطلح لأعني به الشعور الطبيعي والصحيح الذي يخالج كل إنسان نزيه تجاه الحكم الأجنبي من دون أن تفسده الاعتبارات الدينية، وفي وسع المرء أن يستفيد كثيراً من هذا، ويمكنني أن أقسم بأن الشيخ الاعتيادي بالنظر لما استنتجته من تحدثي إلى كثير من العرب لا بل إن كل شيخ يفضل كثيراً أن يحكمه رجل إنكليزي على أن يحكمه شيخ آخر أو رجل من بغداد، وليس هناك من حاجة للحديث عن الفلاح وقبوله بحكم الشيخ، وهكذا فإن المثقفين من شباب المدن هم أناس وطنيون كما يقتضي أن يكونوا، كما أن موجة «الحرية الديمقراطية»، التي كانت الحرب سبباً في انتشارها فعلت مفعولها هنا بطبيعة الحال، لكن الشيخ عندما يتسلم أمر مطالبته بدفع الضريبة يقول بأن: «أهل الشفقات» أي الإنكليز إذا ذهبوا عنا فسوف لا نخشى تسلم مثل هذه الأوامر...

اليوم هو العيد العظيم الذي يأتي في ختام شهر رمضان ونهاية الصيام الطويل، ويتوّجب عليّ أن أحضر احتفالاً صغيراً في مكتبي وتوزع فيه القهوة والحلوى وجاء في البداية كبار موظفي الدولة وجلسوا بكل هدوء وقدموا التهاني بكلمات قمت بالرد عليها معرباً عن شكري لهم، بالعربية لإخلاصهم ولأعمالهم الجليلة، ومن ثم جاء دور وجهاء المدينة المسلمون منهم واليهود، فقد حضروا، وقد تكرر الأمر نفسه حيث تتضمن إلقاء خطبة بلغة عربية فصيحة ألقاها الرجل المثقف الوحيد في ذلك المكان.

ومن ثم حضر صغار الموظفين والفراشين ورجال الشرطة والحراس الليليون (وهم عشرة من اللصوص المحترفين الذين استخدموا للقبض على اللصوص)، والسقّاء والكنّاس الذين جاؤوا وقبلوا يدي، وكانوا يتعثرون بالأحذية، وبعد ذلك قمت بتوزيع

مبلغ من المال بينهم وعدت إلى البيت لإنجاز بعض الأعمال.

سأقوم بعمل مماثل صباح يوم غد، ولكن على نطاق ضيق يشتمل على الشيوخ، فقط ولكني لا أعتقد أن الكثير منهم سيحضر، ولن أشعر بالأسف إذا هم قاموا بذلك..

١٩ حزيران (إلى أمه)

... عليّ أن أكتب لك سطراً واحداً اليوم، والسبب هو الذكرى السنوية لقيامنا بأداء (سيمفونية البحر) في أكسفورد، وقيامك بزيارة ذلك المكان. إن هذا اليوم من الأيام المهمة، لأنه ثاني أيام العيد الذي جاء بعد انتهاء شهر رمضان، وهو أيضاً مناسبة مفرحة في هذا الجو الحار.

إن يوم أمس وهذا اليوم هما بطبيعة الحال عطلة للدوائر، وإنني متواجد في البيت لاستقبال الزوار، وقد استقبلت منهم اليوم حوالي اثني عشر شخصاً، ويأتي الشيوخ من المناطق المجاورة لإبداء احترامهم ولتقديم التهاني. لقد كان لدي يوم أمس استقبال أكثر رسمية في المكتب، كان أوّله للموظفين الذين ألقوا أمامي خطباً تثير الأعصاب، وقمت بالإجابة عليها بأحسن ما استطعت، ومن ثم جاء دور سكان المدينة الذين كانوا في غاية البلاغة. وفي الوقت الذي أكتب فيه على منضدتي فإن قطع الحلوى متناثرة عليها، كما وضع عليها شيء له لمسة حقيقية من لمسات ألف ليلة وليلة، وهو وعاء مملوء بماء الورد الذي يقوم الخادم برشّه على الضيوف بعد جلوسهم..

وفي الوقت الذي لم يؤثر عليه العمل ولا أخبار إثارة مشاعر الجماهير يكتب إلى العديد من الأشخاص قائلاً:

(إنني في قمة اللياقة، ولا أتذكر إنني اكتسبت درجة من اللياقة البدنية ولا شهيّة كهذه في حياتي، كما أن مظهري يثير الكثير من التعليقات حيث أن بشرتي أصبحت بلون الطابوق الأحمر، وأصبحت شخصاً بديناً، وأضحى مظهري مشابهاً لقمر الحصاد)، «ولا أعتقد أن متاعب الحكم قد عجلت في شيخوختي رغم إنني لاحظت شيئاً أثار الرعب في نفسي، وهو أن أماكن من رأسي علاها الشيب، كما أن الجو الحار لم يضعف جسمي، ولم تسبب الحشرات أي إزعاج له».

«في الحقيقة توجد مجاميع كبيرة من الحشرات خاصة حول المصباح عند السقف، ولكنها لا تمثل مشكلة لأنني اعتدت عليها، ولكن البعوض والذباب والقمل هي

حشرات ضارة بالفعل، ولا توجد أزهار في المنطقة التي أسكنها، كما أنه لا يوجد فصل ممطر في العراق ولكن هناك مجرد أشهر قد يتساقط فيها المطر وأشهر لا يسقط المطر فيها».

(إلى أمه)

أم البعرور في ٣٠ حزيران

وددتك أن تشاهدين الفاكهة على منضدتي وتتذوقينها، هناك نوعان من البطيخ والعنب الأخضر والخوخ والأخيرة لذيذة رغم صغر حجمها، وفي الحقيقة فإنها تشبه ما جنيناه في إحدى السنين من شجرة الخوخ من الحديقة الأمامية (في البيت) أما العنب الأخضر فإنه يشبه ما نحصل عليه في الفنادق الفرنسية كمشهيات، وحجمه صغير ولكن طعمه لذيذ، لقد كنت أتناول حوالي عشرين خوخة في اليوم وكمية كبيرة من العنب والبطيخ، إنها لا تكلف إلاّ القليل، ولم أشعر بصحة ممتازة منذ الفترة التي سبقت إصابتي بجروح. ولا تمثل الحرارة بالنسبة لي إلاّ الشيء المفيد، رغم إنني قمت مؤخراً بجولات كثيرة تحت أشعة الشمس، حيث إنني وجدت من غير الممكن أن أقطع جولتي أبداً، وقد قمت في الشهر الماضي بجولة استمرت ١٨ يوماً. لقد شهدنا عدة ليال حارة قبيل منتصف الصيف، ولكننا الآن نشهد ليالي تتسم ببرودة مريحة مما يجعل الأمر في غاية الاختلاف. إن درجة الحرارة ترتفع في شهري تموز وآب ولكن حسب اعتقادي لن تكون عالية جداً، وقد شهدت أن درجة الحرارة في بغداد قد بلغت ١١٦ درجة فهرنهايت، ومن الممكن أن تمرّ بنا أيام ليست بالكثيرة تبلغ فيها درجة الحرارة ما بين ١٢٠ - ١٢٥ درجة فهرنهايت.

لقد كان مكافأة لي ذلك الوضع العام المريح الذي شهدته مقاطعتي خلال ذلك الشهر العاصف، إن استثارة مشاعر الجماهير بدأت تتلاشى بالتأكيد نظراً لعدم وجود مظالم لتستغلها، ولكنها ستعود بشكل آخر وعلى الدوام، لأن رجال الإسلام لن يقروا أبداً أي نوع من التدخل المسيحي في هذه البلاد، ولكني أعتقد بأن الفرصة سانحة أمام العراق، رغم أن مشاكله مستعصية إلى درجة لا يمكنكم تصورها بسهولة.

(كانت هذه آخر رسالة من سوماريز وصلت إلى إنكلترا، وكان بلا شك قد كتب غيرها بعد ذلك، ولكن الاتصالات كانت قد قطعت مع بغداد، وكانت الرسائل تجد طريقها إلى الضياع، غير أن ناشر الكتاب وهو والده يكمل قصة الثورة ومقتله كما يلي):

إن الاضطرابات والقلاقل[1] التي كان يقلّل من شأنها في رسائله التي كان يكتبها إلى إنكلترا كانت حتى الآن أقل شدة في منطقة الشامية الشرقية مما كانت عليه في المناطق المجاورة، غير أن الشيوخ الذين ذهبوا للزيارة في كربلاء خلال شهر حزيران قد وضعوا خطّة معينة للثورة التي شجّع نشوبها الاعتقاد السائد بأن نظام الانتداب كان يقضي بانسحاب الجيوش البريطانية، وقد تم الحصول على التواقيع بتأثير الضغط الديني لدرجة ما، بتحالف العشائر للقيام بعمل موحد..

وكانت الحركة التي ذكرها في رسالته المؤرخة في ٤ حزيران ١٩٢٠ كانت تهدف لنيل الاستقلال الناجز من دون انتداب، وفي يوم ١٢ حزيران قدمت عريضة بهذا المعنى إلى الميجر نوربري[2] وكانت بعض التواقيع مزورة، وقد تُرك القرار في ذلك لبغداد، وفي الوقت نفسه فإن مهمة الحكام السياسيين هي قمع التحريكات الإسلامية في المدن المقدسة[3] وتهدئة الاضطرابات العشائرية، وتنفيذاً لذلك فقد تم اعتقال المحركين البارزين في ٢٢ حزيران في الحلة وكربلاء، ومن أبرزهم المرزا محمد رضا الذي كان على صلة بالبلاشفة والأتراك، وهو ابن مرزا محمد تقي الشخصية الإسلامية الشيعية الأكثر نفوذاً، وقد أُلغي هذا الاعتقال بواسطة الميجر نوربري الذي اتصل به وجهاء النجف، غير أنه في ٢ تموز جرى اعتقال أحد الشيوخ في الرميثة[4] في لواء الديوانية بناءً على

---

(١) من أجل معرفة التأريخ الكامل للانتفاضة راجع كتاب المس بل الرسمي (تقرير عن الإدارة المدنية في بلاد ما بين النهرين ١٩٢٠) والمعلومات التي أوردتها في هذا الهامش مقتبسة بتركيز من تقريرها:

«إن الاضطرابات التي يعضدها بشكل أساسي الموظفون السابقون في الحكم التركي، والقوميون من أهالي بغداد، كان الحافز ورائها أحداث سوريا. وكانت إمارات الاضطراب التي ظهرت في كانون الثاني أكثر عدداً وأشد خطراً في الربيع. وفي ٣ مايس أعلن أن بريطانيا العظمى قد وافقت على الانتداب، وقد تم إعطاء وعد بأن يقوم مجلس دولة وجمعية منتخبة إلى جانب جهات يقوم السير برسي كوكس بتحديدها بوضع دستور في الخريف، ولكن ذلك لم يرض القائمين على التحريض. لقد كان هدفهم هو إقامة دولة إسلامية مستقلة، وهي بالنسبة للعلماء المجتهدين الشيعة تعنى دولة دينية، أما بالنسبة للسنة وأصحاب الفكر الحر من أهالي بغداد فإنها تعني دولة مستقلة بقيادة الأمير عبد الله. ولا تريد العشائر أي نوع من الحكومات أبداً. وقد طالب شيوخ المناطق المحاذية لنهر دجلة عندما وقعوا تحت ضغوط للالتحاق بالحركة. طالبوا بضمان يعفيهم من دفع الضرائب الحكومية. إن مؤامرة البلاشفة والأتراك والقوميين العرب لم تعد تستغل العواطف الدينية. إن القاسم المشترك بين مختلف العناصر المتسللة هو زعزعة نفوذ الإنكليز في الشرق الأوسط». (هامش الأصل).

(٢) رسالته في ١١ حزيران.

(٣) انظر ما كتبه الميجر نوبري في آخر المذكرات.

(٤) يقصد الشيخ شعلان بن أبو الجون بن محيسن، رئيس عشيرة الظوالم في الرميثة بأرض يقال لها العوجة، قرب السماوة، وهو الذي أشعل فتيل الثورة العراقية باعتقاله، انتخب نائباً عن لواء الديوانية، ولم يشارك في الحياة السياسية كثيراً، توفي في ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٣٥٠هـ/١٩٣٠م.



الحاج عبد الواحد الحاج سكر.



عمران الحاج سعدون.

وقاحة[1] أبداها تجاه معاون الحاكم السياسي، فحاصر أتباعه البلدة وقطعوا سكة الحديد، وبذلك عزلوا الرميثة والسماوة عن سائر الجهات[2].

أما في منطقة الشامية الغربية فكان الميجر نوربري قد رتب مقابلة لكبار رؤساء عشيرة آل فتلة في مضيف رئيسها الشيخ مجبل آل فرعون في أول تموز، وكان برفقته الكابتن هوبكنز معاون الحاكم السياسي في الشامية الغربية، والميجر نيكولز الضابط الاحتياط، والكابتن مان ـ صاحب المذكرات ـ فلم يحضر إلا عدد قليل من شيوخ آل فتلة، وعلى هذا فقد اتخذت التدابير لعقد مؤتمر آخر في أم البعرور، غير أن الشيخ عبد الواحد (الذي أصبح فيما بعد زعيماً بارزاً للثورة) ألقى في النهاية خطاباً مهيجاً موجهاً إلى الحاضرين من العرب أكثر من توجيهه إلى الزائرين الإنكليز. وعندما غادر الإنكليز الاجتماع صفّر لهم الجمهور المحتشد ورجم زورقهم بالحجارة، وقد عُلِم فيما بعد بأن هذه الإهانة كانت مدّبرة، فتقرر نقل محل المؤتمر المزمع عقده من أم البعرور إلى الكوفة[3]، كما تقرّر اعتقال ثلاثة من رؤساء آل فتلة هناك وهم: عبد الواحد الحاج سكر، والسيد علوان الياسري[4]، والسيد هادي زوين، غير أن شيوخ آل فتلة كانوا مرتابين، ولم يحضروا إلى أبعد من مضيف مرزوق، ولا يأتون إلاّ وبصحبتهم حوالي ٢٠٠ مسلح من رجالهم في الساعة التاسعة من صباح يوم ٥ تموز[5] وعند ذاك عقد المؤتمر فاستغرق أربع ساعات، ولكن لم يسفر عن أيّة نتائج. وقد قال السيد علوان فيه: لقد عرضتم علينا الاستقلال من دون أن نطالب به مطلقاً، ولم نكن نحلم به قط حتى وضعتم فكرته في رأسنا، لقد عاشت البلاد لمدة أربعمائة سنة في حالة أبعد ما يمكن أن

---

(١) ليس غريباً أن ينطق المحتلون بهذه التعابير على زعماء العراق ورجاله، فهذا ديدنهم!!

(٢) بدء اشتعال الثورة العراقية الكبرى الفعلي.

(٣) عقد في ٢٨ حزيران ١٩٢٠م/١٠ شوال ١٣٣٨هـ.

(٤) السيد علوان بن السيد عباس الياسري، من عائلة السادة آل ياسر العلوية ينتبسون إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، موطنهم في مدينة المشخاب، عمل في الثورة العراقية، وكان من المفكرين والمخططين لها منذ اللحظات الأولى، انتدبه الثوار ممثلاً عنهم للمطالبة بالاستقلال. وبقيادته والحاج عبد الواحد الحاج سكر لعشائر الشامية تم تحرير الكفل في تموز ١٩٢٠، وبعد انتهاء الثورة هاجر إلى الحجاز مع عدد من قادتها. وفي الحكم الوطني استوزر لمرة واحدة، كما أنه اختير رئيساً لمجلس الأمة الذي دعت إليه حكومة الدفاع الوطني برئاسة رشيد عالي الكيلاني لتنصيب بديل عن عبد الإله وصياً على عرش العراق، عين عضواً في مجلس الأعيان لعدة دورات، وانتخب عضواً في مجلس النواب لعدة دورات أيضاً، توفي في المشخاب عام ١٣٧٠هـ/١٢ نيسان ١٩٥١م عن ٧٥ عاماً.

(٥) جاء في مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ص ٦٢، إن الاجتماع تم في مضيف الحاج مرزوق العواد يوم ٣ تموز ١٩٢٠م/١٥ شوال ١٩٢٠م.

يتصورها المرء عن الاستقلال، فأتيتم بوعودكم في إعطاء الاستقلال، وكلما طالبنا به تقومون بزجّنا في السجون.

وقد كانت المشكلة يومذاك تتلخّص في:

١ ـ الحيلولة دون تحالف بني حسن مع آل فتلة المتمردين.

٢ ـ تأمين حياد الخزاعل وأتباعهم من آل شبل، ويبدو أن الهدف الثاني قد تحقّق بعقد مؤتمر في أم البعرور بتأريخ ٦ تموز بين الميجر نوريري (ومعه الكابتن مان) وثلاثة من شيوخ الخزاعل عندما تعهّد أولئك الشيوخ بتأييد الإنكليز ومساعدتهم مقابل وعد بتمليكهم الأراضي التي كانت قد مّلكت لآل فتلة ظلماً من قبل الأتراك[١].

غير إن بني حسن لم يمكن التغلب على موقفهم، وقد جازف الكابتن مان بحياته عندما قام برفقة مرزوق[٢] مع رجال من العرب المسلحين بجولة للمنطقة وقام بزيارتهم وكان الكابتن مان وغيره من الحكام السياسيين الإنكليز يتلقون التحذيرات كل ليلة من قبل خدامهم بأن لا يظهروا أمام الناس، وأن يناموا في الغرف وليس على سطوح المنازل (كما كان يحدث في الجو الحار)، ومن الأسباب التي دعت إلى تصديق ذلك أنه نجا من الاغتيال في إحدى جولاته، لأنه اتخذ طريقاً آخر للعودة، وكان أحد شيوخ بني حسن ومن أكثرهم إخلاصاً ونفوذاً وهو الشيخ لفتة الشمخي مريضاً جداً وأراد أن يعوده فلم يستطع. وقد تمكن زعماء آل فتلة بتقديم رشوة إلى شيخ آخر من شيوخ بني حسن وهو علوان الحاج سعدون بمبلغ ألف باون إسترليني. كما عرضوا مبالغ كبيرة دون علم الخزاعل إلى آل شبل وهم عشيرة تتبع الخزاعل في الحرب، ولم يكونوا من ذوي قرباهم في النسب. أما الإدارة البريطانية فقد قابلت ذلك بتقديم سلفة قدرها ألفي باون إلى آل شبل عن طريق الخزاعل لئلا يكونوا عرضة للتأثيرات الخارجية، ولكن الشيوخ المتمردين اكتسبوا رصيداً كبيراً[٣] في وقوفهم مع رجل ثري جليل ذي مكانة مقدسة وتأثير عظيم هو السيد نور الياسري.

---

(١) انظر: مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ص ٦١ ـ ٦٢.

(٢) لقد أقام في الأخير مرزوق في أم البعرور عدة أيام لحماية الكابتن مان بكل فعالية وحرص. كما احتلت قبيلة العوابد الأراضي المجاورة لأم البعرور في الجانب الثاني من النهر والممتدة عدة أميال إلى الشمال، وكانت قبيلة الحميدات مجاورة لأم البعرور مباشرة من جهة الشرق. (هامش الأصل).
وفي مذكرات ٦٤ - ٦٥.

(٣) وفي مذكرات السيد محمد علي كمال الدين، ص ٦٤ ـ ٦٥: «ولكن الشيخ علوان الحاج سعدون، الذي نشط للعمل بعد ما يأس من اقناعه الانكليز بواسطة الأموال التي بذلت على يد أخيه الشيخ عمران، مع الكابتن جاردين وإعطائه ورقة بأراضي المهناوية الغنية والعائدة إلى الشيخ =

وفي هذه الأثناء قامت عشائر آل فتلة بعدة مباحثات غير مثمرة مع الكابتن هوبكنز معاون الحاكم السياسي في أبي صخير، وبعد فشل تلك المفاوضات قاموا بتطويق البلدة في ١٣ تموز، وقبل هذا التأريخ بيوم أو يومين كان الكابتن مان قد اتخذ ما يلزم لعقد مؤتمر آخر بين رؤساء بين حسن والميجر نوربري في مكان يقع تحت (أبي شورة) مباشرة الكائنة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة بتاريخ ١٣ تموز أيضاً. وعند انعقاد الاجتماع وبينما كانت الأمور تسير على هذا المنوال همس مرزوق الذي كان يرافق الكابتن مان لحمايته، همس في أذنه بأن الوضع خطير، وإن الجانب الثاني من النهر محتشد بالعرب المسلمين، وإن الحكام الإنكليز قد يقطع طريق عودتهم ما لم يغادروا المكان في الحال، فأخذت مشورته بنظر الاعتبار وغادر الميجر نوربري والكابتن أوكانز في مركبهما البخاري شمالاً إلى أبي شورة، وتخلّف الكابتن مان مع مرزوق، وكان حوالي الستين من العرب المسلحين يسيرون على ضفتي النهر قرب المركب، بوضع يتحدّون فيه الزورق البخاري.

وفي أبي شورة نفسها قام الضباط الإنكليز دون أن يلاحظهم العرب، باستلام رزمتين بسرعة، تحتوي كل منهما ألف باون إسترليني ذهباً لإعطائها إلى آل شبل بواسطة الخزاعل، وقد استلموا الطردين من رجال الشرطة الذين كانوا يحملونهما، فبعثا المال المذكور بواسطة الزورق ثم ركبا سيارتهم الفورد بخفة وأيديهما على المسدسات فسارا بسرعة ١٢ ميلاً في الساعة إلى الكوفة.

أما الكابتن مان فقد أعاد المال المذكور إلى أم البعرور، وبعد أن غادر الجميع المكان قام العرب المسلحون بتجريد الحارس من سلاحه ونهبوا البريد.

وفي هذه الأثناء كانت وحدة المشاة الهندية رقم ١٠٨ المتمركزة قرب الكوفة، قد انسحبت إلى داخل البلدة نفسها، واتخذت الاستعدادات لغرض الحصار.

وفي مساء يوم ١٦ تموز وصل الكابتن مان بحراسة مرزوق إلى الكوفة يحمل عرضاً من الشيوخ لهدنة أمدها أربعة أيام، بشرط أن تبعث خلالها بعض المقترحات لتحقيق السلام إلى الحاكم الملكي العام ببغداد، إضافة إلى وجوب سحب حامية أبو صخير إلى الكوفة.

= عبادي الحسين رئيس آل فتلة في الشامية ـ تمكن من حمل عشائر بني حسن على مدير شعبة هور الدخن واستولوا على بنادق شرطته الثمانية، وغنموا كل ما في الشعبة، ومزقوا السجلات والأوراق، وذلك أثناء اجتماع الحكام الانكليز وبمرأى منهم، حتى اضطروا إلى الرجوع للكوفة... الخ».

وفي اجتماع عَقَدَهُ الشيوخ في اليوم التالي أبدى غالبية الشيوخ الحاضرين موافقتها على جهود واقتراحات الكابتن مان. وقد أُبقي هو في الكوفة ضد رغبته لأن الشيوخ كانوا يخشون في أن عودته قد تؤدي إلى منع عشيرة الحميدات من القيام في وجه الحكومة. وقد قام (منش) أحد الكتّاب في دائرة أم البعرور وابن عزرا اليهودي بجلب الممتلكات واللوازم الخاصة بالكابتن مان من أم البعرور بعد عدة أيام. وقد سُمح بمرورها برغم وقوع الثورة بالنظر للشعبية التي كان يتمتع بها بين العرب، وقد جلبوا معهم مبلغ الألف باون الذهبية، وهو القسط الأخير الذي كان يراد تسليمه لآل شبل بواسطة الخزاعل.

وفي يوم ٢٠ تموز بدأ الثوار بمحاصرة الكوفة، وبعد وصوله الكوفة بيومين وقع الكابتن مان فريسة لحمى أصابته من جراء إرهاق نفسه بالعمل، لكنه نهض من فراشه في يوم ٢٢ تموز بعد الظهر وارتدى ملابسه.

أما بقيّة ما حدث فيرويها الميجر نوربري في كتابه المرسل إلى والدة الكابتن مان بعد ثلاثة أشهر، أي قبيل رفع الحصار عن الكوفة، فيقول:

في ٢٢ تموز بدأ العدو بقصف شديد على جناح من أجنحة دفاعاتنا في محاولة لإحراقنا في الحصار، وقد انشغلت كثيراً بهذا الموضوع حتى وجدت إبنك قد التحق بي ليرى إذا كان من الممكن تقديم المساعدة إليّ، وكان ذلك في حوالي الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر، بعد أن انتهى من عمل كان يقوم فيه في جهة أخرى، وكانت النار الموّجهة علينا على وشك أن ينتهي إطلاقها، وكنت منهمكاً في اختيار نقاط لاتخاذها مراكزاً للمراقبة وبينما كنت أسير نحو أحد تلك المراكز وهو بجانبي من دون أن يكون بيننا أكثر من عدة انجات، لاحظت أنه وقع فجأة على الأرض، وقد كان قد أصيب بطلقة طائشة أطلقها أحد القنّاصة، وقد اخترقت الرصاصة رقبته، وأصابت منه مقتلاً في الحال، وقد كان ذلك شيئاً فجائياً، وغير متوّقع، بحيث إنني بقيت لحظة من الزمن مندهشاً غير شاعر بما حدث، وقمنا بحمله إلى مكان آمن، لكنه لم يخرج أي صوت ولم ينطق أبداً بأية كلمة مهما كانت، وعلى هذه الشاكلة انتقل بأقصر لحظة من هذا العالم المملوء بالكدر والقلاقل إلى عالم الراحة والأبدية.

وقد دفن في مساء اليوم نفسه، وقرأت مراسيم الدفن على قبره أنا بنفسي.

وقد بلغت أنباء موته بغداد بعد بضعة أيام كشائعة في السوق، كما تم إبلاغ عائلته رسمياً في ١٣ آب بأن (هناك خطراً شديداً على سلامته) على إن الكتاب كان ينصّ على

وعد ببذل الجهود للحصول على أخبار أخرى عنه بتدبير طريقة للمخابرة بالإشارات بين الحامية المحاصرة والطيارات التي كانت تزورها بين حين وآخر، وبعد أن فشلت محاولة الحصول على الخبر اليقين جرى الاتصال بالمخابرة بين الحامية والطائرة بأن تستعمل الإطلاقات الضوئية الخاصة لذلك وأن تعطي الحامية إشارة ثلاث مرات إذا كان ميّتاً. ومرتين إذا كان حيّاً، فعملت الحامية بهذا الترتيب، غير أن الطائرة تلقت إشارتين فقط وفرّت هاربة من نيران العدو الكثيفة التي كانت تنصبّ عليها من دون أن تنتظر الإشارة الثالثة وتصوّرت بهذا أنه لا يزال سالماً، وعلى هذا تسلمت أسرته النبأ بأنه سالماً في يوم ١٣ أيلول، ولم تخبر أسرته بحقيقة وفاته إلاّ في يوم ٢٣ تشرين الأول.

وفي ٢٥ تشرين الأول كتبت المس جيرترود بيل كلمة رقيقة إلى والدته قائلة:

لقد كان موته بالنسبة لي خسارة شخصية، وكنت أعتبره من أذكى وأحب المخلوقات التي قابلتها على الإطلاق، كما كنت أتطلّع لمعرفة المزيد عنه، وفوق ذلك كله كنت أتطلّع إلى مشاركته في العمل الذي أبدى نحوه اندفاعاً يثير الدهشة، لقد تَرَكَتْ شخصيته انطباعاً رائعاً، وكان مادة للحديث حتى لأولئك الذين لم يشاهدوه، وعندما شاعت أخبار موته أخبرني أحد أصدقائي العرب بأنه سمع الناس تتحدث عنه في إحدى مقاهي بغداد بكل احترام، فقد قال المتحدث: «بأن سوماريز كان صديقاً لكل شيوخ العشائر، وكان الجميع يحبّونه». وقال متحدث آخر: «نعم، فلو بقى حيّاً فإنه سيصبح يوماً ما مندوباً سامياً» وهذه هي فكرة العرب عنه.

أنتِ تعلمين أنه تعلّم العربية دون جهد يذكر، وعندما شاهدته في الشامية في كانون الأول الماضي كان يُحسن التحدّث باللهجة المحلية العربية، وكان يقرأ شخصياً جميع مراسلاته باللغة العربية، لقد كان ذلك في غاية الروعة. وقد رأيته مرة أخرى في الربيع عندما جاء إلى بغداد ليمضي فيها عدة أيام وقمنا بأعداد كل الترتيبات لزيارته المقبلة، لقد أردته أن يقابل بعضاً من أصدقائي العرب هنا وأن يعرف رأي أهالي بغداد.

ومن خلال مشاعري نحوه أستطيع أن أدرك مدى فخرك به».

وكتب ليونيل سمث مسؤول دائرة التربية في بغداد إلى والده مدير مدرسة باليول في ٢٣ تشرين الأول قائلاً:

«إنها لصدمة محزنة أن نقرأ كما قرأت يوم أمس أن المسكين (مان) قد قُتل في ٢٢ تموز في الكوفة، أن أياً من الإنكليز الموجودين هنا لم يترك أثراً أكبر مما تركه سواء عند العرب أو عند الإنكليز، إن العرب لا يحبونه فحسب، لأن كل فرد يستطيع أن ينال

حبّهم، ولكنهم أيضاً يكنّون له كل التقدير، ياله من مسكين، إن مما يعزي أصدقائه هو أن يعلموا أنه كان يحضى بالتقدير هنا، ويمكنهم التأكد من ذلك».

وأرسل الميجر نوربري كتاباً رسمياً إلى المندوب السامي لبلاد ما بين النهرين في ٢١ تشرين الثاني جاء فيه ما يلي:

«يطيب لي أن أعرض أمام أنظاركم الخدمات الجليلة التي قام بها المرحوم الكابتن (مان) خلال الأشهر القليلة التي سبقت العصيان.

ابتداء من شهر مايس فلاحقاً كان هناك حزب قوي[١] في هذه المقاطعة، وكانوا يبذلون قصارى جهودهم للقيام بعصيان في هذه المنطقة، وقد فشلوا في القيام بذلك حتى منتصف تموز، وكان السبب الأساسي وراء ذلك الفشل هو البراعة والجهود المبذولة من قبل الكابتن (مان)، لقد كان يعمل ليل نهار دون كلل، وقد وقف وحيداً في وجه تركيبة قوية للغاية، واستطاع أن يقاوم طويلاً، ويصدّ كل جهودهم التي كانت تهدف إلى خلق الاضطراب في مقاطعته (الشامية الشرقية).

وفي رأيي أنه لو استطاع أن يقيم علاقات متينة مع بني حسن فمن الممكن أن يعزلهم عن آل فتلة[٢]، الأمر الذي كان ممكناً أن يؤدي إلى منع الثورة في هذه المقاطعة، ولكن رغم أنه كان يعمل ولعدة أسابيع فترة عشرين ساعة في اليوم خلال الأسابيع القليلة الماضية معرّضاً حياته للخطر، فقد كانت المسافات شاسعة.

لقد كان على علم تام بأن هناك مؤامرة تحاك لقتله، ومع ذلك فقد رفض كل أنواع الحماية، استناداً إلى التعامل بالسياسة، وكان يبدو إن تأخير إندلاع أعمال العنف في منطقة الشامية قد ساهم في تعزيز الموقف العسكري في العراق بشكل عام، فإذا كان الأمر كذلك فإن الفضل يعود كلياً للكابتن (مان) لأسلوبه الذي يدبّر به منطقته التي تقع كمنطقة فاصلة بين مناطق الاضطرابات في الشامية الغربية والديوانية».

وأرسلت دائرة الهند رسالة إلى العائلة جاء فيها:

«إن المندوب السامي وبعد إطلاعه على رسالة الميجر نوربري، يثني بشكل عام على تقييمه لعمل الكابتن (مان)، ويؤكد أن الأخير كان من أكفأ الضباط، وكانت وفاته خسارة فادحة للإدارة، إن وزير الخارجية يشاطرنا الأسى في ذكرى الكابتن (مان)».

---

(١) يقصد بعض الزعماء الذين كانوا يتصلون بحزب الثورة العراقية.

(٢) وهذه هي سياسة (فرق تسُد) التي دأب الانكليز على ممارستها مع أبناء العراق. ولكن... جاءت بوصل حيث لا ينفع الوصل.

ثم يتابع والده القصّة قائلاً:

إن قصة حصار الكوفة يؤمل أن تنشر في كتاب مستقل غير هذا الكتاب، وهذا لا يسعنا إلاّ أن نورد شيئاً موجزاً عن بقية ما حدث:

ففي يوم ٣٠ تموز بعث زعماء الثورة إلى الحامية المحاصرة كتاباً أوردوا فيه صعوبة الحالة المخطرة، وتعاظم شأن الثورة في الجهات الأخرى، كما أخبروها باندحار الرتل الذي جاء ينجدها من الحلة، وقد عرضوا في الكتاب على الحامية نجاة أفرادها بشرط أن يسلّموا ويستسلموا، وقد رفض الميجر نوربري بصفته الحاكم السياسي المختص طلبهم...

وكانت الحامية الصغيرة متكونة من مجموعتين من المشاة الهنود، وحوالي مائة وخمسين من الشبانة العرب الذين هرب معظمهم عن طاقم السفينة الحربية (فايرفلاي) وحوالي ٨٠ شرطياً، وبعض الموظفين العرب والهنود، مع أقل من اثني عشر إنكليزي، وقد كابد هؤلاء ما كابدوا من الحرمان الشديد. وقد تعرضوا للقصف الشديد ثمانية أو عشرة مرات بالمدفع ذي العيار ١٨ الذي تم الاستحواذ عليه من وحدة الإنقاذ (في الرارنجية)، وقد أحرقت السفينة (فاير فلاي) في يوم ٢٠ آب، ومن ثم جرى تبادل الإشارات مع الطائرات التي كانت تسقط عليهم البريد والتبغ، لكن جميع الرزم عدا واحدة كانت تسقط خارج المنطقة المحاصرة، على أن الثوار لم يحاولوا مهاجمة البلدة وأخذها عنوة، وقد تمّ إنقاذ الحامية وفكّ الحصار عنها يوم ١٧ تشرين الأول، أي بعد مرور ٩٠ يوماً عليه.

وقد فرّ معظم رؤساء الثوار العرب إلى البادية، وليس هناك معلومات عن مصيرهم بعد ذلك.

[وفي الكتاب فصل خاص بما كتبه أصدقائه ومعاصروه وقادته العسكريون من مذكراتهم وذكرياتهم عنه وثناءهم عليه، وقد اخترت أهم هذه الكتابات ما كتبه الميجر نوربري الحاكم السياسي في منطقة الشامية عن اشتغال الكابتن مان في العراق، لما فيه من أمور تخص تأريخ العراق السياسي]:

«استجابة لطلب ملّح بتعيين معاون حاكم سياسي لمنطقة الشامية الشرقية عين الحاكم السياسي العام في آب ١٩١٩ الكابتن ج. س. مان الذي كان قد وصل بغداد للاشتغال لأول مرة في بلد من البلاد الشرقية».

وبعد أن حضر إلى النجف مركز منطقة الشامية أرسل إلى أم البعرور الكائنة على بعد ١٦ ميلاً من جنوب شرقي النجف، حيث استقر في مقره، فكان البلد الوحيد الذي سكنه في العراق.

ومن الجدير بالذكر بأن هذه الوظيفة في حين كانت أول خبرة له مع العرب في بلادهم فإنها كانت أول مرة يتعيّن فيها لسكان هذه المنطقة موظف بزيطاني يقيم بينهم. وليس أدل على تكيّف الكابتن مان وقابليته الإدارية من التقدم الإداري الذي حصل في المنطقة هذه خلال حكمه القصير فيها، فكان التقدير والإعجاب اللذان حصل عليهما في الحال مبرّراً للأمل بأن الإدارة البريطانية في العراق إذا تهيأ لها الطراز اللائق من الرجال يمكنها أن تؤدي إلى نتائج طيبة.

وقد مرّت الأشهر المنحصرة بين آب ١٩١٩ ومارت ١٩٢٠ عليه على أحسن حال، فبرغم حرارة الجو كان في استطاعة الكابتن مان أن يتجوّل جولات كثيرة متسعة، وسرعان ما وطدّ علاقات ودّية مع الشيوخ والناس الذين يقلّون عنهم شيئاً ممن كانت تنحصر مقدراتهم بيده، وكان من أبرز أصدقائه رؤساء الخزاعل: سلمان الظاهر، ومحمد العبطان، وسلمان العبطان، ولم ينحطّ شأن هؤلاء الرجال إلاّ في السنين الأخيرة التي سبقت مجيئه إليهم بدافع سوء الحظ الذي أصابهم، فقد كان من المعلوم لمدة طويلة، إنهم برغم ما أصابهم من الحظ السيء مازالوا أصحاب نفوذ شخصي وسياسي عظيم جداً، وكان سلوكهم في معظم الحالات سلوكاً حسناً مساعداً منذ بداية الاحتلال البريطاني، وقد صادق الحاكم الملكي العام على سياسة تثبيت مركزهم كلما سنحت الفرصة.

وفي بلاد تزخر بالدس والمؤامرات فتجعل المرء يكابد ما يكابد من مثل هذا التفسخ الذي صحب الإدارة السابقة لم يكن من الممكن حصول أي تقدم في هذا الشأن، حتى تمكنت من تعيين حاكم بريطاني يقيم في تلك المنطقة. على أن الكابتن مان استطاع في الحال من تطبيق سياستنا تطبيقاً فعّالاً، فدلّت الحوادث التي أعقبت ذلك على النوايا الحسنة التي كان يشتغل على ضوئها. ومن الآخرين الذين أسس علاقات وثيقة بهم كان الحاج حمود والحاج جاسم[1]، رئيساً عشيرة الحميدات المنيعة الجانب، فكان هذان الرجلان مستقيمين في عملهما ويفكران بالمصلحة العامة، وخاصة الحاج حمود، وقد وقفا في الأيام العصيبة مؤخراً وقفة الرجال بجانب الحكومة. وعندما أخمدت الثورة ولم

---

(١) الحاج حمود البدن والحاج جاسم آل جياد.

يعد الكابتن مان إلى منطقتهما برهنا في مناسبات كثيرة على تعلقهما به واحترامهما لذكراه.

أما الصداقة الأخيرة التي تستحق الذكر فهي الصداقة التي توّطدت بين الكابتن مان نفسه وبين مرزوق شيخ عشيرة العوابد، وهذا رجل قوي الشخصية للغاية، يفرض نفسه على من يحضر معهم، ومعروف بالشجاعة الذاتية، غير أنه كان حادّ الطبع بصورة بارزة، أما ثباته السياسي خلال الأسابيع الخطيرة التي سبقت نشوب الثورة فقد كان موضوع النقاش الحاد بيني وبين الكابتن مان، لكن صداقته الخالصة للكابتن مان نفسه لم يكن يشوبها أي شك أو شبهة، ولولاها لكان موقف مان نفسه من دونها صعباً جداً في عدة مناسبات، حيث أنه أسبغ عليه حمايته الشخصية.

وبالتأييد الودّي الذي حظي به من أولئك الرجال، استطاع مان أن يبرهن في الحال على مقدار القابلية للتقدم الموجود في منطقته، وقد حسمت النزاعات التي بقيت تتعاظم حول الأراضي عدة أشهر أو عدّة سنين في بعض الحالات، واحدة تلو أخرى، كما عولج أمر تحسين بلدتي أم البعرور وغماس معالجة مفعمة بالحيوية وسعة الأفق فاقترنت بنجاح تام، وبذا أخضعت للزراعة آلاف الأيكرات من الأراضي البور، وما حل ربيع ١٩٢٠ حتى كان مستقبل هذه المنطقة يبشر بالخير أكثر من أي وقت مضى مما يتخطره أكبر السكان عمراً.

وبعد ذلك ظهرت في الأُفق البعيد ويا للأسف غيوم العاصفة المقبلة، فقد بدأت في نيسان همسات الاستياء والتذمر تتسرب من منطقة مجاورة، وما حلّ شهر ماس حتى أصبحت لهمسات المقاهي ضجّة وجلبة. ولست بحاجة إلى أن أذكر بأن أشد أنواع القصص غرابةً واستحالةً أخذت تنتشر هنا وهناك، لكن أولئك الذين جعلوا أنفسهم مسؤولين عن الدعاية المناوئة للبريطانيين كانوا يعرفون معرفة تامة نوع الدعايات التي تستهوي العرب شبه المتعلمين.

وسوف أقوم هنا بوصف الحالة التي كانت سائدة في منطقة الشامية في هذا الوقت (منتصف مايس) فقد كانت هناك بصورة تقريبية ثلاثة مراكز فكرية:

١ ـ بلدة النجف المقدسة.

٢ ـ منطقة الشامية الغربية الخاضعة لهيمنة قبيلة آل فتلة ذات الثراء والقوّة، التي يعاضدها السادة الذين يقيمون بين ظهرانيها، معاضدة قوية بنفوذ لا يقل عن نفوذها.

٣ ـ منطقة الشامية الشرقية، وهي منطقة الكابتن مان. وكان في هذا الوقت مركز التحريكات المضادة للحكومة على طول الفرات في بلدة كربلاء المقدسة، الواقعة على بعد خمسين ميلاً من النجف، فقد كان رجال الدين هنا يثيرون كثيراً من القلاقل، كما كانوا يشتغلون من دون انقطاع من أجل العمل المشترك مع شيوخ منطقة الشامية.

أما بلدة النجف فلم تكن ميّالة إلى أن تحبو الحركة بكثير من عطفها، لأن الناس هناك كانوا قد تلقوا درساً قاسياً قبل مدة لا تزيد على السنتين، وكان عطف أهالي الشامية الشرقية يساوي العطف الموجود في النجف على الحركة، لكن أهالي الشامية الغربية كانوا يبدون صداقة ملحوظة تجاه المتطرفين في كربلاء، فبذلوا المال وأقصى ما عندهم من النفوذ والقوّة لإقناع الناس بمعاضدتهم.

وعلى هذا فقد كانت الحالة في الشامية شبيهة بمباراة كانت تجري بين القسم الغربي من الشامية والقسم الشرقي منها للتأثير في النجف والضغط على أهلها، فكان رجال الشامية الشرقية يحاولون إقناعهم بالمحافظة على الأمن، وإطاعة القوانين، بينما كان رجال القسم الغربي يحثونهم على الثورة وامتشاق الحسام، على أن تلك المباراة لم تكن مباراة بين فريقين متعادلين، فقد كان الغربيون أولاً أقرب إلى النجف بكثير، وكان لذلك تأثير كبير فيها، وكان أهل الشامية الشرقية ثانياً معرضين للهجوم السياسي من الخلف أي من منطقة الديوانية المجاورة التي كان يوجد بين رجالها ورجال الشامية الغربية كثير من العطف والتقارب.

ولقد قضى الكابتن مان أيام حياته الأخيرة وهو يحاول معالجة هذا الموقف بالتعاون الوثيق معي، ولا يسعني أن أأتي على وصف هذه الفترة العصيبة بأحسن عن أن أورد عدداً من أبرز الأزمات التي تحتم علينا أن نجابهها، حتى غلب على أمرنا في الأخير بنشوب الثورة في جميع أنحاء البلاد.

فقد بدأت المناوشات في أواسط حزيران في منطقة الديوانية التي تقع على حدود منطقة أم البعرور (الشامية الشرقية). على أن الكابتن مان استطاع أن يسيطر على الموقف في منطقته برغم الضغط الشُديد الذي كان يقع على سكانها، فكان لهذا تأثير ملحوظ في تأخير الحركات التي قام بُها رجال الشامية الغربية. بعد ذلك وعلى مناطق أخرى أيضاً، غير الضغط العدواني الذي لم تفتر حدته قط. فقد أُعطيت ضدنا رشاوي كبيرة، ولما كانت المناوشات الفعلية قائمة على قدم وساق بالقرب منّا سرعان ما اتضح لنا بأننا ما لم نحصل على إمدادات عسكرية غير يسيرة لمنطقتنا لا نستطيع أن نعمل شيئاً سوى أن

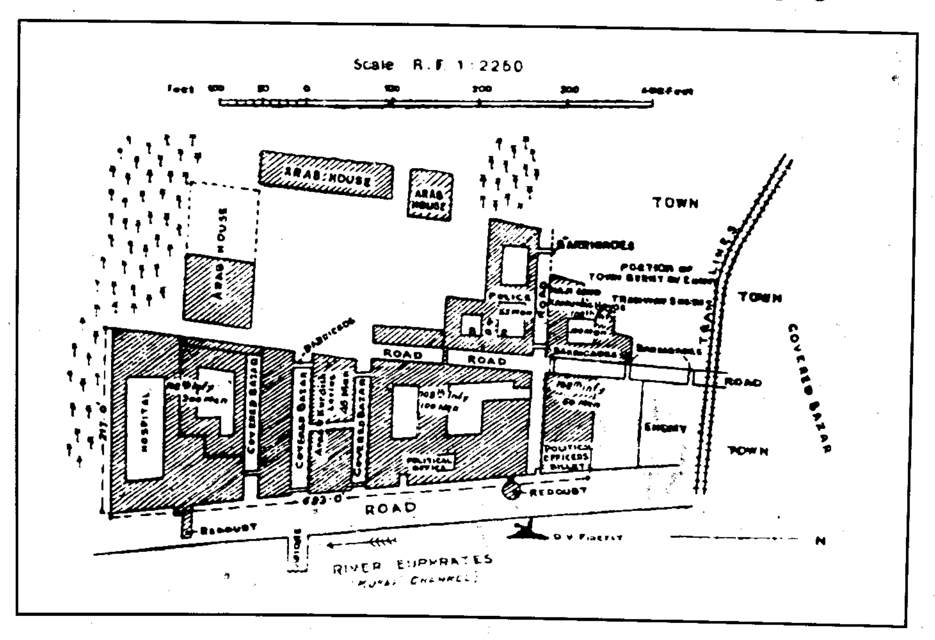
نماطل ونحصل على الوقت الكافي الذي تستطيع خلاله السلطات العسكرية في بغداد أن تمدّنا بالقوة اللازمة، وهي التي كانت منشغلة تمام الانشغال في معالجة القلاقل التي كانت قد بدأت بالفعل في كثير من الجهات، ولما كانت القوة العسكرية اللازمة غير متيّسرة عندنا لتوطيد الأمن والنظام بالقوة فإن الطريق الوحيد الذي بقي لنا هو أن نبذل أقصى ما عندنا من الجهد للاستفادة من الشيوخ الموالين.

وعلى هذا فقد اتخذ الكابتن مان في يوم ٧ تموز الترتيبات اللازمة للاجتماع برؤساء الخزاعل المشار إليهم قبل هذا، وأن نرتب معهم أن أمكن ترتيباً عملياً يمكننا من إنقاذ الموقف، فعقد الاجتماع في الساعة السادسة بعد الظهر ودام حتى الحادية عشرة مساءً، فكانت النتائج المباشرة وتأثيرها في الموقف نتائج تستدعي العرفان بالجميل تماماً، ومع أن فيضان الثورة ومدّها الطاغي قد اكتسحا في الأخير أولئك الرجال وزجّهم في ساحة المعركة ضدنا، فليس هناك من شك بأنهم لم يشتركوا في الثورة اشتراكاً قلبياً، كما أن الفتور الذي أبدوه فيها قد ساعد البريطانيين أعظم مساعدة خلال مدة الاضطرابات والقلاقل كلها. ولم يتأخر أعداؤنا طويلاً في تقدير الضربة البارعة هذه التي ضربهم بها الكابتن مان، فضاعفوا جهودهم في التخفيف من حدة تصلب الخزاعل وتصميمهم على الوقوف بجنبنا، حيث صبّت عليهم الأموال والدعايات، وفي خلال الأسبوع التالي قضى الكابتن مان ساعات نهاره كلها، وساعات الليل أحياناً في التجوال في منطقته لاستعمال نفوذه الشخصي (لم يكن عنده غير هذا السلاح) ضد هذا الضغط الشديد، فقد زار جميع الشيوخ، وعرض حياته للمخاطر في عدّة حالات، لأن البعض منهم كان بصورة جلية في معسكر العدو. وكان صديقه مرزوق بصحبته في معظم زياراته هذه، وقد كانا يتجولان من دون سلاح في بادئ الأمر، غير أن تقدم الأيام واشتداد التوتر قد اضطر مرزوقاً إلى أن يفضل اصطحاب ثلة من رجاله المسلحين.

ولقد تأرجح شاقول السياسة إلى الأمام وإلى الوراء حتى حلّ يوم ١٢ تموز، وكنت أرافق الكابتن مان في معظم سفراته وجولاته، كما كنت قد زرته مرتين أو ثلاث مرات في داره في أم البعرور. وها أني أرى إنني سجلت في مفكرتي عن هذا اليوم (١٢ تموز) ما يلي:

«إلى أم البعرور، الظاهر أن تحسناً كثيراً قد طرأ على الموقف، عدت إلى الكوفة في الساعة الخامسة بعد الظهر، وفي العاشرة مساءً تسلمت تقارير خطيرة من الشاميتين الشرقية والغربية».

الكوفة: صورة جوية، مأخوذة من الشرق في ١٤ تشرين الأول ١٩٢٠((المنطقة المؤشرة بالأبيض هي المحتلة من قبل قوات الاحتلال والتي حوصرت فيها فيما بعد من قبل الثوار)).



خارطة حامية الكوفة في تموز ــ أيلول ١٩٢٠.

وكنت قد ذهبت إلى بغداد في يوم ١٠ تموز بطريق الجو، وكان غرضي من ذلك أن أحصل على إمدادات عسكرية، وقد توسلت بكل قواي أن أحصل على كل شيء منها، كما أن الحاكم الملكي العام بذل جميع جهوده لتلبية طلبي، غير إنني لم أوفق في ذلك، وعلى هذا جوبهنا في يوم ١٢ تموز بما كان يهددنا بالاندحار الذي لامناص منه بعد خمسة أسابيع من الجهود المضنية التي بذلناها للفوز عن طريق الدبلوماسية، فقد كان يبدو من المؤكد أن المناوشات عندنا ستبدأ في يوم ١٣ تموز، وقد وقع ذلك بالفعل، فقد تجمعت عشائر آل فتلة بستة آلاف مقاتل خلال الليل وطوقت أبي صخير (مقر الشامية الغربية) وبدأت بالمناوشات والعدوان. وحالما ترامى إليّ هذا النبأ أوعزت إلى الكابتن مان بالعودة إلي في الكوفة، فرفض أن يفعل ذلك معتقداً أنه قد يكون في وسعه أن يسيطر على الموقف إذا بقي مقيماً في مقره. وعند ذلك اتصلت بالحاكم الملكي العام ليوعز له بالعودة، غير أنني تلقيت جواباً مفاده أن القائد العام يرغب في بقاء الكابتن مان في مكانه بصرف النظر عن مخاطرته بحياته، بالنظر «لأن بقاءه في أم البعرور كان له تأثير بين على سير الأمور في المنطقة المجاورة». ولا يخفى إن هذا كان ثناءً يصعب على أي رجل آخر غيره أن يحصل على ما هو أعظم منه.

وسأذكر الآن آخر عمل عظيم قام به الكابتن مان في حياته: فقد مرّت على حامية أبي صخير وموظفيها السياسيين ثلاثة أيام (١٦ تموز) وهم في حالة حصار، فنفذت أرزاقهم، وقد شاع في الأخير أنهم قد قطعوا أي أمل في الإسعاف أو النجاة، وقرروا أن لا مجال لهم في أن يستطيعوا شق طريقهم والعودة إلى الكوفة. وفي الساعة العاشرة مساءً بينما كنت جالساً أتأمل بانزعاج المستقبل المعتم، سمعت صوت الكابتن مان المألوف لدي من جانب النهر الآخر، فعبرت بزورق بخاري لملاقاته (كنا قد قطعنا الجسر في هذا الوقت) فسررت سروراً بالغاً إذ وجدته قد جاء بحراسة مرزوق، وقد أخبرني بأنه جاء «ببعض شروط لهدنة ما» ولم اطلع على مقدار النشاط والبراعة اللذين أبداهما للوصول إلى هذه المرحلة من الوضع، ويكفي أن أقول أن العرب وافقوا على إيقاف الأعمال العدوانية لمدة أربعة أيام بشرط:

١ ـ أن أبعث بشروط الصلح إلى الحاكم الملكي العام.
٢ ـ أن أسحب حامية أبي صخير إلى الكوفة.

وقد كان هذا في الحقيقة شيئاً يشبه المعجزة، فقد أعطى عمله هذا مهلة أربعة أيام أخرى للجيش البريطاني المضغوط عليه بشدة ليسعف حامية الرميثة ويسحبها بعد أن

كانت تعاني حالة الحصار لمدة ثلاثة أسابيع، يضاف إلى ذلك، كانت هذه فرصة لي أسارع بها دبلوماسياً لإسعاف الموظفين والقوة التابعة لي في أبي صخير، وهم الذين كنت قبل عدة ساعات قد قطعت الأمل من إنقاذهم.. فكانت هذه فرصة طيبة تكاد لا تصدق، ثم قابلت في هذا اليوم التالي جمهوراً كبيراً من الشيوخ وقد غمرهم الشعور بدقة الحالة وخطورتها، وبعظم الخيانة التي حصلت، وسرعان ما ازداد قلقي، لأنني عندما عبرت النهر أنا والكابتن مان لمواجهة الشيوخ (لم يكن من الممكن إقناعهم بالعبور إلى ضفتنا) كان يبدو من الحديث الذي جرى معهم بأنهم كانوا يقصدون النكول عن وعدهم الذي أعطوه بشأن جلاء حامية أبي صخير، وادّعوا بأنهم كانوا يقصدون المحافظة على حياة من في الحامية إذا استسلموا لهم.

وتجاه هذا التطرف لم يسعني سوى أن أسلك طريق الحزم والتشامخ، فقد اتضح لي تماماً إن العرب كانوا يرغبون رغبة خالصة في أن يروا زوال الحامية عن أبي صخير، وعلى هذا فقد قلت لهم: إنني لا يمكنني بوجه من الوجوه أن أقبل بتسليم الحامية، وإذا كان هذا هو الذي يسعون إليه فليس هناك مجال لإطالة الحديث، فأيّد الكابتن مان جميع ما قلته، فانفضّت الجلسة بعد الاتفاق على الاجتماع ثانية في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي إذا كانوا مستعدين لأن يبحثوا معي الشروط الحقيقية التي كانوا قد ذكروها للكابتن مان. وفي النتيجة طلبوا عقد جلسة أخرى، وهذا الطلب هو الذي أعتبره أعظم فوز للكابتن مان خلال حياته في العراق، فقد اتضح لي بأن الاجتماع كان فيه كثير من الشيوخ يعزّ عليهم أن يروا الرجل الذي تعوّدوا محبته بإخلاص أن يندحر أمام الحيلة والمكر، فقد كانت كلمته عندهم شيئاً ملزماً، وفي هذا الاجتماع الذي ربما يكون آخر اجتماع يرى فيه أحدنا الآخر تغلب عليهم شعورهم بالحق. فانتصر أصحاب الكابتن مان في ذلك اليوم واندحر المتطرفون. وبذلك لوحظت الهدنة وأُنقذت حاميتا الرميثة وأبي صخير، ثم أخذت الكابتن مان معي وعدنا إلى الكوفة بعد الاجتماع بضد رغبته، غير أن عدم عودته إلى أم البعرور كان من الشروط التي أملاها عليّ العرب لقاء جلاء حامية أبي صخير بسلام.

وبعد خمسة أيام توفي في حضني من جرح مميت بعد أن أصابته رصاصة طائشة.

مراجع التحقيق

• إدارة العراق: د. عماد عبد السلام رؤوف.
• أصول أسماء المدن والمواقع العراقية: جمال بابان. ج١، ط بغداد.
• تأريخ الحلة: الشيخ يوسف كركوش الحلي. ج١، مط الحيدرية، النجف ١٩٦٥.
• تأريخ الديوانية: الحاج وداي العطية. مط الحيدرية، النجف.
• تأريخ العراق بين احتلالين: عباس العزاوي المحامي. ج٥.
• تأريخ القضية العراقية: محمد مهدي البصير. ج ١ ـ ٢، مط الفلاح، بغداد ١٩٢٤.
• تأريخ الكوفة الحديث: كامل سلمان الجبوري. ج ١ ـ ٢، مط الغري، النجف ١٩٧٤.
• تأريخ العراق: سرالمر هالدين. ترجمة: فؤاد جميل. مط دار الزمان، بغداد ١٩٦٥.
• الثورة العراقية الكبرى: عبد الرزاق الحسني، ط٣، صيدا ١٩٧٢.
• الثورة العراقية الكبرى: د. عبد الله الفياض. ط٢، مط دار السلام، بغداد ١٩٧٥.
• الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية الكبرى: أمين سعيد. ج٢، مط عيسى البابي الحلبي، مصر (د ت).
• الحقائق الناصعة في الثورة العراقية: فريق المزهر الفرعون. ج١، مط النجاح، بغداد ١٩٥٢.
• دراسات عن عشائر العراق، الخزاعل: الشيخ حمود الساعدي. ط النجف ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
• سيرة آل أسد خان: مصطفى أسد خان. مط المعارف، بغداد ١٩٧٧.
• العراق في دوري الاحتلال والانتداب: عبد الرزاق الحسني. ج١، مط العرفان، صيدا، سوريا ١٩٣٥.
• على هامش الثورة العراقية: فراتي (جعفر الخليلي). مط شركة النشر والطباعة العراقية، بغداد.
• فصول من تأريخ العراق القريب: المس بل، ترجمة: جعفر الخياط، مط دار الكتب، بيروت ١٩٧١.
• القول الحق في تأريخ سوريا وفلسطين والعراق: لودر. تعريب: نزيه المؤيد العظم. مط الحديثة، دمشق ١٩٢٥.

• كربلاء في التأريخ: عبد الرزاق الوهاب. ج٣، مط الشعب، بغداد ١٩٣٥.
• الكوفة في ثورة العشرين: كامل سلمان الجبوري. مط الآداب، النجف ١٩٧٢.
• لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: د. علي الوردي. ج٥، ق١ / مط المعارف، بغداد ١٩٧٧م. ق٢ / مط الأديب، بغداد ١٩٧٨م.
• ماضي النجف وحاضرها: جعفر باقر محبوبة. ج١، ط٢، مط الآداب، النجف ١٩٥٨م.
• مذكرات السيد حسين كمال الدين: تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري. مط العاني، بغداد، ١٩٨٦.
• مذكرات السيد سعد صالح: تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري. مط العاني، بغداد، ١٩٨٧.
• مذكرات السيد سعيد كمال الدين: تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري. مط العاني، بغداد ١٩٨٧.
• مذكرات عبد الحميد زاهد: تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري. مط العاني، بغداد ١٩٨٧.
• مذكرات الحاج عبد الرسول تويج: تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري. مط العاني، بغداد ١٩٨٧.
• مذكرات السيد كاطع العوادي: تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري. مط العاني، بغداد ١٩٨٧.
• مذكرات السيد محسن أبو طبيخ: جمع وتحقيق: جميل أبو طبيخ. ط بيروت، ٢٠٠١م.
• مذكرات السيد محمد علي كمال الدين: تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري. مط العاني، بغداد ١٩٨٦.
• وثائق الثورة العراقية الكبرى: جمع وتحقيق: كامل سلمان الجبوري. ١ ـ ٥ مخطوط.
• الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية: علي البارزكان. مط أسعد، بغداد ١٩٥٤.
• هكذا عرفتهم: جعفر الخليلي. ج١، مط الزهراء، بغداد ١٩٦٣.

الصحف والدوريات:

• جريدة العراق البغدادية: تصدرها حكومة الاحتلال:

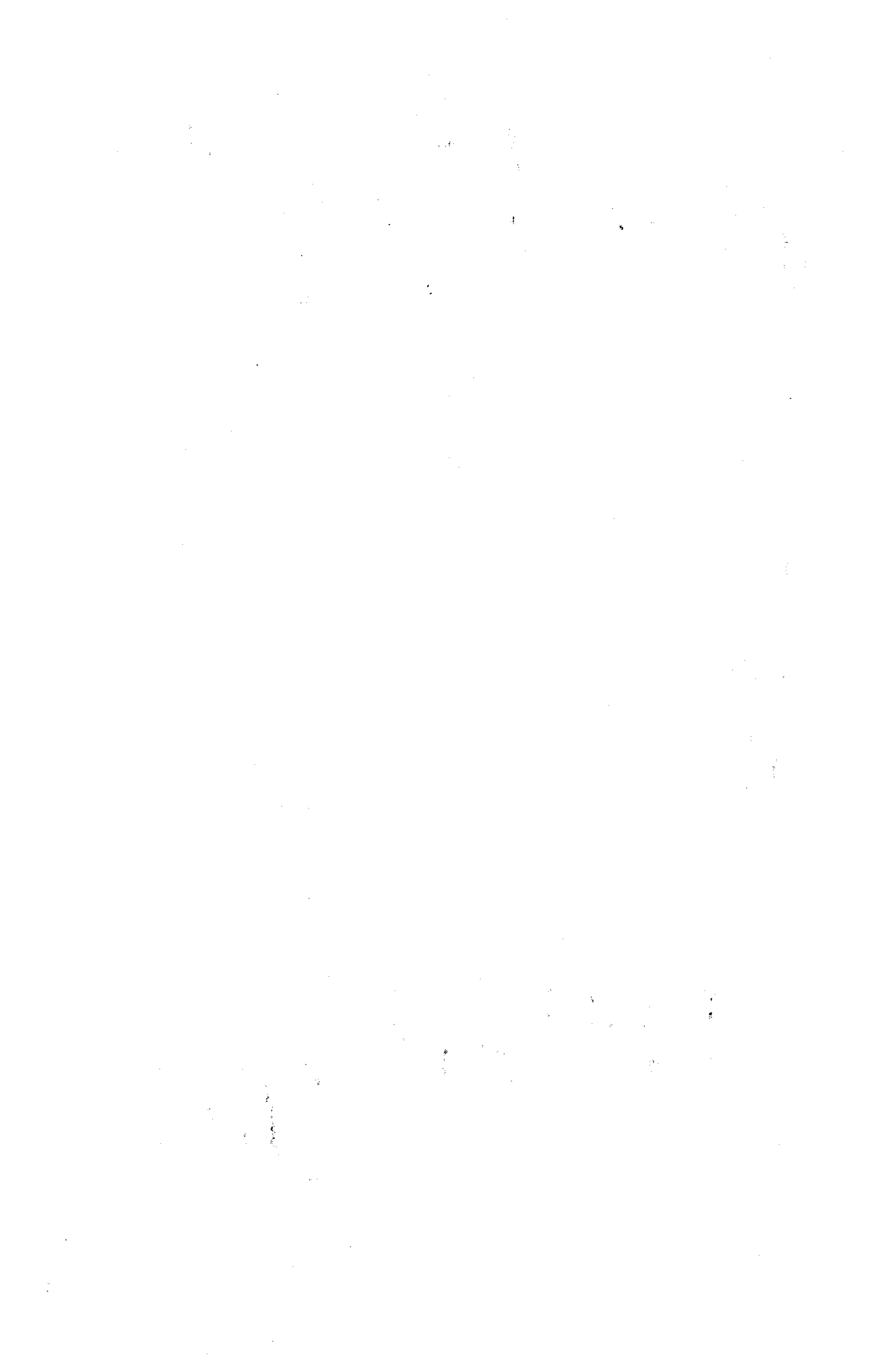
الأعداد: ٧/٥٨ آب ١٩٢٠.

و ٢٢/١٢١ تشرين الأول ١٩٢٠.

و ٢٣/١٢٢ تشرين الأول ١٩٢٠.

و ٢٦/١٢٤ تشرين الأول ١٩٢٠.
و ١/١٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٠.
و ٥/١٣٢ تشرين الثاني ١٩٢٠.
و ٦/١٣٣ تشرين الثاني ١٩٢٠.
و ٩/١٣٥ تشرين الثاني ١٩٢٠.
و ١١/١٣٧ تشرين الثاني ١٩٢٠.
و ١٧/١٤٢ تشرين الثاني ١٩٢٠.
و ٢٤/١٤٨ تشرين الثاني ١٩٢٠.
و ٢٦/١٤٩ تشرين الثاني ١٩٢٠.

- مجلة البلاغ الكاظمية، السنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م. العدد ١ و ٢.
- مجلة رسالة الشرق الكربلائية، رجب ١٣٧٣هـ.
- مجلة لغة العرب البغدادية، السنة ٣ / العدد ٩.



الفهارس

١ ـ فهرس الأعلام.

٢ ـ فهرس الأعلام المترجمين في الهامش.

٣ ـ فهرس القبائل والأقوام.

٤ ـ فهرس الأماكن والبقاع.

٥ ـ فهرس الصور والوثائق.

٦ ـ فهرس الموضوعات.

١ ـ فهرس الأعـــلام(*)

(*) بالنظر لورود اسم الكابتن مان كثيراً في ثنايا رسائله، فلم أذكره في قائمة الأعلام. إلا أنني ذكرت الصفحات التي ورد فيها اسمه بالمقدمة التمهيدية من ص ١ ـ ٨٧.
كذلك أهملت ذكر اسم أفراد عائلته في ترجمة حياته من ص ٨٨ ـ ١٠٣.

٢ ـ فهرس الأعلام المترجمين في الهامش
مرتب حسب حروف الهجاء

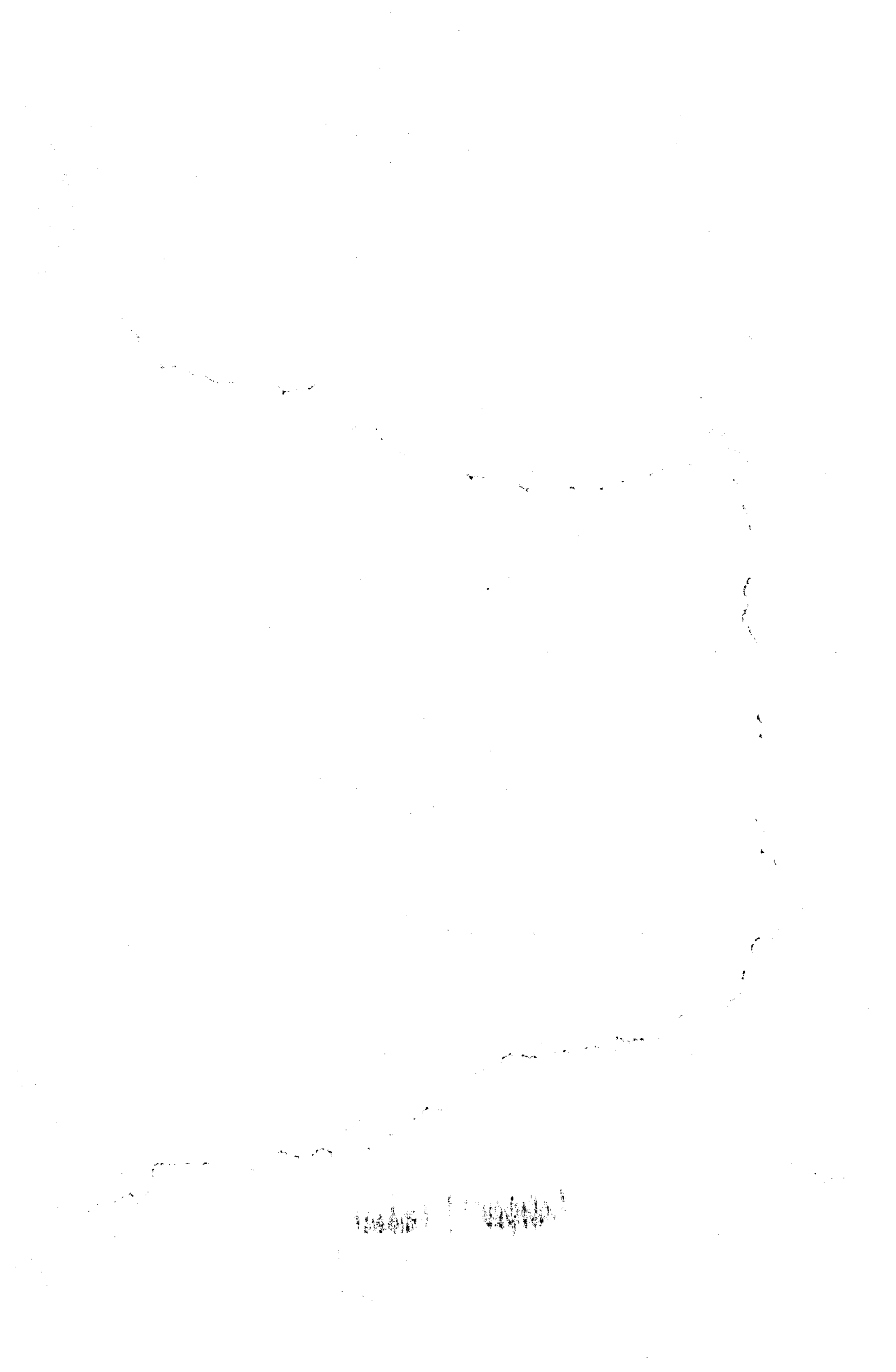
٣ ـ فهرس القبائل والأقوام

٤ ـ فهرس الأماكن والبقاع(*)

(*) لكثرة ورود أسماء الأماكن والبقاع البريطانية والأجنبية في ثنايا الرسائل والتي لا حاجة للباحث والقارىء الكريم فيها، اقتضى رفعها. إلا القدر الذي يمكن الاستفادة منه.

٥- فهرس الصور والوثائق

٦ ـ فهرس الموضوعات



AN ADMINISTRATOR IN THE MAKING

JAMES SAUMAREZ MANN
1893 – 1920